

المكتبة
عز الله له والحمد لله

الروض الأناقب

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المتوفى ٢١٨ هـ

الجزء السادس

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

يطلب من

دار الكتب الإسلامية بمكة المكرمة

١٤ شارع الجمهورية ببابين - ت ٩٦١٠٧

المكتبة
عز الله له والحمد لله

الروض الأنيب

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

كتاب

جامعة الكويت
أمانة المكتبات - قسم التزويد المطبوع
رقم التسجيل: ١٧٢٥٦
التاريخ: _____

١٨٥٩

مكتبة

مكتبة جامعة الكويت

١٨٥٩

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

مقدمة



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء السادس من السيرة وشرحها «الروض الأنف»

للإمام السهيلي

والله وحده أسأل أن يعين على تمامه ؟

عبد الرحمن التوكيل

قتل الرسول لأبي بن خلف

(١) قال : فلما أُسند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشَّعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا تَجُوتُ إن تَجُوتُ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطفُ عليه رَجُلٌ مِنَّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُ ؛ فلما دنا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الخربةَ من الحارث بن الصَّمة يقول بعضُ القوم ، فيما ذُكر لي : فلما أخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منه انقَضَ بها الانقِصَاضُ ، تطايرَنا عنه ، تطايرَ الشعراءُ عن ظهر البعيرِ إذا انقضَّ بها - قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ - ثم استقبله فطعنَه في عُنقه طعنة تَدَادُ منها عن فرسه مراراً .

قال ابن هشام : تَدَادُ ، يقول : تَقَلَّبَ عن فرسه ، فجعلَ يتَدَخَّرُ .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدَّثني صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العوذَ ، فرساً أعلفه كلَّ يوم فرقاً من ذرة ، أقتلكَ عليه ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلكَ إن شاء الله . فلما رَجَعَ إلى قُريش وقد خدَّشَه في عُنقه خدْشاً غيرَ كبير ، فاحتقنَ الدَّمُ ، فقال : قَتَلَنِي والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلكَ ، فوالله لو بصقَ على لِقَمَتَي . فماتَ عدوُّ الله بسرفٍ وهم قافلون به إلى مكة .

شعر حسان في مقتل أبي بن خلف.

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتُ إِلَيْهِ تَحْمِلَ رِمَّ عَظْمِهِ وَتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَبُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ أُمَيَّةً إِذْ يَفَوْتُ : بِأَعْقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَيْمِيسَةَ إِذَا أَطَاعَا أَبَا جَنْهَلٍ ، لِأَمْرِهِمَا الْهَبُولُ
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أَسْرَتَهُ فَلِيلُ
قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضاً في ذلك :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَيْيَا لَقَدْ أَقْبَيْتُ فِي سُحْقِ السَّيْرِ
تَمَنَّى بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتُقَسِّمُ أَنْ قَدَرْتُ مَعَ النَّذِيرِ
تَمَنِّيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكَافِرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
قَدْ لَأَقْنُكَ طَعْنُهُ ذِي حِفَافٍ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْيَاءِ طُرّاً إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

انتهاء الرسول إلى الشعب

(قال) : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَمَ الشَّعْبِ خَرَجَ
على بن أبي طالب ، حتى ملأ دَرَقَتَهُ مَاءً مِنَ الْمِثْرَاسِ ، فَجَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجده له ريحاً ، فعافه ، فلم يشرب منه ،
وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضبُ الله على من
دُمِّي وجه نبيه .

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن
أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على
قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمتُ لسيِّئ الخلق مبيغضاً فى قومه ،
ولقد كفانى منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من
دُمِّي وجه رسوله .

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم

قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه
أولئك الفُقر من أصحابه ، إذ علَّت عاليةٌ من قريش الجبل .

قال ابن هشام : كان على تلك التحيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني لا ينبغى
لهم أن يقاتلوا ! فقاتل عمرُ بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم
من الجبل .

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له

قال ابن إسحاق : ونهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من

الجليل ليعلموها ، وقد كان بَدَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين
دينين ، فلما ذهب لِيَهْض صلى الله عليه وسلم لم يَسْتَطِع ، فجلس تحته طلحة بن
عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن
الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول :
أَوْجِبْ طَلْحَةَ حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ .

قال ابن هشام : وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب .

صلاة الرسول قاعداً

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم
صلى للظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون
خلفه قعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المُنَى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن كبيد ،
قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُصَيْل بن جابر

وهو اليان أبو حذيفة بن اليان ، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وما شيخان كبيران : لا أَبَالِكَ ، ما تَنْتَظِرُ ؟ فوالله لا يَبْقَى لَواحدُنا من عمره إلا ظِمٌّ حِمار ، إنما نحن هامة اليوم أو غدٍ ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نَذْهَبُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَلِّ اللَّهِ بِرِزْقِنَا شَهَادَةً مع رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَأَخَذَا أَسْيَافَهُمَا ثُمَّ خَرَجَا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعْلَمْ بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المُشْرِكُونَ ، وأما حُسَيْل بن جابر فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ، فقتلوه ولا يَغْفِرُ فَوْهَ ، فقال حذيفة : أَيْ ، فقالوا : والله إن عرفناه ، وصدّقوا . قال حذيفة : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وهو أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فأراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يَدَّيْهِ ؛ فتنصّدق حذيفة بِدِيَّتِهِ على المُسلمين ؛ فزاد ذلك عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً .

مقتل حاطب ومقالة أبيه

قال ابن إسحاق : وحدثني غاصمُ بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يُدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يُقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتِيَ به إلى دار قومِهِ وهو بالَمُوت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أَيْشِرُ يا بن حاطب بِالْجَنَّةِ ؛ قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية ، فجعَمَ يومئذ نفاقَهُ ، فقال : بأى شَيْءٍ تَبَشِّرُونَهُ ؟ بِجَنَّةٍ من حَرَمٍ لَأَغْرَرْتُمْ وَاللَّهُ هَذَا الْغَلَامَ مِنْ نَفْسِهِ .

مقتل قزمان منافقاً كما حدّث الرسول ذلك

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتيت لا يدري بمن هو ، يقال له قُزْمان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتُمل إلى دار بني ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قُزْمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنانته ، فقتل به نفسه .

قتل مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيْرِيق ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفِطَيطون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يامُشَرَ يَهُودَ ، والله لقد علمت أن نصر محمد عليكم حَقٌّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال لا سبتَ لكم . فأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أُصِبتُ فمالي ل محمد يصنع فيه ما شاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما باننا - مُخَيْرِيق خير يهود .

أمر الحارث بن سويد

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سويد بن صامت مُنافقاً ، فخرج يوم

أُحِدَ مع المسلمين ، فلما التَقَى الناسُ ، عَدَا على المُجَذَّر بنِ ذِيادِ البَلَوَى ، وَفَيسَ ابنَ زَيْدٍ ، أَحَدَ بنِي ضُبَيْعَةَ ، فَقتَلَهُما ، ثُمَّ حَلَقَ بِمَكَّةَ بَقْرِيشَ ؛ وَكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - فِيمَا يَذْكُرُونَ - قَدَ أَمَرَ عُمرَ بنَ الخَطَّابِ بِقتَلِهِ إِنْ هُوَ ظَفَرَ بِهِ ، فَقاتَهُ ، فَكانَ بِمَكَّةَ ؛ ثُمَّ بَعَثَ إِلى أَخِيهِ الجُلَاسِ بنِ سُوَيْدٍ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ ، لِيَرْجِعَ إِلى قَوْمِهِ . فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ، فِيمَا بَلَغَنِي ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ إِلى آخِرِ القِصَّةِ .

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر

قال ابن هشام ؛ حَدَّثَنِي مَنْ أَتَى بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ الحارثَ بنَ سُوَيْدٍ قَتَلَ المُجَذَّرَ بنَ ذِيادٍ ، وَلَمْ يَقْتُلْ قَيْسَ بنَ زَيْدٍ ، وَالدليلُ على ذلكَ : أَنَّ ابنَ إِسحاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي قَتْلِي أَحَدٍ ؛ وَإِنَّمَا قَتَلَ المُجَذَّرَ لِأَنَّ المُجَذَّرَ بنَ ذِيادٍ كانَ قَتَلَ أَباهُ سُوَيْدًا فِي بَعْضِ الحُرُوبِ الَّتِي كانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرجِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذلكَ فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتابِ .

فَتَبَيَّنَا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، إِذْ خَرَجَ الحارثُ ابنَ سُوَيْدٍ مِنْ بَعْضِ حَوَاطِطِ المَدِينَةِ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُضَرَّجَانِ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ ، وَيُقَالُ : بَعْضُ الْأَنْصارِ .

قال ابن إِسحاقَ : قَتَلَ سُوَيْدَ بنَ الصَّامِتِ مَعَاذُ بنَ عَفراءَ غِيلَةً ، فِي غَيْرِ حَرْبٍ رَمَاهُ بَسَنَّهُمْ فَقتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثَ .

أمر أصيرم

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم ، بني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : قتلتم لعمرو بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأتي الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، بداه في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أنبتت الجراحة . قال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتسمون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ، ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فعدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني

سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أخرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن نبي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بمرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

هند وتمثيلها بحمزة

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثني صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتي معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحدعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطها وخشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلا كتبها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فللقطها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، قصرت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سقر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسي وقضيت نذرى شفيت وخشى غليل صدرى
فشكر وخشى على عمرى حتى ترم أعظمى في قبرى

شعر هند بنت أنانة في الرد على هند بنت عتبة

فأجابتها هند بنت أنانة بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِب ، فقالت :

خَزِيَّتِي فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاحٍ عَظِيمِ الْكَفْرِ
صَبَّحْتُكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ مِنْهَا شَمِيمِينَ الطَّلَاحِ الزُّهْرِ
يَبْكِلُ قُطَّاعِ حُسَامٍ يَفْرَى خَمَزَةُ كَيْنَى وَعَلَى صَفْرِ
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرَى تَفْضِيلاً مِنْهُ ضَوَا حِي النَّحْرِ
وَنَذْرُكَ الشَّوْءِ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركناها ثلاثاً أبيات أفذعت فيها .

شعر لهند بنت عتبة أيضاً

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَّيْتُ مِنْ خَمَزَةٍ نَفْسِي بِأَحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَبَدِ
أَذْهَبَ عَنِّي ذَلِكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذَّةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُتَعِدِ
وَالْحَرْبِ تَغْلُوكُمْ بِشُؤْبِ بَرْدٍ مُتَقَدِّمِ إِنْقِدَامٍ عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق : فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت : يا ابن الفريعة — قال ابن هشام : الفريعة بنت

..... :

خالد بن خنيس ، ويقال : خنيس : ابنُ حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هند ، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بمحزة ؟ قال له حسان : والله إنى لأظفر إلى الجربة تهوى وأنا على رأس فارغ - يعنى أطيه - فقلت : والله إن هذه ل سلاح ماهى بسلاح العرب ، وكأنها إنما تهوى إلى نخرة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أ فكفوها ، قال : فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت : فقال حسان بن ثابت :

أشیرت لكاع وكان عادتہا لؤما إذا أشرت مع الكفر

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتا أيضا له على الدال . وأبياتا أخر على الدال ، لأنه أقذع فيها .

استنكار الخليل على أبى سفيان عشيلہ بمحزة

قال ابن إسحاق : وقد كان الخليل بن زبآن ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأيش ، قد صر بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شذق حزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول : ترق حقيق ؟ فقال الخليل : يا بنى كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بآبى عمه ماترون لحما ؟ فقال : ويحك ! أكنتمها عنى ، فإنها كانت زلة .

شماتة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر

ثم إن أبى سفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ،

ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال : أنعمتَ فعلى ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ،
أعلى هُبَل ، أى : أظهر دينك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عمر
فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجل ، لا سِوَاء ، قَتَلَانَا فى الجنة ، وقَتَلَاكُمْ فى
النَّار . فلما أجابُ عمرُ أبا سفيان ، قال له أبو سفيان : هَلَمْ إِلَى يَاعمر ، فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انظر ما شأنه ، فجاءه ، فقال له
أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أَقَتَلْنَا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع
كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابنِ قَيْمَةٍ وأبرُّ ؛ تقول ابن قَيْمَةٍ
لهم : إني قد قتلْتُ محمداً .

قال ابن هشام : واسم ابنِ قَيْمَةٍ عبدُ الله .

توعد أبى سفيان المسلمين

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قَتْلَاكم مثل ،
والله ما رَضِيتُ ، وما سَخِطْتُ ، وما نَهَيْتُ ، وما أَمَرْتُ .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا
وبينكم موعد .

خروج على آثار المشركين

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج
فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ، فإن كانوا قد جئوا الخيل ،

وامتطوا الإبل ، فانهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فانهم يُريدون المدينة ، والذي نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنَ إليهم فيها ، ثم لأناجزئهم . قال على : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعَصَعَةَ المازني ، أخو بني النَجَّار : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ الرَّيْعِ ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر ، أَفِي الْأَحْيَاءِ أَنْتَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى بئسكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أزر حتى مات ؛ قال : فبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزُّبَيْري : أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق وبنت سعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشُفها ويقبلها ؛

تقال له الرجل : مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير مني ، سعد بن الربيع ،
كان من النُّقباء يوم العقبة ، وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أحد .

حزن الرسول على حمزة وتوعد المشركين بالمثلثة

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ،
يَتَلَمَسُ حمزة بن عبد المطلب ، فوجده بَبْطُن الوادي قد بُقِر بطنه عن كبده ،
ومثَّل به ، مُجَدِّع أنفه وأذناه .

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال
حين رأى ما رأى : لولا أن تَحْزَنَ صَفِيَّة ، ويكون سُنَّة من بعدى لَتَرَكْتُهُ ،
حتى يكون في بطُون السَّباع ، وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش
في موطن من المَوَاطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حُزْنَ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على مَنْ فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله
لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يُمثلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على تحزُّمته قال :
لن أصاب بمثلك أبداً ! ما وقفتُ موقفاً قط أغيظ إلى من هذا ! ثم قال :
جاءني جبريلُ فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ في أهل السماوات
السمع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ،
إِخْوَةً مِنَ الرِّضَاعَةِ ، أَرْضَعَتْهُمْ مَوْلَاةُ لَأَبِي لَهَبٍ .

ما نزل في النهي عن المثلة

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيْدَةُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ قَرْوَةَ الْأَسْلَمِيِّ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ كَثْبٍ الْقُرْظِيِّ ، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَوْلِ
أَصْحَابِهِ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَبَرٌ
لِلصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ
مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ، فَمَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَبَرَ وَنَهَى
عَنِ الْمَثَلَةِ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ سُمُرَةَ بْنِ
جُنْدُبٍ ، قَالَ : مَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامٍ قَطًّا فَقَارَقَهُ ، حَتَّى
يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْمَثَلَةِ .

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتُهُمْ عَنْ مِقْسَمٍ ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْحَارِثِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْزَةٍ
فَسُجِّي بِرِدَّةٍ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَبَّرَ سَبْعَ تَسْكِيرَاتٍ ، ثُمَّ أَتَى بِالْقَتْلَى فَيُوضَعُونَ
إِلَى حَمْزَةٍ ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ مَعَهُمْ ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَتَسْمِعِينَ صَلَاةً .

صفية وحزنها على حمزة

قال ابن إسحاق : وَقَدْ أَقْبَلْتُ فَمَا بَلَغَنِي ، صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لَتَنْظُرَ

إليه وكان أخاها لأبيها وأُمُّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقها فأزجِها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أُمُّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن ترَجِعي ، قالت : ولم ؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فأَرْضانا بما كان من ذلك الأحسن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلَّ سبيلها ، فآتته ، فنظرتُ إليه ، فصَلَّت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال : قرع لي آلُ عبدِ الله بن جَحَش - وكان لأميمة بنت عبدالمطب ، حمزةُ خاله ، وقد كان مُثَّل به كما مُثِّل بَحَمْزة ، إلا أنه لم يُنْقَر عن كِبده - أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة في قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

دفن الشهداء

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدَفَنوهم بها ، ثم نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة

ابن صُعَيْرِ القُدْرِي ، حليف بنِي زُهْرَةَ : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
لَمَّا أَثْرَفَ عَلَى الْقَتْلِ يَوْمَ أُحُدٍ ، قَالَ : أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ ، إِنَّهُ مِمَّنْ جَرَّحَ
يُجْرَحُ فِي اللَّهِ ، إِلَّا وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَذْمِي جَرْحَهُ ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ -
وَالرِّيحُ رِيحُ مَسْكٍ ، وَانْظُرُوا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ ، فَاجْلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ
فِي الْقَبْرِ - وَكَانُوا يَذْفِنُونَ الْإِنْسَانَ وَالثَّلَاثَةَ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عُمَى مُوسَى بْنِ بَسَارٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ
أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِمَّنْ جَرَّحَ يُجْرَحُ فِي اللَّهِ إِلَّا وَاللهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَجَرْحُهُ يَذْمِي ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرِّيحُ رِيحُ مَسْكٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ بَسَارٍ ، عَنْ أَشْيَاحَ مِنْ بَنِي
سَلَمَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ يَوْمَئِذٍ ، حِينَ أُمِرَ بِدَفْنِ
الْقَتْلَى : انْظُرُوا إِلَى تَعْمُرَ بْنِ الْجَمُوحِ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْوَانَ حَرَامًا ، فَإِنَّهُمَا
كَانَا مُتَصَافِينَ فِي الدُّنْيَا ، فَاجْلُوهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ .

حزن حمزة على حمزة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى
الْمَدِينَةِ ، فَلَقِيَتْهُ حَمَّزَةُ بِنْتُ جَحْشٍ ، كَمَا ذُكِرَ لِي ، فَلَمَّا لَقِيَتْ النَّاسَ نَبِيَّ إِلَيْهَا
أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، فَاسْتَرْجَمَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَفَى لَهَا خَالَهَا حَمْرَةَ
ابْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَاسْتَرْجَمَتْ وَاسْتَغْفَرَتْ لَهُ ، ثُمَّ نَفَى لَهَا زَوْجَهَا مُصْغَبُ بْنُ مُعْمِرٍ ،
فَصَاحَتْ وَوَلَّتْ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ زَوَّجَ الْمَرْأَةَ مِنْهَا

لبيكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالما ، وصياحها على زوجها .

بكاء نساء الأنصار على حمزة

قال ابن إسحاق : ومرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أصرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيفة ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب منجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن برحمن الله ، فقد آسيتن بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار إبان المواساة منهم ما عثمت أقديمة ، مروهن فليتنصرن .

شأن المرأة الدينارية

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن

محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نَمَوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أُمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كلّ مُصيبَةٍ بعدك جَلَل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلل القليل :

أَقْتُلْ بَنِي أَسَدٍ رَبِّهِمْ إِلَّا كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٍ

قال ابن هشام : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وُعْلة الجرمي :

وَلِثْنٍ عَفْوَتْ لَأَعْفُونُ جَمَلًا وَلِثْنٍ سَطَوَتْ لَأَوْهِنُ عَظْمِي

(فهو من الكثير) .

غسل السيوف

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيِّفَهُ ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دَمَهُ يَا بِنْتِي ، فوالله لقد صدّقني اليوم ؛ وناولها علي بن أبي طالب سَيِّفَهُ ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دَمَهُ ، فوالله لقد صدّقني اليوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدّق معك سهل بن حنيف وأبو دُجَانَةَ .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم ، أن ابن أبي نجيح قال : نادى
مُنَاد يَوْمَ أَحَد :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعليّ بن أبي طالب : لا يُصيب المشركون منّا مثلها حتى
يُفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه

قال : فلما كان الغدُ (من) يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ،
أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو ، فأذن
مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحدٌ إلا أحدٌ حَصْرَ يومنا بالأمس . فكلّمه جابر
ابن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على
أخوات لي سبيع ، وقال : يا بُنَيَّ ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء
النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على نفسي ، فتخلفتُ على أخواتك ، فتخلفتُ عليهن ، فأذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم تفرج معه . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

مُرْهَبًا لِّلْعَدُوِّ ، وَلِيُبَلِّغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ ، لِيُظَنُّوا بِهِ قُوَّةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ
لَمْ يُؤْهِنَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ .

مثل من استماتة المسلمين في نصرة الرسول

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدُ الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن
أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أَنَّ رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، من بني عبد الأشهل ، كان شهيداً أحداً مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، قال : شهدتُ أحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ
لي ، فَرَجَعْنَا جَرِيحَيْنِ ، فَلَمَّا أَدْنَى مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخُرُوجِ
فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ ، قُلْتُ لِأَخِي أَوْ قَالَ لِي : أَتَفُوتُنَا غَزْوَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللَّهِ مَا لَنَا مِنْ دَابَّةٍ نَرَكُهَا وَمَا مِنَّا إِلَّا جَرِيحٌ ثَقِيلٌ ، فَخَرَجْنَا
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكُنْتُ أَبْسَرَ جُرْحًا ، فَكَانَ إِذَا غَلَبَ
سُحْلَتُهُ عُقْبَةً ، وَمَشَى عُقْبَةً ، حَتَّى انْتَهَيْتَا إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى
سحراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابنُ
أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ .

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى
المدينة .

شأن معبد الخزاعي

قال : وقد مرّ به كما حدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، بمعدُ بن أبي مقبل الخزاعي ، وكانت خزاعة ، مُسلمهم ومُشركهم عِيبَةً نُصَح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بهامة ، صَفَقَتهم معه ، لا يُخْفون عنه شيئاً كان بها ، ومُقبِل يومئذ مُشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولودِدنا أن الله عاقبك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبَا سُفْيَان بن حَرْب ومن معه بالزَّوْحاء ، وقد أَجْمَعُوا الرِّجْعَةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدَّ أصحابه وأُشْرَافهم وقادَهم ، ثم رجع قبل أن نَسْتَأْصِلهم ! لنُكْرِهَنَّ على بَقِيَّتِهِمْ ، فَلَنَفْرَغَنَّ مِنْهُمْ . فلما رأى أبو سُفْيَان مُعْبِداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يَطْلُبُكُمْ في جَمْعٍ لم أر مثله قط ، يتحرِّقون عليكم تحريقاً ، قد اجتمع معه من كان يَخْلَفُ عنه في يَوْمِكُمْ ، ونَدِمُوا على ما صنعُوا ، فيهم من الخنق . عليكم شيء ، لم أر مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن رَجُلَ حَتَّى أرى نَوَاصِي الخليل ، قال : فوالله لقد أَجْمَعْنَا الكُرَّةَ عليهم ، لَنَسْتَأْصِلَ بِقِيَّتِهِمْ : قال : فإني أَنُهَاك عن ذلك ، قال : والله لقد سَحَلَنِي ما رَأَيْتُ على أن قلتُ فيهم أَيْبَاتاً من شَرِّ ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْذِمُ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ
تَرْدِي بِأَسَدٍ كَرَامٍ لَا تَنْبَالِي عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مِيلٍ مَعْلَزِيلِ
فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمِعُوا بِرَّئِيسٍ غَيْرِ مُخَذَّلِ

فقلتُ : ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم إذا تَفَطَّمَتِ البَطَحَاءُ بِأَنظِيلٍ
إني نذيرٌ لأهلِ اللَّبْسِلِ ضاحيةٌ لكلِّ ذِي لَازِيَةٍ منهم ومعتولٍ
من جيشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ تَنَابِلَةٍ وليس يُوصَفُ ما أُنذِرْتُ بِالْقِيلِ
فَفَتَنِي ذَلِكَ أَبَا سُفْيَانَ وَمِنْ مَعِهِ .

رسالة أبي سفيان إلى الرسول على لسان ركب

وَمَرَّ بِهِ رَكْبٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ الْمَدِينَةَ ؟
قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ الْمِيرَةَ ؛ قَالَ : فَهَلْ أَنْتُمْ مُبْلَغُونَ عَنِّي عَمْدًا رِسَالَةً
أَرْسَلَكُمْ بِهَا إِلَيْهِ ، وَأَحْتَلُّ لَكُمْ هَذِهِ غَدًا زَيْبًا بَعُكَازًا إِذَا وَافَيْتُمُوهَا ؟
قَالُوا نَعَمْ ؛ قَالَ : فَإِذَا وَافَيْتُمُوهُ فَأَخْبِرُوهُ أَنَا قَدْ أَجْمَعْنَا السَّيْرَ إِلَيْهِ وَإِلَى أَصْحَابِهِ
لِنَسْتَأْصَلَ بَقِيَّتَهُمْ ، فَرَّ الرُّكْبُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحُمْرَاءِ
الْأَسَدِ ، فَأَخْبِرُوهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو سُفْيَانَ ؛ فَقَالَ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف
يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقيّة أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن
القوم قد حاربوا ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ،
فَرَجَعُوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بحُمْرَاءِ الْأَسَدِ ، حين بلغه

أنهم هموا بالرجعة : والذي نفى يده ، لقد سومت لهم حجارة ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الداهب .

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة ، معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبتره ببدر ، ثم من عليه ، فقل : يا رسول الله ، أقتلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا أتمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعتُ محمداً مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جُحرٍ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

مقتل معاوية بن المغيرة

قال ابن هشام : ويقال : إن زبداً بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية ابن المغيرة بعد خمر الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث .

وتواري ، فيمهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع
كذا وكذا ، فوجداه قتيلا .

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق : فلما أقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان
عبد الله بن أبي بن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل
جمعة لا ينكر ، شرفا له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها
الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم
به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس ، حتى إذا صنع يوم
أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام بفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون
يثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لئلك بأهل ،
وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكانما
قلت بجزأ أن قت أشد أمره . فلقى رجلا من الأنصار بباب المسجد ، فقال
مالك ؟ ويليك ! قال : قت أشد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يذبوني
ويعنفوني ، لكانما قلت بجزأ أن قت أشد أمره ، قال ويلي ! ارجع يستغفر
لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

كان يوم أحد يوم محنة

قال ابن إسحاق : كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص ، اختبر الله به
المؤمنين ، ومحن به المنافقين ممن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُستخف
بالكفر في قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته

قتل الرسول لأبي بن خلف

فصل: وذاكر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن خلف، وفيه: تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظنير البعير. الشعراء: ذباب صغير له لدغ، تقول العرب في أمثاله: قتل للدغ. ما تقول في غنيمية يحرسها جويرية؟ قال: شحيمية في حلقى، قيل: فما تقول في غنيمية يحرسها غليم؟ قال: شعراء في إبطي أخشى خطواته الخطوات: سيكهم من قضبان لينة يعلم بها الغلمان الرمي وهي الجماح أيضاً قال الشاعر:

أصابت حبة القلب بسهم غير جماح^(١)

من كتاب أبي حنيفة، ورواه القتيبي: تطاير الشعير، وقال: هي جمع شعراء، وهي ذباب أصغر من القممع^(٢)، وفي الحديث من غير رواية ابن إسحاق: فرز جله بالحربة، أي رماه بها.

مول عين قتادة:

وذاكر قتادة بن النعمان بن زيد، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وهو الرجل الذي سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقرأ: قل هو الله أحد،

(١) رواية الشطرة الثانية في اللسان: فلم تخطيء بجماح. ويقال له: جباح أيضاً.

(٢) القممع مفردة قمعة بفتح القاف والميم ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر ويجمع على مقامع أيضاً كمشابه وملاح. وفي رواية: تطاير الشعير، وهي بمعنى الشعر وقياس واحدهما: شعور.

يَرَدُّهَا ، فَقَالَ وَجَبَتْ ، وَحَدِيثُهُ فِي الْمَوْطَأِ ، وَذَكَرَ أَنَّ عَيْنَهُ أُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ . رَوَى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ، وَهُوَ قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ : إِنْ لِي امْرَأَةٌ أَحَبُّهَا ، وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتِي أَنْ تَقْدَرَنِي ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ، وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ جَلَالًا ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْنِهِ ، وَأَحَدَهَا نَظْرًا ، وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْآخَرَى ، وَقَدْ وَفَدَ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، فَسَأَلَهُ عَمْرُ مِنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَأَلْتَ عَلَى الْخُلْدِ عَيْنَهُ فَرُدَّتْ بِكَفِّ الْمُصْطَفَى أَيَّمَا رَدِّ فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ أَمْرِهَا فَيَا حُسْنَ مَاعَيْنٍ وَيَا حُسْنَ مَاخِذٍ

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تِلْكَ الْمَسْكَارِمُ لَا تَقْعُبَانِ ^(١) مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبَوَايَا

فَوَصَلَهُ مُهْرٌ ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَيْنَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتَا ، فَرَدَّهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَانَ [أَبُو مَرْوَانَ الْأَمْوِيُّ] عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَفْصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَمِيدٍ عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ : أُصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْنَتِي ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَعَادَهُمَا النَّبِيُّ -

(١) القعب : قدح ضخم جاف .

صلى الله عليه وسلم - مكأههما ، وبصقَ فيهما ، فعادتا تبرقان . قال . الدَّارُ قُطْنِي :
هذا الحديثُ غَرِيبٌ عن مالك ، تفرد به عمارُ بنُ نصر ، وهو ثقة ^(١) ورواه
الدَّارُ قُطْنِي عن إبراهيم الخُزَيمِيِّ عن عمار ^(٢) بن نصر [السَّعْدِي
أبو ياسر التُّرُوزِي] .

حول نسب هذيفة اليماني :

فصل : وذكر ثابت بن وقش ، والوقش : الحركة ، وحُصَيْل بن جابر
والهذيفة بن اليماني ، ومُئِي حُصَيْل بن جابر اليماني ، لأنه من ولد جرؤة
ابن مازن بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس [بن بغيض] وكان جرؤة قد بُعِدَ عن أهله في اليمَنِ
زَمَنًا طويلاً ، ثم رجع إليهم فسمَّوه اليماني ، وحذيفةُ بن اليماني يُكنى
أبا عَبْدِ اللَّهِ حليف بنى عبد الأشهل أمُّه الرَّبَابُ بنتُ كَعْبٍ . قال ابن إسحاق :
فاختَلَفَتْ عليه : يَفْنَى اليماني أسيافُ المسلمين . وفي تفسير ابن عباس : أن
الذي قتلَه منهم خطأً هو عُتْبَةُ بن مَسْعُودٍ أخو عبدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ، وجَدُّ

(١) لكن قال النوري : قال أبو نعيم : سألت عينا ، وغلطوه .

(٢) بهذا حصل لمحمد بن أبي عثمان متابع . في روايته عن عمار بن نصر ،
لكن لم يحصل متابع لعمار في روايته عن مالك . انظر تفصيل هذا في المواهب
ص ١٨٦ وما بعدها .

والله يختص برحمته من يشاء ولا أحد يدرى أحداً . وتدبر قوله سبحانه فيما
يقص عن خليله إبراهيم (وإذا مرضت فهو يشفين) وتدبر كل آيات القرآن
التي ذكر الله فيها آياته التي من بها على عيسى نجد فيها النص المؤكد على أنها بإذنه
الله وحده .

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الْفَقِيه، ذَكَرَهُ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ فِي التَّفْسِيرِ،
وَعُتْبَةُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْمُصْحَفَ مُصْحَفًا، فِيمَا رَوَى ابْنُ وَهْبٍ فِي الْجَامِعِ.

الهامة والظم:

وقول ثابت بن وقش وحُصَيْل: إِنَّمَا نَحْنُ هَامَةٌ الْيَوْمَ أَوْ غَدٍ، يَرِيدُ:
الْمَوْتَ، وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي الْمَيِّتِ أَنَّ رُوحَهُ تَصِيرُ هَامَةً^(١)، وَلِذَلِكَ
قَالَ الْآخَرُ:

وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَائِي وَهَامِ

وقوله: لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمرِنَا إِلَّا ظَمٌ^(٢) حَارٍ. إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْحَمَارَ

(١) الصدى — كما يقول ابن دريد في الاشتقاق طائر معروف، وتوعم
العرب أنه إذا قتل رجل خرج من هامته طائر يسمى: الصدى، فينادى الليل
كله: اسقوني، حتى يقتل قاتله، وهذا باطل، ويسمونه أيضاً: هامة. ص ٢٣٣
الاشتقاق. والصدى أصلاً — كما في القاموس — طائر يصير بالليل يقفز قفزانا
ويطفر والناس — كما يقول العديس العبدى — يروونه الجندب، وإِنَّمَا هُوَ
الصدى، فَأَمَّا الْجَنْدَبُ، فَإنَّهُ أَصْغَرُ مِنَ الصدى، والصدى ذكر اليوم. والهامة
أصلاً رأس كل شيء وجمعه هام، والهامة: طير الليل وهو الصدى. وسمى الصدى
لما تمتعه الأعراب من كونه عطشان ولا يزال يقول اسقوني. والصدى: العطش.
وقد سمي الدماغ هامة لأنه يشبه رأس الصدى، وتسميته الطائر بالهامة يحتمل
أن تكون للمعنى الذى لأجله سمي صدى وهو العطش، ويجوز أن يكون قد
اشتق من الهيام، وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى. القاموس، وحياة
الحيوان للدميرى = ٢ ص ٥٩، ٣٧٤.

(٢) والظم ما بين الشربتين والوردين وما بين سقوط الولد إلى حين موته،
فيكون المعنى: لم يبق لنا إلا يسير.

أَقْصَرُ الدَّوَابِّ ظِلْمًا، وَالْإِبِلَ أَطْوَلُهَا أَظْمَاءً .

مول بعض رجال أهد :

وذكر قُزْمَان، وهو اسم مأخوذ من القَزَمِ ، وهو رُذَالُ الْمَالِ ، ويقال :
القُزْمَانُ^(١) : الرَّذِيءُ من كُلِّ شَيْءٍ .

وذكر مَالِصِيْرَمَ ، وهو عمرو بن ثابت بن وقش ، ويقال فيه وَقَشَن
بتعريك القاف .

وقول حاطب المُنَافِقِ : الْجَنَّةُ مِنْ حَرَمَلٍ ، يريد الأرضَ التي دُفِنَ فيها ،
وكانت مُنْبِتُ الْحَرَمَلِ^(٢) أى : ليس له جَنَّةٌ إِلَّا ذَاكَ .

ابن الجُمُوح :

فصل : وذكر خير عمرو بن الجُمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من
الخروج إلى آخر القصة ، وزاد غيرُ ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قاله : اللَّهُمَّ
لَا تُرُدَّنِي ، فاستشهد ، فجعلوه بَنُوهُ عَلَى بَعِيرٍ ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعَبَ
عليهم البعيرُ ، فكان إذا وَجَّهوه إلى كُلِّ جِهَةٍ سَارِعَ إِلَّا جِهَةَ الْمَدِينَةِ ، فكان
يَأْبَى الرُّجُوعَ إِلَيْهَا ، فلما لم يقدرُوا عليه ذكروا قوله : اللَّهُمَّ لَا تُرُدَّنِي إِلَيْهَا ،
فدفنوه في مَصْرَعِهِ^(٣) .

(١) لا يوجد لا في اللسان ولا في القاموس سوى أنه اسم أو اسم موضع .

(٢) نبت له حب أسود ، وحب هذا النبات .

(٣) قصة البعير خرافة ، والشهيد يدفن في مصرعه كشهداء بدر .

حكم (مع) والساكن بعدها :

فصل : وقول هند بنت أُمّانة :

مِلْ هاشِمين الطَّوالِ الزُّهرِ

يَحذفُ النون من حَرَفٍ مِنْ لِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، ولا يجوز ذلك إِلَّا فِي مَنْ وَخَذا لكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِها ، كما خُصَّتْ نُونُها بِالْفَتْحِ إِذَا التَقَتْ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ ، ولا يجوز ذلك فِي نُونٍ ساكِنةٍ غَيْرِها ، كَرِها نَوَالِي الكَسْرِ تَيْنِ مَعَ تَوَالِي الاسْتِعْمَالِ ، فَإِنْ التَقَتْ مَعَ ساكِنٍ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ نَحْوِ مِنْ ابْنِكَ ، وَمِنْ أَسْمِكَ ، كَسَرَتْ عَلَى الْأَصْلِ ، وَالْقِيَاسِ الْمُسْتَنْتَبِ . قال سيبويه : وقد فَتَحَها قَوْمٌ فَصَحَّاهُ بِعَنَى مَعَ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ .

سَطَعَ وَلَكَمَ :

وقول حسان في هِنْدٍ : أَشِيرَتْ لَكَاعٍ ، جملة اسماء لها في غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النداء أكثر ، نحو يا غَدَّارِ ويا فاسِقِ ، وكذلك لَكَمٌ ، قد استعمل في غير النداء ، نحو قوله عليه السلام : أَيْنَ لَكَمٌ بِعَنَى : الْحَسَنُ أَوْ الْحَسَيْنِ مُمَا زِحًا لَهُمَا ^(١) . فإن قيل : إن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(١) يقال في النداء للثيم يا لَكَمَ ، وللأنثى : يا لَكَاعٍ ، لأنه موضع معرفة ، فإن لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل : يا أَلَكَمَ ، وللأنثى : يا لَكَاعِ ، وقد استعمل الخطيئة لكاع في غير النداء ، فقال يهجر امرأته أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع ويقال : إنه لابي الغريب البصري . كما جاء في اللسان .

كان يَمْزَحُ ، ولا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا ، فكيف يقول : أَيْبَنُ لُكْعٌ وقد سماه سَيِّدًا في حديث آخر ؟ فالجواب : أنه أراد التشبيه بالأسكع الذي هو الْقَلْوُ أو الْمُهْرُ لأنه طفل كما أن الْقَلْوُ وَالْمُهْرُ^(١) كذلك ، وإذا قُصِدَ بالكلام قَصْدُ التشبيه ، لم يكن كَذِبًا ، ونحوه قوله عليه السلام : لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يكون أسعدُ الناس في الدنيا لُكْعٌ بَيْنُ لُكْعٍ ، وَالْأَسْكَعُ في اللغة : وَسَخُ الْفُرَّةِ ، وهو أيضًا الْقَلْوُ الصَّغِيرُ ، فمن أجل هذا جاز أن يُسْتَعْمَلَ في غير الْفُدَاءِ ، لأنه على هذا الوجه غيرُ مُعْدُولٍ كما عُدِلَ خُبْتُ عَنْ خَبِيثٍ ، وَفَسَقُ عَنْ فَاسِقٍ ، وقال ابن الأنباري في الزَّاهِر : اشتقاقه من الْمَلَاكِعِ ، وهو ما يخرج مع المولود من ماء الرَّحِمِ وديمها ، وأنشد :

رَمَتْ الْفَلَاةَ بِمُعْجَلٍ مُتَسَرِّبِلٍ غِرْسَ السَّلَى وَمَلَاكِعَ الْأَمْشَاجِ
قال : ويُقال في الواحد يَالْكُعُ ، وفي الاثنين يَذَوِي لَكِيعَةً ، وَلَكَاعَةً ، ولا تُصْرَفُ لَكِيعَةً ، ولكن تُصْرَفُ لَكَاعَةً لأنه مُصَدَّرٌ وفي الجميع ،

== وَلَكَاعَ مَبْنِيَةٌ عَلَى الْكُسْرِ . وَاللُّكْعُ عِنْدَ الْعَرَبِ : الْعَبْدُ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي الْحَقِّ وَالْقَدْرِ ، وَقَدْ لُكِعَ الرَّجُلُ بوزن قرح بِلُكْعٍ لَكَمًا فَهُوَ الْكُعُ ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الصَّغِيرِ ، فَإِنْ أُطْلِقَ عَلَى الْكَبِيرِ أُرِيدَ بِهِ الصَّغِيرُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ . وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ أَرَأَيْتَ إِذَا دَخَلَ رَجُلٌ بَيْتَهُ ، فَرَأَى لَكَاعًا قَدْ تَفَخَّذَ امْرَأَتُهُ . . الخ لِحَمْلِ لَكَاعِ صِفَةِ لِرَجُلٍ . وَيُقَالُ : لَعَلَهُ أَرَادَ لَكَمًا فَحُرِفَ . . خزانة الأدب والنهاية لابن الأثير .

(١) قَلْوٌ : الْمُهْرُ الصَّغِيرُ ، وَقِيلَ هُوَ الْفَطَمُ مِنْ أَوْلَادِ ذَوَاتِ الْخَافِرِ ، وَفِي اللِّسَانِ مِنْ مَعَانِي الْمَكْعِ : الْمُهْرُ وَالْجَحْشُ .

يَاذَوِي لَكِيعَةً وَلَكَاعَةً^(١) وفي المؤنث على هذا القياس .

قال للؤلؤف : ولا يقال بالكآعانِ ، ولا فُسْقَانِ ، لِسِرَّةٍ شرحناه في غير هذا الكتاب . وتلخيص معناه : أن العربَ قَصَدَتْ بهذا النَبَأَ في النَّدَاءِ قَصْدَ الْعِلْمِ ، لأن الاسمَ الْعِلْمَ أَلْزَمُ لِلْمُسَمَّى مِنَ الْوَصْفِ الْمُشَقِّقِ مِنَ الْفِعْلِ نَحْوِ فَاسِقٍ وَغَادِرٍ ، كما قالوا حَمْرٌ ، وعدلوا عن عَامِرٍ الَّذِي هُوَ وَصْفٌ فِي الْأَصْلِ تَحْقِيقًا مِنْهُمْ لِلْعِلْمِيَّةِ ، ثم إن الاسمَ الْعِلْمَ لَا يُثْنَى وَلَا يُجْمَعُ وَهُوَ عِلْمٌ ، فإذا مُنِيَ زَالَ عَنْهُ تَعْرِيفُ الْعِلْمِيَّةِ ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ لَمْ يُثْنَوْا يَافُسِقٌ وَيَاغَادِرٌ ، لأنَّ فِي ذَلِكَ بَقِيضًا لِمَا قَصَدُوهُ مِنْ تَنْزِيلِهِ مَنْزِلَةَ الْأَسْمِ الْعِلْمِ ، أَيْ : إِنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِأَنْ يُسَمَّى بِهَذَا الْأَسْمِ ، فهذا أبلغ من أن يقولوا : يَا فَاسِقُ ، فيجيشوا بالاسم ، الَّذِي يَجْرِي بِجَرَى الْفِعْلِ وَالْفِعْلُ غَيْرُ لَازِمٍ ، وَالْعِلْمُ أَلْزَمُ مِنْهُ ، وَالتَّثْنِيَةُ وَالْجُمْعُ تُبْطِلُ الْعِلْمِيَّةَ كَمَا ذَكَرْنَا فَافْتَهَمَهُ ، وَوَقَعَ فِي الْمَوْطَأِ مِنْ رَوَايَةِ يَحْيَى فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِمَوْلَاتِهِ لَهُ : اقْعُدِي لَكُمْ ، وَقَدْ عَيَّبَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ عَلَى يَحْيَى ، لِأَنَّ الْمُرَاءَةَ إِنَّمَا يُقَالُ لَهَا : لَكَاعٌ ، وَقَدْ وَجَدَتِ الْحَدِيثَ كَمَا رَوَاهُ يَحْيَى فِي كِتَابِ الدَّارِ قُطْنِي ، وَوَجَّهَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مَنْقُولٌ غَيْرُ مَعْدُولٍ فَجَائِزٌ أَنْ يُقَالَ لِلْأَمَةِ بِالْكَعْ كَمَا يُقَالُ لَهَا إِذَا سَبَتْ : يَا زَيْلُ وَيَا وَسَخُ إِذَا الْأَكْعُ ضَرَبَ مِنَ الْوَسَخِ ، كَمَا قَدِمْنَاهُ وَهُوَ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ .

(١) قال اللغزاء : ثنية لكاع أن تقول : يا ذواتي لكيعة أقبلًا ، ويا ذوات لكيعة أقبلن وقتلوا في الداء لا لجل : بالكع ، والمرأة بالكاع ، ولاثنين : يا ذري لكع .

الرسول يسأل عن ابن الربيع :

فصل : وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا قَعَلُ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، وذكر الحديث . الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتل : يا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، فلم يُجِبْهُ أَحَدٌ ، حتى قال يا سَعْدُ ! إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابته حينئذ بصوت ضئيف ، وذكر الحديث . وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اتَّخَذَ سَعْدًا فِي الْقَتْلِ هُوَ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ .

حميد الطويل وطلحة الطلحات :

وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن المثلة ، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن تيري^(١) يكنى أبا حميدة مؤلف طلحة الطلحات^(٢) ، وهو حديث صحيح

(١) في القاموس : تير بكسر التاء وبدون ياء . وكذلك في تهذيب الاسماء واللفات ، وقال : هو أبو عيدة ، وقيل : أبو عبيد حميد بن أبي حميد ، واسم أبي حميد تيرويه ، وقيل : تير ، وقيل ذا ذويه ، وقيل طرخان ، وقيل : مهران ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال . داود . قال الأصمعي : رأيت حميداً ، لم يكن طويلاً ، ولكن طويل اليد بن مات سنة ١٤٣ هـ ص ١٧٠ - ١٦٠ .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي ويقول صاحب اللسان : ورأيت في بعض حواشي نسخ الصحاح بخط من يوثق به المصواب : طلحة =

في النهي عن المثلة. فإن قيل : فقد مثل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالعَرَنِيِّينَ^(١) فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَكَمَلَ أَعْيُنَهُمْ ، وتركهم بالحررة .

== ابن عبد الله : وسمى طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث
ابن طلحة بن أبي طلحة وزاد الأزهرى ابن عبد مناف وأخوها : طلحة
ابن الحارث فقد تكنفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقبره بسجستان ، وفيه يقول
ابن الرقيات :

رحم الله أعظماً دفنوها بسجستان طلحة الطلحات
وعند ابن الأثير : عن طلحة الطلحات قيل : إنه جمع بين مائة عربي وعربية
بالمهر والعطاء الواسعين فولد لكل واحد منهم ولد فسمى طلحة ، فأضيف إليهم .
وفي القاموس : القول الأول .

(١) عن قتادة عن أنس أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على النبي « ص »
وتكلموا بالإسلام ، فاستوخموا المدينة ، فأمر لهم النبي « ص » ، بدود وراع
وأمرهم أن يخرجوا ، فليشربوا من أبوالها وألباتها ، فاطلقوا حتى إذا
كانوا بناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي « ص » ، واستاقوا
الدود ، فبلغ ذلك النبي « ص » ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا
أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم ، رواه
الجماعة . وزاد البخاري ، قال : قتادة : بلغنا أن النبي « ص » ، بعد ذلك كان يحث
على الصدقة ، وينهى عن المثلة ، وفي رواية لأحمد والبخاري وأبو داود قال قتادة
فحدثني ابن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ، والبخاري وأبو داود في
هذا الحديث ، فأمر بمسامير فأحيت ، فكحلهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ،
وماحسهم ، ثم ألقوا في الحرة ، يستسقون فما سقوا حتى ماتوا .
وعند البخاري ، قال أبو قلابة : ف هؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم
وحاربوا الله ورسوله .

وعند سليمان التيمي عن أنس قال : إنما سمل النبي أعين أولئك ، لأنهم ==

قلنا : في ذلك جوابان : أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قَطَعُوا أَيْدِي الرِّعَاءِ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ ^(١) ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يَسْتَسْقُونَ ، فلا يَسْقُونَ ، حتى ماتوا عطشاً ، قلنا عَطَّشَهُمْ لأنهم عَطَّشُوا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن ، قال : اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ . وقع هذا في شرح ابن بطال ، وقد خرَّجَه النَّسَوِيُّ .

الصلوة على الشهداء :

وروى ابن إسحاق عن لا يُتَمُّ عَنْ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى عَلَى حَمْزَةَ ، وعلى شهداء يوم أُحُدٍ ، ولم يأخذ بهذا الحديث .

== سملوا أعين الرعاة ، رواه مسلم والنسائي والترمذي
اسم توخروا المدينة : كرهوا المقام فيها .

الذود : قيل ما بين الثنتين إلى التسع من الإبل ، وقيل : ما بين الثلاث إلى العشر . والحرة : أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .
وقد وفي الإمام الشوكاني الموضوع حقه في نيل الأوطار فانظره تحت باب المحاربين وقطاع الطريق .

(١) صرح ببعض هذا في حديث مسلم والنسائي والترمذي . والذي يعرف خلق النبي - ص - ، ويتدبر وصف الله له بأنه على خلق عظيم ، وأنه ليس فظاً ولا غليظ القلب ، وأنه محمد وأحمد يوفن - ولا ريب - بأن ما فعله بهؤلاء إنما كان قصاصاً لامة طيبة أذلة على المؤمنين من قوم غلاظ الأكباد غلف القلوب فاضطرم نفوسهم غلا وحقدًا وجحوداً .

فقهاء المجاز، ولا الأوزاعي لوجهين، أحدهما ضَعْفُ إسنادهِ هذا الحديث،
فلان ابن إسحاق قال: حدثني مَنْ لا أَهْمُ، يعني: الحسن بن عماره - فيما
ذكروا - ولا خلاف في ضَعْفِ الحَسَنِ بن عماره عند أهل الحديث، وأكثرهم
لا يَرَوْنَهُ شيئاً، وإن كان الذي قال ابن إسحاق: حدثني مَنْ لا أَهْمُ غير الحسن،
فهو تجهول، والجهل يُؤَبِّقُهُ.

والوجه الثاني: أنه حديثٌ لم يصحبه المَعْلَمُ، ولا يُروى عن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أنه صلى على شهيد في شيء من مغازبه إلا هذه الرواية
في غزوة أُحُدٍ، وكذلك في مدة الخليفةَيْنِ إلّا أن يكون الشهيد مُرْتَبِئاً^(١) من
المركة، وأما ترك غَسْلِهِ، فقد أجموا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية
شاذّة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيقُ حياةِ
الشهداء وتَصْدِيقُ قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً﴾
الآية مع أن في تركِ غَسْلِهِ معنى آخر، وهو أن دَمَهُ أَرُءُ عِبَادَةٍ^(٢)، وهو يَجِيءُ

- (١) ارْتَبَتْ على البناء للمجهول: حل من المركة ريثماً أي جرحاً وبه رمق .
(٢) عن جابر قال: وكان رسول الله ﷺ يحمم بين الرجلين من قتل
أحد في الثوب الواحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن، فإذا أشير إلى أحدهما
قدّمه في القبر، وأمر بدفنهم في دماهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم، البخاري
والنسائي وابن ماجه، والترمذي وصححه . وهناك خلاف كبير حول الصلاة
عليهم، وقد رد الشافعي على من قال بالصلاة عليهم بأن الاخبار جاءت كأنها
عيان من وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصل على قتل أحد . . قال وما روى
من أنه ﷺ صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح، وقد كان
ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث أن يستحي على نفسه . ويقول الامام =

يوم القيامة وجُرْحُهُ يَنْقَبُ دَمًا ، وريحُه رِيحُ الْمِسْكِ ، فكيف يُطَهَّرُ منه وهو طَيِّبٌ وأثرُ عِبَادَةٍ ، ومن هذا الأصلِ انتزع بعضُ العلماءِ كَرَاهِيَةَ تَجَنُّفِ الوجهِ من ماء الوُضوءِ ، وهو قولُ الزُّهْرِيِّ ، قال الزُّهْرِيُّ : وبلغني أنه يوزَنُ ، ومن هذا الأصلِ انتزع كَرَاهِيَةُ السَّوَالِكِ بِالتَّعَشِيِّ لِلصَّائِمِ لثَلَا يذهب خُلُوفُ فَمِهِ ، وهو أثرُ عِبَادَةٍ ، وجاء فيه ما جاء في دَمِ الشَّهْدَاءِ أنه أَطْيَبُ عند الله من رِيحِ الْمِسْكِ ، وَيُرَوَّى أَطْيَبُ يومُ الْقِيَامَةِ من رِيحِ الْمِسْكِ . رواه مسلم باللفظين . جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكَرَاهِيَةُ لِلسَّوَالِكِ بِالتَّعَشِيِّ لِلصَّائِمِ ^(١) عن عَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، ذكر ذلك الدَّارَقُطْنِيُّ .

عبد الله بن محمده المجمع :

وذكر عبد الله بن جَحْشٍ بن أَخْتِ حَمَزَةَ ، وأنه مُثِّلَ به كَأَمَثِلِ بِحَمَزَةٍ ، وعَبَدَ اللهَ هذا يُعْرَفُ بِالْمُجَدِّعِ فِي اللَّهِ ، لَأَنَّهُ جُدِّعَ أَفْئُهُ وَأَذْنَاهُ يَوْمَئِذٍ ، وكان سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَحْدِّثُ أَنَّهُ لَقِيَهِ يَوْمَ أُحُدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ ، فَخَلَا بِهِ ، وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : يَا سَعْدُ هَلُمَّ فَلْتَدْعُ اللَّهَ وَلِيَذْكُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا حَاجَتَهُ فِي دَعَائِهِ ، وَلْيُؤْمِنَ الْآخَرُ ، قَالَ سَعْدُ : فَدَعَا اللَّهَ أَنْ أَلْقَى فَارِسًا شَدِيدًا بِأَسْهُ شَدِيدًا حَرَدُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَقْتَلَهُ ، وَأَخَذَ سَلْبَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ آمِينَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

== الشوكاني : وفائدة : لم يرد في شيء من الأحاديث أنه دس ، صلى على شهداء بدر ، ولا أنه لم يصل عليهم ، وكذلك في شهداء سائر المشاهد النبوية إلا ما ذكرناه في هذا البحث ، فليعم ذلك . . وقد عرض الشوكاني كل ما روى من أحاديث .

عبدُ الله القِبَلَة ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال اللهم لَقِّنِي اليومَ فارساً شديداً
بأسه شديداً حَرْدُهُ (١) ، يقتلني ويَجْدَعُ أنفي وأذُنِي ، فإذا لقيتكَ غداً تقول
لي : يا عَبْدِي : فيم جُدِعَ أنفُكَ وأذُنُكَ ، فأقول : فيكَ يارب ، وفي رسولكَ ،
فتقول لي : صَدَقْتَ ، قل يا سَعْدُ : آمين ، قال فقلت : آمين ، ثم مررت به
آخر النهار قتيلاً مَجْدُوعَ الأنفِ والأذنين ، وأن أذنيه وأَنفه معلقان بِمِحْيطٍ ،
ولقيتُ أنا قلاتاً من المشركين ، فقتلته ، وأخذتُ سَلْبَهُ (٢) ، وذكر الزُّبَيْرُ
أن سَيْفَ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ انقطع يومَ أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - عُرْجُونًا ، فعاد في يده سيفاً ، فقاتل به ، فكان يسمى ذلك
السيفُ العُرْجُونُ (٣) ، ولم يزل يُتَوَارَثُ حتى بيع من بقاء (٤) التركي بما تقي
دينار ، وهذا نحو من حديث عكاشة الذي تقدم إلا أن سَيْفَ عكاشة ،
كان يُسَمَّى العَوْنُ ، وكانت قصة عكاشة يومَ بدرٍ ، وكان الذي قتل
عبدَ الله بنَ جَحْشٍ أبو الحكم بن الأَخْنَسِ بن شَرِيقٍ (٥) وكان عبدُ الله

(١) حرد الرجل فهو حرد بكسر الراء إذا اغتاط فتحرش بالذي فاظه ،
وهو به فهو حارد ، والحرد : الغضب والقصد والمنع .

(٢) رواه البغوي من طريق إسحاق بن سعد . وابن شاهين . بن وجه آخر عن
سعيد بن المسيب . ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة .

(٣) لم يروه غير الزبير .

(٤) في الإصابة : بقاء الكبير دون همزة في آخر بقاء . وهو مرأى المعتصم
بالله الخليفة العباسي إبراهيم بن هارون الرشيد .

(٥) اسمه : أبي بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلة
ابن عبد العزى بن غيرة .

حين قُتِلَ ابْنُ بَضْعٍ وأربعين سنةً ، فيما ذكروا ودُفِنَ مع سَحْمَةَ في قَبْرِ واحد .

حديثُ عمر وأبي سفيان :

فصل : ومما وقع في هذه القزوة من الكَلِمِ الذي يُسألُ عنه قولُ
أبي سفيان حين قال : اعلُ^(١) هُبِلُ ، أي زِدْ علواً ، ثم قال : اُنْعَمْتُ ، فعَالٍ ، قالوا :
معناه الأزلَامُ ، وكان استقمتَ بها حين خَرَجَ إلى أُحُدٍ ، فخرج الذي يُجِبُ^(٢)
وقوله : فعَالٍ : أَمَرُ أي عالٍ عنها وأقصر عن لومها ، تقول العرب : اعلُ
عني ، وعَالٍ عني بمعنى : أي ازْتَفِعْ عني ، ودعني . ويُرْوَى أن الزبير قال

(١) فسرهما ابن هشام بغير هذا فضبطت اعل في السيرة بفتح الهمزة وسكون
العين وكسر اللام فالامر من اعل ، وضبطتها في الروض هكذا بهمة وصل مع
ضم اللام كما ضبطت في اللسان والنهاية لابن الأثير والمواهب للزرقاني ص ٤٨
لأن الامر من علا كما فسرهما السبيل .

(٢) كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين ، فكتب
على أحدهما : نعم ، وعلى الآخر : لا ، ثم يتقدم إلى الغنم ويحبل سهامه ، فإن
خرج سهم نعم ، أقدم ، وإن خرج سهم لا : امتنع ، وكان أبو سفيان لما أراد
الخروج إلى أحد استفتى هبل ، فخرج له سهم الإنعام ، فذاك قوله لعمر أنعمت ،
فعال عنها أي تجاف عنها ، ولا تذكرها بسوء يعني آلمتهم .
و ابن الأثير مادة علا ، وعنه نقل اللسان . . وقد ذكر الحشني :
وقوله : أنعمت — بضم التاء — فعال ، معناه : بالفت : يقال : أنعم في الشيء
إذا بالغ فيه ، وقوله : أنعمت يخاطب به نفسه . ومن رواه : أنعمت بفتح التاء فانه
يعني به الحرب أو الوقعة . . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة كما عدلوا
فجار عن الفجرة ، أي بالغت في هذه للفعلة ، ويعني بالعملة : الوقعة ص ٢٣٠ .
وهبل اسم صنم .

لَأَبِي سُفْيَانَ يَوْمَ الْفَتْحِ : أَيْنَ قَوْلُكَ : أَنْعَمْتُ ، فَعَالَ ؟ فَقَالَ : قَدْ صَنَعَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَذَهَبَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ .

وقول عُمرَ لا سَوَاءَ ، أَيْ لَا نَحْنُ سَوَاءَ ، وَلَا يَحُوزُ دُخُولَ لَاحِلِ اسْمِهِ مُبْتَدَأٌ مَعْرِفَةٌ إِلَّا مَعَ التَّكْرَارِ نَحْوَ لَا زَيْدٌ قَائِمٌ ، وَلَا عَمْرٌو خَارِجٌ ، وَلَكِنَّهُ جَازٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ فِيهِ إِلَى نَقْيِ الْفِعْلِ ، أَيْ لَا يَسْتَوِي ، كَمَا جَازَ لَا تَوَلُّكَ ، أَيْ : لَا يَتَّبِعُنِي لَكَ ، وَقَدْ بَيَّنَّا هَذَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ حَيْثُ تَكَلَّمْنَا عَلَى قَوْلِهِ : فَشَتَنَّا سَعْدٌ فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ

حديثُ مُجَرِّبٍ وَابُولُ وَقَفَ فِي الْإِسْلَامِ :

وَمَا يَلِيقُ ذِكْرُهُ بِهَذِهِ الْفَرَاقَةِ حَدِيثُ مُجَرِّبٍ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي النَّضِيرِ ، وَقَوْلُهُ : إِنْ أُصِيبْتُ فَمَالِي لِحَمْدٍ يَصْنَعُ فِيهِ مَا شَاءَ ، فَأُصِيبُ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَعَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ أَنْصَرَفَ مَالَهُ أَوْ قَافَاً ، وَهُوَ أَوَّلُ حُبْسِ حُبْسٍ فِي الْإِسْلَامِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ ، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ : كَانَتْ سَبْعَ حَوَائِطَ ، وَأَسْمَاؤُهَا : الْأَعْرَافُ ، وَالْأَعْوَافُ ، وَالصَّافِيَةُ ، وَالِدَّلَالُ ، وَبُرْقَةُ ، وَحُسْنَى ، وَمَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَشْرَبَةُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَسْكُنُهَا ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ مُجَرِّبٍ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ تَكْلُفًا لَهُ ، وَزِيَادَةً قَائِدَةً فِيهِ .

وَذَكَرَ : لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ، بِفَتْحِ الْفَاءِ جَمْعَ قَفَاةٍ ، وَإِنْ قِيلَ ذُو الْفِقَارِ بِالْكَسْرِ ، فَهُوَ جَمْعُ فِقْرَةٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ . وَقَعَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ أَنَّ

مَرِيحًا هَبَّتْ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَسَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقَارِ وَلَا فِئْتَى إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

في أبيات ذكرها ، وذكر ابن إسحاق أيضًا من غير رواية البكائي قول علي لفاطمة حين غسّلت سيفه من الدم :

أَفَاطِمُ هَانِي السَّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمٍ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِلَشِيمٍ

غزوة حمراء الأسد^(٢)

شرح قصيدة معبد الخزاعي :

ذكر شعر معبد الخزاعي وفيه :

إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْخَيْلِ

لفظ مُتَغَطَّرٌ من الغطمة^(٣) ، وهو صوت غليان القدر .

قوله بالخيل جعل الرّدف حرف لين ، والأبيات كلها مُرَدِّفَةُ الرَّوِيِّ

(١) يقول الشيباني في التمييز : يروى في أثرواه عند الحسن بن عرفة من حديث أبي جعفر محمد بن علي الباقر .

(٢) موضع على ثمانية أميال أو عشرة من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

(٣) تغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه يقال : بحر غطامط يضم الغين وفتح الطاء إذا علت أمواجه . والجيل : الصنف من الناس ولكنها في السيرة : الخيل .

بِحَرْفِ مَدٍّ وَلِيزِ^(١) ، وهذا هو السَّنادُ الذي بَيَّنَّاهُ في أول الكتاب عند قول ابن إسحاق فسَوِّدَ بين القبائل ، ونظيره قول [عمرو] بن كلثوم :

أَلَا هُبِّي بَصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قال :

تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا

وتسمية هذا سِنَادٍ عربية لاصْنَاعِيَّة ، قال عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ :

وَقَصِيدَةٌ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُغُوبِ قَنَانِهِ كَيْمَا يَقِيمَ ثِقَافَهُ مُنَادَاهَا^(٢)

وقوله : لَا تَنَابِلَةَ . التَّنَابِلَةُ : الْقِصَارُ ، وَأَحْدُثُ : تَنْبَالٌ ، تَفْعَالٌ مِنَ النَّبْلِ ، وَهُوَ صِفَارُ الْخَصْيِ^(٣) .

(١) الرِّدْفُ : الْآلِفُ وَالْيَاءُ وَالْوَاوُ الَّتِي قَبْلَ الرَّوْيِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ فِي التَّزَامَةِ وَتَحْمِلِ مَرَاغَاتِهِ بِالرَّوْيِ ، فَجَرَى بِجَرَى الرِّدْفِ لِلرَّاكِبِ ، أَيْ بَلِيهِ ، لِأَنَّهُ مُلْحَقٌ بِهِ ، مِثْلُ الْآلِفِ فِي كِتَابِ ، وَالْيَاءِ فِي بَلِيدِ ، وَالْوَاوِ فِي قَتُولِ وَانْظُرِ الْإِسَانُ مَادَةَ رَدْفِ

(٢) سَبَقَ هَذَا وَانْظُرِ الْإِسَانُ فِي مَادَةِ سِنْدِ ، وَالْخِصَالُ لِبْنِ جَنَى

ط ٢ ص ٣٢٣ - ١٠

(٣) تَنْبَالٌ وَتَنْبِيلٌ وَالتَّنَابِلَةُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكُسْرِهَا ، وَفَتْحُ الْبَاءِ : الرَّجُلُ الْقَصِيرُ ، وَهُوَ رِبَاعِيٌّ عَلَى مَذْهَبِ سَيِّدِيهِ وَعِنْدَ ثَعْلَبٍ ثَلَاثِيٌّ . وَحُكْمُ بَرِّادَةَ التَّاءِ ، وَبِشْتَقَ مِنْ النَّبْلِ كَمَا قَالَ الْإِسْبِيلِيُّ ، وَذَكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ فِي الثَّلَاثِيَّ ، وَجَمْعُهُ أَيْضاً : التَّنَابِيلُ .

(م ٤ - الرُّوضُ الْأَقْفُ ج ٦)

أبو عزة التميمي :

وذكر أبو عزة^(١) ، وكان الذي أسره عُثَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، كذا ذكر بعضهم ، وأحسبه عبد الله بن عُثَيْرٍ أَحَدَ بَنِي خُدَّارَةَ ، أو عبد الله بن عُثَيْرٍ الخطمي . ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْرُ بْنُ جُنْدُبَةَ والضَّحَّاكُ بْنُ عُثْمَانَ . والجُنْدُبَةُ في اللغة واحدة الجُمَادِ ، وهي الثَّفَاحَاتُ التي تكون في الماء . قال : برَّصَ أبو عزة الجُمُحِيَّ ، فكانت قُرَيْشٌ لَا تُؤْكَلُهُ وَلَا تُجَالَسُهُ فقال الموت خيرٌ من هذا ، فأخذ حَدِيدَةً ، ودخل بمضْ شِعَابٍ مَكَّةَ فَطَعَنَ بِهَا فِي مَعْدَةِ ، وَالتَّمَدُّ مَوْضِعُ حَقَبِ الرَّأْكَبِ مِنَ الدَّابَّةِ ، وقال ابن جُنْدُبَةَ : فارت الحديدُ ، وقال الضَّحَّاكُ : بين الجِلْدِ وَالصَّمَاتِ فسال منه أَصْفَرُ فَبَرِيءٌ ، فقال :

اللَّهُمَّ رَبَّ وَاثِلٍ وَنَهْدٍ وَالتَّهْمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجُرُودِ
وَرَبَّ مَنْ يَرَعَى بِأَرْضِ نَجْدٍ أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدِ
أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَصَحٍ بِجِلْدٍ مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدَى
موصول مقالة أبي سفيان :

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد ، وكان المَوْصَلُ مقالة للمؤمنين نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فقالوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، كذلك جاء في التفسير .

(١) في حديثه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . وقد ذكر السيوطي عن هذا أن رواه : البخاري ومسلم وأحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه .

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخرج من المسجد : لَكُنَّا مَا قُلْتُ
بَجْرًا. الْبَجْرُ : الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْبَجَارِيُّ : الدَّوَّاهِيُّ ، وَفِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ :
يَاهَادِيَّ الطَّرِيقَ جُرْتَ ، إِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ أَوْ الْبَجْرُ^(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ .
وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي صلى الله عليه وسلم
فِي قَتْلِ أَحَدٍ : يَا بَيْتَنِي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ . نُحْصِ الْجَبَلِ :
أَسْفَلُهُ ، قَالَه صَاحِبُ الْعَيْنِ^(٢) .

(١) ضبط القاموس البحر بالضم ، وابن الأثير بالفتح ، وفي اللسان أنها
بالفتح والضم وهي الداهية والأمر العظيم . ومعنى قول أبي بكر : إِنْ انتظرت
حتى يضيء الفجر أبصرت الطريق ، وإن خبطت الظللاء أفضت بك إلى المكروه ،
ويروى البحر يريد غمرات الدنيا شبهها بالبحر لتحير أهلها فيها .
(٢) في الأصل : نُحْصِ بِالضَّادِ وَالتَّصْوِيبِ مِنَ النَّهْيَةِ وَاللِّسَانِ ، وَالْمَعْنَى تَمْنَى
أَنْ يَكُونَ اسْتَشْهَدَ مَعَهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ ، أَرَادَ بِالْبَيْتِنِي غُودِرْتُ شَهِيداً مَعَ شَهِدَاءِ أَحَدٍ .
وفى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة : لَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ
يَرْجِعُوا ، فَقَالَ : مَنْ يَذْهَبُ فِي أَثَرِهِمْ ، فَاتَّقِدْ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا فِيهِمْ :
أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ آخَرِينَ . وَعَنْ هَذَا يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ :
هَذَا سِيَاقٌ غَرِيبٌ جَدًّا ، فَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ الْمَغَازِي أَنَّ الَّذِينَ خَرَجُوا إِلَى
حَرَاءِ الْأَسَدِ كُلِّ مَنْ شَهِدَ أَحَدًا ، وَكَانُوا سَبْعًا ، قَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ ، وَبَقِيَ الْبَاقُونَ .
وَقِيلَ إِنَّهُ لَا تَخَالُفَ بَيْنَ قَوْلِ عَائِشَةَ وَأَصْحَابِ الْمَغَازِي لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهَا فَاتَّقِدْ
مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَنَّهُمْ سَبَقُوا غَيْرَهُمْ ، ثُمَّ تَلَا حَقَّ الْبَاقُونَ . وَقَدْ أَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِحَرَاءِ الْأَسَدِ كَمَا رَوَى الْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعَاءُ ، وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَ الْمُسْلِمُونَ
يُوقِدُونَ تِلْكَ اللَّيَالِيَ خَمْسًا تَارَةً حَتَّى تَرَى مِنَ الْمَسْكَانِ الْبَعِيدِ ، وَذَهَبَ صَوْتُ
مَعْسُكِهِمْ وَفِرَانِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقبي ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ، ومُعَاتِبَةٌ من عَاتَبَ منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٢١ .

قال ابن هشام : تبوؤ المؤمنین : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُمَيْتُ ابن زيد :

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعًا

وهذا البيت في أبيات له .

أى سمیع بما تقولون ، علیم بما تحفون .

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾ : أن تتخاذلا ، والطائفتان :

بنو سلمة بن جُشَم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان . يقول الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾ : أى المدافع عنهما ما همتا به من قتلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك

في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سَلِمَتَا من وُهُونِهَا
وَضَعَفَهَا ، وَلَحِقَتَا بِنَبِيِّمَا صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أهل العلم ، قال : قالت
الطائفتان ما نحب أنّا لم نَهِم بما هممنا به ، لتولى الله إيماننا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : ﴿ وَكَلَى اللَّهُ فَلَيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ :
أى من كان به ضَعْف من المؤمنين فليَتَوَكَّلِ عَلَى ، وليستعين بى ، أَعْنَهُ عَلَى
أَمْرِهِ ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ ، حتى أبلغ به ، وَأَدْفَعْ عَنْهُ ، وَأَقْوِيهِ عَلَى نَيْتِهِ . ﴿ وَلَقَدْ
نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِيَدِرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ : أى
فَاتَّقُونِي ، فإنه شكر نعمتى . ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِيَدِرٍ ﴾ وأنتم أقل عدداً
وأضعف قوة ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ
بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزَوِّجِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ
مِنْ فَوْرٍ هَذَا يُبَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ :
أى إِنْ تَصْبِرُوا لِدُورِ ، وَتُطِيعُوا أَمْرِي ، وَيَأْتُوكُمْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا ، أَمْدَكُمْ
بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : مُسَوِّمِينَ : مُؤَلِّمِينَ . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن
للبحري أنه قال : أَعْلَمُوا عَلَى أَذْنَابِ خَيْلِهِمْ وَنَوَاصِيهَا بِصُوفٍ أبيض ، فأما ابن
إسحاق فقال : كانت سيّام يوم بدر حَمَائِمَ بِيضاً . وقد ذكرت ذلك في حديث

بذر. والسياء : العلامة . وفي كتاب الله عز وجل : (سَيَأْتِيهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ) : أى علامتهم . و (حِجَارَةٌ مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ * مُسَوِّمَةٌ) يقول : مُعَلِّمة . بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رؤبة بن العجاج :
 فالآن نُبَلِّى بِي الْجِيَادُ السَّهْمَ وَلَا تُجَارِبْنِي إِذَا مَا سَوَّيْتُمَا
 وَشَخَّصْتَ أَبْصَارُكُمْ وَأَجْذَمُوا

[أجذموا « بالذال المعجمة » : أى أسرعوا : وأجذموا « بالذال اللامعة » : أظفموا] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له : والمُسَوِّمَةُ (أيضاً) المَرْعِيَّةُ . وفى كتاب الله تعالى : (وَالتَّائِيلِ الْمُسَوِّمَةِ) و (شَجَرَةٍ فِيهِ تَسْمِيُونَ) . تقول العرب : سَوِّمَ خَيْلَهُ وَلِبَاسَهُ ، وأسامها : إذا رعاها . قال السكيت بن زيد :
 راعياً كان مُسَجِّحاً فَقَفَّـدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

قال ابن هشام . مُسَجِّحاً : سَلِسَ السَّيَاسَةَ حَسَنَ (إلى الغنى) . وهذا البيت فى قصيدة له .

(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ أَيْكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) : أى ما تَمَيَّتْ لكم مَنْ تَمَيَّتْ مِنْ جُنُودِ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، لِمَا أَعْرَفَ مِنْ ضَعْفِكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي ، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ

والحكم إلى ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ : أى ليقطع طرفًا من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردم خائبين : أى يؤرجع من بقى منهم فلا خائبين ، لم يثأروا شيئًا مما كانوا يأملون .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَكْبِتُهُمْ : يَغْثِمُهُمْ أَشَدَّ الْغَمِّ ، وَيَعْنِيهِمْ مَا أَرَادُوا . قال نحو الرُّمَّة :

مَا أَنَسَ مِنْ شَجَنِ لَأَنسٍ مَوْفَقْنَا فِي حَيَّةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ
وَيَكْبِتُهُمْ (أيضاً) : يَصْرَعُهُمْ لَوَجْهِهِمْ .

قال ابن إسحاق : ثم قال لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ غَالِيُونَ ﴾ : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم إفجأتى ﴿ فَأِنَّهُمْ غَالِيُونَ ﴾ : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم .

النهي عن الربا

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ﴾ : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هذا كم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ،

مما لا يعمل لكم في دينكم ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ : أى فاطيعوا
الله لعلكم تنجّون مما حذركم الله من عذابه ، وتُذكر كون ما رغبكم الله فيه
من ثوابه ، ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ : أى التى جعلت داراً
لن كفرن .

الحض على الطاعة

ثم قال : ﴿ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ معاتباً للذين
عَصَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حين أسرم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى
غيره . ثم قال : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْمَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ،
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴾ : أى إن أنوا فاحشة ، أو ظلّموا أنفسهم بمقصية ذكروا نهي الله
عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو .
﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : أى لم يُقيموا على مقصبتى كِفَل
من أشرك بى فيما غلّوا به فى كفرهم ، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة
غيرى . ﴿ أُولَئِكَ إِجْرَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، وَنَقَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ : أى ثواب الطّيعين .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والله حيي
 لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعزيفاً لهم فيما
 صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ : أي قد مضت مني
 وقائع نعمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي : عاد ونمود وقوم لوط
 وأصحاب مدين ، فأروا مثيلات قد مضت مني فيهم ، وإن هو على مثل ما
 عليه من ذلك مني ، فإني أمانيت لهم : أي لئلا يظنوا أن نعمتي انقطعت عن
 عدوتيكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، ليتنبأكم بذلك ، لئلا يظنكم
 ما عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : أي
 هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ : أي نور وأدب
 (للمتقين) أي إن أطاعني وعرف أمرى ، ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ : أي
 لا تضعفوا ولا تبتسوا على ما أصابكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ أي لكم تكون
 العاقبة والظهور ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ : أي إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم
 به عني . ﴿ إِنْ يَسْتَسْخِمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ : أي جراح
 مثلها ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ : أي نُصَرَفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ
 والتحصيل ﴿ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَبَيَّضَ مِنْكُمْ شُهَدَاءُ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الظَّالِمِينَ ﴾ : أي ليميز بين المؤمنين والنافقين ؛ وليكرم من أكرم من

أهل الإيمان بالشهادة ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ : أى المنافقين الذين يُظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مُصِرّة على المُنَاصِيَةِ ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَدَرَم وَيَقِينَهُمْ ﴿ وَيَمَحَقَّ الْكَافِرِينَ ﴾ : أى يُبْطِل من المنافقين قولهم بالسنتهم بما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتَتِرُونَ به .

دعوة الجنة للمجاهدين

ثم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من نواى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمسكاره ، حتى أعلم صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالْإِيمَانِ بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهَادَةَ عَلَى الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقُوا عَدُوَّكُمْ ، يعنى الذين اسْتَفْهَضُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى خُرُوجِهِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، لما فاتهم من حُضُورِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ بَيِّنَرٌ ، ورغبة فى الشهادة التى فائتَهُمْ بِهَا ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴾ يقول : ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ : أى الموت بالثيوف فى أيدي الرجال قد خَلَّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ ، ثم صَدَمَ عَنْكُمْ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَبْصُرَ اللَّهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى لقول الناس : قُتِلَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ، وانهمز أُهُم

عند ذلك ، وانصرفهم عن عدوهم ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ رجعت عن دينكم كفاراً كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبئيه صلى الله عليه وسلم من دينه ممكم وعندهم وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت ومفارقتكم ، ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ : أى يرجع عن دينه ﴿ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً ﴾ : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من أطاعه وعمل بأمره .

ذكرهم أن الموت يأذن الله

نم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾ : أى أن لحمد صلى الله عليه وسلم أجلاً هو بآله ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان ، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قسم له من رزق ، ولا يعطوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ ما وعده ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشَّاكِرِينَ ، أى المتقين .

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

نم قال : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ : أى وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير ، أى جماعة ، فما وهنوا

لَقَدْ نَبَّيْهُمْ ، وماضفوا عن عدوهم ؛ وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد
عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿ وَمَا كَانَ
قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبَّتْ
أَقْدَامَنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : واحد : الرُّبِّيْن : رَبِّي ؛ وقولهم : الرِّبَاب ، لولد عبد مناف
ابن أَد بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تَجَمَّعُوا وَتَحَالَفُوا ، من هذا ، يريدون
الجماعات . وواحدة الرِّبَاب : رِبَّة (وربابة) وهي جماعات قِداح أو عصى
ونحوها ، فشبَّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلي :

وَكَاثَنٌ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ بَسْرٌ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ

وهذا البيت في أبيات له . وقال أمية بن أبي الصلت :

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَايِلُ رِبِّيُّونَ شَدُّوا سَنَوْرًا مَدْسُورًا

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة (أيضاً) الخِزْفَةُ التي تُتَلَفُ فيها القِداح .

قال ابن هشام : والسَّنُور : الدروع . والدُّسُر : هي السامير التي في

الحِثِّي ، يقول الله عز وجل ﴿ وَتَحْمِلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ .

قال الشاعر ، وهو أبو الأَخْزَرِ الحِمَّاني ، من تميم :

دَسْرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقُومِ

قال ابن إسحاق : أى ققولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب
منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ،
ولا تترندوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثَبَّتْ أقدامكم ،
واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم
قد كان ؛ وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فأتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور
على عدوتهم ، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ
فَتَقْنَقِلُوكُمْ خَالِصِينَ ﴾ : أى عن عدوتكم ، فتذهب دُنْيَاكُمْ وآخرتكم ﴿ بَلِ
اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ ، فإن كان ما تقولون بالسنتكم صدقا
في قلوبكم فاعتصموا به ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم
مرتدين عن دينه . ﴿ سَنُلَاقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ ﴾ : أى الذى به
كنت أنصركم عليهم بما أشرکوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا
أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمت بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة
التي أصابتكم منهم بذنوب قدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمصيبة ،
وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ
تَحْسَبُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ، حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ
مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ،

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿ أَى وَقَدْ وَفَيْتَ لَكُمْ بِمَا وَعَدْتَكُمْ مِنَ النِّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ،
إِذْ تَحْشُونَهُم بِالسُّيُوفِ ، أَى الْقَتْلِ ، بِإِذْنِي وَتَسْلِيطِي أَيْدِيكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَفَى
أَيْدِيهِمْ عَنْكُمْ .

قال ابن هشام : الحسن : الاستئصال : يقال : حَسَنْتُ الشَّيْءَ : أَى اسْتَأْصَلْتَهُ
بِالسُّيُوفِ وَغَيْرِهِ . قال جرير :

تَحْشَهُمُ السُّيُوفُ كَمَا نَسَاىَ حَرِيقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْخَصِيدِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إِذَا شَكُونَا سَنَةً حَسُوسَا

نَاكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وهذان البيتان في أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : (حتى إذا فشلتم) : أَى تَخَاذَلْتُمْ (وتنازعتم في الأمر)
أَى اختلفتم في أمرى ، أَى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة .
﴿ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ مَا يُحِبُّونَ ﴾ : أَى الْفَتْحَ ، لاشك فيه ، وهزيمة
القوم عن نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ : أَى الَّذِينَ أَرَادُوا
النَّهْبَ فِي الدُّنْيَا وَتَرَكَ مَا أَمَرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا ثَوَابُ الْآخِرَةِ (وَمِنْكُمْ
مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ : أَى الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ ، وَلَمْ يَخَالَفُوا إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ
لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ، رَغْبَةً فِيهَا ، رَجَاءً مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ ؛
أَى الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخَالَفُوا إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ ، لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا ،
لِيُخْتَبِرَكُمْ ، وَذَلِكَ بِيَعُضِ ذُنُوبِكُمْ ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْ عَظِيمِ ذَلِكَ ، أَنْ لَا يَهْلِكَ

بما أنتم من مَعْصِيَةِ نبيكم ، ولكفى عُذَّتْ بِفَضْلِ عَلَيْكُمْ ، وكذلك ﴿ مَنْ أَلَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَنْ عَاقِبَ بِيَعُضِ الذُّنُوبِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَدْبَاً وَمَوْعِظَةً ، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلِّ مَا فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِمْ ، بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، رَحْمَةً لَهُمْ ، وَعَائِدَةً عَلَيْهِمْ ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ .

تَأْنِيهِ إِيَّاهُمْ لِقَرَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ

نَحْمُ أَنْبِيَهُمْ بِالْقَرَارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُمْ يُدْعَوْنَ لَا يَنْقُطُونَ عَلَيْهِ لِدُعَايِهِ إِيَّاهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِذَا تَضَعُدُونَ وَلَا تَتَلَوْنَ عَلَى أَحَدٍ ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ، فَأَتَابَكُمْ ، غَمًّا بَغَمٍّ ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ : أَيْ كَرَبًا بَعْدَ كَرْبٍ ، بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ، وَعُلُوِّ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَبِمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ : قَتَلَ نَبِيِّكُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَابَعُ عَلَيْكُمْ غَمًّا بَغَمٍّ ؛ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ؛ مِنْ ظُهُورِكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ ، حَتَّى فَرَّجَتْ ذَلِكَ الْكَرْبَ عَنْكُمْ ﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَكَانَ الَّذِي فَرَّجَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ الَّذِي أَصَابَهُمْ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَدَّ عَنْهُمْ كَذِبَ الشَّيْطَانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ ، وَالْمُصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ ، حِينَ صَرَفَ اللَّهُ الْقَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً مُنْعَسَاً يَفْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ، وَطَائِفَةً قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَفْئُودُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ،

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، يُخْفُونَ
فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ؛ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا
هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى
مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ النَّعَاسَ أَمَةً مِنْهُ عَلَى أَهْلِ الْيَقِينِ بِهِ ، فَهُمْ
نِيَامٌ لَا يَخَافُونَ ، وَأَهْلُ التَّفَاقُ قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ ، خَوْفَ الْقَتْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَاقِبَةَ ، فَذَكَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ
كَلَامُهُمْ وَخَسِرَتِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُ سَبْعَانَهُ لَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لَمْ تَحْضُرُوا هَذَا الْمَوْطِنَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ
فِيهِ مِنْكُمْ مَا أَظْهَرَ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ﴿ لَبَرَزَ ﴾ لَأَخْرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ إِلَى مَوْطِنٍ غَيْرِهِ يُبْصِرُونَ فِيهِ ، حَتَّى يَبْتَلَى بِهِ مَا فِي
صُدُورِهِمْ ﴿ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ : أَيْ لَا يَخْفَى
عَلَيْهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّا اسْتَخْفَوْا بِهِ مِنْكُمْ .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله

ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا
لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَبُيُتُّ ،
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : أَيْ لَا تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ إِخْوَانَهُمْ عَنْ
الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، وَطَاعَةِ
رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُونَ إِذَا مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا : لَوْ أَطَاعُونَا مَا مَاتُوا وَمَا
قُتِلُوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لِقَلَّةِ الْيَقِينِ بِهِمْ ، ﴿ وَاللَّهُ

يَحْيَى وَيُمِيتُ) : أَيْ يُعْجِلُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمُ كَتَفَرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ : أَيْ إِنْ الْمَوْتُ السَّكَانُ لَا بَدَّ مِنْهُ ، فَمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ قَتْلٌ ، خَيْرٌ لَوْ عَلِمُوا وَأَيَقَنُوا بِمَا يَجْمَعُونَ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي لَهَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْجِهَادِ ، فَخُوفُ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ لَمَّا جَمَعُوا مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا زَهَادَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿وَالَّذِينَ مُتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أَيْ ذَلِكَ كَانَ ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ : أَيْ أَنْ إِلَى اللَّهِ الْمَرْجِعُ ، فَلَا تَفَرُّنَاكُمْ الدُّنْيَا ، وَلَا تَقْتَرُوا بِهَا ، وَلَيْسَ كُنَّ الْجِهَادُ وَمَا رَغَّبَكُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ آثَرٌ عِنْدَكُمْ مِنْهَا .

ذِكْرُ رَحْمَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ : أَيْ لَتَرَكُواكَ ﴿فَاعْتُ عَنْهُمْ﴾ : أَيْ فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ ﴿وَاسْتَعْفِرَ لَهُمْ﴾ ، وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿فَذَكَرَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ لِحَمِّهِمْ ، وَصَبْرِهِ عَلَيْهِمْ ، لَصَفَفَهُمْ ، وَقَلَّةِ صَبْرِهِمْ عَلَى الْغَلَاظَةِ لَوْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا خَالَفُوا عَنْهُ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿فَاعْتُ عَنْهُمْ﴾ : أَيْ فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ ، ﴿وَاسْتَعْفِرَ لَهُمْ﴾ : أَيْ فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ ، مِنْ قَارِفٍ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ : أَيْ لَتَرِيَهُمْ أَنْكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ غَنِيًّا عَنْهُمْ ، تَأْذَنُ لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى نَدْبِهِمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ : أَيْ عَلَى أَمْرٍ جَاءَكَ مِنْهُ وَأَمْرٌ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادٍ

عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فلمض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ، ﴿ وتوكل على الله ﴾ ، أى ارض به من العباد ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ * إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لأعلى الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ما نزل فى الغلول

ثم قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ : أى ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بمشه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ، غير مظلوم ولا معتدى عليه ﴿ أَقْمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ ﴾ على ما أحب الناس أو سخطوا ﴿ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفن كان على طاعتي ، فتوابه الجنة ورضوان من الله كن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان ﴿ مأواه جهنم وبئس المصير ﴾ أسواء المثلان ! فاعرفوا . ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لسكر درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

فضل الله على الناس ببعث الرسل

ثم قال : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ

أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزُرَّ كَيْهَمُ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠٠﴾ : أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما علمتم ، فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به ، والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فستكثر من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، لتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنْ﴾ كُنْتُمْ ﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : أى لفي عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، صم عن الخير ، بكتم عن الحق ، غمى عن الهدى .

ذكره المصيبة التي أصابتهم

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم ، قال : ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ : أَلَنَّا هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثلها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله بيدر ، قتل وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم هما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحلتم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أى إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قد ير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجُمُعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذن الله ، كان ذلك حين فلتتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري ، وصدقتكم وعدي ، ليميز بين المؤمنين

وَالْمُنَافِقِينَ ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ مِنْكُمْ : أَى لِيُظْهَرَ مَا فِيهِمْ . ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْعُوا ﴾ : يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَاصِحَابِهِ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حِينَ سَارَ إِلَى عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِأَحَدٍ ، وَقَوْلُهُمْ : لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقَاتِلُونَ لِسِرِّنَا مَعَكُمْ ، وَلَدَفَعْنَا عَنْكُمْ ، وَلَكِنَّا لَا نَنْظُرُ أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ . فَأُظْهِرَ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِ الْبَيْتِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أَى يُظْهِرُونَ لَكَ الْإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ أَى مَا يُخْفُونَ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ الَّذِينَ أَصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ : ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : أَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِنْ اسْتَظَمْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، حَرْصًا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا ، وَفِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ .

الترغيب في الجهاد

ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَرْغَبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ ، وَيَهْوُونَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ : أَى لَا تَنْظُنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا : أَى قَدْ أَحْيَيْتَهُمْ ، فَهُمْ عِنْدِي يُرْزَقُونَ فِي رَوْحِ الْجَنَّةِ وَفَضْلِهَا ، مُسْرُورِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ عَنْهُ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أى ويُسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على مأمُورٍ عليه من جهادهم ، ليُشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزنَ . يقول الله تعالى : ﴿ يَسْتَنْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مَنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أُصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلبهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا يفتكوا عن الحرب . فقال الله تعالى : قاتلوا بلغهم عنكم ، فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات (ولا تحسبن...) .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن

هؤلاء الآيات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه إنما أصيب لإخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعةً فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم إطلاعةً ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم إطلاعةً ، فيقول : يا عبادي ، ماتستمون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا فوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم ترد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أُبشرك يا جابر ؟ قال : قلت : بلى يا نبي الله ! قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، مامن مؤمن يفارق الدنيا محب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ،

فإنه يحب أن يُردَّ إلى الدنيا ، فيقاتل في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

فذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد .

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القدم يوم أُحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ، قالوا إن أبنا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم (إما ذلکم الشیطان) ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿ يَخْشَوْنَ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ : أى يرهبكم بأوليائه : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ * وَلَا يَخْزُنْتَ الَّذِينَ بُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ : أى المنافقون ﴿ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ * لِنَ الَّذِينَ اخْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ * وَلَا يَخْشَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَمَّا نَحْنُ لَكُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ لَكُمْ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ * مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ :

أَيُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أَيُّ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَبْلُغَكُمْ بِهِ ، لَتَحْذَرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيُّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا﴾ أَيُّ تَرْجَمُوا وَتَتُوبُوا ﴿فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

ذَكَرَ مِنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنُ عَبْدِ مَنَافٍ : سَحْمَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ هَاشِمٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ ، غُلَامٌ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعَمٍ .

مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ

وَمِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ بَنُ عَبْدِ شَمْسٍ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ .

مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ : مُصَنَّبُ بْنُ عُيَيْرٍ ، قَتَلَهُ ابْنُ قَوْمَةِ اللَّيْثِيِّ .

مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بَنُ بَقِظَةَ : شَمَّاسُ بْنُ عُثْمَانَ . أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

من الأنصار

ومن الأنصار ، ثم من بني عبد الأشهل : عمرو بن مُعَاذ بن النُّعْمَان ،
والخارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن امرئ القيس ؛ ويقال : السَّكَن !

قال ابن إسحاق : وسَلَمَة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش .

رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ناجيًا
قُتل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذَيْفة وهو اليَمَان ،
أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، فتصدق حُذَيْفة بدينه على مَنْ أصابه ؛
وصَيْفَى بن قَيْظَى . وحَبَاب بن قَيْظَى . وَعَبَّاد بن سَهْل ، والخارث بن أَوْس
ابن مُعَاذ . اثنا عشر رجلاً .

من راتج

ومن أهل راتج : إِيَّاس بن أَوْس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعمى بن
زُؤَرَاء بن جُشَم بن عبد الأشهل ؛ وعُبيد بن التَّيْهَان .

قال ابن هشام : ويقال : عَتِيك بن التَّيْهَان .

وحبيب بن يزيد بن تَيْم . ثلاثة نفر .

من بنى ظفر

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . رجل .

من بنى ضبيعة

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث
ابن قيس بن زيد ، وحنظلة بن أبي عامر بن ضيفى بن نعان بن مالك بن أمة ،
هو غسيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي . رجلان .
قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

من بنى عبيد

قال ابن إسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .
ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حنيفة ، وهو أخو سعد بن
خزيمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حنيفة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة .
رجلان .

من بنى السلم

ومن بنى السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خزيمة أبو سعد
ابن خزيمة . رجل .

من بني العجلان

ومن حلفائهم من بني العجلان : عبدُ الله بن سَلَمَة : رجل .

من بني معاوية

ومن بني مُعاوية بن مالك : سُبَيْع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن
هَيْشَة . رجل .

من بني النجار

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشَة .
قال ابن إسحاق : ومن بني النَّجَّار ، ثم من بني سَوَاد بن مالك بن غَي :
عمرو بن قَيْس ، وابنه قيس بن عمرو .
قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .
قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن تَحْلَد . أربعة نفر .

من بني مَبْدُول

ومن بني مَبْدُول : أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن عَلْقَمَة بن عمرو بن قَعْف بن
حَالِك بن مَبْدُول ، وعمرو بن مُطَرَف بن عَلْقَمَة بن عمرو . رجلان .

من بني عمرو

ومن بني عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن الْمُنْدَر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

من بني عدي

قال ابن إسحاق : ومن بني عدي بن النجار : أنس بن النضر بن
ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . رجل .
قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

من بني مازن

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لمن . رجلان .

من بني دينار

ومن بني دينار بن النجار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو .
رجلان .

من بني الحارث

ومن بني الحارث بن الخزرج خازجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن
الربيع بن عمرو بن أبي زهير ، دفن في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن
قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

من بني الأبحر

ومن بني الأبحر ، وهم بنو خذرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة

.....

ابن عبيد بن الأبر ، وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ، ويقال : سمد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبر ، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبر . ثلاثة نفر .

من بني ساعدة

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سمد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثقف بن قزوة ابن البدى . رجالان .

من بني طريف

ومن بني طريف ، رَهْط سمد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف ، وصنمة ، حليف لهم من بني جُهينة . رجالان .

من بني عوف

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن

نُضْلَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ فَهْرَ بْنِ غَنَمٍ ،
ابْنُ سَالِمٍ ، وَالْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَيْتٍ ، وَعُبادَةُ بْنُ الْحَسْحَاسِ .
دُفِنَ النُّعْمَانُ بْنُ مَالِكٍ ، وَالْمُجَذَّرُ ، وَعُبادَةُ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ . خَمْسَةُ نَفَرٍ .

من بني الحُبلي

وَمِنْ بَنِي الْحُبْلِيِّ : رِفَاعَةُ بْنُ عَمْرٍو . رَجُلٌ .

من بني سلمة

وَمِنْ بَنِي سَلْمَةَ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرَامٍ : عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ بْنِ تَعْلَبَةَ .
ابْنُ حَرَامٍ ، وَعَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، دُفِنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ، وَخِلَادُ بْنُ
عَمْرٍو بْنُ الْجُمُوحِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وَأَبُو أَيْمَنٍ ، مَوْلَى عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ .
أَرْبَعَةُ نَفَرٍ .

من بني سواد

وَمِنْ بَنِي سَوَادٍ بْنِ غَنَمٍ : سُلَيْمُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَدِيدَةَ ، وَمَوْلَاهُ عَنُتْرَةُ ،
وَسَهْلُ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَبِي كَعْبٍ بْنِ الْقَيْنِ . ثَلَاثَةُ نَفَرٍ .

من بني زريق

وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرٍ : ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ ، وَعُيَيْدُ بْنُ الْمُعَلَّى
ابْنُ لَوْذَانَ . رَجُلَانِ .

.....

قال ابن هشام : عُبيد بن المَعْلَى ، من بني حبيب .

عدد الشهداء

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، خمسة وستون رجلاً .

من بني معاوية

قال ابن هشام : ومَن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بني مُعاوية بن مالك : مالك بن مُمَيْلَة ، حليف لهم من مزينة .

من بني خطمة

ومن بني خَطْمَة - واسم خَطْمَة : عبد الله بن جُثَم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عَدِيّ بن خَرَشَة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَطْمَة .

من بني الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بني سَواد بن مالك : مالك بن إِيَّاس .

من بني عمرو

ومن بني عمرو بن مالك بن النِّجَار : إِيَّاس بن عَدِيّ .

من بني سالم

ومن بني سالم بن عوف : عمرو بن إِيَّاس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

من بني عبد الدار

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بني عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب ، (و) أبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وكلاب بن طلحة ، والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان ، حليف لبني ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شراحبيل بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان ، وصوآب : غلام له حبشى ، قتله قزمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص ، ويقال : أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار
قتله قُزَمان . أحد عشر رجلا .

من بني أسد

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله بن محيد بن زهير بن
الحارث بن أسد . قتله علي بن أبي طالب . رجل .

من بني زهرة

ومن بني زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن
سوءب التقي ، حليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن هبند العزى -
واسم عبد العزى : عمرو بن نضلة بن غنشان بن سليم بن ملكان بن أفضى -
حليف لهم من خُزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

من بني مخزوم

ومن بني مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قُزَمان ،
والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزَمان ، وأبو أمية بن أبي حذيفة
ابن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله
قُزَمان . أربعة نفر .

من بني جمح

ومن بني جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن

حُذَافَةُ بْنُ جَمَحَ ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبْرًا ،
وَأَبَى بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهَبٍ بْنُ حُذَافَةَ بْنِ جَمَحَ ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِيَدِهِ . رَجُلَانِ .

من بني عامر

وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ : عُبَيْدَةُ بْنُ جَابِرٍ ، وَشَيْبَةُ بْنُ مَالِكٍ ، وَالتَّصَرِّيبُ .
قَتَلَهُمَا قُرَيْشَانِ . رَجُلَانِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنُ جَابِرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ .

عدد قتلى المشركين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَجَمِيعُ مَنْ قَتَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ أُحُدٍ مَثَرَةً
لِلْمُشْرِكِينَ ، اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم :

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارى السيرة من تفسير ذلك ، وذكر
قوله سبحانه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية لم يزد على
ما في الكتاب منه . وفي تفسير الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن هشام وعمر بن العاص ،
حتى أنزل الله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال :

فَتَابُوا وَأَسْلَمُوا ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ ، وَهَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ فِي حَسَنِ إِسْلَامِ
أَبِي سَفْيَانَ خِلَافًا لِمَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فَلَا خِلَافَ
فِي حُسْنِ إِسْلَامِهِ ، وَفِي مَوْتِهِ شَهِيدًا بِالشَّامِ ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَقَدْ قَالَ
فِيهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمِنَ عَمْرُو ، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ جَرَى :
مَا كَانَتْ هِجْرَتِي لِلدَّالِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ ، فَنِمَاءُ : رَجُلًا صَالِحًا ، وَالْحَدِيثُ
الَّذِي جَرَى : أَنَّهُ كَانَ قَالَ لَهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْنِيكَ ^(١) وَجَهًا بِيَسْمَكَ اللَّهُ فِيهِ ،
وَبُقْمَتِكَ ، وَأَزْعَبَ لَكَ زَعْبَةً مِنَ الْمَالِ ^(٢) ، وَسَتَأْتِي نُسُكْتُ وَعُيُونٌ مِنْ
أَخْبَارِ الْحَارِثِ ، وَأَبِي سَفْيَانَ - فِيمَا بَعْدَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

معنى انمخذ :

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَبِتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وَفِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلشُّهَدَاءِ
وَتَنْبِيهٌُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ إِيَّاهُمْ حَيْثُ قَالَ (وَبِتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) وَلَا يُقَالُ : اتَّخَذْتُ
وَلَا أُتَّخِذُ إِلَّا فِي مُصْطَفَى مَحْبُوبٍ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ﴾
وَقَالَ : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ فَلَا تُتَّخَذُ إِنَّمَا هُوَ اقْتِنَاءٌ وَاجْتِبَاءٌ ^(٣) ،

(١) فِي رَوَايَةٍ : عَلَى جَيْشٍ .

(٢) أَطْلَيْكَ دَفْعَةً مِنَ الْمَالِ . وَفِي الْحَدِيثِ : بَعْدَ هَذَا : فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ :
مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ ، بَلْ أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ
حَسَنٍ عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ .

(٣) يَقُولُ الرَّائِبِيُّ فِي مَعْنَى الْمَادَّةِ : الْإِخْذُ : حُوزٌ بِالْقَهْرِ الشَّيْءِ . وَتَحْصِيلُهُ ،
وَذَلِكَ قَارَةٌ بِالتَّائُولِ ، وَتَارَةٌ بِالْقَهْرِ .

والشكرُ لا يكون إلا على نعمة - دليلٌ على أن بلاء الرُدَّة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريعٌ ، كما كان .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ فيه أيضاً : التصحيحُ لخلافة أبي بكر ، لأنه الذي دعا الأعْرَابَ إلى جهادِ حَنِيفَةٍ ، وكانوا أولى بأسٍ شديدٍ ، ولم يُقاتلوا إيجْزِيَّةً ، وإنما قُوتلوا لِيُسَلِّمُوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكر ، وفي سلطانه ، ثم قال : ﴿ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر ، فكان في الآية كالتص على خلافة .

وكذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكَانُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ وقد بيّن في سورة الحشرِ مِنَ الصَّادِقُونَ ، وهم المهاجرون بقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فأمر الذين تَبَيَّنُوا الدارَ والإيمانَ أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ ، أى : تَبَعًا لَهُمْ ، فحصلت الخلافةُ في الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولم يكن في الصادقين مَنْ سماه الله الصَّدِّيقَ إلا أبو بكر ، فكانت له خاصَّةٌ ، ثم للصادقين بعده .

رييونه ورفعها في الآية :

وذكر قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ ﴾ ارتفع رِيبِيُونَ على تفسير ابن إسحاقٍ بالابتداء ، والجملة في موضع الحال من الضمير في قُتِلَ ، وهذا أصحُّ التفسيرين ، لأنه قال : فما وَهَنُوا لما أصابهم ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم : ما وَهَنُوا لما أصابهم أى : ما ضَعُفُوا ، وقد يُخَرَّج

أَيْضاً قَوْلُ مَنْ قُلَ : رَبِّيُؤَن مَفْعُولٌ لَمْ يُبَسِّمْ فَاعْلُهُ يَقْتُلُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ : فَمَا وَهَنُوا أَيْ مَا وَهَنَ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ ، لَمَّا أُصِيبُوا بِهِ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِهِمْ ، وَهَذَا رَجَاءٌ ، وَلَكِنْ سَبَبُ نَزُولِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ التَّفْسِيرِ الْأَوَّلِ ^(١) .

وقوله : رَبِّيُؤَن ، وهم الجماعات ^(٢) في قول أهل اللغة ، وقال ابن مسعود : رَبِّيُؤَن أَوْفٌ ، وقال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبَ : الرَّبُّ يَجُ : عَشْرَةُ آلَافٍ .

من تفسير آيات أمر :

وقوله تعالى : ﴿ فَاتَّابِكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ ﴾ وعلى : تفسير ابن إسحاق غَمًّا بَعْدَ غَمٍّ الْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ ، التَّقْدِيرُ : غَمٌّ مَقْرُونٌ بِغَمٍّ ، وعلى تفسير آخر متعلِّقَةٌ : بِاتَّابِكُمْ ، أَيْ : اتَّابِكُمْ غَمًّا بَمَا غَمَّكُمْ نَبِيَّهِ حِينَ خَالَفْتُمْ أَمْرَهُ .

وقوله ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ قال ابن عباس : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ الَّذِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى الرُّمَّةِ ، وَكَانَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا مَكَانَهُمْ ، وَأَلَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ ، فَثَبَّتَ مَعَهُ طَائِفَةٌ ، فَاسْتَشْهِدُوا ، وَاسْتَشْهِدُوا ، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) التَّلَاوَةُ فِي الْمَصْحَفِ : قَاتِلٌ بِفَتْحِ الْقَافِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ . وَهِيَ قِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنْ قِرَاءَةِ الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ . أَمَّا قَتْلُ بَضْمِ الْقَافِ فَقِرَاءَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ . وَرَأَى السَّهْلِيَّ تَلْخِصَ لِرَأْيِ ابْنِ جُرَيْرٍ الطَّبْرِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ . وَقَدْ اخْتَارَ مَا قَالَ عَنْهُ السَّهْلِيُّ إِنَّهُ أَصَحُّ التَّفْسِيرَيْنِ . وَقَالَ : وَأَمَّا الرِّيُّونَ فَانْتَهَمَ مَرْفُوعُونَ بِقَوْلِهِ : مَعَهُ لَا بِقَوْلِهِ : قَتَلَ .

(٢) هَذَا رَأَى بَعْضَ نَحْوِيِّ الْكُوفَةِ ، وَيَرَى بَعْضُ نَحْوِيِّ الْبَصْرَةِ أَنَّ الرِّيِّينَ هُمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الرَّبَّ ، وَيَرَى بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّهُمُ الْعُلَمَاءُ ، أَوْ الْفُقَهَاءُ ، أَوْ الْإِتْبَاعُ ، وَيَرَى ابْنُ زَيْدٍ أَنَّ الرِّيِّينَ هُمُ الْإِتْبَاعُ وَالرَّعِيَّةُ وَأَنَّ الرِّبَانِيَّينَ هُمُ الْوَلَاةُ .

أَرَادُوا الْآخِرَةَ ، وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْنَمِ ، وَأَخَذَ السَّلْبَ ، فَكَّرَ عَلَيْهِمُ
الْمَلَكُ ، وَكَانَتْ لِلصَّيْبَةِ ، وَفِي الْحَبَرِ : لَقَدْ رَأَيْتَ خَدَمَ هِنْدٍ وَصَوَاحِبَهَا ، وَهُنَّ
مُسَمَّرَاتٌ فِي الْحَرْبِ . وَاتَّخَذَ : اتَّخَذَ خَيْلٌ^(١) ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ حِينَ ذَكَرَ هِنْدًا ،
وَأَنَّهُ اتَّخَذَتْ مِنْ آذَانِ الشُّهَدَاءِ وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَانِدًا ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا
وَقَلَانِدَهَا وَقِرَاطَهَا وَخَشِيئًا ، مَعْنَاهُ : اتَّخَذَ خَيْلًا أَيْضًا .

وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ كُنَّا لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ فِي صَحِيحِ
التَّحْقِيقِ أَنَّ عَتَابَ بْنِ قُتَيْبٍ هُوَ قَاتِلُ هَذِهِ الْقَالَةِ ، وَكَانَ مَتَّبِعُودًا بِالْبَغْيِ .
وقوله : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أَيْ : يَظُنُّونَ أَنَّ اللَّهَ حَاذِلٌ دِينَهُ وَنَبِيِّه .

وقوله : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ ﴾ أَيْ : أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَأَبِي سَفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ .

وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ وَقَسَرَهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ أَمِيرًا بِمَشَاوَرَتِهِمَا^(٢) .

مَكْرَمُ الْقَوْلِ :

وَذَكَرَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ نَبِيٌّ أَنْ يُظْلَ ﴾ وَفَسَّرَهُ أَنْ يَكُنْهُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ ، وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ : نَزَلَتْ فِي الْقَوْلِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَكْثَرِ أَنَّهُمْ
فَقَدُوا قَطِيفَةً مِنَ الْمَغْنَمِ^(٣) ، فَقَالَ قَاتِلٌ : لَعَلَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) مفردا : خدمة بفتح الحاء والدال ، وتجمع أيضا على خدام .

(٢) أخرجه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه ابن أبي جاتم بسنده عن ابن عباس قال : فقدوا قطيفة يوم

بيدر ، فقالوا : لعل رسول الله دس ، أخذها .

أخذها، فأزل الله الآية، ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين فعمناه أن يلتقى غالا، تقول: أجبنت الرجل إذا ألقيته جبانا، وكذلك أغلته: إذا وجدته غالا، وقد قال عمرو بن ممد بكرب بنى سليم: قاتلناكم، قاتلناكم، وسألناكم فما أجبلناكم. وتفسير ابن إسحاق [غير] (١) خارج عن مقتضى اللغة. فمن كنتم فقد غل، أى: ستر، وكذلك من خان فى شئ، وأخذ خفية، فقد ستره وكنمه، وأصل الكلمة: الستر والإخفاء، ومنه الغلالة والفألل الداء الذى يقطعه الشجر والنبات، وقد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فى بعض المناسبات بإحراق متاع الغل، وأخذت به طائفة من الفقهاء، منهم أحمد وإسحاق (٢).

= وروى ابن جرير وأبو داود والترمذى أنها تركت فى قطعة حراء فقدت يوم بدر الخ.

وقال الترمذى: حسن غريب.. ورواه بعضهم عن خفيف عن مقسم مرسلا. وروى ابن مردويه أن بعض المنافقين اتهم رسول الله - ص - بشئ، فنزلت والغلول هو الخيانة فى المغنم والمسرقة من الغنيمة قبل القسمة، وكل من خان فى شئ خفية فقد غل. القراءة بفتح الياء هى قراءة المصحف، وهى قراءة ابن عباس وأبى عبد الرحمن السلمى وجماعة من قراء الحجاز والعراق. والقراءة بضم الياء. وفتح الغين قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة.

(١) سياق الكلام يفرضها، وهى محذوفة فى الأصل.

(٢) قال البخارى: قد روى فى غير حديث عن النبي - ص - فى الغال، ولم يأمر بحرق متاعه. وقد قال رسول الله - ص -، عن رجل غل برده، ثم مات فى المعركة فقيل عنه إنه شهيد - كلا، إني رأيت فى النار فى برده غلها أو عيادته. من حديث روى أحمد ومسلم، وجماله رجل بشراك كان قد غله يوم خيبر. فقال رسول الله - ص -، شرك من نار، من حديث متفق عليه..

الشهادة والشهداء :

فصل : وذكر قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
 الآيات ، وهؤلاء هم الذين سماهم الله شهداء بقوله : ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ وهذا
 الاسم مأخوذ من الشهادة أو من المَشَاهِدَة ، فإن كان من الشهادة فهو شهيدٌ
 بمعنى مشهودٍ ، أى مشهود عليه ، ومشهود له بالجنة ، أما مشهودٌ عليه ،
 فلأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وقف على قتلى أحدٍ ، قال : هؤلاء
 الذين أشهد عليهم ، أى : أشهد عليهم بالوفاء ، وقال : عليهم ، ولم يقل : لهم ،
 لأن المعنى : أجيء يوم القيامة شهيداً عليهم ، وهى ولاية وقيادة ، فوصلت
 بحرف على ، ويجوز أن يكون من الشهادة وتكون فاعلاً بمعنى فاعل ، لأن الله
 تعالى يقول : ﴿ وتكونوا شهداء على الناس ﴾ أى : تشهدون عليهم ، وهذا ،
 وإن كان عاماً فى جميع أمة محمد - عليه الصلاة والسلام - فالشهيد أولى بهذا
 الاسم ، إذ هم تبعٌ للصدِّيقين والنبيِّين . قال الله سبحانه : ﴿ فأولئك مع الذين
 أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء ﴾ فهذان وجهان فى معنى
 الشهيد ، إذا جمعتُهُ مشتقاً من الشهادة ، وإن كان من المَشَاهِدَة ، فهو فاعِلٌ
 بمعنى : فاعل أيضاً ، لأنه يشاهد من ملكوت الله ، وبما من ملائكتِهِ
 مالا يشاهد غيره ، ويكون أيضاً بمعنى مفعولٍ ، وهو من المشاهدين :
 أى : إن الملائكة تشاهد قبضه ، والعروج بروحه ، ومحو ذلك ، فيكون
 فعلاً بمعنى مفعول . وأولى هذه الوجوه كلها بالصَّحَّة أن يكون
 فعلاً بمعنى مفعول ، ويكون معناه . مشهوداً له بالجنة ، أو يشهد
 عليه النبي عليه السلام كما قال : هؤلاء أنا شهيد عليهم ، أى : قيمٌ
 عليهم بالشهادة لهم ، وإذا حُشِرُوا تحت لوائه ، فهو والٍ عليهم ، وإن كان

شَهِيدًا لَهُمْ ، فَمِنْ هَاهُنَا اتَّصَلَ الْفِعْلُ بِمَلَى ، فَتَقَوَّى هَذَا الْوَجْهُ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ ،
وَمِنْ وَجْهِ آخَرٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ ذَكَرَ
الشَّهَدَاءَ قَالَ : وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُوعٍ ^(١) شَهِيدٌ ، وَلَمْ يَقُلْ شَهِيدَةٌ ، وَفِي رِوَايَةٍ
أُخْرَى قَالَ : وَالنَّفْسَاءُ شَهِيدٌ يَجْرُهَا جَنِينُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَلَمْ يَقُلْ :
شَهِيدَةٌ وَقَمِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِمَوْثِقٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، نَحْوُ :
اِسْرَاءُ قَتِيلٍ وَجَرِيحٌ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ ، كَانَ بِهَاءٍ كَمَا وَاهِمٌ : اِمْرَأَةٌ
عَالِيَةٌ وَرَحِيمَةٌ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ ، فَذَلِكُمْ عَلَى أَنَّ الشَّهيدَ مَشْهُودٌ لَهُ ، وَمَشْهُودٌ
عَلَيْهِ ، وَهَذَا اسْتِغْرَالٌ مِنَ الْكَلِمَةِ صَحِيحٌ ، وَاسْتِنْبَاطٌ مِنَ الْحَدِيثِ بِدَيْعٍ ، فَخَفَّ
عَلَيْهِ ^(٢) .

(١) أَيْ : تَمُوتُ وَفِي بَطْنِهَا وَلَدٌ . أَوَّالِي تَمُوتُ بَكْرًا ، وَالْجَمْعُ بِالضَّمِّ بِمَعْنَى
الْمَجْمُوعِ كَالذَّخْرِ بِمَعْنَى الْمَذْخُورِ ، وَكَسَرَ الْكَسَائِي الْجَمْعُ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّهَا مَاتَتْ مَعَ
شَيْءٍ مَجْمُوعٍ فِيهَا غَيْرٍ مُنْفَصِلٍ عَنْهَا مِنْ حَمَلٍ أَوْ بَكَارَةٍ .

(٢) هَذَا الشَّهَدَاءُ جَمْعُ شَهِيدٍ ، وَبَيْنَ الرَّازِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالشَّهِيدِ
هُنَا مَنْ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ فِي الْحَرْبِ ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ مَرْتَبَةٌ عَالِيَةٌ عَظِيمَةٌ فِي الدِّينِ وَكَوْنُ
الْإِنْسَانِ مَقْتُولَ الْكَافِرِ لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ تُشْرَفُ ، لِأَنَّ هَذَا الْقَتْلَ قَدْ يَحْصُلُ فِي الْفَسَاقِ ،
وَمَنْ لَا مَنَزَلَةَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُمُ
الشَّهَادَةَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَسْلُطَ عَلَيْهِمُ الْكُفَّارُ يَقْتُلُونَهُمْ ، وَلِأَنَّهُ وَرَدَ
إِطْلَاقُ لَفْظِ الشَّهِيدِ عَلَى الْمَبْطُونِ وَالْمَطْعُونِ وَالْفَرِيقِ ، قَالَ : أَيْ الرَّازِي : فَعَلْنَا
أَنَّ الشَّهَادَةَ لَيْسَتْ عِبَارَةً عَنِ الْقَتْلِ ، بَلْ نَقُولُ : الشَّهِيدُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ ،
وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ بِصُحَّةِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى تَارَةً بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ ، وَأُخْرَى بِالسَّيْفِ
وَالسَّانِ ، فَالْشَّهَدَاءُ هُمُ الْقَائِمُونَ بِالْقِسْطِ ، وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ :
(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَأَ سَمَاءَهُ بِالْمَلَائِكَةِ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ) آل عمران : ١٨ =

وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس الرفوع ، وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، وعن قتادة قال : ذكر لنا أن أرواح الشهداء تتعارف عند السدرة في أجواف طير بيض ، وقد أنكر هذه الرواية قوم ، وقالوا : لا يكون رُوحان في جسد واحد ، وإن ذلك مُحال ، وهذا جهن بلطف ، فإن معنى الكلام بَيِّن ، فإن رُوح الشهيد الذي كان في جسده في الدنيا ، يُجَعَلُ في جسد آخر كأنه صورة طائر ، فيكون في هذا الجسد الآخر ، كما كان في الأوَّل ، إلى أن يُعَيِّده الله يوم القيامة كما خلقه ، وهذه الرواية لا تُعارض ما روَّوه من قوله : في صور طير خضر ، والشهداء طير خضر ، وجميع الروايات كلها متفقة للمعنى ، وإنما الذي يستحيل في العقل قيام حيَّاتين بجوهر واحد ، فيَحْيَا الجواهرُ بهما جميعاً ، وأما رُوحان في جسد فليس مُحال إذا لم تَقُلْ بتداخل الأجسام ، فهذا الجَنِينُ في بطن أمه وروحه

== ويقال للمقتول : شهيد من حيث إنه بذل نفسه في نصرة دين الله وشهادته له بأنه هو الحق ، وما سواه باطل ، وإذا كان من شهداء الله بهذا المعنى ، كان من شهداء الله في الآخرة . كما قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، وليكونوا شهداء على الناس) البقرة : ١٤٣ . وقال الأستاذ الإمام : الشهداء هم الذين أمرنا الله تعالى أن نكون منهم في قوله : (لتكونوا شهداء على الناس) وهم أهل العدل والإنصاف الذين يؤيدون الحق بالشهادة لاهله بأنهم محقون ، ويشهدون على أهل الباطل أنهم مبطلون ، ودرجتهم تلي درجة الصديقين ، والصدِّيقون شهداء وزيادة . وأقول — أي الشيخ رشيد رضا — إن الشهادة التي تقوم بها حجة أهل الحق على أهل الباطل ، تكون بالقول والعمل والاخلاق والاحوال ، قال الشهداء هم حجة الله تعالى على المبطلين في الدنيا والآخرة بحسن سيرتهم . تفسير المنار الآية رقم ٦٩ أو ٧١ من سورة النساء .

غير رُوحِها ، وقد اشتمل عليهما جَسَدٌ واحد ، وهذا أن لو قيل لهم : إن الطائر له رُوحٌ غير رُوح الشهيد ، وهما في جَسَدٍ واحد ، فكيف ، وإنما قال : في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ ، أى : في صورة طَيْرٍ خُضِرَ ، كما تقول : رأيت مَدَسَكًا في صورة إنسانٍ ، وكذلك قوله عليه السلام : إنما نَسَمَةُ المؤمن طائِرَةٌ يَمْلَقُ في ثَمَرِ الْجَنَّةِ ^(١) تَلَوَّهَ بعضهم تَخْصُوصًا بالشَّهيد ، وقال بعضهم : إنما الشهيد في الْجَنَّةِ يأكل منها حيث شاء ، ثم بأوٍى إلى فتاويل مُعَلِّقَةٍ في القَرَشِ ، وغير الشهيد ، من المؤمنين نَسَمَتُهُ ، أى : رُوحه طائر ، لا أن رُوحه جُعِلَ في جَوْفِ طائر ، لِيَأْكُلَ ويشْرَبَ ، كما فُعِلَ بالشَّهيد لكن الروحَ نَفْسَهُ طائِرٌ يَمْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ ، يَمْلَقُ بفتح اللام يَنْشَبُ بها ، ويرى مُعَقَّدَةً منها ، ومن رَوَاهُ : يَمْلَقُ فَمَعْنَاهُ يُصِيبُ المُلَقَّةُ ، أى ينال منها ما هو دون نَيْلِ الشهيد ، ففُضِرَ المُلَقَّةُ مثلاً ، لأن من أصاب المُلَقَّةَ من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ، مِمَّنْ أدرك الرِّغَدَ ، فهو مَثَلٌ مَضْرُوبٌ يُفْهَمُ منه هذا المعنى . وإن كان أراد يَمْلَقُ ^(٢) الأكلَ نَفْسَهُ ، فهو مخصوص بالشَّهيد ، فتكون .

(١) رَوَاهُ أحمد عن الشافعي عن مالك .

(٢) المُلَقَّةُ بضم العين وسكون اللام : ما يتبلغ به من الطعام والمركب . وفي اللسان : تَمْلَقُ — بفتح — التاء وضم اللام — من ثمار الجنة : تناول بأفواهها . وهو تفسير الأصمعي ، وفي النهاية لابن الأثير : تَمْلَقُ بضم اللام أيضاً ، وقال : أى تأكل ، وهو في الأصل للابل إذا أكلت العُضَاءَ ، فنقل إلى الطير . وما أَعَدَّ الله للشهداء هو من علم الغيب الذي هو لله وحده فلنتحرر في حديثنا عنه الخبر الصادق الذي لا ريب فيه . هذا وفي حديث الشهداء شئ من الاضطراب كما يقول الشيخ رشيد - رضا في تفسير المنار - ففي رواية مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود =

رواية مَنْ رَوَاهُ بِالْقِسْمِ لِلشَّهَدَاءِ ، وَرَوَايَةُ الْفَتْحِ لِمَنْ دُونَهُمْ ، فَافْقَهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ رَسُولُهُ مِنْ ذَلِكَ .

وقوله ثُمَّ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ يُصَدِّقُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ^(١) الحديد : ١٩ . وَإِنَّمَا تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ

= أنها في حواصل طيور خضر تسرح من أنهار الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ، وفي رواية عبد الرزاق من حديث عبد الله بن كعب ابن مالك : « إن أرواح الشهداء في صور طيور خضر معلقة في قناديل الجنة حتى يرجعها الله يوم القيامة ، فهذا يدل على أنها محبوسة في مكان خاص ، والأول يفيد أنها مطابقة تسرح حيث تشاء ، ثم إن لها مأوى تأوي إليه حين تشاء ، وفي رواية مالك وأصحاب السنن ما عدا أبا داود أنها في أجواف خضر تملف من ثمر الجنة أو شجر الجنة ، وعبد الطاغوت والقبور يحرفون الكلام عن مواضعه في هذه الآية الإلهية . فيضعون مكان « أحياء عند ربهم » ، « أحياء في قبورهم » ، بغية استهواء الناس إلى عبادة الموقى بالدعاء والرجاء والخوف والمحبة والتوكل ، زاعمين لهم أنهم يسمعون لأنهم « أحياء في قبورهم » ، وهذه الحياة الدقيقة الدامية عند الله حياة غيبية هو وحده جل شأنه العليم بحقيقتها ، إنها حياة روحية لا جسدية ، لأن الأجساد أُرمت وفنيت وكم من دود منها طعم ، وسوس عاث ، وشجر منها نبت ، فأكلنا ثمره ، واصطلينا بناره . فإذا جاء يوم الفصل بعث الله كل امرئ من مرقبه ، كيف ؟ أو ليس الذي خلق السموات والأرض بمقدر على أن يحيي الموتى ؟ بلى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون . ولا باني حين يذهب القول بين : كيف ، ولم - وهذا هو رأيي - إلا بتشفق القلب بالقلبي الأسود . ولنسكت عن المراء في شأن الغيب ، فالمرء كافر .

(١) هم القائمون بالشهادة لله سبحانه ، ولم ، وعلى الأمم يوم القيامة ، ولم لا يكون قوله سبحانه إخبارا عن الذين آمنوا بالله ورسوله ؟ ثم هو بيان من التور التي سيكون يوم القيامة . وقرأ من سورة الحديد من قوله سبحانه : =

لَيْلًا ، وَتَسْرَحُ نَهَارًا ، فَتَعْلَمُ بِذَلِكَ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ ، وَبَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ فِي
الْآخِرَةِ ، لَا تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ - وَ اللَّهِ أَعْلَمُ - وَإِنَّمَا ذَلِكَ مُدَّةُ الْبَرْزَخِ
هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الشَّهَادَةُ بِأَكْلُونِ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ
وَلَيْسُوا فِيهَا ، وَقَدْ أَنْكَرَ أَبُو عُمَرَ قَوْلَ مُجَاهِدٍ ، وَرَدَّهُ وَيَسُّ بْنُ كَثِيرٍ عَنْهُ .
وَيُشْهِدُ لَهُ مَا وَفَّقَ فِي مُسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
قَالَ : الشَّهَادَةُ بِنَهْرٍ أَوْ عَلَى نَهْرٍ يَقَالُ : لَهُ : بَارِقٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فِي قِيَابِ
خُضْرٍ يَأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^(١) ، فَهَذَا يَبِينُ مَا أَرَادَ مُجَاهِدٌ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَمَا وَقَعَ السُّبُورُ أَيْضًا ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ هِشَامٍ حَدِيثَ رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَزْرَسَ - وَرَأَى اللَّهَ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : الشَّهَادَةُ ثَلَاثَةٌ ، فَأَدْنَى الشَّهَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِزْلَةٌ رَجُلٍ

(=) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَى الْيَوْمَ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) الْحَدِيدُ : ١٢ فَالْحَدِيثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَالْجَزَاءِ فِيهَا .
(١) لَمِظَ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ كُلُّهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : الشَّهَادَةُ عَلَى بَارِقٍ
نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةِ خُضْرَاءَ ، يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ رِزْقَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا .
وَهَذَا يَتَّبِعِينَ أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ تَدُلُّ عَلَى دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ وَبَعْضُهَا يَدُلُّ عَلَى وَقُوفِهِمْ
بِأَيْمَانِهَا عِنْدَ النَّهْرِ . وَلَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ الْجَمْعَ ، أَوِ الْمَصَالِحَةَ بَيْنَ الْقَضِيَّتَيْنِ
فَقَالَ : كَانَ الشَّهَادَةُ أَفْصَحًا . وَقَدْ قَالَ الْوَرَقَانِيُّ قَوْلًا طَيِّبًا هُنَا عَنْ كَلِمَةِ ابْنِ كَثِيرٍ
كَانَ : وَجَرَّ بِكَانَ ، لِأَنَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِمَالِ لَا الْقَطْعَ ، لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحَالِ غَيْبٌ عَنْهَا .
وَهِيَ كَلِمَةٌ حَقٌّ .

خرج مسوداً بنفسه ورَحَلَهُ ، لا يريد أن يُقْتَلَ ولا يُقْتَلَ ^(١) أتاه سنهم غريب ،
فأصابه ، قال : فأَوَّلُ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ بِهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،
ثُمَّ يَهْبِطُ اللَّهُ إِلَيْهِ جَسَداً مِنَ السَّمَاءِ ، فيَجْعَلُ فِيهِ رُوحَهُ ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ،
فَمَا يُمرُّ بِسَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَّا شَهِقَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فإذا
انتهى بِهِ إِلَيْهِ وَقَعَ سَاجِداً ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِهِ فَيُكْسِي سَبْعِينَ زَوْجاً مِنَ الْإِسْتَبْرَقِ ،
ثُمَّ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَفَائِقِ النُّعْمَانِ .
وَحَدَّثَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ عَنْ قَوْلِ - رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَ كَعْبُ
الْأَخْبَارِ : أَجَلُ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَفَائِقِ النُّعْمَانِ ، ثُمَّ يَقُولُ : اذْهَبُوا بِهِ
إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الشَّهَدَاءِ ، فَاجْلِسُوا مَعَهُمْ ، فَيُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِمْ فِي قُوَّةٍ خَضِرَاءَ
فِي رَوْحَةٍ خَضِرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ حُوتٌ وَنُورٌ مِنَ الْجَنَّةِ كَقَدَامِهِمْ ،
فِيَامِلَانِهِمْ ^(٢) ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ عَجْبُهُمْ مِنْهَا طَمَعْنَ الثُّورُ الْحَوْتَ يَقْرَنَهُ ، فَيَقْرَهُ لَهُمْ
عَمَّا يَدْعُونَ ، ثُمَّ يَرْوِجَانِ عَلَيْهِمْ لِمَسَائِهِمْ ، فَيَلْمِلَانِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَثُرَ عَجْبُهُمْ
مِنْهَا ضَرَبَ الْحَوْتَ الثُّورَ بِذَنْبِهِ فَيَقْرَهُ لَهُمْ عَمَّا يَدْعُونَ ، فإذا انتهى إِلَى
إِخْوَانِهِ سَأَلُوهُ تَسْأَلُوا ^(٣) الرَّاكِبَ يَقْدُمُ عَلَيْهِمْ بِأَدْلَى كَمْ ، فيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ
فُلَانٌ ؟ فيَقُولُ : أَفْلَسَ ، فيَقُولُونَ : فَمَا أَهْلَكَ مَا لَهُ فَوَ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَكَيْسًا
جَمُوعاً تَاجِراً ، فيُقَالُ لَهُمْ : إِنْ لَا نَعْدَ الْفَلَسَ مَا تَعُدُّونَ ، وَإِنَّمَا نَعْدُ الْفَلَسَ مِنَ
الْأَعْمَالِ ، فَمَا فَعَلَ فُلَانٌ وَامْرَأَتُهُ فُلَانَةٌ ؟ فيَقُولُ : طَلَّقَهَا ، فيَقُولُونَ : فَمَا الْقَدَى

(١) فِي نَسْخَةٍ: يَرِيدُ أَنْ يُقْتَلَ ، وَلَا يُقْتَلَ (٢) فِي نَسْخَةٍ: فَيَلْمِلَانِهِمْ -

(٣) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ .

تَرَلَّ بَيْنَهُمَا ، حَتَّى طَلَقَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ بِهَا كَمُغْجَبًا ؟ فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فَلَانٌ ؟
 فَيَقُولُونَ : مَاتَ أَيْهَاتَ قَبْلَ بَرْمَانَ ، فَيَقُولُونَ : هَلَكَ وَاللَّهِ مَا سَمِعْنَا لَهُ بِذَكَرٍ ،
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَرِيقَيْنِ ، أَحَدُهُمَا : عَلَيْنَا ، وَالْآخَرُ : يَخَالِفُ بِهَا عَنَّا ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ
 خَيْرًا أَمَرَ بِهِ عَلَيْنَا ، فَمَرَقْنَا ، وَعَرَفْنَا مَتَى مَاتَ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ شَرًّا خُولِفَ
 بِهِ عَنَّا ، فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذَكَرٍ ، هَلَكَ وَاللَّهِ فَلَانٌ ، فَإِنْ هَذَا لِأَتَى الشَّهَادَةَ عِنْدَ اللَّهِ
 مُنْزِلَةً ، وَإِنْ الْآخَرُ رَجُلٌ خَرَجَ مَسْودًّا بِنَفْسِهِ وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ ،
 وَلَا يُقْتَلَ ، أَنَّهُ سَتَهُمْ غَرَبٌ فَأَصَابَهُ ، فَذَلِكَ رَفِيقُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يَحْكُمُ رُكْبَتَاهُ رُكْبَتَيْهِ ، وَالْفَضْلُ الشَّهَادَةُ : رَجُلٌ خَرَجَ مَسْودًّا بِنَفْسِهِ
 وَرَحْلِهِ يُحِبُّ أَنْ يُقْتَلَ وَأَنْ يُقْتَلَ ، وَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ قَتْعًا فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِدًا سَافِرًا ، يَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ ، لَا يَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ . وَقَعَ
 فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْحَوْتِ وَآمِهِ ، مَعَ الثُّورِ وَقَدْ خَرَّجَهُ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ
 بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ لَهُ بِأَكْثَرِ مَا وَقَعَ هَاهُنَا ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهُ
 ذِكْرُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كَبَدِ الْحَوْتِ أَوَّلَ مَا يَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يُفْتَحَرُ لَهُمْ
 تَتَوَرُّ الْجَنَّةُ ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ أَنَّ الْحَوْتِ لَمَّا كَانَ
 عَلَيْهِ قَرَرُ هَذِهِ الْأَرْضِ (١) ، وَهُوَ حَيَوَانٌ سَابِغٌ لَيْسَتْ شَمِيرٌ أَهْلُ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ
 فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ ، وَلَيْسَ بِدَارٍ قَرَارٍ ، فَإِذَا نُحِرَ لَهُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ،
 مَخَافًا لِكُلُوبِ مَنْ كَيْدِهِ ، كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوَالِ ، وَأَنَّهُمْ
 قَدْ صَارُوا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، كَمَا يُذْبَحُ لَهُمُ الْكَكْبَشُ الْأَمْلَحُ عَلَى الْقَصْرِاطِ ، وَهُوَ

(١) ذَلِكَ كَانَ مَبْلَغُ عِلْمِ عَصْرِهِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا يُجِبُّ النَّظَرَ فِيمَا بَنَاهُ عَلَيْهِ .

صورة الموت لِيَسْتَشْعِرُوا أَن لَامُوتَ ، وأما الثورُ فهو آلةُ الحَرْثِ ، وأهلُ الدنيا لا يَخْلُونَ من أحدِ الحَرْثَيْنِ ، حَرْثِ لدُنْيَاهُم ، وحَرْثِ لِآخِرَاهُم ، ففي نَجْرِ الثَّوْرِ لهم هنالك إسمارٌ يَراحتهم من السَّكْدَيْنِ وَثَرِفيهِم من نَصَبِ الحَرْثَيْنِ ، فاعتبر ، والله للسمعان .

بِغْفَالِ ابْنِ إِسْحَاقَ نَسَبَ عُبَيْدِ بْنِ التَّيْمَانِ :

فصل : وذكر ابنُ إِسْحَاقَ فيمن استشهد يومُ أُحُدٍ عُبَيْدُ بْنُ التَّيْمَانِ . واسمُ التَّيْمَانِ : مَالِكٌ ، ولم يرفع نَسَبَهُ ، وكذلك قَمِلَ في هذا النَسَبِ حيث وقع في هذا الكتاب ، وهو نَسَبٌ مُخْتَلَفٌ فيه ، وقد رفعناه عند ذكر أبي التَّيْمَانِ ، وذكرنا .. الخِلافَ فيه هنالك .

وقول كعب بن مالك :

وَلَا يَمِثْلُ أَضْيَافِي الْأَرَائِثِيَّ مَقْشَرَا

يعني : أبا التَّيْمِ ، فجعله إِرَاشِيَّ ، وليست إِرَاشَةٌ من الأنصار ، ونسبه موسى بن عُقْبَةَ في جماعة معه إلى بَيْلٍ ، وقالوا هو حَلِيفُ الأنصارِ ، وليس من أنفسهم ، وقال ابنُ إِسْحَاقَ والوافدي في المستشهد يوم أُحُدٍ : عُبَيْدُ بْنُ التَّيْمَانِ ، وقال ابنُ عُقْبَةَ ، وأبو مَقْشَرٍ ، وابنُ عَمَارَةَ : هو عَتِيكَ بْنُ التَّيْمَانِ ^(١) .

(١) ذكر ذلك ابنُ حَرِيرٍ في الاشتقاق .

أبو حنّة أو حنّة :

وذكر فيهم أبا حنّة الأنصاري البذري ، وقال ابن هشام أبو حنّة بن ثابت بالنون ، وكذلك قال الواقدي ، قال : ليس فيمن شهد يوم بدر من اسمه . أبو حنّة بالباء ، وكذلك روى موسى بن عتبة عن ابن شهاب : أبو حنّة بالنون شهد بدراً ، واستشهد يوم أُحد ، وهو من الأوس ، واسمه ثابت ، وقيل : عمرو بن ثابت ، والاختلاف في اسمه ، وفي كُنْيَتِهِ كثير . وأما أبو حنّة المستشهد يوم البصرة ، فهو أبو حنّة بن غزاة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل ، ولم يخالف في ذلك إلا من لا يؤبه بقوله ، واسمه : زيد بن غزاة بن عمرو ، وهو من الخزرج ، والأول من الأوس ، وقد قيل في الأول : أبو حنّة (١) بياء معجمة باثنتين ، فافهم أعلم .

وحنّة بالنون : دير حنّة معروف (٢) بالشام ، وحنّة أمّ مرثمة بنت عمران ، وحنّة بناء منقوطة بنت يحيى بن أكرم القاضي ، وهي أمّ محمد بن ابن نصر القبروزي الفقيه (٣) وحنّة بالجيم لا يعرف إلا أبو حنّة خال ذي الرمة الشاعر ، قاله ابن ماكولا .

(١) هو في السيرة : أبو حنّة بالياء .

(٢) في معجم البكري أنه دير قديم بناه بنو ساطع حى من تنوخ ، وهو بالحيرة . والحيرة بالعراق . ودير حنّة آخر ، وهو بالكيراح ، وقد ذكره أبو نواس في شعره . والاكيراح موضع بالحيرة .

(٣) في القاموس أنها أخت يحيى وزوجة محمد بن نصر .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

شعر هيرة

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هيرة
ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام :
عائذ : ابن عمران بن مخزوم :

ما بال هم عيدي بات يطرقني	بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تمايتني هند وتمذلي	والحرب قد شملت عني مواليها
مهلًا فلا تمذليني إن من خلقي	ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مأعنة لي كعب بما كلفوا	تمال عبي وأقال أعانيها
وقد حلت سلاحي فوق مشرف	ساطر سبوح إذا تجري يباريها
كأنه إذ جرى غير بقدره	مكدّم لا حق بالعون تحميها
من آل أعوج يرتاح الندى له	كجذع شمراء مستغل مراقبها
أعدّته ورقاق الحدة منتخلا	ومارنا لخطوب قد ألاقها

وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبد الله بن سلمة العجلاني، سلمة بفتح
اللام تقيد في الأصل ، وفي الأصول الصّاح من رواية ابن هشام ، وذكره
الدارقطني في باب سلمة بكسر اللام ، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد
عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكر أبو عمر أيضاً أنها رواية إبراهيم بن سعد ،
والله أعلم .

هذا وبَيْضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ مُحْكَمَةً
سَقْنَا كِفَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ
قَالَتْ كِفَانَةٌ : أَنِي تَذْهَبُونَ بِنَا ؟
نَحْنُ النَّوَارِسُ يَوْمَ الْجَزَى مِنْ أَحَدٍ
هَابُوا ضِرَابًا وَطَافْنَا صَادِقًا حَذِيمًا
ثُمَّتْ رُحْنَا كَانَا عَارِضٌ بَرْدٌ
كَانَ هَامُهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ فَلَقَّ
أَوْ حَفَظَلْ دَعَاةَ الرِّيحِ فِي مَعْصُنٍ
قَدْ نَبَذَلُ الْمَالُ سَحًّا لِاحِسَابٍ لَهُ
وَلِيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرَثِ جَارُهَا
وَلِيْلَةٌ مِنْ جِلْدَى ذَاتِ أَنْدِيَّةٍ
لَا يَجْلِيحُ السَّكَبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ
أَوْ قَدَّتْ فِيهَا لَذَى الثَّغْرَاءِ جَاحِمَةٍ
أَوْزَنِي ذَاكُمْ عَمَرُو وَوَالِدُهُ
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ الثَّعْجُومِ فَمَا

نَيْطَتْ عَلَى فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيهَا
عُرْضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قُلْنَا : النُّخِيلُ ، فَأَثْوَاهَا وَمَنْ فِيهَا
هَابَتْ مَعْدَّةً فَقُلْنَا نَحْنُ تَأْتِيهَا
مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَائِمُهَا
وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَتَّبِعُهَا
مِنْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَقَتُهُ عَنْ أَدَاخِهَا
بَالٍ تَعَاوَرَهُ مِنْهَا سَوَافِيهَا
وَنَظْمُنُ الْخَلِيلَ شَرَرًا فِي مَا قَبِهَا
يَحْتَمِصُ بِالزَّمَرِ الْمُتَرِينَ دَاعِيهَا
جَرَبًا مُجَادِبَةً قَدْ بَتَّ أَسْرِيهَا
مِنْ الْقَرِيسِ وَلَا تَسْرَى أَفَاخِيهَا
كَالْبَرْقِ ذَاكِيَّةَ الْأَرْكَانِ أَحْيَاهَا
مَنْ قَبْلَهُ كَانَ بِالْمُتَنَّى يُغَالِيهَا
دَنَّتْ عَنِ السَّوْرَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

شعر حسان في الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سَقَّمْ كِفَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ لِنُجِنْدُ اللَّهَ مُخْرِجِيهَا

أَوْزَدَتْهُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاخِيَةً فَالْأَرْؤُوفُ مَوْعِدَهَا ، وَالْفَتْلُ لَا قِيَهَا
جَمَعْتُمُوهَا أَحَابِيثًا بِلا حَسَبٍ أُمَّةُ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيَهَا
أَلَا اعْتَبَرْتُمْ بِمَخِيلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ أَهْلَ الْقَلْبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أُسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلا مَنٍّ وَجَزَ نَاصِيَةٍ كُنَّا مَوَالِيَهَا

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لـ كعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبيت هيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :
وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْقَرْثِ جَارُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرِ الْمُتَرِّينَ دَاعِيَهَا
يروى بـ جنوب ، أخت عمرو ذي الكُفَّابِ الهذلي ، في أبيات لها في غير
يوم أحد .

شعر كعب في الرد على هيرة

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك : نجيب هيرة بن أبي وهب أيضا :

أَلَا هَلْ آتَى غَسَّانَ عَمَلًا وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَفٌ سَمِيحٌ مُتَمَنِّعٌ
مَحَارِبٍ وَأَعْلَامٌ كَلْبٌ رَعَامُهَا مِنَ الْبُقْعَةِ نَقْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِعٌ
تَفَاقُّ بِهَ لِلْبَرْزِ الْغَوَامِيسُ مَرْحًا وَتَحُلُّ بِهَ غَمِثُ السَّيْنِ فَيُفْرِعُ
بِهَ جَيْفُهُ الْخَشَرَى يَلُوحُ صَالِبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعُ
بِهَ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِي خِلْفَةً وَيَبْضُ نَعَامٌ قَبِيضُهُ يَتَقَلَعُ
تَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فَخْمَةٍ مَذَرِيَّةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْتَمِعُ

وكل صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لَبَسَتْ سَهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مَثَرَعٌ
 وَلَكِنْ يَبْذُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيَتْهُمُ مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ تَفْغَعُ
 وَإِنَّا بِأَرْضِ الْخَوْفِ لَوْ كَانَ أَهْلُهَا سَوَانًا لَقَدْ أَجَلُوا بَلِيلٌ فَأَقْشَمُوا
 إِذَا جَاءَ مِنَّا رَاكِبٌ كَانَ قَوْلُهُ أَعْدُوا لِمَا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
 قَهْمَهُمَا بِهِمُ النَّاسُ مَا يَكِيدُنَا فَتَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
 فَلَوْ غَيْرُنَا كَانَتْ جَمِيعًا تَكِيدُهُ السَّيْرَةُ قَدْ أَغْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
 مُجَالِدٍ لَا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْطَعُوا
 وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْمَرَضِ قَالَ سَرَاتُنَا عَلَامٌ إِذَا لَمْ تَنْتَفِعِ الْمَرَضُ زَرْعٌ؟
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ تَنْبِغُ أَمْرُهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا تَطْلُعُ
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزَّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 تُشَاوِرُهُ فِيمَا يُرِيدُ وَقَفَرْنَا إِذَا مَا اشْتَمَى أَنَا نَطِيعٌ وَنَسَمُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَوْا كُنَّا ذَرُّوْا عَنْكُمْ هَوْلَ التِّيَّاتِ وَاطْمَعُوا
 وَكُونُوا كَنْ بَشَرِي الْحَيَاةَ تَهَرَّبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيِي لَدَيْهِ وَيُرْجِعُ
 وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 فَسَرْنَا إِلَيْهِمْ جَهَنَّةَ فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَنْتَشِعُ
 بِمَلَكُوتِهِ فِيهَا السُّنُورُ وَالْقَنَا إِذَا خَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ
 فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ
 ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيبُهُ ثَلَاثٌ مِثْلِينَ إِنْ كَثَرْنَا وَأَرْبَعٌ

تُفَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَبِيءُ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوقَةٌ حَرَمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ
تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرُّجَالِ وَتَأَرَّةٌ
بِوَحِيلٍ تَرَاهَا بِالْقَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا لِلرَّحَى
خَسِرْنَا بِهَا حَقَّ تَرَكَنَا مَرَاتِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
وَرَاوَحُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
وَوَرَحْنَا وَأَخْرَانَا بِظُلَمٍ كَأَنَّنَا
فَقَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبَّمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَامُ
وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ مَسِيَّةً
سِلَاحًا عَلَى رَبِّبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا نَقْيَا شَيْءَ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظَفَرْنَا سَتَابُفُحْشُ
وَكُنَّا شِهَابًا يَبْقَى النَّاسُ حَرَهُ
فَحَزَرْتُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَقَدْ سَرَى

تُشَارِعُهُمْ حَوْضَ التَّنَابُا وَتُشْرِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَزْبِي الْمَقْطَعُ
يُبْذَرُ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ
تَمْرٌ بِأَعْرَاضِ الْبَصَارِ تَقْفَعُ
جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَقٍ يَتَرَبِّعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مَدْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصْرَعُ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرًّا نَارٌ قُلْفَعُ
جَهَامٌ هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أَسْوَدَ عَلَى لَحْمٍ بَيْيَسَةٍ ظَلَعُ
قَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جُمِعُوا كُلٌّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَارَ وَيَنْفَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنَانَا لَنَا الدَّهْرُ تَدْمَعُ
وَلَا نَحْنُ مِمَّا جَرَتْ الْحَرْبُ نَجْمُزُعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا تَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مِنْ بَلِيهِ وَيَنْفَعُ
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ الْأَيْلِ مُتَبِعُ

قَسَلْ عَنْكَ فِي عُنْيَا مَعْدَةٍ وَغَيْرِهَا مِنْ النَّاسِ مَنْ أَخْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعِ
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرَكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْغَرًا وَمَنْ خَذَهُ يَوْمَ الْكَرْبَةِ أَضْرَعَ
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ شَدَّةً عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ سُرْعَ
تَكْرَرِ الْقَتْلِ فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا عَزَالَى مَزَادِ مَاؤُهَا يَنْهَزِعُ
عَمَدُنَا إِلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ وَمَنْ يَطِيرُ بِذِكْرِ اللَّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَدِّ أَشْرَعَ
تَفَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا بَدَأَ وَتَخَاذَلُوا أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَمَرَهُ وَهُوَ أَضْنَعُ

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مَجَالِدُنَا مِنْ جِذْمِنَا كُلِّ نَحْمَةٍ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيْصْلِحْ أَنْ تَقُولَ : مَجَالِدُنَا مِنْ
دِينِنَا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهُوَ أَجْمَنُ ؛
فقال كعب : مَجَالِدُنَا مِنْ دِينِنَا .

شعر لابن الزبيري

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبيري في يوم أحد :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَنْتُمْ مَتَّ قُلُ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ
إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلْشَّرِّ مَدَى وَكِلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبْلُ
وَالْمَعْطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَهُمْ وَسَوَاءُ قَبْرٌ مَثَرٌ وَمُقِلُ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ

أَبْلَغْنَ حَسَانَ عَنِّي آيَةً فَقَرِيضَ الشُّعْرِ يَشْفِي ذَا الْعُلَّةِ
 كَمْ تَرَى بِالْجَزْءِ مِنْ بُجْعَةٍ وَأَكْفَتْ قَدْ أَزْرَتْ وَرَجِلَ
 وَسَرَايِلَ حِسَانٍ سُرِبَتْ عَنْ كُنَاةٍ أَهْلَكُوا فِي الْمُنَزَّلِ
 كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الْجَدِّينِ مِقْدَامِ بَطَلِ
 صَادِقِ التَّجْدَةِ قَرْمِ بَارِعٍ غَيْرِ مُلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الْأَسْلِ
 قَتَلَ النَّهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ ؟ بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ
 كَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْذُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعَ الْأَسْلِ
 حِينَ حَكَّتْ بُقْبَاؤُ بَرَكَا وَاسْتَحَزَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلِ
 مُمْ خَفُوا عِنْدَ ذَاكُمْ رُقَصًا رَقَصَ الْحَفَّانُ يَمْلُو فِي الْجَبَلِ
 فَقَتَلْنَا الضَّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاَعْتَدَلِ
 لَا أُلُومَ النَّفْسِ إِلَّا أَنَّا لَوْ كَرَرْنَا لَقَتَلْنَا الْمُفْتَقِلِ
 بِسُيُوفِ الْمَنْدِ تَعْلُو هَاتِمِهِمْ عَمَلًا تَطْلُومُ بَعْدَ نَهْلِ

رد حسان على ابن الزبيري

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، قال :

ذَهَبَتْ يَا بَنَ الرَّبَّزِيِّ وَقْمَةٌ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لِمُوْعَدَلِ
 وَلَقَدْ نَلْتَمَّ وَنَلْنَا مِنْكُمْ وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَانًا دَوْلِ
 نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهَوَى عَمَلًا بَعْدَ نَهْلِ
 نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ أَسْتَاهِكُمْ كَسَلَاحِ الثَّيْبِ يَا كُنْزَ الْعَصَلِ

إِذَا تَوَلَّوْنَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ هُرُوبًا فِي الشَّيْءِ الرَّسَلِ
 إِذَا شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْعِ الْجَبَلِ
 بِمُخَاطِلٍ كَأَشْرَافِ الْمَلَا مَنْ يُبْلِقُوهُ مِنَ النَّاسِ يَهْلُ
 خَافَ عَنَّا الشُّعْبُ إِذَا تَجَزَّعَهُ وَمَلَأْنَا الْفَوَاطِ مِنْهُ وَالرَّجُلُ
 بِرِجَالٍ لَسَمُ أَمْنَالَهُمْ أَبَدُوا جَبْرِيلَ نَصْرًا فَزَلُ
 وَعَلَّوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بِالتَّقَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَصَدَّقِ الرَّسُلُ
 وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رِقْلُ
 وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلِ
 وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ وَالتَّنَائِيلِ الْهَيْلُ
 فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُوعٍ جُمُعُوا مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِصْبِ الْهَمَلُ
 نَحْنُ لَا أَمْنَالَكُمْ وَلَدًا اسْتَهَا تَحْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ

قال ابن هشام : وأشدني أبو زيد الأنصاري : « وأحاديث المثل » والبيت
 [الذي قبله . وقوله : « في قريش من جوع جُمُعوا » عن غير ابن إسحاق .

شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى
 أحد من المسلمين :

نَشَجْتَ وَهَلْ لَكَ مِنْ مَنَشَجٍ وَكُنْتَ مَتَى تَذْكُرُ تَنْجَجُ
 تَذْكُرُ قَوْمَ أَتَانِي لَهُمْ أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ

قَتَلْتُكَ مِنْ ذِكْرٍ خَافَقَ مِنْ الشُّوقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ
 وَقَتْلَامٍ فِي جَنَانِ النَّعِيمِ كَرَامُ الدَّخْلِ وَالْمَخْرَجِ
 يَمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللُّوَاءِ لَوَاءِ الرُّسُولِ بَذَى الْأَضُوجِ
 غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
 وَأَنْشَاءُ أَحَدًا إِذْ شَابَعُوا عَلَى الْحَقِّ ذِي النُّورِ وَالنَّهْجِ
 فَمَا بَرِحُوا يَضْرِبُونَ الْكَمَاءَ وَيَنْضُونَ فِي الْقَسْطِ الْمُرْهَجِ
 كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاكَ مَلِكٌ إِلَى جَنَّةِ دَوَاخِ التَّوَلِّجِ
 فَكَلَّمَهُمْ مَاتَ حُرٌّ الْبَسَاءِ عَلَى مِلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرُجِ
 تَحْمِزَةً لَمَّا وَفَى صَادِقًا بَذَى هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلَجِ
 خِلَافَهُ عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ يُبْزِرُ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ
 فَلَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالْشَّهَابِ تَلَبُّ فِي اللَّهَبِ الشُّومَجِ
 وَشَمَانُ أَوْفَى بِعِيَانِهِ وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُجَنِّجِ
 عَنْ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلِ طَافِرِ الزُّبُرِجِ
 أُولَئِكَ لَا مَنَ نَوَى مَعَكُمْ مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُرْتَجِجِ

شعر ضرار في الرد على كعب

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري، قال:

أَيْخَرُجُ كَعْبٌ لِأَنْشَاءِهِ وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
 حَبِيبٌ لِلْمَذْكِيِّ رَأَى إِلَهَهُ تَرَوْحُ فِي صَادِرِ الْمُحْنَجِ

قَرَّاحَ الرُّوَايَا وَغَادَرَنَّهُ يُبْجَعُ قَسْرًا وَلَمْ يُخْذَجْ
 قُولا لَكْفٍ يُثْقَى الْبُكَاءُ وَلَيْلَى مِنْ لَحْمِهِ يَنْفُجْ
 لِمَصْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرَةٍ مِنَ الظِّلِّ ذِي قَسْطٍ مُزْهَجْ
 فَيَالَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاءَهُ وَعُقْبَةَ فِي بَجْعِنَا السَّوْجِ
 فَيَشْتَنُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخُرْجِ
 وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَعْرِكٍ أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَضْوَجِ
 وَمُتَقَتِّلِ حَزَّةٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ بِمُطَرِّدٍ ، مَلُونٍ ، مُطْجِجِ
 وَحَيْثُ انْتَهَى مُصْنَبُ ثَاوِيَا بِضَرْبَةِ ذِي هَبَّةٍ سَلْجِجِ
 بِأَحَدٍ وَأَسْيَافُنَا فِيهِمْ نَلَّهَبُ كَاللَّهَبِ الْمَوْهَجِ
 عَدَاهُ لَقِينَاكُمْ فِي الْحَسَدِيدِ كَأَسَدِ الْإِبْرَاجِ فَلَمْ تُقْتَضَجِ
 بِكُلِّ مَجْلَحَةٍ كَالْمُقَابِ وَأَجْرَدِ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ
 قَدْ سَنَامُ نَمَّ حَتَّى انْتَنَوْا سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ يُخْرَجِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العالم بالشعر ينكروها لِمَصْرَعِ . وقول
 كعب : « ذى النور والنهج » عن أبي زيد الأنصاري .

شعر ابن الزبيرى فى يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبيرى فى يوم أحد ، يَبْكِي الْقَتْلَى :
 أَلَا ذَرَفَتْ مِنْ مُقَلَّتَيْكَ دُمُوعٌ وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّابِ قُطُوعُ
 وَشَطَبَ بَيْنَ تَهْوَى الْمَزَارِ وَقَرَّتْ نَوَى الْحَى دَارُ بِالْحَلِيبِ فَجُوعُ

مَوَالِيسٍ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ وَإِنْ طَالَ تَذَرَا فُ الدَّمُوعُ رُجُوعُ
 خَذَرُ ذَا وَلَكِنْ هَلْ أُنَى أَمْ مَالِكُ أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ بِشِيعُ
 وَنُحْبَبُنَا جُرْدًا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ عَنَاجِجَ مِنْهَا مُتَلَدٌ وَتَزْرِيعُ
 عَشِيَّةَ مِيرْنَا فِي لَهَامٍ بِمُقُودِنَا ضَرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَقُوعُ
 نَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَغَبٍ كَانَهَا غَدِيرٌ بِضَوْجِ الْوَادِيَيْنِ نَفِيعُ
 فَلَمَّا رَأَوْنَا خَاطَمَهُمْ مَهَابَةً وَعَايَنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَطَيعُ
 وَوَدُّوا لَوَانِ الْأَرْضِ بِنَشْقِ ظُهُرِهَا بِهِمْ وَصَيُورُ الْقَوْمِ نَمَّ جَزُوعُ
 مَوْقِدَ عُرْبٍ بِيضٌ كَأَنَّ وَمِيقَضَا حَرِيقُ تَرَقَّى فِي الْأَيَّامِ سَرِيعُ
 بِأَيْمَانِنَا نَقَلُوا بِهَا كُلَّ هَامَةٍ وَمِنْهَا سَيَّامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
 نَحْمَدُ مَنْ قَتَلَ الْأَوْسَ غَاصِبَةً بِهِمْ ضِبَاعٌ وَطَيْرٌ يَبْعَثُنِ قُوعُ
 وَنَجْمُ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ نَمْلَةٍ بَابِدَانِهِمْ بَيْنَ وَقَعَيْنِ تَجْمِيعُ
 يُولُوا لَعَلَّ الشَّعْبَ غَادَرْنَ أَحَدًا وَلَكِنْ عَلَا وَالسَّهَرِيُّ شُرُوعُ
 كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حِمْرَةٌ ثَاوِيَا وَفِي صَدْرِهِ مَاخِي الشَّبَابِ وَقِيعُ
 يَوْمَانِ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لَوَائِهِ عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجْبُغُنِ وَقُوعُ
 بِأَحَدٍ وَأَرْمَاحُ السَّكَاةِ يَرُدُّنَهُمْ كَمَا غَالِ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ تَرْوَعُ

شعر حسان في الرد على ابن الزبير

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشأقتك من أم الوليد رُبُوع بلائِقُ مَا مِنْ أَهْلِيْنَ جَمِيعُ

عَفَاهُنَّ صَيَّفِي الرِّيحَ وَذَا كَيْفُ
 قَلَمٌ يَبْقَى إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
 قَدَحٌ ذِكْرُ دَارٍ بَدَدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
 وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَحَدٍ يَمُدُّ
 قَدْ صَابَرْتُ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
 وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ
 وَقَوْلًا إِذْ كَفَرْتُمْ بِأَسْحَنِ رَبِّكُمْ
 بِأَيْدِيهِمْ يُبَيِّضُ إِذَا أَحْمَشَ الْوَعْيُ
 كَا غَادَرَتْ فِي النَّفْعِ عُتْبَةُ ثَاوِيَا
 وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ مُشْهَدَا
 يَكْفَى رَسُولُ اللَّهِ حَيْثُ تَنْصَبَتْ
 أَوْلَانِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ قُرُوعِهِمْ
 بِهِنَ نُمَزَّ اللَّهُ حَتَّى يُعْزَنَا
 فَلَا تَذْكُرُوا قَتْلِي وَحِزَّةَ فِيهِمْ
 فَإِنَّ جَنَّاتِ الْأُخْلُدِ مَثْوًى لَهُ
 وَقَتْلًا كُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ
 مِنَ الدَّلْوِ رَجَافِ السَّحَابِ هَمُوعُ
 رَوَاكِدِ أَمْثَالِ الْحِمَامِ كُنُوعُ
 نَوَى لِمَتِينَاتِ الْحِبَالِ قَطُوعُ
 سَفِينَةٍ فَلَنْ يَلْحَقَ سَوْفَ بِشَيْعِ
 وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرُ هُنَاكَ رَفِيعِ
 وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي الْإِقْلَامِ جَزُوعِ
 لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعِ
 وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَفِي وَمُضِيعِ
 فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَ صَرِيعِ
 وَسَعْدًا صَرِيحًا وَالْوَشِيحِ شُرُوعِ
 أَيُّهَا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصِ تَجِيعِ
 عَلَى الْقَوْمِ مِمَّا قَدْ يُثْزِنُ نُفُوعِ
 وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَقُرُوعِ
 وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ بِأَسْحَنِ قَطِيعِ
 قَتِيلٌ نَوَى اللَّهُ وَهُوَ مُطِيعِ
 وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعِ
 تَحِيْمٌ مِمَّا فِي جَوْفِهَا وَصَرِيعِ

شعر عمرو بن العاص في يوم أحد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان وابن الزُبَيْرِ .
وقوله : « ماضى الشَّاة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أحد :

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَانُوا	مَعَ الْعُصْبِجِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكِ الْمُنْطَلِقِ
تَمَّتْ بَنُو الدَّجَارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا	لَدَى جَنْبِ سَنْجِ وَالْأَمَانِي تَصْدُقِ
فَمَا رَاعَهُمْ بِالْشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةً	كَرَّادِيسٍ خَيْلٍ فِي الْأَرْقَةِ تَمُرُّ
أَرَادُوا لَكَيْمًا يَسْتَسْبِحُوا قِبَابَنَا	وَدُونَ الْقِبَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرَّقِ
وَكُنْتُ قِبَابًا أُوْمِنْتُ قَبْلَ مَا تَرَى	إِذْ رَامَهَا قَوْمُ أَيْيَحُوا وَأُحْنَقُوا
كَانَ رُمُوسُ الْخَزَرِ جِيْنَ غَدَوَةً	وَأَيْمَانُهُمْ بِالْمُشْرِ قِيَّةَ بَرُوقِ

شعر كعب في الرد على ابن العاصي

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

أَلَا أُبَلِّغُكُمْ فِتْرًا عَلَى نَائِي دَارِهَا	وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلَمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ
بِأَنَّا غَدَاةَ السَّمْعِ مِنْ بَطْنِ يَثْرِبِ	صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَحْنُقِ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةٌ	إِذَا طَارَتْ الْأَبْرَامُ نَسْمُو وَنَرْتُقِ
عَلَى عَادَةِ تِلْكَمُ جَرِينَا بَصِيرْنَا	وَقَدْ مَا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَلَنَسْبِقِ
لَنَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ بِقُوْدِهَا	نَبِيٌّ آتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدِّقِ

.....

ألا هل آتى أفناء فخر بن مالك مُنْطَعُ اطْرَافٍ وهلم مُنْطَقُ

شعر ضرار في يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطّاب :

لماى وجدك لولا مُقْدَمى فرسى إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع
مازال منكم يَحْتَنِبُ الجزع من أحدٍ أصواتُ هام تَزَاقى أمرُها شاعى
موفارس قد أصابَ السيفُ مُفْرِقَه أفلاقُ هامته كَفَرَوهُ الراعى
لماى وجدك لا أنفك مُتَطَقًا بصارمٍ مثل لَوْنِ الملحِ قَطَّاع
على رِحالةٍ ولوايحٍ مُنابرةٍ نحو الصّريخِ إذا ما تَوَّبَ الدّاعى
وما انتَمَيْتُ إلى خُورٍ ولا كُشِفِ ولا لِثامٍ غداة البأسِ أوزاع
بل ضارِبين حَيِّيكَ البِيضِ إذ لَحِقُوا شُمُّ الترانين عندَ المَوْتِ لُدّاع
شُمُّ بهاليلٍ مستريحٍ حائلهم يَسْعَوْنَ للموت سَمِيًّا غير دَعْداع
وقال ضرار بن الخطّاب أيضا :

لَمَّا أَنْتَ مِنْ بَنى كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ وَأَخْزَرَجِيَّةٌ فِيهَا الْبِيضُ تَأْتِلِقُ
وَجَرَدُوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَنْدَةٌ وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَلِقُ
قُتِلَتْ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَعْرَكَةٍ نُنْسِي لِمَا خَلْفَهَا مَا هَزْهَزَ لَوْرُقُ
قَدْ هَوَدُوا كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ رِيحُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ آمَنُوا
خَيْرٌ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ مِنْهَا وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْمَجْدَ مُسْتَبَقُ

أَكْرَهْتُ مُنْهَرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرُهُمْ وَبَلَّهَ مِنْ تَجْمِيعِ عَائِكَ عَلَقَ
فَطَلَّ مُنْهَرِي وَسِرَّ بَالِي جَسِيدُهَا نَفَخَ الْعُرُوقُ رِشَاشُ الْعُطْنِ وَالْوَرَقِ
أَبْقَنْتُ أَنِّي مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِمْ حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الْحَدَقَ
لَا تَحْزَعُوا يَا بَنِي تَحْزُومَ إِنْ لَكُمْ مِثْلَ الْمَغِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ زَهَقَ
حَبْرًا وَدَيْ لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ تَعَاوَرُوا الْأَضْرِبَ حَتَّى يُدْبِرَ الشَّفَقَ

شعر عمرو في يوم أحد

وقال عمرو بن العاصي:

لَمَّا رَأَيْتُ الطُّرْبَ يَنْزِلُ شَرَّهَا بِالرَّضْفِ نَزْرًا
وَتَنَاوَلَتْ شَهْبِيلَهُ تَلْعُوسُ النَّاسِ بِالْأَضْرَامِ نَحْوًا
أَجْنَنْتُ أَنْ أَلْمُوتَ حَقًّا وَالْحَيَاةُ تَكُونُ لَفَسًا
تَحْتَكُ أَنْوَابِي عَلَى عَتَدٍ يَبْدُو لَطِيلَ رَهْوًا
سَلَسٍ إِذَا تُكِبْنِ فِي السَّبِيْدَاءِ يَمْكُو لِلطَّرْفِ عُلْوًا
وَإِذَا نَزَلَ مَاوَهُ مِنْ عِطْفِهِ يَرْدَادُ زَهْوًا
رَبِذٍ كَيْفُفُورٍ الْقَرْبِيسُ رَأَاهُ الرَّاْمُونَ دَحْوًا
شَنِجٍ تَنَاهَى ضَايِطُ اللَّخِيلِ لِإِخَاءِ وَعَدَوْا
فَقَدَيْ أَنَّهُمْ أُمِّي غَدَاةَ الرَّوْعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطْوًا
سَبْرًا إِلَى كَنْبِ السَّكْبِيسَةِ إِذْ جَلَّتْهُ الشَّمْسُ جَلْوًا

قال ابن هشام : وبعض أهل العالم بالشعر ينكرها لمرو .

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أَبْلِغْ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بَقَّةً لَنَا سَرَاتِكُمْ أَهْلَ الْأَوَاءِ قَفِيًّا يَكْثُرُ الْقِيلُ
وَيَوْمَ بَدْرٍ أَقَيْنَاكُمْ لَنَا مَدَدُ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيزَالٌ وَجَبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الْحَقِّ فَطَرُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَلَمَّا تَرَوْا أَسْرَانَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا فَرَأَى مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَمِلُوا إِنْ أَخَالَ حَرْبُ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاهُ عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمٌ وَغَايِلُ
لَمَّا بَنَوْا الْحَرْبَ تَمَرَّيْهَا وَنَفَعُجُهَا وَعِنْدَنَا لِلذَّوِي الْأَضْفَانِ تَشْكِيلُ
لَمَّا بَنَجْ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَ مَا بَلَغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي ، وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِمَاً وَمَوْعِظَةً لَمَنْ يَكُونُ لَهُ أُبٌّ وَمَعْقُولُ
وَلَوْ هَبَطْتُمْ بَيْطُنَ السَّيْلِ كَأَفْعَكُم ضَرْبٌ بِشَا كَلَّةِ الْبَطْحَاءِ تَرْجِيلُ
تَلْقَاكُمْ عُصْبٌ حَوْلَ النَّبِيِّ لَمْ مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْمُهْجَا سَرَابِيلُ
مَنْ جِذَمَ غَسَّانٌ مُسْتَرْخٍ هَامِلُهُمْ لَا حِيَنَاهُ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِلُ
يَمْشُونَ تَحْتَ عِمَائَاتِ الْقِتَالِ كَمَا تَمْشِي الْمَصَاعِبُ الْأَذْمُ الْمَرَّاسِيلُ
أَوْ يَمْشِي أَسْوَدُ الظَّلِّ النَّقْهَا يَوْمُ رَدَّاذٍ مِنَ الْجُوزَاءِ مَشْمُولُ
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٌ قِيَامُهَا فَلَجٌ كَالسَّيْفِ بِهْدُولُ

تَرَدَّ حَدَّ قِرَامِ النَّبْلِ خَاسِنَةً وَيَرْجِعُ السِّيفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقْتُولٌ
 وَلَوْ قَدْ نَمَّ يَسْلُجٌ عَنْ ظُهُورِكُمْ وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْخِيلٌ
 مَا زَالَ فِي الْقَوْمِ وَثْرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا تَغْفُو السَّلَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولٌ
 عِنْدَ وَحَرِّ كَرِيمٍ مُوتِقٍ قَدْ نَصَا شَطَرَ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٍ وَمَقْتُولٌ
 كُنَّا نُوْمِلُ أَخْرَاكُمْ فَأَعْجَبَكُم مِنْهَا فَوَارِسُ لَاعُزْلٍ وَلَا مِيلٌ
 إِذَا جَوَّ فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا حَقًّا بَأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ تَحْمُولُ
 مَا نَحْنُ لَأَنْحَنُ مِنْ إِيَّاهُمْ مُجَاهِرَةً وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْقُرْمِ تَحْذُولُ

شعر حسان في أصحاب اللواء

رَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَذْكُرُ عِدَّةَ أَصْحَابِ اللَّوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ :

— قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : هَذِهِ أَحْسَنُ مَا قِيلَ —

صَنَعَ النَّسْوَمَ بِالْقِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَقَوَّرُ النُّجُومُ
 مِنْ حَبِيبٍ أَضَافَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْنُومُ
 يَا لِقَوْمِي هَآنُ يَقْتُلُ الرَّءْءُ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَرُومُ
 لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ اللَّهِ رَّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ
 شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَقْلُو هَا لَجَسِينٌ وَلَوْ لَوْ مَنْظُومُ
 لَمْ تَكُنْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بَشْيْءُ غَيْرَ أَنَّ الشَّيْبَ لَيْسَ يَدُومُ
 إِنْ خَالَى خَطِيبُ جَانِبَةِ الْجَوْ لَأَنَّ عِنْدَ الثَّغْمَانِ حِينَ يَقُومُ

وَأَنَا الصَّغِيرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَأَى يَوْمَ ثَمَانٍ فِي الْكُبُولِ سَقِيمٍ
وَأَبِيَّ وَوَأَقْدُ أَطْلِقًا لِي يَوْمَ رَاحَا وَكَبَلُهُمْ مَخْطُومٍ
وَرَهْنَتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومٍ
وَسَطَتْ نِسْبَتِي الدَّوَابَّ مِنْهُمْ كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمٍ
وَأَبِي فِي سُمِيحَةِ الْقَاتِلِ الْقَا صِلَ يَوْمَ التَّقَتِ عَلَيْهِ الْخَصُومُ
تِلْكَ أَعْمَالُنَا وَفِعْلُ الزَّبَرَى حَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومٍ
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجْهٌ غَطَا عَلَيْهِ النَّعِيمُ
إِنْ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ دَوُو الْإِلْمِ لَدَهْرٍ هُوَ الْعَتُوُّ الزَّيْمُ
لَا تُسَبِّحُنِي فَلَنْتَ يَسْبِي إِنْ سَبَى مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
مَا أَبَالَى أُنْبًى بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ كَلَانِي بَطْنُهُ غَيْبٌ كَلِيمٍ
وَلِيَ الْبَأْسَ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أَمْرَةٌ مِنْ بَنِي مُفَعَّى صَمِيمٍ
تَسْنَعُ تَحْمِلُ الْإِوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاةٍ مِنَ الْقَنَا تَحْزُومِ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُبَيِّحُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ
بَدَمٍ عَانِكَ وَكَانَ حِفَاظًا أَنْ يُقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمِ
وَأَقَامُوا حَتَّى أُزِيرُوا شَمُوبًا وَالْقَنَا فِي نَحُورِهِمْ مَخْطُومِ
وُقْرِيشَ تَفِيرَ مِنَّا لِوَإِذَا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَتْ مِنْهَا الْخُومِ
لَمْ تَطْلُقْ تَحْمِلُهُ الْعَوَانِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ الْإِوَاءَ النُّجُومِ

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالامشاء اليوم

ليلاً ، فدعا قومه ، فقال لهم : خَشِيتُ أَنْ يُذَكِّرَنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أَصْبَحَ ،
فَلَا تَرَوْوهَا عَنِّي .

قال ابن هشام : أنشدني أبو سبيدة للحجاج بن علاط الشلمي يمدح
أبا الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ويذكر قتله طامعة بن أبي طلحة
ابن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

للهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَغْنَى ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّمِ الْمُخَوَّلَا
سَبَقَتْ بِدَاكِ لَهُ بِمَا جَلَّ طَاعِنُهُ تَرَكْتُ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَّدَتْ شِدَّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ بِالْجَرِّ إِذْ هُوَ وَنَ أَخُولُ أَخَوَلَا

شعر حسان في قتل يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقال عيسى بن ثابت يثني حمزة بن عبد المطلب ومن
أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يَا أَيُّهُمُ الْكَاسِي قَانِدِينَ بِسُحْبَةٍ شَجْوُ النَّوَاحِ
كَالْحَابِلَاتِ الرِّقْرِ بِالْ تُقَالِ الْمِلْحَاتِ الدَّوَالِ
النُّوَلَاتِ الْخَامِشَاتِ تِ وَجُوهِ حُرَاتِ الصَّاحِ
وَكَانَ سَنِيلٌ دُمُوعَهَا أَلْ أَنْصَابُ تَخَضُّبُ بِالذَّبَاحِ
يَنْفُضُنْ أَشْمَارًا لَهُنَ هُنَاكَ بَلَدِيَّةُ الْمَسَاحِ

.....

وَكَاثِبًا أَذْنَابُ خَيْلٍ بِالضُّحَى مُنْمَسٍ رَوَاحِ
 مِنْ بَيْنِ مَشْزُورٍ وَتَحْزُورٍ يُذَعِّعُ بِالتَّوَارِحِ
 يَبْكِينَ شَجَوًّا مُسْلَبًا تِ كَدَحْتَهُنَّ الْكَوَادِحِ
 وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا تَجَلُّ لَهْ حُبَّ قَوَارِحِ
 إِذْ أَهْدَى الْخِدْنَانِ مَنْ كُنَّا نَرْجَى إِذْ تُشَايِحِ
 أَصْحَابَ أَهْدَى غَالَهُمْ دَهْرٌ أَلَمْ لَهُ جَوَارِحِ
 مَنْ كَانَ قَارِسًا وَحَا مِينًا إِذَا بُعِثَ الْمَسَاحِ
 يَا حَمَزَ ، لَا وَاقَهُ لَا أَنْكَ مَاصِرَ الْقَارِحِ
 لَمُنَاحِ أَبْتِمَامِ وَأَضْيَافِ وَأَزْمَلَةٍ تُلَاحِ
 وَلَمَّا يَنْوُبُ الدَّهْرُ فِي حَرْبٍ لِحَرْبٍ وَفِي لَاقِحِ
 يَا قَارِسًا يَا مِدْرَهَا يَا حَمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمَصَاحِ
 عَنَّا شَدِيدَاتٍ اتْلُطُّوْا بَ إِذَا يَنْوُبُ لَهْنِ فَادِحِ
 ذَكَرْتَنِي أَسَدَ الرِّسْوِ لَ ، وَذَلِكَ مِدْرَهْنَا الْمُتَافِحِ
 عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاحِ
 بَعْلُو الْقَائِمِ جَهْرَةً سَبَطَ الْبِدْنِ أَغْرَ وَاضِحِ
 لَا طَائِشٌ رَعِشٌ وَلَا ذُو عِلَّةٍ بِالْحِمْلِ آيَحِ
 بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا رَأَ مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحِ
 أَوْدَى شَبَابُ أُولَى الْخَفَا تَطُ وَالْتَقِيلُونَ الْمَرَاجِحِ

.....

الْمُطْمَئِنِّينَ إِذَا مَشَا فِي مَا يُصَقِّفُهُنَّ نَاضِحٌ
 لَحْمَ الْجِلَادِ وَفَوْقَهُ مِنْ شَحْمِهِ شُطْبٌ شَرَاتِجٌ
 لِيَدَافِعُوا عَنْ جَارِهِمْ مَارَامَ ذُو الضَّفَنِ الْمُكَاشِحِ
 لَهْفَى لَشْبَانٍ رُزْنَانَهُمْ كَانَهُمُ الْمَصَابِيحُ
 نَمٌّ ، بَطَارِقَةٌ ، غَطَا رِقَّةً ، خَضَارِمَةً ، مَسَامِخُ
 الْمُشْتَرُونَ الْخَسَدَ بِالْأَمْوَالِ إِنَّ الْخَسَدَ رَاجِحُ
 وَالْجَائِزُونَ بِلُجْمِهِمْ يَوْمًا إِذَا مَا صَاح صَانِعُ
 مَنْ كَانَ يُرْمَى بِالنَّوَا قِرِينَ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِحِ
 مَا إِنْ تَزَالُ رِكَابُهُ بَرَسِمِينَ فِي غُيْرِ صَحَاحِ
 رَاحَتِ تَبَارَى وَهُوَ فِي رَكْبِ صُدُورِهِمْ رَوَاحِ
 حَتَّى تُثَوِّبَ لَهُ الْعَمَّا لِي لَيْسَ مِنْ قَوْرِ السَّقَانِجِ
 بِأَحْزَقِ قَدْ أَوْحَدْتَنِي كَالْمُودِ شَذَّ بِهِ الْكُوفِجِ
 أَنْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ التُّزْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَانِجِ
 مِنْ جَنْدَلٍ تُنْقِيهِ فَوْ قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحَ ضَارِحِ
 فِي وَاسِجٍ يَحْشُونَهُ بِالتُّزْبِ سَوْنَهُ الْمَصَابِجِ
 فَمَزَاوُنَا أَنَا نُقُولُ وَقَوْلُنَا بَرِّحْ بِوَارِحِ
 مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّا أَوْقَعَ الْحِدَاتَانِ جَانِحِ
 فَلْيَأْتِنَا فَلْيَتَبَيَّنْكَ عَيْنَاهُ لَهْلُكَانَا النَّوَافِحِ

الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَادِحِ
 مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ لَهْ طَوَالَ الدَّهْرِ مَانِح
 قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان ، وبيته :
 « للطمعون إذا المشأى » وبيته : « الجاسرون بلجيم » ، وبيته : « من كان
 يرني بالذواق » عن غير ابن إسحاق .

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكي حمزة بن عبد المطلب :

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا	بِمَدِّكَ مَوْبُ السُّبُلِ الْهَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُدْمَانَةٌ	فَمَدْفَعُ الرَّوْحَاءِ فِي حَائِلِ
سَاءَ لَهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَمَجَمَتْ	لَمْ تَذِرْ مَا مَرَجُوعَةُ السَّائِلِ ؟
دَعَّ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا	وَابْكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ
الْمَالِيَةِ الشَّبِيرَى إِذَا أَعْصَفَتْ	غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْرِ الْمَاحِلِ
وَالنَّارِكِ الْقِرْنِ لَدَى لَيْدَةٍ	يَعْمُرُ فِي ذِي الْخُرُصِ الذَّائِلِ
وَاللَّابِسِ الْخَلِيلِ إِذَا أَجْجَمَتْ	كَالَلَيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
أَبْيَضُ فِي الدَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَمْ يَمُتْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
مَالٌ شَهِيدٌ بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ	شُلْتُ بَدَأَ وَخَشِيٌّ مِنْ قَاتِلِ
أَيُّ أَمْرٍ غَادَرَ فِي اللَّهِ	مَطْـوْرَةٌ مَارِنَةٌ الْعَامِلِ

أظلمت الأرضُ نَفَقَدانهُ وأسودَ نورُ القَمَرِ النَّاصِلِ
صلى عليه الله في جَنَّةِ عَالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
كُنَّا نَرَى سَحْزَةَ حِرْزاً لَنَا في كلِّ أمرٍ نابِئاً نازلِ
وكان في الإسلامِ ذا تُندَرَأُ يَكْنِيكَ فَقَدَ القاعدِ الخاذِلِ
لا تَفْرَحِ باهْنِدِ واستَخْلِي دَمْعاً وأذرى عِبْرَةَ الثَّائِلِ
وابكى على عُتْبَةَ إِذْ قَطَّه بالسَّيفِ تحتَ الرَّهْجِ الجائلِ
إِذَا خَرَّ في مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْتُهُ جَاهِلِ
أَزْدَاهُمْ سَحْزَةُ فِي أَشْرَقِ يَمْشُونَ نَحْتَ الخَلْقِ الفاضِلِ
غَدَاةَ جِبْرِيلَ وَزِيرُ لَهُ نَعَمَ وَزِيرُ الفارسِ الحاملِ

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعبُ بن مالك يَبْكِي حمزةَ بن عبد المطلب :

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالْهُفَادُ مُسْهَدُ وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبابُ الْأَغِيدُ
وَدَعْتَ فَوَادَكَ لَهْوَى ضَمِيرَةٍ فهِوَاكَ غَوْرِيٍّ وَصَحْوِكَ مُنْجِدِ
قَدَحَ التَّمَادَى فِي الْعَوَايَةِ سَادِرَاً قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْعَوَايَةِ تُفَنِّدِ
وَلَقَدْ أُنِيَ لَكَ أَنْ تَنْهَى طَائِعَاً أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدِ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لَفَقْدِ سَحْزَةِ هَدَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعِدِ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بَمَثَلِهِ لَرَأَيْتُ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدِ
قَرَمَ تَمَكَّنَ فِي ذُوَابَةِ هَاشِمٍ حَيْثُ الثُّبُوتُ وَالنَّدَى وَالشُّوَدَدِ

وَالْعَاقِرُ الْكُومَ الْجِلَادَ إِذَا غَدَتْ
وَالْتَّارَكَ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلاً
وَوَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيهِ
وَإِنِّي الْمَنِيَّةُ مُغْلِمًا فِي أُسْرَةٍ
وَلَقَدْ إِخَالَ بِذَلِكَ هَذَا بُشِّرْتُ
حَمًّا صَبَحْنَا بِالْمَقْنَلِ قَوْمَهَا
وَبِئْسَ بَذْرٌ إِذَا يَرُدُّ وَجُوهَهُمْ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
فَأَقَامَ بِالْمَطْنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ
وَابْنُ الْمَغِيرَةِ فَدَ ضَرْبَنَا ضَرْبَةً
وَأَمِيَّةُ الْجَمْعِيِّ قَوْمٌ مَيْلُهُ
فَأَنَّاكَ قُلُ الْمَشْرِكِينَ كَانَهُمْ
خَشَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ نَاوِيًا
وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا يَكِي حَمْرَةَ :

حَفِيَّةٌ قَوِيٌّ وَلَا تَعْبَزِي
وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكََا
قَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا
وَبَكِّي الْفَسَاءَ عَلَى حَمْرَةَ
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْمِزَّةِ
وَلَيْتَ الْمَلَّاحِمَ فِي الْبِزَّةِ

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدَ — وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

شعر كعب في أحد

وقال كعب أيضاً في أحد :

إِنَّكَ عَمَرَ أَبِيكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَأْتِيَ عَنْكَ مِنْ يَحْتَدِينَا
خَيْرٌ نَسْأَلُ نَمَّ لَا تُكْذِبُنِي يُخْبِرُكَ مَنْ قَدْ سَأَلَتِ الْيَقِينَا
بِأَنَا لَبَّيْ إِلَى ذَاتِ الْعِظَا م كُنَّا نَمَلَا لِمَنْ يَفْتَرِينَا
تَلَوْدُ النُّجُومِ بِأَذْرَانِنَا مِنْ الضَّرِّ فِي أَرْمَاتِ السَّيْنَا
يَحْدُو قُضُولِ أُولَى وَجَدْنَا وَبِالصَّبْرِ وَبِالْبَذْلِ فِي الْمَدِينَا
وَأَقَمْتُ لَنَا جَلَدَاتِ الْحُرُوبِ ب تَمَّنْ نَوَازِي لَدُنْ أَنْ يُرِينَا
سَمَاطِينَ نَهْوَى إِلَيْهَا الْخُفُوفِ ق يَحْسِبُهَا مِنْ رَأَاهَا الْفَتِينَا
تَحْمِيسٍ فِيهَا عِتَاقُ الْجَبَا ل صُخْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونا
وَدَفَاعِ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفَرَا ت يَهْدِمُ جَأَوَاءَ جَوْلًا طَحُونَا
تَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُومِ م رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاطِرِينَا
فَلَمَّ كُنْتُ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا قَسَلُ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
بِنَا كَيْفَ تَفْعَلُ إِنْ قَلَصَتْ عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا حَجُونَا
أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْعِصَا ب حَتَّى تَدَّرَ وَحَتَّى تَلِينَا
وَيَوْمَ لَهُ رَهْجٌ دَائِمٌ شَدِيدُ التَّهَوُّلِ حَامِي الْأَرِينَا
طَوِيلُ شَدِيدُ أَوَارِ الْقِتَا ل تَنْنِي قَوَاحِرَهُ الْمُقْرِفِينَا

تَحَالُ السَّكَمَاءُ بِأَعْرَاضِهِ نَمَالًا عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا
تَمَاورُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُنُوسَ الْمَنَافَا بِحَدِّ الطَّيِّبِينَا
شَهِدْنَا كُفْنًا أُولَى بَاسِهِ وَنَحْتِ الْعَمَاةَ وَالْمُعَلِّمِينَا
بَحْرُنِ الْحَبِيبِ حِسَانِ رِوَاءِ وَبُصْرِيَّةٍ قَدْ أَجْمَنَ الْجَفُونَا
فَمَا يَنْفَلِنَ وَمَا يَنْتَحَنِينَ وَمَا يَنْتَهِينِ إِذَا مَا نُهُنَا
كَبْرَقَ الْخَرِيفُ بِأَبْدَى السَّكَمَاءِ يُعْجَمُ بِالْقَلِّ هَامَةً سَكُونَا
وَعَلَّمْنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا وَسَوْفَ تُقْلَمُ أَيْضًا بَنِينَا
جِلَادَ السَّكَمَاءِ ، وَبَذَلَ التَّلَا دِ ، عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا
إِذَا مَرَّ قَرْنٌ كُنَى كَسَلُهُ وَأَوْرَثَهُ بَسَادُهُ آخِرِينَا
نَسَبُ وَتَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا تَرْبَى بَيْنَنَا فِينَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزَّوْبَعَرَى فَلَمْ أَنْتَبِكْ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
خَيْمًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَّاتِ مُقِمًا عَلَى الْأَوْمِ حِينًا خِينَا
تَبَجَّجْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْعَلِيِّكَ قَاتَلَكَ اللَّهُ جِلْفًا لَعِينَا
تَقُولُ الْخَنَاسُ ثُمَّ تَرْمِي بِهِ نَقَى الثَّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذي يليه ،
والبيت الثالث منه ، وصدر الرابع منه ، وقوله « نسب وتهلك آبؤنا »
والبيت الذي يليه ، والبيت الثالث منه ، أبو زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا ، في يوم أحد :

سائلٌ قَرَيْشًا غَدَاةَ السَّيْحِ مِنْ أَحَدٍ
كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا الْأَثْمَرَ إِذْ زَحَفُوا
فَكَمْ تَرَ كُنَّا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطْلٍ
فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ
الْحَقُّ مَنَظِقُهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتُهُ
تَجِدُ الْمُقَدَّمَ، مَاضِي الَّتَمَّ، مُعْتَمِزٍ
يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَغْضِبَةٍ
يَدَا لَنَا فَاتَّبَعَاهُ نَصَدَقَهُ
جَالُوا وَجَلْنَا فَمَا فَاؤُوا وَمَا رَجَعُوا
لَيْسَا سِوَا وَشَقَى بَيْنَ أَمْرِهِمَا
مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَا قَوَا مِنْ الْهَرَبِ
مَا إِنْ تَرَايَا مِنْ آلٍ وَلَا نَسَبِ
حَامِي الدَّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ
نُورٌ مُضِيٌّ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّبِّ
فَمَنْ يُجِبُهُ إِلَيْهِ يَنْجُو مِنْ تَبِّ
حِينَ الْقُلُوبِ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبِعْ عَلَى الْكَذْبِ
وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
وَنَحْنُ نَنْقُصُهُمْ لَمْ نَأَلُ فِي الطَّلَبِ
حَزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشَّرِكِ وَالنُّصَبِ

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : وَيَمْضِي وَيَذْمُرُنَا ۖ إِلَى آخِرِهَا ،
أبو زيد الأنصاري ۖ

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقال عبدُ اللهِ بن رَوَاحَةَ يَمُنُّ بِكَيْ حَمْرَةَ بن عبد المطلب :
قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لسكف بن مالك :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقٌّ لَهَا بُكَاهَا ۖ وَمَا يُفِي الْبُكَاءُ وَلَا التَّوْبِيلُ
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا ۖ أَحْمَرَةُ ذَاكُمْ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

أَصِيبُ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
أَبَا يَنْعَلِي لَكَ الْأَرْكَانُ هَدَّتْ وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مُخَالِطُهَا تَعْلِيمٌ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَرِبٌ كَرِيمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطَلِقُ إِذَا يَقُولُ
أَلَا مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي لَوْ بَا وَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا وَقَاتِمَنَا بِهِمَا يُشْقِي الْقَبِيلُ
تَسْتَيْمُ صَرَبَنَا بِقَلْبٍ بَذَرٍ غَدَاةُ أَنَاكُمْ الدَّوْتُ الْعَجِيلُ
غَدَاةُ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرَبَمَا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَامَةٌ تَخُولُ
وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرَا جَمِيعًا وَشَيْبَةُ عَصَاهُ الْيَفُ الصَّقِيلُ
وَمَتْرَكُنَا أُمِّيَّةً مُجْلَمَبًا وَفِي حَيْرُومِهِ الدَّنُّ نَبِيلُ
وَهَامَ بَنِي رَيْمَةَ سَائِلُوهَا فِي أَسْبَافِنَا مِنْهَا فَاوُلُ
أَلَا يَا هِنْدُ فَاكِ لَأَعْمَلِي فَأَنْتَ الْوَالَةُ الْعَبْرَى الْهَوُلُ
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تَبْدِي شِمَاتًا بِحَمْزَةٍ إِنْ عَزَمَ ذَلِيلُ

شعر كعب في أحد

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِهَا أَتَفَخَّرُ مِنَّا بِمَا كَمْ تَلِي
فَخَرْنُكُمْ بَقَعَلَى أَصَابَتِهِمْ فَوَاضِلُ مَنْ نَعَمَ الْمُفْضِلُ

خَفَلُوا جَنَانًا وَأَبْقُوا لَكُمْ أَسُودًا تُحَامِي عَنِ الْأَسْبَلِ
تُقَاتِلُ مِنْ دِينِهَا وَسَطَمًا نَبِيٌّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْفَكِلْ
رَمَقَهُ مَعْدٌ بِمُورِ الْكَلَامِ وَنَزَلَ الْقِدَاوَةُ لَا تَأْتَلِي

قال ابن هشام : أنشدني قوله : « لم تلي » ، وقوله : « من نعم الفضل »
أبو زيد الأنصاري .

شعر ضرار في أحد

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطّاب في يوم أحد :

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أُرِي بِهَا الشُّهُدُ كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْنَانِهَا الرَّمْدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُفْتُ تَأَلَفَهُ قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
أَمْ ذَاكَ مَنْ شَفَبَ قَوْمَ لَاجِدَاءِ بِهِمْ إِذَا الْخُرُوبُ تَلَطَّاتِ نَارُهَا تَقْدُ
بَابِنْتِهِمْ عَنِ الْغَمِّ الَّذِي رَكِبُوا وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤْيٍ وَنَحْمٍ عَصْدُ
وَقَدْ نَشَدْنَاكُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً هَمَّا تَرَدُّهُمْ الْأَرْجَامُ وَالنَّشَبُ
حَتَّى إِذَا مَا أَبَوَا إِلَّا مُحَارَبَةً وَاسْتَحْصَدَتْ بَيْنَنَا الْأَضْمَانُ وَالْحَقِيدُ
مِرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ قَوَانِسُ الْبَيْضِ وَالْمَحْبُوكَةُ الشُّرْدُ
وَالْجُرْدُ تَرَفُّلُ الْأَبْطَالِ شَاذِبَةً كَأَنَّهَا حِيدًا فِي سَبْرِهَا تَوُدُ
جَيْشٍ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَرَأْسُهُمْ كَأَنَّهُ كَيْتٌ غَابٍ هَاصِرٌ حَرِدُ
قَابُرُ زِلْحِينٍ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَكَانَ مِنَّا وَمِنْهُمْ مُلَقَقَى أَحَدُ

فَقُودِرَتْ مِنْهُمْ قَتْلَى مُجَدَّلَةً كَالْمَعَزِ أَضْرَدَهُ بِالْعَزْدِجِ الْبَرْدِ
 قَتَلَى كِرَامَ بَنِي النَّجَّارِ وَسَطِمْ وَمُضْمَبٍ مِنْ قَنَانَا حَوْلَهُ قِصْدِ
 بُوخْزَةَ الْقَرْمِ مَعْرُوعٍ تُطِيفُ بِهِ نَسْكَلَى وَقَدْ حَزَمْنَاهُ الْأَنْفَ وَالْكَبِدِ
 كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُؤُ فِي جَدْبَقِهِ تَحْتَ الْعَجَّاحِ وَفِيهِ تُفَلِّبُ جَسِدِ
 حَوَارِؤُ نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ كَمَا تَوَلَّى النِّعَامُ الْهَارِبَ الشُّرْدِ
 مَجْلُحِينَ وَلَا يَلُوبُونَ قَدْ مُلِئُوا رُغْبًا فَتَجَتَّهِمُ التَّوَصَّاءُ وَالْكَوْثُ
 تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءً لَا يَبُولَ لَهَا مِنْ كُلِّ سَالِبَةٍ أَنْوَابُهَا قَدَدِ
 وَقَدْ تَرَكَنَا لَطِيزَ مَلْحَمَةٍ وَلِلضَّبَاعِ إِلَى أَجْسَادِهِ تَفْدِ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبِمَعْزِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِفِرَارِ .

رَجَزُ أَبِي زَعْنَةَ يَوْمَ أَحَدَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ أَبُو زَعْنَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ ،
 أَخُو بَنِي جُشَمَ بْنِ الْخَزْرَجِ ، يَوْمَ أَحَدَ :

أَنَا أَبُو زَعْنَةَ يَمْدُو بِي الْهَزَمُ لَمْ تَمْنَعْ الْمَخْرَءَ إِلَّا بِالْأَلَمِ
 يَحْمِي الدَّمَارَ خَزْرَجِي مِنْ جُشَمِ

رَجَزُ يَنْسِبِ لَعْلَى فِي يَوْمِ أَحَدَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ لَعْلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ — قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَلَهَا رَجُلٌ

من المسلمين يوم أحد غير عليّ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم
أر أحداً منهم يعرفها لعلّي:

لَا مُمْ إِنْ الْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ كَانَ وَفِيًّا وَبِنَا ذَا ذِمَّةٍ
أَقْبَلَ فِي مَهَامِهِ مُهَمَّةٍ كَلِيلَةٍ ظَلَمَ لَهَا مَذْلَمَةً
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ بَحْنَةٍ يَنْبَغِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا نَمَّةٍ

قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

رجز عكرمة في يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد:

كُفُّهُمْ يَزْجِرُهُ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
يَحْمِلُ رُمْحًا وَرَنْبَسًا جَحْفَلًا

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلي بني عبد الدار يوم أحد

وقال الأعشى بن زُرارة بن النُبَاش التميمي — قال ابن هشام: ثم أحد
بني أسد بن عمرو بن تميم — يبكي قتلي بني عبد الدار يوم أحد:

حُسَيٍّ مِنْ حَتَّى عَلَى نَائِيهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُصْرِفُ
يَمْرُؤَ سَاقِيهِمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمْ يُعْرِفُ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُرُوهُ وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ لَمْ يَصْرِفُ

وقال عبد الله بن الزبيري يوم أحد :

فَقَتَلْنَا ابْنَ جَيْشٍ فَأَغْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَخَمَزَةَ فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقَلٍ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رَجَالٌ فَأَسْرَدُوا قَلْبِيهِمْ عَاجُوا وَلَمْ تَتَعَجَلْ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَمُتَ سَيُوفُنَا سَرَاهِمَ وَكَلْنَا غَيْرَ عَزَلٍ
وَحَتَّى يَكُونَ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ وَيَلْقُوا صَبُوحًا شَرَّهَ غَيْرَ مُنْجَلٍ

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله « ويلقوا صبحاً » : عن غير ابن إسحاق .

شعر صفية في بكاء حمزة

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أَسْأَلُ أَصْحَابَ أُحُدٍ خَافَةً بَنَاتُ أَبِي مِنْ أَعْجَمٍ وَخَبِيرِ
فَقَالَ الْخَبِيرُ إِنَّ خَمَزَةَ قَدْ تَوَيَّ وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نَرْجَى وَنَرْجِي لَخَمَزَةَ يَوْمَ الْخَشْرِ خَيْرَ مَصِيرِ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ لِلصَّبَا بَكَاءَ وَحَزَنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي
مَلَى أَسَدُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِذْرَاهَا يَذُودُ عَنِ الْإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ
فِيَا لَيْتَ شَلَوِي عِنْدَ ذَلِكَ وَأَعْظُمِي لَهْيَ أَضْبَعٍ تَقْتَادُنِي وَنُورِ

أقول وقد أعلَى النَّعَى عَشِيرَتِي جَزَى اللهُ خَيْراً مِنْ أَخِي وَنَصِيرِ

قال ابن هشام : وأنشدني بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشعر قولها :

بكاء وحُزناً مُحَضَّرِي ومُـدِيرِي

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحاق : وقالتُ نعم ، امرأةُ شَماشِ بنِ عثمان ، تبكي شَماشاً ،
وأصيب يومُ أحد :

يا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضٍ غَيْرِ إِنْسَانٍ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ أَبَاسٍ
صَفِيٍّ لِلْبَدِيَّةِ مَيْمُونٍ تَقِيَّتُهُ حَمَالِ الْوَيْةِ رَكَّابِ أَفْرَاسٍ
أقولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعاً

أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعَمُ الْكَاسِي
رَقْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ بَجَالُهُ لَا يُبْعَدُ اللهُ عَنَّا قُرْبَ شَماشِ

شعر أبي الحكم في تعزية نعم

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يزيد ، يعزّيها ، فقال :

إِقْنِي حَبَاءَكَ فِي سِتْرِ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَلَنَ شَماشِ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِ النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَيِّتَتُهُ فِي طَاعَةِ اللهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ
فَدَأَى يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَماشِ قَدْ كَانَ حِمْزَةً لَيْثَ اللهِ فَاصْطَبِرِي

.....

شعر هند بعد عودتها من أحد

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعتُ وفي نفسي بلبابُ جنةٍ وقد فانتى بعضُ الذي كان مطلي
من أصحاب بدرٍ من قريشٍ وغيرهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنني قد نلتُ شيئاً ولم يكن كما كنتُ أرجو في مسيري يوماً كبي

قال ابن هشام : وأنتدني بعضُ أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فانتى بعض الذي كان مطلي

وبعضهم ينسكها لهندة والله أعلم .

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي -
صلى الله عليه وسلم - إلا من آمن منهم ، لكنه ذكر في شعر هُبَيْرَةَ الذي
بدأ به بيتين ليسا من شعره ، فلذلك ذكرتهما ، وهما :

وليلةٍ يضطلي بالفرثِ جازرها يختصُّ بالنفري المُمَرِّين دأعيا
في ليلةٍ من بجادى ذاتِ أنديةٍ جرباً مجادبةٍ قد يتُ أسريها

قوله : يضطلي بالفرثِ ، أى : يستدفي به من شدة البرد .

مول : جمع ندى وأسماء الشهور :

وقوله يَخْتَصُّ بِالنَّقَرِ^(١) للثرين ، يريد يَخْتَصُّ الْأَغْنِيَاءَ طَلَبًا لِمَكَافَأَتِهِمْ ،
ولِيَا كُلَّ عِنْدِهِمْ ، بَصَفِ شِدَّةِ الزَّمَانِ ، قَالَ يَعْقُوبُ فِي الْأَلْفَاظِ ، وَنَسَبَهُمَا لِلْهُذَلِيِّ ،
وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمَا لَيْسَا لِلْجُبَيْرَةِ وَنَسَبَهُمَا لَجُنُوبِ أَخْتِ
مَهْرُودَى الْكَلْبِ الْهُذَلِيِّ .

وقوله : ذات أُنْدِيَّة : جمع ندى على غير قياس ، وقد قيل : إنه جمع
الجمع كأنه جمع ندى على نداء مثل جَمَلٍ وَجِمَالٍ^(٢) ، ثم جمع الجمع على
أَفْعَلَةٍ ، وهذا بعيد في القياس ، لأن الجمع الكثير لا يُجْمَع ، وفعال من أُنْدِيَّة
الجمع الكثير ، وقد قيل هو جمع ندى والنْدِيُّ المجلس ، وهذا لا يشبه معنى
البيت ، ولكنه جمع جاء على مثال أفعلة ، لأنه في معنى الأهوية والأشدية^(٣)

(١) هي النقري بالفتح ، والنقري - كما يقول الحشني - أن يدعو قوما دون
قوم ، يقال هو يدعو الجفلى إذا دعاهم ، وهو يدعو النقري إذا خص .

(٢) أنظر من ٣٧٧ ج شرح شواهد الشافية المملووع مع الشافية فقد فصل
ابن جني القول عن هذا هذا والشرطة الأولى في شعر لمرة بن محلكه . وانظر اللسان
أيضا في مادة ندى .

(٣) يقول البغدادي في شرحه لشواهد الشافية بعد أن نقل قول السبيل هذا :
« وقريب منه قول الخوارزمي د ندى وإن كان في نفسه فعلا - بفتح الفاء والميم -
لكنه بالنظر إلى ما يقابله ، وهو الجفاف - فقال فن ثم كسروه على أفعلة ، ويقول
ابن جني د وأجود تكسير ندى : أنداء ، ويرد البغدادي على السبيل في قوله أن
القول بأن أندية هو جمع ندى - أي المجلس - لا يشبه معنى البيت ، رد بقوله :
« قد يمنع ، ويكون معناه : في ليلة من ليالي الشتاء ذات مجالس يجلس فيها =

ونحو ذلك ، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرِّدَّاذ والرَّشَّاش ، وهما يجمعان على أفعلة ، وأراد بجمادى الشهر ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن مجود الماء ، ثم انتقل بالأهلية وبقي الاسم عليه ، وإن كان في الصيف والقيظ ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمها ، وإن خرجت عن تلك الأوقات^(١) .

== الأشراف والأغنياء لإطعام الفقراء ، فإنهم كانوا إذا اشتد الرمان ونشأ القمح ، وذلك يكون عند العرب في الشتاء ، يجلسون في مجالسهم ويلعبون الميسر ، وينحرون الجزر ، ويفرقونها على الفقراء ، ص ٢٧٨ ج ، شرح الشافية وشواهد ما . (١) قال البغدادي في شرحه لشواهد الشافية : « وينبغي أن يعتبر هنا أصل الوضع ، وإلا فلا فائدة في ذكر اسم شهر لا يدل على شدة البرد وجود الماء ، والشاعر إسلامي ، وليس من أدرك زمن وضع الشهور ، ويحزر أن يلاحظ في الاعلام أصل وضعها . »

ويقول ابن الأثير عن أسماء الشهور : أسماء الشهور كلها مذكرة إلا جمادى فهما مؤنثان . تقول : مضت جمادى بما فيها ، فإن جاء تذكرة جمادى في شعر ، فهو ذهاب إلى معنى الشهر ، وهي غير مصروفة للتأنيث والعلمية ، والاولى والآخرة صفة لها ، فإن الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال . جمادى الاخرى ، لان الاخرى بمعنى الواحدة ، فتتناول المتقدمة والمتأخرة ، فيحمل اللبس ، ويحكي أن العرب حين وضعت الشهور وافق وضع الازمنة فاشتق للشهر معان من تلك الازمنة ، ثم كثر حتى استعملوها في الأمة وإن لم توافق ذلك الزمان ، فقالوا : رمضان لما أرمضت الأرض من شدة الحر ، وشوال لما شالت الإبل بأذناها للطروق ، وذو القعدة لما ذلوا القعدان للركوب ، وذو الحجة لما حجوا ، والمحرم لما حرموا القتال والتجارة ، وصفر لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرا ، وشهر ربيع لما أربعت الأرض وأمرعت ، وجمادى لما جدد الماء ، ==

شرح شعر كعب :

وذكر شعر كعب بن مالك يمجيب هُبَيْرَةَ وأوله : ألا هل أتى غَسَّانَ :

وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ ، قال :

ألا هل أتى غَسَّانَ في تَأْيِ دَارِهَا

ولمّا يذكر غَسَّانَ لأنهم بَنُو عَمِّ الْأَنْصَارِ ، وَالْأَنْصَارُ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ

كَفْلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِر .

والذين بالشام بنو جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِر ، وَالْكَلُّ غَسَّانُ ، لِأَنَّ غَسَّانَ

مَاءٌ شَرِبُوا مِنْهُ حِينَ ارْتَحَالِهِمْ مِنَ الْيَمَنِ فَسَمُّوا بِهِ .

وقوله : سَيْرُهُ مُتَمَتِّنِعٌ ، أَيْ : مُضْطَرَبٌ ^(١) . وقوله : الْعَرَامِيسُ :

جمع عِرْمِيسَ ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى السَّيْرِ .

وقوله : قَيْضُهُ يَتَفَلَّعُ ، أَيْ يَنْشَقُّ ، وَالْقَيْضُ : قُشُورُ الْبَيْضِ ، وَالْقَوَانِسُ :

جمع قَوْنَسٍ ، وَهِيَ بَيْضَةُ السَّلَاحِ ^(٢)

وقوله : وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَّانِ ، بِمَعْنَى الدَّرْعِ جَعَلَهَا صَمُوتًا لَشِدَّةِ

= وَرَجَبُ لَمَّا رَجَبُوا الشَّجَرَ ، وَشَعْبَانُ لَمَّا شَعَبُوا الْعُرْدَ ، ص ٢٨٠ ج ٤

المصدر السابق .

(١) الخرق : الفلاة الواسعة التي تخرق فيها الريح . ومتننّع تروى بالناء ،

والمعنى : متردد عن الخشن باختصار .

(٢) عند الخشن وفي القاموس أن القونس رأس بيضة السلاح ، أو أعلى بيضة

الحديد .

نَسَجِهَا وَإِحْكَامَ صَنْعَتِهَا ، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْيُ : الْقَدِيرُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَاءٌ
قَدْ مُنِعَ مِنَ الْجَرْيَانِ بِإِرْتِفَاعِ الْأَرْضِ ، فَغَادَرَهُ السَّيْلُ ، فَسُمِّيَ غَدِيرًا ، وَنَهَتْهُ
الْأَرْضُ فَسُمِّيَ نَهْيًا .

وقوله : وَمَنْجُوفَةٌ ، مَفْعُولَةٌ مِنْ نَجَفَتْ : إِذَا حَفَرْتُ ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ
مَنْ نَجَفَتْ الْغَزَا إِذَا شَدَّهَا بِالنَّجَافِ ، وَهُوَ الْخَبْلُ ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الرَّمَاحَ ،
فَعَنَى قَوْلُهُ : مَنْجُوفَةٌ ، أَيْ : مَشْدُودَةٌ مُنْقَعَةٌ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَسِنَّةَهَا ، فَهِيَ
أَيْضًا مَنْجُوفَةٌ ، مَنْ نَجَفَتْ إِذَا حَفَرَتْ ، لِأَنَّهُ يَمْلَأُ الرُّمَحَ دَاخِلَ فِي الْحَدِيدَةِ ،
فَهِيَ مَنْجُوفَةٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ السِّيُوفَ ، فَمَنْجُوفَةٌ ، أَيْ كَالْمَحْفُورَةِ ،
لِأَنَّهُ مُتَوْنًا مَدُوسَةً مَضْرُوبَةً بِمِطَارِقِ الْحَدِيدِ ، فَهِيَ كَالْمَحْفُورَةِ .

وقوله :

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرُّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْتَقِعُ

يقول : تَشَقُّ أَبْدَانُ الرُّجَالِ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِصَارَ فَتَقْتَقِعُ فِيهَا ، وَهِيَ جَمْعُ
بَصْرَةٍ ، وَهِيَ حِجَارَةٌ لَيِّنَةٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ ، مِثْلَ كَرِيمَةٍ ،
وَكِرَامٍ ، وَالْبَصِيرَةُ الدَّرْعُ ، وَقِيلَ : التَّرْسُ ، وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا : طَرِيقَةُ الدَّمِّ فِي
الْأَرْضِ ، فَإِنْ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ ، فَهِيَ جَدِيدَةٌ ، وَلَا مَعْنَى لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ .

شرح شعر ابن الزبيري :

وقول ابن الزبيري :

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتِ ، فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فُعِلَ

بِفِرَارِ الْجَاهِلِيَّةِ بِالْقُرْصِ :

قوله : قَدْ فُعِلَ : أى : قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، وَقَدْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُقْرِئُونَ
بِالْقَدْرِ ، وَقَالَ لَبِيدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

إِنْ تَقَوَّى رَبُّنَا خَيْرُ نَفْلٍ وَيَا ذَنْ اللَّهَ رَبَّنِي وَالْمَجَلَّ
مَنْ إِهْدَاهُ سُبُلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ
وَقَالَ رَاجِزُ هُم :

يَا أَيُّهَا اللَّامُ لُتْنِي ، أَوْ قَدَّرْ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ

وقوله : غَيْرُ مُلْتَمَاسٍ ، هُوَ مُفْتَعَلٌ مِنَ اللَّوْنَةِ كَمَا قَالَ الصَّبِيُّ :

عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذِي لَوْنَةٍ لَنَا^(١)

وَالْمَهْرَاسُ : حَجَرٌ مَنقُورٌ يُمْسِكُ الْمَاءَ ، فَيَتَوَضَّأُ مِنْهُ ، شُبَّهَ بِالْمَهْرَاسِ
الَّذِي هُوَ الْمَاهُوتُونَ ، وَوَهْمُ الْمَبْرَدُ ، فُجِّلَ الْمَهْرَاسُ اسْمًا عَلَمًا لِلْمَهْرَاسِ الَّذِي
بِأَحَدٍ خَاصَّةً ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِكُلِّ حَجَرٍ يُقَرَّرُ فَا مَسْكُ الْمَاءِ . وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنٍ

(١) فِي دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ لِأَبِي تَمَامٍ لِقَرِيبِ بْنِ أَيْفٍ أَحَدِ بَنِي الْعَنْبَرِ :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَجِبْ لِي بَنُو الْقَبِيظَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ
إِذَا لِقَامَ بِنَصْرَى مَعْشَرُ خَشْنٍ عِنْدَ الْحَفِظَةِ إِنْ ذُو لَوْنَةٍ لَنَا

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ فَارَسٍ فِي مَعْجَمِهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ فِي مَادَةِ لُوثٍ : وَ إِنْ ذُو

لَوْنَةٍ لَنَا ،

عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض فلاة كيف يفتسل منه؟ فقال مالك: هلا قلت مرًا بقدير، ومن يحمل له مهراسًا في أرض فلاة؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصًا بالمهراس، الذي كان بأحد، وكذلك وقع في غريب الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرَّ بقوم يتجاذون^(١) مهراسًا أي: يرقونه.

سمر صاه يرد به علي ابن الزبير:

قول حسان يحميه:

هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرُّسُلِ

يعنى: الفهم إذا أرسلها الراعى، يقال لها حينئذ رسل^(٢).

وقوله كأشرف العلأ، الأشرف: جمع شرف، وهو الشخص، والملا: مما اتسع من الأرض، ويريد بالأشرف هاهنا أشخاص الشجر وأصولها.

وقوله: يهل، أراد: يهال تم جزم للشرط، فأنخذت الآلف لانتقاء ملساكنين، وهو من أهول، يقال هالى الأمر يهولنى هو لا إذا أفرعك.

وقوله: وملأنا الفرط، أراد: الفرط بتحريك الراء، وهى الأكمة،

(١) فى الأصل: يتجارون والنصوب من النهاية لابن الاثير مادة جدا، وكذلك فى اللسان.

(٢) يقول الحشى عن الرسل: الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض، وقال بعض النوبين: الرسل: الجماعة من كل شىء.

وما ارتفع من الأرض ، والرجل : جمع رجلة ، وهو المطمس من الأرض ،
والرجلة أيضا في معنى الرجل من الجراد ، قال الشاعر :

وتحت نخور الخيل حرسف رجلة

يريد بالخرسف جماعة الرثا ، وهم صغار الجراد ، ضربهم مثلا للرجلة
والرثاة ، وجمع النراط : أقرط .

وقوله : ولداستها : كلمة تقولها العرب عند السب ، تقول : يا بني استها ،
والولد : بمعنى الأولاد . وكتب أهل دمشق إلى أهل مزة وهي على قرنخ
من دمشق وكانوا أمسكوا عنهم الماء فكتبوا إليهم : من أهل دمشق إلى
بني استها .

وبعد : فأما أن يُسمي الماء وإلا صبحتم الخيل . ذكره الجاحظ^(١) .

معنى يضر حذف حرف الجر ؟

وقوله في المؤمنين : أيدوا جبريل ، أي : أيدوا بجبريل وحذف الجار
فعدى الفعل فنصب ، ولا يضر هذا الحذف إلا أن يكون الفعل متعدي
بحرف جر متضمنا لمعنى فعل آخر ناصب ، كقولهم : أسرتك الخير أي كلفتك

(١) ذكره في البيان والتبيين ، والذي كتب إلى أهل مزة هو أبو الهيثم ،
ويقول راوى الخبر ثمامة بن أشرس : فوافاهم الماء قبل أن يعتموا ، فقال
أبو الهيثم : الصدق يني عنك لا الوعيد ، ص ٢٠١ ج ١ البيان والتبيين الجاحظ
ط سنة ١٩٤٨ بتحقيق عبد السلام هارون .

الخيرَ وَالزَّمْتُكَ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ نَهْيُكَ الشَّرَّ إِذْ لَيْسَ فِي مَعْنَى نَهْيِكَ
قَوْلٌ. نَاصِبٌ وَقَوْلُهُ: أَبْدُوا جِرْبِلَ ، أَيْ أَصْحَبُوهُ ، وَنَحْوُ هَذَا ، فَحَسَنَ
حَذْفُ اللَّيَاءِ لِهَذَا.

عود إلى شعر صاه :

وقول حسان :

نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ مِنْ اسْتَفْهَمٍ

رواه أبو حنيفة : نخرج الأضيّاحَ ، وهو الابن المزوج بالماء ، وهو في معنى
الْأَصْبَحَ ، لِأَنَّ الصُّبْحَةَ بَيَاضٌ غَيْرُ خَالِصٍ ، فَعَمَلُهُ وَصْفًا لِلْبَنِّ الْمَذْذُوقِ الْمَخْرُجِ
مِنْ بَطْنِهِمْ .

وقوله :

كَدَالِحِ النَّيْبِ يَا كَلْنَ الْعَصَلِ

العَصَلُ : نَبَاتٌ كَالرَّفَاقَيْنِ ^(١) يُعْضَلُحُ الْأَيْلَ إِذَا أَكَاثُهُ ، وَيَكْثُرُ شَرِبُهَا لِلْمَاءِ ،
وهو من الخَمْضِ ، وَبَنِيَتْ فِي السَّيَاخِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ .

شعر كعب بن مالك :

وقول كعب بن مالك :

(١) فِي السَّانِ : شَجَرٌ يَشْبَهُ الدَّفْلَ - بِكُسْرِ الدَّالِ وَسُكُونِ الْفَاءِ - وَفَتْحِ اللَّامِ
تَأْكُلُهُ الْإِبِلُ وَتَشْرَبُ عَلَيْهِ الْمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَلَمْ أَجِدِ الرَّفْلَيْنِ ، وَإِنَّمَا الرَّفْلُ فِي عَجَائِبِ
الْمَخْلُوقَاتِ الْقُرُونِي وَالسَّانِ .

لواء الرسولِ بذى الأضوَج

الأضوَجُ : جمع ضَوْج ، والضَّوَجُ : جانب الوادى .

وقوله : فى القَسَطَلِ المُرْهِجِ . القَسَطَلُ : الغبار ، وكذلك الرُّهَجُ ، وقد شرحنا السلجج^(١) فيما مضى ، والجلل الأذعَجُ : يعنى الأسود ، ومنه الحديث فى صفة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ، وفى أَشْفَارِهِ وَطَفٌ^(٢) .

وقوله : وَحَمَظَلَّةُ الْخَيْرِ لم يُنْحَجْ ، أى لم يُمَلِّهْ شَيْءٌ عن الطريق المستقيم ، يقال حَنَجْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَمَلْتُهُ وَعَدَلْتَهُ عن وَجْهِهِ ، ويقال أيضاً : أَحْنَجْتُهُ فهو مُنْحَجٌّ ، وسيأتى فى الشعر بمد هذا ما يدل عليه .

وقوله :

عن الحق حتى غَدَتِ رَوْحُهُ

أَنَّ الرُّوحَ لَأنَّهُ فى مَعْنَى النَّفْسِ ، وهى لغة مشهورة معروفة . أمر ذو الرُّمَّةِ - هندمونه أن يُكْتَبَ على قَبْرِه :

يَا مَارِغَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا قُبِضْتُ وفَارِجَ الْكَرْبِ أَتَقِدِّنِي مِنَ النَّارِ
فكان ذلك مكتوباً على قَبْرِه .

وقوله : فَاخِرِ الزُّبُرِجِ ، أى : فَاخِرِ الزُّيِّنَةِ ، أى ظَاهِرِهَا .

(١) السيف المرفف القاطع .

(٢) مر فى حديث أم مَعْبِد ، تعنى فى شعر أَجْفَانِهِ طُول ، والدعج : السواد فى

العين ، وقيل : شدة السواد مع شدة البياض .

وقوله : في الدَّرَكِ المُرْتَجِ ، أى المُفْلَق ، يقال : ارتجَّتْ الباب إذا أغلقتها ، وهو من الرِّتَاج ، قالت جارية من العرب ماتت أمها ، وتزوج أبوها :

ولكن قد أُنِي مِنْ دُونِ وُدِّي وبين فؤادِهِ غلق الرِّتَاجِ
ومَنْ لم يُؤْذِهِ أَلَمْ بَرَأْنِي وما الرُّثْمَانُ إِلَّا بالْمُتَاجِ
ومنه قيل : ارتج على الخطيب ، إذا أغلق عليه باب القول .

وفي شعر ضرار ^(١) : من بَحِينَا السَّوْرَجَ ، وهو فَوْعَلٌ من السَّرَاجِ
يريد المِغْيَى :

من شعر مساه :

وفي شعر حسان :

وَقَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ بِاصْخِينَ بَرَبُّكُمْ

لما أراد سَخِينَةً ، قَرَحَمَ وَعَنَى قُرَيْشًا لأنها كانت تُنْقَبُ بذلك [لداومهم
على شرب هذا الحساء المتخذ من الدقيق الذى يُسَمَّى : سَخِينَةً ^(٢) ، وفي أشعار
ضَرَّارٍ في العَيْنِيَّةِ ^(٣) منها أَمْرُهَا شَاعَ ، أراد : شَائِعَ ، فقلبت ، كما قال الآخر :
لَاثٍ به الأَشَاءُ والعَبْرِيُّ ^(٤)

(١) في السيرة : من

(٢) ما بين قوسين من شرح السيرة لأبي ذر ، وضعته لإتمام المعنى .

(٣) لا توجد ، منها ، في السيرة .

(٤) الأَشَاءُ : صفار النخل واحداً منها أشاءة ، والعبري من السدر ما ثبت على

غصن النهر ، وقيل : العبري والعمرى منه ما شرب الماء ، والذي لا يشرب الماء
يكون برياً ، وهو الضال . ولاث الشجر فهو لاث — بضم التاء — ولاث =

أراد: لائث، وكما جاء في الحديث: لَا يَحْتَكِرُ الطَّعَامَ إِلَّا طَاغٍ^(١) أَوْ بَاغٍ أَوْ زَانِعٌ أَرَادَ: زَانِعٌ .
وفي شعره القافي:

رَشَّاشُ الطَّيْنِ وَالْوَرَقِ

الْوَرَقِ: مَاتَمَّقَدٌ مِنَ الدَّمِّ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ مَا بِهِ رَهَقٌ، أَيْ عَيْبٌ، وَالْمَرْهَقُ مِنَ الرِّجَالِ الْمَمْعِيبُ.
في شعر عمرو بن العاص:

وَفِي شَعْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: يَمْشُونَ قَطَوًا. الْقَطَوُ وَالْأَفْطِيطَاءُ: مَشَى الْقَطَا^(٢)

= بكسرهما: لَبَسَ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَدْ تَنَعَمَ. وَأَمَّا لَاثٌ بَعْضُ الثَّامِ، فَقَدْ يَكُونُ فَعْلًا يَفْتَحُ فَكْسَرًا، وَقَدْ يَكُونُ فَاعِلًا حَذَفَتْ عَيْنُهُ. وَأَمَّا لَاثٌ بِكسر الثَّامِ، فَمَقْلُوبٌ مِنْ لَاثٌ، وَوزنه فاعل.
(١) في مسلم وأبي داود وابن ماجه والفساني وأحمد في مسنده: لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيءًا.

(٢) ومن معاني قصيدة عمرو كما جاء في شرح أبي ذر: يَنْزُرُ: يَرْتَفِعُ وَيُثَبِّ. الرَضْفُ: الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ. شَبَاهُ: يَعْنِي كَثِيَّةَ كَشْهَةِ السِّلَاحِ. تَلْعَوُ: تَقْتَرِضُ وَتَضَعُ. تَقُولُ لِحَوَاتِ الْعُودِ إِذَا قَشَرْتَهُ وَالْعِيدُ: الْفَرَسُ الشَّدِيدُ. يَبْذُ الْحَيْلَ رَهْوًا: يَسْقِي، وَالرَّهْوُ: السَّاكِنُ الْإِلَيْنِ. رَبْذُ: سَرِيعٌ. يَمْنُورُ: وَلَدٌ الْغُلِيَّةِ. الصَّرِيحَةُ: الرَّمْلَةُ الْمُنْقَطَعَةُ. شَنْجٌ: مُنْقَبِضٌ. نَسَاءُ: الْفَسَا عَرَقٌ مُسْتَبْطَرٌّ. الْفَنَازِدِينَ: ضَابِطٌ: بِمَسْكٍ. كَبَشُ الْكُتَيْبَةِ: رَأْسُهَا. جَلَّتْهُ: أَهْرَزَتْهُ.

شعر كعب :

وفي شعر كعب : خذم رعايل . الخذم ^(١) : النطق بالأسنان ، ورعايل :
قطع متمزقة ، يقال خباء مرعبل ، أى متمزق .

وقوله :

إنا بنو الحرب نمرها وننتجها

مستعار من مريت الناقة إذا استندرت لبنها ، وتنجها إذا استخرجت
منها ولداً ، يقال : نتجت الناقة ، وتنجها أهلها ، وأما أنتجت فتنتج فإذا دنا
تتاجها .

وقوله :

يوم رذاذ من الجوزاء مشمول

يريد من أيام لغواء الجوزاء ، وهو لغواء النعمة ، أو النعمة ^(٢) ، وذو
بني الشتاء في شهر كانون الأول ^(٣) ومشمول من الريح الشمال ^(٤) .

وقوله : النقم من اللقي ، وهو البتلل والطابن اليسير ، والرذاذ

(١) يقول الحشني من رواه بضم الخاء فيعني به قطع اللحم ، ومن رواه
بفتح الخاء ، فهو مصدر .

(٢) كانت الحمقة والصواب كما أثبت : الحمقة بفتح الهاء وسكون التاء
بفتح العين ، فهي كذا في اللسان .

(٣) هو شهر ديسمبر كما أخبرني أبتى لإشراق .

(٤) عند أبي ذر : هبت فيه ريح الشمال :

معروف ، وهو أكثر من اللطش والبغش^(١) ، والأطل نحو منه ، أو أقوى منه قليلا ، يقال : أرض مَطْلُولَةٌ ومَبْفُوشَةٌ ، ولا يقال : مَرْدُودَةٌ ، ولكن يقال : مَرْدَةٌ ومَرْدٌ عليها^(٢) قاله الخطابي .

أخبار ما قال هشام :

وذكر شعر حسان . قال ابن هشام : هذه أجود ما قال ، وهذه القصيدة التي قالها حسان ليلاً ، وفادى قومه أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ، وهما كنيستان له ، ثم أمرهم أن يرووها عنه قبل النهار ، مخافة أن يعوقه عائق ، فخر فيها على ابن الزبير بمقامات له عند ملوك الشام من أبناء جفنة ، أفتك فيها عناية من قومه .

وذكر مقام خالد عند النعمان الغساني من آل جفنة ، وليس بالنعمان ابن المنذر ، وقال فيها :

(١) البغشة المطرة الضعيفة ، وفي الأصل بالعين ، والبطش : المطر الضعيف فوق الرذاذ ، والرذاذ : المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالنبار أو هو بعد الطل . ويقول الاصمعي : الطل أخف المطر وأضعفه ، ثم الرذاذ ، والرذاذ فوق القطر . بكسر التافين .

(٢) في القاموس : أرذت السماء ورذت وأرض مرذ عليها ، ومرذودة ويوم مرذوذ ورذاذ . وكذلك في اللسان : أرض مرذ عليها ، ومرذة ومرذودة الأخيرة عن ثعلب . وقال الاصمعي : لا يقال أرض مرذة ولا مرذودة ، ولكن يقال : أرض مرذ عليها ، أما الكسائي فقال : مرذة .

(م ١٠ — الروض الأثري ج ٦)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِوَجْهِ غَطَا عَلَيْهِ النِّعَمُ
غَطَاً بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ أَشَدَّهُ يُؤْنَسُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَهَكَذَا كَانَ فِي حَاشِيَةِ
الشَّيْخِ مَذْكُوراً عَنْ يُونُسَ ، وَغَطَاً مَعْنَاهُ ارْتَفَعَ وَعَلَا ، وَأَنْشَدَ الْقُتَيْبِيُّ :

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُعْمَى مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرِيبٌ^(١)

مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ ، يُوقَالُ : مُلَاحِيٌّ كَمَا قَالَ :

كَمَنْقُودٍ مُلَاحِيَّةٍ حِينَ نُورًا

وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : مَنْ قَالَ مُلَاحِيَّةً بِالتَّشْدِيدِ شَبَّهَ بِالْمُلَاحِ وَهُوَ مَرْمَرُ
الْأَرَاكِ^(٢) وَفِيهِ مُلَوْحَةٌ ، وَقَالَ : وَالْغَرِيبُ اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعَنْبِ ، وَلَيْسَ
يَنْتَعِ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَمَّا كَانَ أَنْ تَفْهَمُ مِنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبْعَانَهُ :
(وَغَرَابِيبُ سُودٍ) فَاطَرُ : ٢٧ . حِينَ وَصَفَ الْجُدَدَ ، وَسُودٌ عِنْدِي بَدَلٌ ،
لَا نَمْتُ ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ شَرْحُ الْآيَةِ لَمَّا لَحِظْنَا مِنْ هَذَا التَّطْلِيعِ ، فَإِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ زَعَمَ
أَنْ نَغَرِيبُ يَبِ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ ، وَلَمْ يَقَيِّدْ بِشَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَفْهَمُ مِنْهُ
الْعَنْبُ الَّذِي هَذَا اسْمُهُ خَاصَّةً ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَفَهَمِ الْكِتَابِ .

(١) فِي اللِّسَانِ أَشَدَّهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَهِيَ — وَهُوَ الصَّوَابُ .

(٢) فِي اللِّسَانِ وَحَكَى أَبُو حَنِيفَةَ مُلَاحِي — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ — وَهِيَ قَلِيلَةٌ ،
وَقَالَ مَرَّةً إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمُلَاحِ — بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَضَمِّ الْمِيمِ — وَإِنَّمَا الْمُلَاحُ فِي
الطَّعْمِ ، وَالْمُلَاحِي — بِتَخْفِيفِ اللَّامِ — مِنَ الْأَرَاكِ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَشَبْهَةٌ وَحُمْرَةٌ
وَفِي اللِّسَانِ أَيْضاً : مُلَاحِي بِتَخْفِيفِ اللَّامِ : عَنْبٌ أَيْضُ .

وذكر فيه حكمة اللؤلؤ من بني عبد الدار ، وأنهم صرعوا حوله حتى
أخذته امرأة منهم وهي عمرة بنت علقمة ، فلذلك قال :
لم تطلق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللؤلؤ النجوم^(١)

سعر ابن عسوط :

وقال في شعر حجاج بن علاط يمدح علياً رضي الله عنه .

لله أي مذنب عن حرمة

ألقيت في حاشية الشيخ أبي بحر على هذا البيت في حاشية الأصل يعني
أصل أبي الوليد ، قال إبراهيم : أي نصب لأنه مديح وللمديح نصب في أي
حاليه ، فأما ابن هشام فرفع أي . قال المؤلف : وهذا الذي ذكره من
نصب أي على المديح ، لا يستقيم إلا أن تُقدّر حذف المبتدأ قبله ،
كانه قال لله أنت لأنه لا ينصب على المدح إلا بعد جملة تامة ، وأما
الرفع على أن تجعل خبره الله : فقيح لأنها وإن كانت خبراً ، فأصلها

(١) وإليك بقية شرحها من شرح السيرة لابي ذر الغفني : وأضاف :
نزل وزار . السجوم : اللؤلؤ . الحول : الصغير . أندبتها : أثرت فيها من التندب ،
وهو أثر الجرح . الكلوم : الجراحات . البجين : الفضة . الجالية : الخوض
الصغير . الجولان : موضع بالشام . إن خالي خطيب : يعني بخاله مسلمة
ابن مخلد بن الصامت . معطوم : مكسور . جر : أراد جزءاً فنقل حركة الهزرة
وحذفها . وسط : توسطت . الذوائب : الأعلى : سمجة : اسم بئر بالمدينة كان
عندها احتكام الأوس والخزرج في حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان
ابن ثابت . غطي : من رواء بتشديدها فهو معروف . فلست بسبي : السب هو الذي
يقاوم الرجل في السب ، ويكون شرفه مثل شرفه . نب : صاح . لحاق :
ذكرني . الرعاع : الضعفاء . لواذ : مستترين . الحلوم : العقول . العواتق : جمع عاتق
وهو ما بين الكتف والعتق . النجوم هنا المشاهير من الناس ، ص ٢٥٧ وما بعدها

الاستفهام فلها صدر الكلام كما كان ذلك في كم خبرية كانت، أو استفهامية،
فالتقدير إذا: فله دَرُّهُ أى مُذَبَّبٍ عن حُرْمَةٍ هو، ألا ترى أنه يَبُحُّ أن يقول:
جاءنى أى فتى، فإن جملة وصفًا جاريًا على ما قبلها، قلت جاءنى رَجُلٌ أى
رَجُلٌ جاز ذلك، لأنه إذا كان وصفًا لم تَلِه العواملُ اللَّفْظِيَّةُ، فسكانه لم
لم يخرج من أصله، إذ المبتدأ لا تليه العواملُ اللَّفْظِيَّةُ.

وقوله: أَخَوَلُ أَخَوَلًا، أى: متفرقين، ووقع تفسيره فى بعض النسخ
من قول ابن هشام، وكان أصله من الخال، وهو الخَيْلَاءُ والكبر، تقول:
فلانٌ أَخَوَلٌ من فلانٍ، أى أشدُّ كِبَرًا منه، واختيالًا، فعنى قولهم: إذا
جاء القومُ أَخَوَلُ أَخَوَلًا، أى انفرد كلُّ واحد منهم بنفسه، وازدَهاه الخالُ
أن يكون تابعًا لغيره، فكلما رأيت أحداً منهم، قلت: هذا أَخَوَلٌ من
الآخر، هذا هو الأصلُ، ثم كثر حتى استعمل فى التفرق مثلاً، وإن لم يكن
هناك من معنى الخال شيء، وقد قيل فى أَخَوَل: إنه من تَخَوَّلْتُ بالمَوْعِظَةِ،
وتخوَّها إذا فعلت ذلك شيئاً فشيئاً، وفى الحديث: كان رسولُ الله - صلى الله
عليه وسلم - يَتَخَوَّلُنَا بالموعظة، مخافة السَّامة علينا.

سمر مسامحة الخائى :

وذكر شعر حسان الخائى وقال فيه :

كَلَامِي لَاتِ الْوَقْرِ بِالنَّقْلِ الْمُخَاتِ الدَّوَالِحِ

الدَّوَالِحُ : جمع دَالِحَةٍ هِى الْمُتَنَقِّلَةُ ، وَكَذَلِكَ الدَّلُوحُ مِنَ السَّحَابِ ، وَهِيَ
الْمُتَنَقِّلَةُ بِالْمَاءِ وَفِيهِ :

يَنْقُضُنَ أَشْعَارًا لَهُنَّ هُنَاكَ بَادِيَةُ الْمَسَائِعِ

للمسائح : جميع : مَسِيحَةٌ ، وهو ما لم يُنْشَط من الشعر بدُهنٍ ، ولا شيء ،
والمَسِيحَةُ أيضاً القِطْعَةُ من اللَبْنَةِ ، والمَسِيحَةُ الفَرَسُ .

وقوله : مَنْ بَيْنَ مَشْرُورٍ ، أَيْ مُفَرَّقٍ ، وَيُقَالُ شَرَزْتُ الْمِلْحَ إِذَا
فَرَقْتَهُ (١) ، وَالْمَجْلُ كَالْجُرْحِ ، تَقُولُ : تَحَلَّتْ يَدِي مِنَ الْعَمَلِ .

وقوله : نَشَأْتُ ، أَيْ نَحَاذِرُ ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ .

وَشَايَحْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخٌ (٢)

وقوله : قَدْ كُنْتُ الْمُصَامِخَ ، وَفِي الْحَاشِيَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ الْمَصَافِحِ (٣) بِالْقَاءِ فِي رَوَايَةٍ
أُخْرَى ، وَأَمَّا الْمُصَامِخُ بِالْمِيمِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَمَخْتُ الشَّيْءِ إِذَا أَذْبَنَهُ ،
قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ ، قَالَ : وَالصَّمَخُ مِنْ الرِّجَالِ : الشَّدِيدُ التَّصَبُّبِ ، وَسِغْنُهُ

(١) فِي رَوَايَةٍ : مَشْزُورٌ ، أَيْ مَفْتُولٌ . وَيَذْعُذُ : يَفْرُقُ . وَالْبَوَارِحُ :
الرِّيَاحُ الشَّدِيدَةُ .

(٢) الشَّعْرُ لَا يَنْفُذُ الْهَذْلُ يَرْتِي رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، وَيَصِفُ مَوَاقِفَهُ
فِي الْحَرْبِ :

وَزَعْتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا مِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكَشُوح

بَدَرْتُ إِلَى أَوْلَامٍ فَسَبَقْتُهُمْ وَشَايَحْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخٌ

أَنْظَرَ الْإِسَانُ فِي مَادَّةِ شَيْخٍ وَدِيَّانِ الْهَذْلِيِّينَ ١ ص ١١٤ — ١٢٠ .

(٣) وَمَعْنَى الْمَصَافِحِ : الرِّادُ لِلشَّيْءِ ، تَقُولُ : أَنَا فِي فُلَانٍ ، فَصَفَحْتُهُ عَنْ حَاجَتِهِ

أَيْ : زِدَدْتُهُ عَنْهَا . وَالْمَصَامِخُ : الْمُدَافِعُ الشَّدِيدُ ، وَالْمُنَافِعُ الْمُدَافِعُ عَنِ الْقَوْمِ
ص ٢٦٠ شرح السَّيْرَةِ لِابْنِ خَرِّ ،

سائين الثلاثين إلى الأربعين ، والصَّاحُ فيما ذكر أبو حنيفة الرِّيحُ الْمُنْدِفَةُ .

وقوله : سَبَبٌ أو مَنَادَح ، يجوز أن يكون يَجْمَعُ : مَنْدُوحَةٌ ، وهى السَّعَةُ ،
وقياسه : مَنَادِيحُ بالياء ، وحذفها ضرورة ، ويجوز أن يكون من اللَّنْدَح ، فيسكون
مُفَاعِلًا بضم الليم ، أى مُسْكَأَرًا ، ويكون بفتح الليم فيكون جَمْعُ مَنْدُوحَةٍ مَفْعَلَةٌ
من الكثرة والسَّعة ، وأما قولهم : أنا فى مَنْدُوحَةٍ من هذا الأمر ، فهى مَفْعُولَةٌ
من اللَّنْدَح ، وَوَم أبو عُبَيْد ، فجعله من انداحَ بَطْنُهُ إِذَا اتَّسَعَ ، والنون فى
مَنْدُوحَةٍ أَصْلٌ ، وهى فى انداح زائدة ، لأن وزنه انْفَعَلَ ، والألف فى انداحَ
أَصْلٌ وهى بدل من واو كأنه مَنْدُوحَةُ الشَّج ، والليم فى مَنْدُوحَةٍ زائدة ،
والدال عين الفعل ، وهو فى انداحَ فاء الفعل ، ومن هاهنا قال الخطابى : ياء عَجَبًا
لابن قُتَيْبَةَ بترك مثل هذا من غَلَطَ أبى عُبَيْد ، ويعتف فى الرد عليه ، فيما
لا بآل له من الغَلَطِ .

وقوله : خَضَارِمَةٌ : جمع خِضْرَمٍ ، وهو الكثير العطاء .

وقوله : يَرْمِنَنَّ مِنَ الرَّسِيمِ فى السَّيْرِ ، والصَّحَّاحُ صَحٌّ : جمع صَخَصَحَ ، وهى
الأرض التَّلَسَّاءُ .

وقوله : ليس من قَوْزِ السَّفَائِحِ ، السَّفَائِحُ : جمع سَفِيحَةٍ ، وهى
كُجْلُوَاتِي^(١) ونحوه .

(١) المفرد جوالق بضم الجيم وكسر اللام وفتحها ، أو بكسر الجيم واللام .
وجمعها جوالق كصحائف ، وجوالق بفتح الجيم ، وجوالقات بضم الجيم . =

شعر صباه العاصمي :

وقال في القصيدة اللامية: ذي الخرمس الذابل، يريد: الرمخ، والخرمس
سيفه وجمعه خرمسان. وفيه: شلت بدا وخشي من قاتل.

ترك شربن العلم للضرورة :

ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً، والعلم قد يُترك صرفة كثيراً،
ومنع من ذلك البصريون، واحتج السكوفيون في إجازته بأن الشاعر قد يحذف
الحرف والحرفين نحو قول علقمة [بن عبده] :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُم ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مُقَدَّمٍ بِسَبَا الْكَتَانِ مَلْثُومٌ^(١)

أي بسباب، وقول أبيد :

كأَلْهَامٍ لِيَجْ^(٢) بِأَيْدِي التَّلَامِ

= والجر الن: وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما كالغفارة. وعند أبي ذر: أن
أن السقائح: جمع سفيح، وهو من تداح الميسر.

(١) لم يكن في الروض غير قوله: بسبا الكتان، والسببية هي الشقة.

(٢) هي في الأصل: الحلاميح، ولا معنى لها، والحاليج: جمع حلاج -
بكسر الحاء - منفاخ الصائع. وفي اللسان في مادة تلم ورد هذا البيت منسوباً إلى
لطر ماح يصف بقرة :

تلقى الشمس بمدرية كالحاليج بأيدى التلامي

وقال: التلام: اسم أجمعي، وفراد به الصاع، وقيل: غلبان الصاع، يقال هو بالكسر
يقراً بإثبات الياء في القافية - ورواه بعضهم بأيدى التلام - فنرواه بفتح التاء وإثبات الياء
أراد التلاميذ يعني: تلاميذ الصاع. ومن رواه بكسر التاء من تلام، فهي جمع تلم:
الغلام. وقيل كل غلام تلم تلميذاً كان أو غير تلميذ والجمع التلام وقيل: التلام بالكسر =

أى التلاميذ .

وقال ابن السراج محتجاً عليهم : ليس التعوين من هذا في شيء ولأنه زائد
لمعنى ، وما زيد لمعنى لا يحذف .

شعر كعب

وفى شعر كعب :

طَرَقْتُ مُهْمُومًا قَالَهُ قَادُ مُسَهَّدُ

أراد الرقاد مُسَهَّدُ صاحبه ، لحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ،
وهو الضمير المحذوف ، فصار الضمير مفعولاً لم يُسم فاعله ، فاستقر في
المُسَهَّد^(١) . ومنه :

وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ

أى : الأغيدُ صاحبه ، وهو الناعم .
وقوله : والخيل تَنْفِهُهُمْ ، أى : تنبع آثارهم .
وهو ما حول الخلف منه .

قصيدة كعب الرائية :

وقول كعب فى الشعر الزائد :

== الخلاج الذى ينفع فيه ، والتلام بالفتح التلاميذ التى تنفع فيها . واسد

كالتلاميذ بأيدي التلام

وانظر مادة خلاج من اللسان . والتلاميذ : الخدم والاتباع .

(١) ذهب أبو ذر لى ما ذهب إليه السهيلي ، ولكنه زاد : ويجوز أن يكون

وصف الرقاد بأنه مسهد على وجه المجاز .

وَلَيْتُ الْمَلَحِمَ فِي الْبِرَّةِ

الْبِرَّةُ: الشَّارَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْبِرَّةُ السِّلَاحُ أَيْضًا، وَهُوَ مَنْ بَرَزَتْ الرِّجْلُ، إِذَا سَلَبَتْهُ بَرَزَتْهُ، يُقَالُ: مَنْ عَزَّ بَرٌّ، أَيْ: مَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَالْبُرْزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

نونية كعب:

وقال أيضًا في القصيدة النونية.

تَلُوذُ الْبُجُودُ، بِأَذْرَائِنَا

الْبُجُودُ: جَمْعُ بَجْدٍ، وَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُرْوَى الْبُجُودُ بِالْفَوْنِ، وَهِيَ لِلرَّأَةِ التَّبَكُّرُوتُ. وَالْبُجُودُ مِنَ الْإِبِلِ: الْقَوِيَّةُ^(١) وَقَوْلُهُ: بِأَذْرَائِنَا جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ قَوْلِهِ: أَنَا فِي ذَرٍّ فُلَانٍ، أَيْ فِي سِتْرِهِ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ: لَيْسَ فِي الشَّجَرِ أَذْرٌ مِنَ السَّمِّ، أَيْ أَذْرًا ذَرًّا مِثْلَهُ، لِأَنَّهُ يُقَالُ: لَمَّا حَلَّتْ أَحَدٌ عَرْدًا^(٢) قَطَّ فِي ذَرٍّ سَلَمَةٍ.

وَقَوْلُهُ: جَلَمَاتِ الْخُرُوبِ. مِنْ قَوْلِكَ جَلَمْتُ الشَّيْءَ، وَجَرَسْتُهُ إِذَا قَطَعْتَهُ، وَمِنْهُ: الْجَلَمَانُ^(٣). وَقَوْلُهُ: لَدُنْ أَنْ بَرِينَا أَيْ خَلَقْنَا، وَالْبَارِي: الْخَالِقُ^(٤) سُبْحَانَهُ، أَيْ هَذَا حَالُنَا مِنْ لَدُنْ خَلَقْنَا.

(١) وهي في السيرة: النجوم ويعني: المشهورين من الناس.

(٢) الصرد يسكون الراء وفتحها: البرد أو شدته.

(٣) هما المقرضان واحدهما: جلم. وقيل الجلم الذي يجر به الصوف والشعر، والجلبان شفرتاه.

(٤) يقول ابن الأثير عن الباري: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، =

وقوله : يحسبها من رآها الفَتِينَا ، هي الصخور السود ، سُمِّيت بذلك لأنها تشبه ما فُتِنَ بالنار ، أى : أُحْرِق . وفي التنزيل : ﴿ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ القاريات : ١٣ وأصل الفتن ^(١) الاختبار ، وإنما قيل : فُتِنَتْ الحديدة بالنار ، لأنك تختبر طيبها من خبيثها .

وقوله : دَوَاجِنَ حُمْرٍ أَوْ جُونًا ، أى : حُمْرٌ أَوْ سَوْدٌ ^(٢) ، وقوله : جَأَوَاءَ ، أى : كَجَيْبَةٍ لَوْ أَنَّهَا لَوْنُهَا لَوْنُ الْحَدِيدِ .

وقوله : جَوْلًا طَحُونًا : الْجَوْلُ : جَانِبُ الْبَهْرِ .

وقوله : إِنْ قَلَصْتَ ، يعنى الحرب ^(٣) ، ثم وَصَفَهَا فَقَالَ : عَضُوضًا حَجُونًا مِنْ الْعَصِّ ، وَحَجُونًا مِنْ حَجَنْتُ الْعُودَ إِذَا لَوَيْتَهُ ^(٤) ، وقوله :

== وهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها يفرقه من المخلوقات ، وقلبا تستعمل في غير الحيوان ، فيقال : برأ الله النسمة ، وخلق السموات والأرض . ويقول أبو هلال المسكري في فروقه عن البرية : البرية فميلة من برأ الله الخلق ، أى : ميز صورهم ، وترك هذه لكثرة الاستعمال ، وقيل أصل البرية البرى وهو القطع ، دسمى برية لأن الله عز وجل قطعهم من جملة الحيوان فأفردهم بصفات ليست لغيرهم ، أما الخالق ، فهو كما يقول ابن الأثير - الذى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة ، وأصل الخلق : التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير : خالق . وقد ذكر القرآن الإسمين ، فلا يمكن أن يكون أحدهما عين الآخر في معناه الكلى .

(١) في الأصل : الفتى .

(٢) الدواجن : المقيمة .

(٣) وقلصت : ارتفعت وانقبضت .

(٤) الحجون : المعوجة الأسنان .

أَلَسْنَا نَشُدُّ عَلَيْهَا الْمَصَابَ حَتَّى تَدُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا

هذا كله من صِفَةِ الحرب ، شبهها بِنَاقَةٍ صَمْبَةٍ قَلَمَتْ ، أَيْ صَارَتْ قَلُوصًا ، أَيْ إِنَا نُذَلِّلُ صَمْبَهَا ، وَنَلِينُ مِنْ خِرَاسِيهَا . وَقَوْلُهُ : وَيَوْمَ لَهُ رَهَجٌ دَائِمُ الرِّهَجِ : الْغُبَارُ .

وَقَوْلُهُ : شَدِيدُ التَّهَوُّلِ : جَمْعُ تَهَوُّيلٍ ، وَالتَّهَوُّيلُ : أَلْوَانٌ مُخْتَلِفَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ [عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ عَسَلَةَ] يَصِفُ رَوْضًا :

وَعَارِبٌ قَدْ عَلَا التَّهَوُّيلُ جَنْبَهُ لَا تَنْفَعُ الثَّقَلُ فِي رَرْقَرَاهِ الْخَافِي^(١)

وَقَوْلُهُ : حَامِي الْأَرِينَا : جَمْعُ إِرَةٍ ، وَهُوَ مُسْتَوْ قَدْ النَّارِ ، يَمْجُزَانُ يَكُونُ وَزْنُهَا هِلَةً مِنَ الْأَوَارِ ، وَهُوَ الْحَرُ ، فَحُذِفَتِ الْمُدَّةُ ، وَهَمَزَتِ الْوَاوُ لَا تَكْسَارَهَا ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ وَزْنُهَا قِطْعَةً مِنْ تَأَرَّيْتُ بِالْمَكْنِ ، لِأَنَّهُمْ يَتَأَرَّوْنَ حَوْلَهَا ، وَهَذَا الرَّجْعُ الصَّحِيحُ ، لِأَنَّهُمْ يَجْمَعُونَهَا عَلَى إِرَيْنِ مِثْلِ سَنِينَ ، وَلَا يَجْمَعُ هَذَا الْجَمْعُ الْمُسْلِمُ كَجَمْعٍ مَنْ يَعْقِلُ إِلَّا إِذَا حُدِّقَتْ لَامُهُ ، وَكَانَ مُؤَنَّنًا ، وَكَانَ لَامُ الْفَعْلِ حَرْفَ هِلَةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَذْكَرٌ كَالْأَمَةِ ، إِنَّمَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ الْأَرْبَعَةُ جُمِعَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ فِي الرِّفْعِ . وَالْيَاءُ وَالنُّونُ فِي الْخَفْضِ وَالنَّصْبِ ، كِسَيْنِ

(١) يَصِفُ بِهِ مَا أَخْرَجَهُ الزُّرْعُ مِنَ الْأَلْوَانِ ، وَفِي الْمَحْكَمِ يَصِفُ نَبَاتًا وَقَدْ لَسِبَهُ اللَّسَانُ فِي مَادَّةِ هَوْلٍ كَمَا أَثْبَتَ لِعَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ عَسَلَةَ وَهُوَ أَخُو بَنِي مَرَّةَ بْنِ هَامٍ بْنِ مَرَّةَ بْنِ ذَهْلٍ بْنِ شَيْبَانَ . وَبَيْتُهُ هَذَا مَعَ أَرْبَعَةِ غَيْرِهِ فِي الْمَفْضَلِيَّاتِ الْقَضْبِيَّ وَانْظُرْ ص ٥٧ سِمَطُ اللَّكَلِ . الْبَكْرِيُّ ١ - وَص ٢٥٤ الْأَمَالِيُّ لِلْقَائِلِ ج ٢ وَاللَّسَانُ مَادَّةُ هَوْلٍ وَلَنَا . وَص ٢٣٥ الْمُزْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ لِابْنِ الْقَامَرِ الْحَسَنِ ابْنِ بَشَرَ بْنِ يَحْيَى الْأَمْدِيُّ ط ١٩٦١ .

وعِضِينَ ، غير أنهم قد قالوا رِقِينَ^(١) في جمع الرِّقَّةِ وهى الورقُ وقد تكلمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أَوْضِينَ فى « نتائج الفكر » بما فيه جَلَالِه والحدِّثه .
وقوله : كنار أبى حُبَّاحِبٍ والضَّيْنَا^(٢) يقال أبو حُبَّاحِبٍ ذُبَابٌ يُلْعَمُ بالليل ، وقيل كان رجلاً لثماً لا يرفع ناره^(٣) خَشْيَةَ الأضياف ، ولا يوقدُها إلا ضَعِيفَةً ، وترك صَرْفَهُ ولم يَخْفِضْ ، وهو فى موضع الخفض ، لما قدَّمناه من أن الاسم إذا تَرَكَ صَرْفَهُ ضرورةً أو غير ضرورة ، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التثْنُونُ ، ثلثاً بَشِيَّةً ما بُضِيفَهُ التَّكْلُمُ إلى نفسه ، وقال أبو حنيفة : لا أدرى ما حُبَّاحِبٌ ولا أبو حُبَّاحِبٌ ، ولا يلقى عن العرب فيه شيء^(٤) ، وقال فى الإِرة عن قوم حكى قولهم : هو من أَرَيْتُ الشئ إذا عملته ، وقال : الأَرَى هو عمل النحل وفعلها ،

(١) فى الأصل : رقيق وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والرقعة : الدرهم المضروب . ورقون فى حال الرفع ، ورقين فى حال النصب والحجر .
(٢) لا يوجد فى القصيدة ما ذكره ، ولكنه يدت للكيت هو :
وى الزاءون بالشفرات منها كنار أبى حبابب والطيبنا
ولما ترك الكيت صرْفَهُ ، لأنه جعله اسماً لمؤنث .

(٣) كان من محارب خصفة ، وقد ضرب بناره المثل ، فقالوا : نار الحبابب لما تقدحه الخيل بموافرها ، فان ما أورت الخيل لا ينتفع به كما لا ينتفع بنار الحبابب ، وقيل لأنه كان إذا انتبه منتبه ، ليقبس من ناره أطفاها ، وقد اشتق ابن الأعرابي نار الحبابب من الحبجة . وهى الضعف . وأما : أم حبابب فدوية مثل الجندب تطير صفراء خضراء . رطلها .

(٤) قال : ويؤم قوم أنه البراع ، والبراع فراشة إذا طارت ظن أنها شررة . وقيل إن الحبابب هو طائر أطول من الذباب فى دقة يطير فيما بين المغرب والمساء .

ثم سمي المثل أرباً لهذا كما يُسمَّى مزجاً وأنشد [لأبي ذؤيب الهذلي] :
وجاؤا يمزج لم يرَ الناسُ مثله هو الضحك إلا أنه عمل الذحل^(١)
قال : والضحك : الزبد الأبيض ، وقيل الثغر ، وقيل الطلع ، وقيل :
العجب .

وقوله : والظليتنا : جمع ظبية ، جمعتها على هذا الجمع المسلم ، لما قدمناه
في الأرين والسنين ، غير أنه لم يكسر أول الكلمة كما كسرت السنين من سنين
إشباعاً بالجمع ، لأن ظيين لا يشبه أن يكون واحداً ، إذ ليس في الأسماء فاعيل ،
وكسر أول^(٢) سنين إيداناً بأنه جمع كي لا يتوهم أنه اسم على فاعول . إذ
ليس في الأسماء فاعول ولا فاعيل ولم يبلغ سيديوه أن ظبية تجمع على ظيين . وقد
جاء في هذا الشعر ، وفي غيره كما تراه .

وقوله : قوا حيزه : جمع قاحيز وهو الوثأب القلق ، يقال : قَحَزَ قَحَزَانَا

(١) نى اللسان في مادة ضحك : فجاء .

(٢) بعضهم - كما جاء في اللسان - يقول : سنون بضم السين ، وبعضهم يجعل
النون في سنين هي علامة الإعراب فيقول . هذه سنين بضم النون مع تنوينها ،
ورأيت سنينا ، وبعضهم يجعل النون نون الجمع ، فيقول هذه سنون ، ورأيت
سنين ، ولتحريز بعض تفصيل في هذه المسألة . فقالوا : الغالب في باب سنه وأخواتها
أن ما كان منه مفتوح الفاء في المفرد فإنه يكسر في الجمع مثل سنه وسنين ، وما كان
مكسور الفاء في المفرد لم يتغير في الجمع ، مثل مائة ومئين وعضه وعشرين وعزه
وعزين وما كان مضموم الفاء يجوز فيه الكسر والضم ، مثل : ثبة وثبين . انظر
ص ١٧٤ من التصريح على التوضيح لابن هشام .

[وَحَزْزًا وَفُحُوزًا] (١) ، إِذَا وَتَبَ وَقَاتَى . وقوله : بِحُرْسِ الْحَيْسِ ، يَصِفُ
الشَّيْفَ بِالْحُرْسِ لَوْقُوعِهَا فِي الدَّمِ وَاللَّحْمِ .

وقوله : حِسَانِ رِوَاءٍ : مِنَ الدَّمِ ، وقوله : بُصْرِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى بُصْرَى .
مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، كَمَا أَنَّ الْمَشْرِقِيَّةَ مَنْسُوبَةَ إِلَى مَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ،
لِأَنَّهَا تُصَنِّعُ فِيهَا .

وقوله : قَدْ أَجِنَ الْجُفُونَا ، أَيْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِيهَا ، وَمَلَلْنَاهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ
هِشَامٍ لِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : مَا طَعَامُكَ ؟ قَالَ : الْخُبْزُ بِالزَّيْتِ ، قَالَ : أَمَا
تَأْجِيهُمَا ؟ قَالَ : إِذَا أَجِئْتُهُمَا تَرَكَتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا .

وقوله : وَنَحْتُ الْقِمَامَةَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ ، بِإِسْقَاطِ الْوَاوِ مِنْ أَوَّلِ الْقِسْمِ الثَّانِي (٢) وَقَعَ
فِي الْأَصْلِ فِي الْخَاشِيَةِ ، وَنَحْتُ الْقِمَامَةَ بِوَاوِ الْمُعْطَفِ وَقَعَ فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَبِهَا
يَكْمُلُ الْوِزْنُ وَلَا يَجُوزُ إِسْقَاطُهَا إِلَّا عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ الَّذِي يُجِيزُ الْخُرْمَ
فِي أَوَّلِ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ ، كَمَا يَجِيزُهُ الْعَرُوضِيُّونَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ .

وقوله : نَطِيفُكَ الْمُنْدِيَاتِ : أَيْ الْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ .

وقوله : تَبَجَّثْتُ ، مِنْ تَبَجَّسَ الْمَاءُ ، إِذَا انْفَجَرَ .

(١) مَا بَيْنَ الْقُرْصَيْنِ مِنَ الْقَامُوسِ .

شعر ضرار

وقول ضرار في قصيدته الدالية يكتبو في جد يته^(١)، أى : فى دمه .

وقوله : تغلب جسد ، يريد تغلب الرمح ، وجسد من الجسد وهو الدم^(٢) .

وقوله : الأضغان والحقد ، حرك القاف بالكسر ضرورة ، ولو وقف على الدال بالسكون ، وكان الاسم مخفوضاً كان الكسر أحسن فى الوقف ، قال : واضطغافاً بالرجل ، أى : الرجل^(٣) .

وقوله : التوضاء والكؤود ، يريد الرملة القويص مملكتها ، والكؤود : جمع عقبة كؤود وهى الثاقبة .

(١) عند الخشنى : طريقة الدم .

(٢) التغلب ما دخل من الرمح فى السنان . وجسد يبس عليه الدم . الخشنى ص ٢٧٢ .

(٣) انظر ص ٣٢١ - ٣٢٠ الشافية لابن الحاجب مع شرحها لرضى ، وقد أنشد الشان :

أرتنى حجلاً على ساقها ففش الفؤاد لذاك الحجلاً
فقلت ، ولم أخف عن صاحبي إلا أنا أصل تلك الرجل

ثم قال : أراد الرجل — بكسر الراء وسكون الجيم — والحجل — بضبط الرجل — فالتى حركة اللام — وهى الكسر — على الجيم . وليس هذا وضاعاً . لأن فعلاً — بكسر الفاء والعين — لم يأت إلا فى قولهم : إبل وإطل .

رمز عكرمة :

وقول عكرمة : أَرْحَبَ هَلَا ، هو من زَجَرَ الخيل ، وكذلك هِطَطَ وهِطَطَ
يُؤْثَبُ وسَقَبُ ^(١) . وذكر قول نعيم :

شعر نعيم :

بَاعَيْنُ جُودَى بَفِيضٍ غَيْرِ إِبْسَاسٍ

الإبْسَاسُ : أَنْ تَسْتَدِرَّ لَبَنَ النَّاقَةِ بَأَنْ تَمْسَحَ ضَرْعَهَا ، وتقول لها : بَسْ
بَسْ فاستعارت هذا المعنى للدفع الفائض بغير تَكْلُفٍ ولا اسْتِذْرَارٍ له .
وقولها : صَغَبَ الْبَدِيَّةَ ، أى : بَدِيَّتَهُ ^(٢) لَا تُعَارِضُ وَلَا تُطَاقُ ، فكيف
رَوَيْتُهُ وَاحْتِفَالُهُ .

شعر كعب الهملي :

وفي شعر كعب :

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بِكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاهُ وَلَا التَّوِيلُ
وضع التصور في موضعه ، والممدود في موضعه ، لأن البُكَاهَ مَقْصُورٌ بمعنى

(١) سبق ذكرها . وهِطَطَ عن المبرد وحده . وقد كررها في الروض مرتين ،
وأظن أن الأخرى : هَبَّ بكسر ففتح وهى من زجر الخيل أيضاً .
(٢) البديهة : سداد الرأي عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه .
من غير أعمال للفكر ، ولا علم يسبها ، وأول كل شيء وما يفجأ منه .

الحزن والغم ، وإن كان ممدوداً فهو الصَّراخُ ، وكذلك قياس الأصوات أن تكون على فُعال ، فقوله : حُقَّ لها بُكَّاءُ ، أى حق لها حزنُها ، لأنه الذى يَحِقُّ دون الصَّراخ . ثم : قال : وما يُغنى البكاء ولا القويلُ ، أى : ليس ينفع الصَّياحُ ولا الصَّراخُ ، ولا يُجْدَى على أَحَدٍ ، فتزلات كُلُّ كلمةٍ منزَلَتِها .

وقوله : حُقَّ لها ، أى : حَقَّ ، والأصل : حَقَّقَ على فِعَلٍ ، فبكَّاءُ : فاعِلٌ لا مفعول ، وكل فِعْلٍ إذا أردت المبالغة فى الأمر ومعنى التَّعَجُّبِ نقلت الصَّيْئَةَ من عين النعل إلى فائه ، فمقول : حُسْنُ زَيْدٍ ، أى حَسَنَ جداً ، فإن لم تُرِدْ معنى التَّعَجُّبِ لم يَجْزِ إِلَّا الضَّمُّ أو التَّنْكِيسُ ، تقول : كَبُرَ زَيْدٌ وَكَبُرَ ، ولا تقول كُبِرَ إِلَّا مع قَصْدِ التَّعَجُّبِ . قال الشاعر [الأخطل] :

فقلتُ : اقتُلوها عنكم بِمِزاجِها وَحُبَّ بها مَقْتُولَةٍ حين تُقَتَّلُ

يعنى الخمر . وقال آخر : [سهم بن حنظلة القنوى] :

لَمْ يَتَّبِعِ الْقَوْمُ مَنِى مَا أَرَدْتُ وَلَمْ أُعْطِ بِهِمْ مَا أَرَادُوا حُسْنِ ذَا أَدْبَاً^(١)

أى حَسَنَ ، وقال آخر :

أَلَا حُبَّ بِالْبَيْتِ الَّذِى أَنْتَ زَائِرُهُ

(١) سبق هذا وانظر ص ٤١ ؛ إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيب التبريزى

ص ٤٤ . ففيهما ما نقل السهيل وعنه وعن التبريزى نقلت اسم الأخطل ، ونقلت

اسم سهم بين حنظلة وعن كتاب تهذيب لإصلاح المنطق لابن زكريا يحيى بن على

ابن الخطيب التبريزى ص ٥٤ .

(١١٢) — الروض الأفق ج ٦)

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المصلي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة .

وقال : بالبيت ، لأن معناه كعني أخيب بالبيت تمجيباً . وقول كعب :

أَبَا يَغْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هَدَّتْ

كان حمزة يُكنى أبا يَغْلَى بابنه يَغْلَى ، ولم يعيش حمزة ولده غيره ، وأعقب يَغْلَى خمسة من البنين ، ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب ويكنى حمزة أيضاً أبا عمارة ، وقد تقدم ذكره في المبحث ، بهذه الكنية ، قيل : إن عمارة بنت له كُنِيَ بها ، وهي التي وقع ذكرها في الشنن للدارقطني : أن مولى لحمزة مات ، وترك^(١) بنتاً فَوَرِثَتْ منه النصف ، وورثت بنت حمزة النصف الآخر ، ولم يسمها في الشنن ، ولكن جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن . لبكر بن العلاء والله أعلم ، وقد روى أن الولاء كان لها ، وأنها كانت الممتعة لاحتزة .

(١) في جمهرة ابن حزم ، ولد حمزة عمارة أمه خولة بنت قيس بن فهد الانصاري ويعلى وعامر أمهما أنصارية ، وابنة تزوجها سلمة بن أبي سلمة .

نسب عضل والقارة

قال ابن هشام : عَصَل والقارة ، من البَون بن خَزَيْمة بن مُدْرَكَة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابحث معنا نفراً من أصحابك يُفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبحث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب ؛ وخالد بن البكير اللبي ، حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ وحبيب بن عدي ، أخو بني جحجحي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة بن معاوية ، أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهديل بناحية الحجاز ، على صدور الهدأة غلبوا بهم ، فاستعبرخوا عليهم هذيل ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوم ؛ فأخذوا أسياقهم ليقاتلهم ، فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقاتلوا :
والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقال عاصم بن ثابت :

مَا عَلَيَّ وَأَنَا جَلَدٌ نَابِلٌ وَالْقَوْمُ فِيهَا وَرَثَ عُنَابِلُ
تَزَلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا التَّمَايِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَهُ نَازِلُ بِالْمَرْءِ وَالْمَرْءُ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأَتَى هَابِلُ

قال ابن هشام : هابل : ناكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَّةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
إِذَا النَّوَاجِي افْتَرَشَتْ لَمْ أُرْعَدُ وَنُجْنَا مِنْ جِلْدِ ثَوْرِ أَجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدٍ

وقال عاصم بن ثابت أيضاً :

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَأَى وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كَرَامًا
وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُكْنَى : أَبَا سُلَيْمَانَ . ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ
وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ .

حماية الدبر لعاصم

فلما قُتِلَ عَاصِمُ أَرَادَتْ هَذِيلُ أَخْذَ رَأْسِهِ ، لِيَبْيُمُوهُ مِنْ سُلَافَةِ بِنْتِ سَعْدٍ

ابن شهيد ، وكانت قد نذرت حين اصاب ابنها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرين في فخذه الخمر ، فمنعته الدبر ، فلما حالت بينه وبينهم الدبر قالوا : دعوه يمتسي فتذهب عنه ، ففأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتمل عاصمًا ، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمتسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجساً ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منمته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمتسه مشرك ، ولا يمس مشركاً أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا وركبوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران انزع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبزه ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعواهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التيمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث ابن عامر لأنه تقاتله بأبيه .

.....

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، ويقال : أحد بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بني تميم .

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثينة فابتناعه صفوان بن أمية ليعتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له : نسطاس ، إلى التميم ، وأخرجوه من الحرم ليعتلوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : سأرايت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتل نسطاس ، رحمه الله .

مقتل خبيب وحديث دعوته

وأما خبيب بن عدي ، فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أنه حدث عن ماوية ، مولاة حنظل بن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوماً ، وإن في يده قطعاً من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتل : ابغى إلى بحديدة أنظهر بها للقتل ، قالت : فأعطيتُ غلاماً من الحى موسى ، فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولَّى الغلام بها إليه ، فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلاً برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أُمك غدري حين بعتك بهذه الحديدة إلى ! ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْميم ليصلُّوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ؛ قالوا : دُونَكَ فَارْكَعْ . فركع ركعتين أَمَّهما وأخسهما ، ثم أقبل على التَّرم فقال : أَمَّا والله لولا أن تَطَلُّوا نِيَّ إِنَّمَا طَوَّلْتُ جَزَعاً من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبَيْبُ بْنُ عَدَى أَوَّلَ مَنْ سَنَّ هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ . قال : ثم رَفَعُوهُ عَلَى خَشَبَةٍ ، فلما أَوْتَقَرَهُ ، قال : اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رَسُولَكَ ، فَبَلَّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا ؛ ثم قال : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عِدْداً ، واقتُلْهُمْ بَدِداً وَلَا تُفَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً . ثم قَتَلُوهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يُلقيني إلى الأرض فرقاً من دعوة خُبَيْبٍ ، وكانوا

.....

يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه ، فاضطَجَعَ لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عتبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قَتَلْتُ خُبَيْبًا ، لَأَنِّي كُنْتُ أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي أَبَا مَيْسِرَةَ ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَهَا فِي يَدِي ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَبِالْحَرْبَةِ ، ثُمَّ طَمَعَنِي بِهَا حَتَّى قَتَلَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سميد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام ، فكانت تُصِيبُهُ غَشِيَّةٌ ، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرِي الْقَوْمِ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَقِيلَ : إِنَّ الرَّجُلَ مُصَابٌ ؛ فَسَأَلَهُ عُمَرُ فِي قَدَمِهِ قَدَمُهَا عَلَيْهِ . فَقَالَ : يَا سَمِيدُ ، مَا هَذَا الَّذِي يُصِيبُكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدَنِي مِنْ بَأْسٍ . وَلَسَكُنِّي كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ خُبَيْبُ بْنُ عَدَى حِينَ قُتِلَ ، وَسَمِعْتُ دَعْوَتَهُ ، فَوَاللَّهِ مَا خَطَرْتُ عَلَى قَلْبِي وَأَنَا فِي مَجْلَسٍ قَطُّ إِلَّا غَشِيَ عَلَيَّ ، فَزَادَتْهُ عِنْدَ عَمْرِ خَيْرًا .

قال ابن هشام : أَقَامَ خُبَيْبٌ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى انْقَضَتْ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ ، ثُمَّ قَتَلُوهُ .

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن

قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن في تلك السَّيْرَةِ ، كَذَلِكَ

حدثني موالي لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سميد ابن جبير عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السَّريَّة التي كان فيها مرثد وعاسم بالجميع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا (هكذا) ، لأم قعدوا في أهلهم ، ولأم أذوا رسة أصحابهم ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : أى لما يظهر من الإسلام بلسانه ، ﴿ وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَافِي قَلْبِهِ ﴾ ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ : أى ذو جدال إذا كلك وراجعتك .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الألد : الذى يشغب ، فنشتد خصومته ؛ وجمعه : لد . وفى كتاب الله عز وجل : ﴿ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴾ . وقال المهمل بن ربيعة التغلبي ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدى بن ربيعة :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَإِنَّا وَخَصِيمَا أَلَدٍّ ذَا مِفْلَاقٍ

ويروى ذا مِفْلَاق ، فيما قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألدند . قال الطرماح بن حكيم الطائي يصف الحرباء :

يُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجَذُولِ كَأَنَّهُ خَفِصَ أَبْرًا عَلَى الْخُصُومِ أَلْدَدُ

.....

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى ﴾ : أى خرج من عندك
 ﴿ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُنْكَادَ ﴾ أى لا يحب عمله ولا يرضاه . ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
 بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴾ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ
 مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ : أى قد شروا أنفسهم من الله
 بالجهاد في سبيله ، والقيام بحجته ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السرية .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يَشْرِي نفسه : يبيع نفسه ؛ وَشَرَوْا : باعوا . قال يزيد
 ابن ربيعة بن مفرغ الحميري :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْدَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كَفْتُ هَامِهِ

برد : غلام له باعه ؛ وهذا البيت في قصيدة له . وَشَرَى أيضاً : اشترى .

قال الشاعر :

فَوُتِلَتْ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ عَلَى ابْنَيْكَ إِنْ عَبْدُ لَيْثٍ شَرَاهَا

شعر خبيب حين أريد صلبه

قول ابن إسحاق : وكان مما قيل في ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدي ،
 حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَالْبُؤَا قِبَائِهِمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ تَجْمَعٍ
وَكُلُّهُمْ مُبْدَى الْعِداوَةِ جَاهِدْ عَلَى لَأَنِّي فِي وَثَاقٍ بِمَصْنَعٍ
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَفَرَّيْتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُنْتَمِعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي نَحْمُ كُرْبَتِي وَمَا أُرْصِدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
هَذَا أَلْمَرِشِ صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي فَقَدْ بَصَّعُوا لِحْنِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ بَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُزْعٍ
وَقَدْ هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ وَلَكِنْ حِذَارِي جَعَمِ نَارٍ مُلْتَمِعٍ
وَمَا بِي حِذَارُ الْمَوْتِ ، إِنِّي لَمِيتٌ عَلَى أَيْ حَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
فَرَأَيْتُ مَا أَرْجُو إِذَا مِتَ مُسْلِمًا قَلَسْتُ بِمَبْدَى الْعَدُوِّ تَحْشُمَا
وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

شعر حسان في بكاء خبيب

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيباً :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرَفَا مَدَامُهَا سَحَا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ التَّوَلُّو الْقَلِقِ
عَلَى خَبِيبٍ فَتَى الْفَتِيَانِ قَدْ عَلِمُوا لَا فَشِلَ حِينَ تَلْقَاهُ وَلَا تَزِقُ
فَازْهَبْ خَبِيبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَلَبِيَّةَ وَجَنَّةُ الْخُلْدِ عِنْدَ الْحُورِ فِي الرُّفُقِ
عَازَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ التَّلَاسِكَةِ الْأَبْرَارِ فِي الْأَفُقِ

فيم قَتَلَمَ شهيدَ الله في رجلٍ طالعٍ قد اوعثَ في البلدان والرفق
قال ابن هشام : ويروى : «الطرق» وتركنا ما بقى منها ، لأنه اُفْدِعَ فيها ..
قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يبكي خُبَيْباً :

يا عين جُودى بدمعٍ منك منسكب	وابكى خُبَيْباً مع الفتيان لم يؤب
صقراً توسط في الأنصار منصبه	سمح السجية تحضاً غير مؤثيب
قد هاج عيني على حلاتِ عَبرتها	إذ قيل نَصَّ إلى جذعٍ من الخشب
يا أيها الرَّاكِبُ الغادى لِطِيبَتِهِ	أبلغ لَدَيْكَ وَعِيداً ليس بالكذب
بني كَهَيْبَةٍ أَنْ الحَرْبَ قد لَقِحتْ	مَحْلُوبَهَا الصَّابُ إِذْ تُمرى له مُخْتَلَب
فيها أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُم	شُهْبُ الأَسَنَةِ في مُعْصُوصٍ لِحِب

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعضُ أهل العلم بالشعر
ينسكرها لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خُبيبٍ إِذا ذَكَرْتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

لو كان في الدار قَرَمٌ ماجدٌ بطل	ألوى من القوم صَقَرُ خاله أنسُ
إذن وجدت خُبَيْباً مجلساً فِسْحاً	ولم يُشَدَّ عليك السَّجَنُ والحَرَسُ
ولم تَسُقْكَ إلى التَّنْعيمِ زِعْفَنَةً	من القبائل منهم من نَفَتِ عُدُسُ
دَلَّوكَ غَدْرًا وهم فيها أولو خُلُفٍ	وأنت ضَمِمْ لها في الدار مُحْتَبَسُ

قال ابن هشام : : أنسُ : الأصمُ الشُّلَى : خال مُطْعَمِ بن عدي بن نوفل

ابن عبد مناف . وقوله : « من نفث عدس » يعني حُجَيْر بن أبي إهاب ، ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَاش الأَسَدِيّ ، وكان حليفاً لبني نوفل بن عبد مناف .

من اجتمعوا لقتل خبيب

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قُتل من قُرَيْش : عِكْرمة بن أبي جهل ، وسميد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود ، والأخنس بن مَرِيْقِ الثَّقَفِيّ ، حليف بني زُهْرَة ، وعُبَيْدَة بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأَوْقَص السَّلَمِيّ ، حليف بني أُمَيَّة بن عبد شمس ، وأُمَيَّة بن أبي عُبْتَة ، وبنو الحَضْرَمِيّ .

شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبا

وقال حسان أيضا يهجو هذيل لما صنعوا بخبيب بن عدي :
أُبْلِخُ بنِي عَمْرِو بَانَ أَخَامُ شَرَاهُ أَمْرُوْهُ قَدْ كَانَ لِلْفَدْرِ لَازِمًا
شَرَاهُ زُهَيْرِ بْنِ الْأَغْرَ وَجَامِع وَكَانَ جَمِيعًا يَرَى كِبَانِ الْمَحَارِمَا
أَجَرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمْ وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَمَّا ذِمَّا
فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخْنَهُ أَمَانَةً وَابْتَخُبْنِيًّا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمًا
قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :
إِنْ سَرَّيْتَ الْفَدْرُ صِرَ قَالَا مِزَاجَ لَهُ فَاتِ الرَّجِيعِ فَسَلْ عَنْ دَارِ لِحْيَانِ

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرَدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطَلِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ
قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لَوْ يَنْطَلِقُ النَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَانِ
قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل :

سَأَلْتُ هُذَيْلَ رَسُولَ اللَّهِ فَاحْشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تَعْبِ
سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُعْطِيَهُمْ حَتَّى أَلَمَاتٌ ، وَكَانُوا سَبَّةَ الْقَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لِهُذَيْلٍ دَاعِيًا أَبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْخَرَبِ
لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَنَجْمُهُمْ وَأَنْ يُحِلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيل :

لَمَمَرِي لَقَدْ شَانَتْ هُذَيْلُ بْنُ مُذْرَكٍ أَحَادِيثُ كَانَتْ فِي خُبَيْبٍ وَعَاصِمِ
أَحَادِيثُ لِحْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيحِهَا وَلِحْيَانُ جَرَامُونَ شَرُّ الْجَرَامِ
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَبِيهِمْ بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ دُبُرُ الْقَوَادِمِ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسَلَتْ أَمَانَتُهُمْ ذَا عِقَّةٍ وَمَكْلَامِ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدَرًا وَلَمْ تَكُنْ هُذَيْلٌ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النِّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ يَقْتُلُ الَّذِي تَحْمِيهِ دُونَ الْحَرَامِ
أَبَابِيلُ دُبُرِ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ تَحْتَ لَحْمِ شَهَادَةِ عِظَامِ الْمَلَا حِمِ

كَلَّ هُدَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ
وَنُوقِعَ فِيهِمْ وَقْعَةَ ذَاتِ صِرَالَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ
قُبَيْلَةُ لَيْسَ الْوَفَاءُ بِهِمْ
إِذَا النَّاسُ حُلُّوا بِالْقَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ
تَحْلِيهِمْ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأَيْتَهُمْ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَهْجُو هُدَيْلًا :

لَكَ مِنَ قَتْلِي غَدَرَةٌ بِوَفَاءِ
هُوَ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ
فَلَوْ قَتَلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَمْرِهِمْ
قَتْلُ تَحْتَهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ
فَقَدْ قَتَلْتَ لِحْيَانًا أَكْرَمَ مِنْهُمْ
فَأُفٍّ لِلْحِيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قُبَيْلَةُ بِالْفُؤْمِ وَالْمَذَرِ تَغْتَرَى
فَلَوْ قَتَلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ
فَالَا أُمْتُ أَذْعَرُ هُدَيْلًا بِغَارَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
يُصْبِحُ قَوْمًا يَا الرَّجِيعُ كَانَهُمْ
لَكَ مِنْ قَتْلِي غَدَرَةٌ بِوَفَاءِ
أَخَا نِقْمَةٍ فِي وَدِّهِ وَصَفَاءِ
بَذَى الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ بِكَفَاءِ
لَدَى أَهْلِ كُفْرِ ظَاهِرٍ وَجَفَاءِ
وَبَاعُوا خُبَيْبًا وَيَلْتَمِهِمْ بِلَفَاءِ
عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلِّ عَفَاءِ
فَلَمْ تُمْسَ يَحْنِي لَوْمَهَا بِخَفَاءِ
بَلَى إِنَّ قَتْلَ الْقَاتِلِيهِ شِفَاءُ
كَفَادِي الْجَهَامِ الْمُقْتَدِي بَأَفَاءِ
يَبْدِي لِحْيَانًا لِحْنًا بِغَفَاءِ
جِدَاءِ شِتَاءِ بَيْنَ غَيْرِ دِفَاءِ

• وقال حسان بن ثابت أيضاً يهجو هذيلًا :

فَلَا وَاللَّهِ ، مَا تَدْرِي هُذَيْلُ أَصَافٍ مَا زَمَزَمَ أُمَ مَشُوبُ
 ، وَلَا لَهُمْ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا مِنَ الْحِجْرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ
 سَوَلِكِنِّ الرَّجِيعِ لَهُمْ مَحَلٌّ بِهِ اللَّؤْمُ الْمُبِينُ وَالْمُيُوبُ
 كَانَهُمْ لَدَى السَّكَنَاتِ أَصْلًا نُبُوسَ بِالْحِجَارِ مَا نَصِيبُ
 نَحْمُ غَرَّوْا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا فَبُئْسَ الْقَهْدُ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبُ
 • قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن أبي زيد الأنصاري .

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه :

صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى الَّذِينَ تَنَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَاسْكُرُوا وَأُتِيبُوا
 رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْتَدَ وَأَمِيرُهُمُ وَابْنُ الْبُكَيرِ إِمَامُهُمْ وَخُبَيْبُ
 ، وَابْنُ طَارِقٍ وَابْنُ دَنْثَنَةَ مِنْهُمْ وَافَاهُ نَمَمَ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ
 ، وَالْعَاصِمُ الْقَتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ كَسَبَ الْعَالَى إِنَّهُ لَكُتُوبُ
 ، مَنَعَ الْمُقَادَّةَ أَنْ بَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبُ

قال ابن هشام : وروى : حتى يمدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة شوال
وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والحرم ، ثم بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن
حزم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر
ملاعب الأسيمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللدنية ، فعرض عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يؤمن ولم يبعث من
الإسلام . وقال : يا محمد لو بعثت رجلا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوتهم
إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إني أخشى عليهم أهل نجد ؛ قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابتنهم فليدعوا الناس
إلى أمرك .

رجال البعث

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة ،
المعنى يموت في أربعين رجلا من أصحابه ، من خيار المسلمين : منهم :
الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار ، وعروة
ابن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر

ابن قَهْرَةَ مولى أبي بكر الصديق، في رجال مُسْتَمِينَ من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا بيئر مَعُونَةَ ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُلَيْمٍ . -
كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سُلَيْمٍ أقرب .

عامر يقتل صحابياً

فلما نزلوها بعثوا حَرَامَ بنِ مِلْحَانَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -
إلى عَدُوِّ الله عامر بن الطفيل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل .
فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا :
لن نُخَفِّرَ أباً بَرَاءً ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ؛ فاستصرخ عليهم قبائل من
بني سُلَيْمٍ من عَصِيَّةٍ ورِغْلٍ وذَكَوَانٍ ، فأجابوه إلى ذلك ، تفرجوا حتى
غَشَوْا القَوْمَ ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلهم
حتى قَتَلُوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بنَ زيدٍ ، أخا بني دينار
ابن النجَّار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث من بين القَتْلَى ، فعاش حتى
قُتِلَ يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بقتل أصحابه

وكان في مَرَجِ القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، -
أحد بني عمرو بن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عُبَيْدَةَ بن أَحِيَّانَةَ بن الجُلاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُبْنِئْهُمَا بمُصَابٍ أصحابهما إلا الطير تحوم على .

الفسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لثأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دِمَائِهِمْ ، وإذا الخيلُ التي أصابَتْهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماترى ؟ قال أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطنٍ مُكْتَلٍ فيه المُنْذَرُ ابن عمرو ، وما كنت لتُخبرني عنه الرجال ؛ ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مُبْصِرٍ ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رَقَبَةٍ زعم أنها كانت على أمه .

قتل العامريين

نخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قفاة ، أقبل رجلان من بني عامر .

قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عمرو اللدني أنهما من بني سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه . وكان مع العامريين عَدَدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما نُورَةٌ من بني عامر ، فبأصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلْت قَتِيلَيْن ، لَأَدْرِيَنَهُمَا !

.....

كراهية الرسول عمل أبي براء

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارها متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخبار عامر أبيه ، وما أصاب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ؛ وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتَهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى رَأَيْتَ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ ؟ قَالُوا : هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ .

سبب إسلام ابن سلمى

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سَنَمَى بن مالك بن جعفر ، قال - وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - (قال) فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعمتُ رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيْهِ ، فنظرتُ إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتُه يقول : قُزْتُ وَاللَّهِ ! فقلتُ في نفسي : ما فاز ! أَلَسْتُ قد قتلْتُ الرجل ! قال : حتى سألتُ بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعمرو الله .

شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر
ابن الطفيل :

بني أم البنين ألم برُعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بابي براء ليخفره وما خطا كعمد
ألا أبلغ ربيعة ذا المسمى فما أحدث في الخلدان بعدى
أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد

نسب حكم وأم البنين

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ؛ وأم البنين : بنت
عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهي أم أبي براء .

طعن ربيعة لعمامر

قال ابن إسحاق : حمل ربيعة (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل ،
فطعنه بالرمح ، فوقع في نخذه ، فأشواء ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل
أبي براء ، إن أدت قدمي لعمى ، فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيي فيما
أتى إلى .

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له

وقال أنس بن عباس السلمي ، وكان خال طعيمة بن عدي بن نوفل ،

وَقَتْلَ يَوْمَئِذٍ نَافِعِ بْنِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُرَاصِيِّ :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقَاءَ الْخُرَاصِيَّ نَاوِيَا بِمُعْتَرَكٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الْأَعْيُرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّيَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ مُنَافِرُ
وَأَبُو الزَّيَّانِ : طُعَيْمَةُ بْنُ غَدِيٍّ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي نَافِعَ بْنَ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ :
رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةً الْمُتَبَتِّغِي ثَوَابَ الْجِهَادِ
صَابِرٌ صَادِقٌ وَفِي إِذَا مَا أَكْثَرَ الْقَوْمُ قَالَ قَوْلَ السَّادِ

شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَبْكِي قَتْلَى بَيْرِ مَعُونَةَ، وَيُحْصِئُ الْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو :
عَلَى قَتْلَى مَعُونَةَ فَاسْتَهْلِي بَدْمُجُ الْقَيْنِ سَحَاً غَيْرَ تَزْرِ
عَلَى خَيْلِ الرَّسُولِ غَدَاةَ لَا قَوْا مَنَابَاهُمْ وَلَا قَتْلَهُمْ بَقْدَرُ
أَصَابَهُمُ الْقَنَاءُ بَقْدَرِ قَوْمٍ نُحُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بَقْدَرُ
فَيَا لَهْنِي الْمُنْذِرِ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْتَقَ فِي مَنِيَّتِهِ بَصِيرُ
وَكَاثِنٌ قَدْ أَصِيبَ غَدَاةَ ذَاكُمْ مِنْ أَبْيَضِ مَاجِدٍ مِنْ سِرِّ عَمْرٍو

قال ابن هشام : أنشدني آخرها بيتاً أبو زيد الأنصاري .

شعر كعب في يوم بئر معونة

وَأَنْشَدَنِي لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فِي يَوْمِ بَيْرِ مَعُونَةَ، يُعَيِّرُ بَنِي جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ :

تَرَ كُنْمَ جَارِكِ لَبِي سُلَيْمٍ خَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزاً وَهُونا
سَقَوْا حَبْلًا تَنَاولَ مِنْ عَقِيلٍ لَمَدَ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَعِينًا
أَوْ الْقُرْطَاءَ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ وَقَدْ مَا وَقَوْا إِذْ لَا تَقُونَا
نَسَبُ الْقُرْطَاءِ

قال ابن هشام : القُرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروي « من عقيل »
مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ؛ لأن القُرطاء من عُقِيل قريب .

مقتل خبيب وأصحابه

وذكر غَدَرَ عَضِلٍ وَالْقَارَةِ ، وَهَذَا بَطْنَانِ مِنْ بَنِي الْهُونِ ، وَالْهُونُ مِنْ
بَنِي الرَّيْشِ وَيُتَبَعُ ابْنُ الْهُونِ بْنِ خُزَيْمَةَ ^(١) ، وَقَدْ تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِعَمَى

(١) ورد عنهم في نسب قريش المصعب الزبيري أن خزيمه بن مدركة ولد
الهون وأن أمه برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ثم قال بالنسب
فأما الهون بن خزيمه فهم عضل وديش والقارة بنو يشج بن الهون ، وهم
بطنان من خزاعة يقال لهما : الحيا والمصطلق ، ص ٩ وفي جوهرة ابن حزم أن
الهون بن خزيمه ولد مليحاً ، وأن هذا ولد يشفا . وأن الديش هو ابن محلم
ابن غالب بن عائذة بن يشج . وأن الديش ولد عضلاً ، وأن الديش هم القارة
ص ١٧٩ لكن ابن عبد البر يقول : « ولد خزيمه كنانة أمه هند ابنة عيلان
ابن مضر ، وأسد أو الهون وهو القارة أمهما بنت مر أخت تميم بن مر ، وفي
القارة بطون كثيرة ، ويكرر هذا بقوله عن أكثر أهل العلم أنهم لا يعلمون
لخزيمه ولداً غير أسد والهون وهو القارة وكنانة ، بل إنه لجعل للقارة عنواناً
خاصاً ثم يقول « وهو الهون بن خزيمه » ثم قال : « قال الزبير : عضل والقارة
أبنا يشج بن الهون بن خزيمه . . يقال لهم القارة . وقال أبو عبيدة عن يشج =

القارة ، وبالمثل الذي جرى فيهم ، والقارة الحرة (١) ، وذكرنا السبب في تسميتهم بها .

وذكر أن أصحاب خُنيب كانوا سبعة ، وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، والله أعلم .

وذكر أسماء السبعة ، وقد نسبهم فيما تقدم ، فلما خُنيب فهو من بني جحججى (٢) بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وزيد بن الدثنة (٣) بن معاوية مقلوب من الدثنة والتدن المتروكاه اللحم (٤) .

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله :

مألتى وأنا ج — لدنايل والقوس فيها وتو عفايل

والعفايل : الشديد ، وكأنه من العباله ، وهي القوة ، والنون زائدة .

== هو أشع بن الهون بالالف ، وقال محمد بن حبيب : هو يشع بالياء كما قال الزبير وقال ابن السكبي : يشع بن مليح بن الهون بن خزيمه ، وهو القارة ، ص ٧٣ وما بعدها الإنباه . أما الدشير ، فهو في الأصل الريش وهو خطأ ، والدشير بكسر الدال . وقال الجوهرى وربما قالوا بفتح الدال . ص ٥٦ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي .

(١) الحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٢) في الأصل جحججى وهو خطأ .

(٣) ضبطه القاموس بدون تضعيف النون .

(٤) في الأصل أدنية والتدن وهو خطأ ، ويقول ابن دريد إنه الدثنة

مشتقة من دثن الطائر — بتضعيف التاء — إذا طاف حول وكزم ولم يستطع عليه

والعَبَالَةُ أَيْضاً : شَجَرَةٌ مُصَلَّبَةٌ ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ عَصَا مُوسَى كَانَتْ مِنْ عِبَالَةٍ ،
وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَصَا مُوسَى كَانَتْ مِنْ عَيْنٍ وَرَقَةِ آسِ الْجَنْفَةِ ، وَبِمُجُوزٍ أَنْ يَكُونَ
مَنْحُوتًا مِنْ أَصَابِينَ : مِنَ الْعَيْنِ ^(١) وَالنَّبِيلِ ، كَأَنَّهُ يُصِيبُ مَا عَزَّ لَهُ بِنَبْلِهِ .

وَذَكَرَ قَوْلَهُ : أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ .

قَوْلُهُ : أَبُو سُلَيْمَانَ ، أَيْ : أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ قَدْ عُرِفْتُ فِي الْحُرُوبِ ، وَعِنْدِي
نَبْلٌ رَأْسُهُ الْمُقْعَدُ ، وَكَانَ ^(٢) رَأْسًا صَانِمًا . وَرِيشُ : السَّهْمُ الْحُمُودُ فِيهِ اللَّوْأَمُ ،
وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الرِّيشَةُ بَطْنُهَا إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى ، وَاللَّغَابُ ^(٣) بِمَعْكَسِ ذَلِكَ ،
أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ وَاحِدَةٍ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى ، وَهُوَ الظَّهَارُ أَيْضًا ، وَمِنْ اللَّوْأَمِ
أُخِذَ اللَّأَمُ وَهُوَ السَّهْمُ الْوَرِيشُ قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ :

كَرَّكَ لِأَمْتَيْنِ عَلَى نَابِلٍ ^(٤) .

وُسئِلَ رُؤْيَاهُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ ، ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي عَمِّي ، وَكَانَتْ فِي بَنِي دَارِمٍ قَالَتْ : سَأَلْتُ أَمْرًا الْقَيْسِ ، وَهُوَ بِشَرْبِ

(١) العين : ظهور الشيء أمامك .

(٢) أي هذا المقعد المذكور كان رجلاً رَأْسًا خ .

(٣) في القاموس : سهم لأم عليه ريش لوام يلائم بعضها بعضها . وَاللَّغَابُ :

السهم القاسد لم يحسن بربه ، الْقَامُوسُ ، .

(٤) البيت في اللسان

نظمتهم منلكي ومخلوجة لفتك لامين على نابل

ويروي كما ذكر السهيلي : كرك لامين

جَلَّاءَ له مع عِلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِةَ : مامعنى قولك : كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ ؟ قَالَ :
مررت بنابل وصاحبه بقاله الرِّيشَ لَوَامًا وظُّهَارًا ، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَمْرَعَ
منه ، وَلَا أَحْسَنَ فَشَبَّهْتُ بِهِ ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ . وقوله : وضاعة ، أى :
سِهَامٌ قَدَّاحُهَا مِنَ الضَّالِّ ، وَهُوَ السَّدْرُ . قَالَ الشَّاعِرُ [ذُو الرُّثْمَةِ] :

صَلَّاتُ إِذَا تَخَوَّفْتُ الْقَوَاطِي ضُرُوبَ السَّدْرِ عُجْرِيًا وَضَالًا

قَالَمُبْرِئُ مِنْهَا مَا كَانَ عَلَى شَطُوطِ الْأَنْهَارِ ، وَالضَّالُّ مَا كَانَ فِي الْبَرِّيَّةِ ،
وَالْقَوَاطِي هِيَ لِلْمَاشِيَةِ تَقْطُو أَى تَنْتَاقِلُ ، وَإِنَّمَا تَدَاوِلُ أَطْرَافَ الشَّجَرِ فِي الصَّوْفِ ،
فَمَتَاهُ : قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّحْرَاءَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَتَخَوَّفْتُ : أَى تَنْقَضْتُ مِنْ
قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) النحل : ٤٧ . وَذَكَرَ أَنَّ حُجَيْرَ بْنَ
أَبِي إِهَابٍ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى خُبَيْنَا ، وَكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ نَوْفَلٍ
أَخَا حُجَيْرٍ لِأُمِّهِ ، وَقَالَ مَقْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ : اشْتَرَى خُبَيْنَا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ
نَوْفَلٍ ، لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَلِلْمَعْنَى قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ .

وقوله عَابِرَةٌ بِنْتُ (١) حُجَيْرٍ بِالْوَاوِ ، رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيْرٍ عَنْ ابْنِ

(١) فِي السِّيَرَةِ : مَوْلَاةٌ ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ اسْتَعَارَ الْمَوْسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ
الْحَارِثِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي الْأَطْرَافِ لَخْلَفِ أَنْ أَسْمَاءَ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ . وَهِيَ
أَخْتُ عَقْبَةَ الَّذِي قَتَلَ خُبَيْنَا ، وَقِيلَ : أَمْرَأَتُهُ . وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ بِنْتَ
الْحَارِثِ قَالَتْ بَعْدَ أَنْ أَعَارَتْهُ الْمَوْسَى لِيُحْلِقَ بِهِ عَاتِيَهُ : « قَالَتْ : فَفَعَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ
لِي فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى أَتَاهُ ، فَوَضَعَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ ، فَرَعْتُ فَرْعَةً ، عَرَفْتُ
ذَلِكَ مِنِّي ، وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى ، فَقَالَ : أَنْتَ خُبَيْنَا أَنْ أَقْتَلَهُ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَسْمَاءَ قَطَّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ =

إسحاق ، ورواه غيره عن ابن إسحاق : مارية بلراء ، وبالواو وقع في النسخ
العتيقة من رواية ابن هشام ، كما رواه ابن بكير ، وقد تكلمنا عن اشتقاق
هذا الاسم في صدر هذا الكتاب ، فأغنى عن إعادته ، وذكرنا أن المارية
بالتخفيف هي البقرة ، وبتشديد الياء : القطاة النساء ، وأما الغلام الذي
أعطاه المذبة ، فقيل : هو أبو عيسى بن الحارث بن عدي بن نوفل بن

== قطف المنب . وفي الفتح نقلا عن الزبير أيضا أن الغلام هو : أبو حسين
ابن الحارث بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وفي رواية بريدة بن سفيان : وكان
ابن صغير ، فأقبل إليه الصبي ، فأخذه ، فأجلسه عنده ، فخشيت المرأة أن يقتله ،
فناشدة . وعند أبي الأسود عن عروة ، فأخذ خبيب بيد الغلام ، فقال : هل
أمكن الله منكم ، فقالت : ما كان هذا ظني بك ، فرمى لها موسى ، وقال :
إنما كنت مازحا ، وفي رواية بريدة بن سفيان : ما كنت لأغدر . وقد حاول
الجمع بين الروایتين رواية ابن إسحاق وما تقدم في مسألة من حمل المرسى .
ويعلق ابن بطال على مسألة قطف المنب : « هذا ويمكن أن يكون الله جمعه آية
على الكفار وبرهانا لنبيه ، لتصحيح رسالته . قال : فأما من يدعى وقوع ذلك له
اليوم بين ظهراني المسلمين ، فلا وجه له ، إذ المسلمون قد دخلوا الدين ، وأيقنوا
بالنبوة ، فأى معنى لإظهار الآية عندهم ، ولولم يكن في تجويد ذلك إلا أن يقول
جاهل : إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبي ، فكيف أقصد بها من نبي ،
والفرض أن غيره يأتي بها ، لكان في إنكار ذلك قطعا للذريعة — إلى أن قال —
إلا أن يكون وقوع ذلك عما لا يخرق عادة . ولا يقلب عينا ، مثل أن يكرم الله
عبدا بأجابة دعوة ، في الحين ، ونحو ذلك عما يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة
الولي ، ومن ذلك حماية الله تعالى عاصما لثلاثينك عدوه حرمة ، ص ٢٠٥
٧٠ فتح الباري .

عَبْد مَنَافٍ^(١) ، قاله الزبير : وهو جدُّ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسَيْنِ
الذي يروى عنه مالك في الموطأ .

وذكر أن أبا مَيْسَرَةَ هو الذي طعن خُبَيْبًا في الخَشَبَةِ ، وهو أبو مَيْسَرَةَ
ابن عَوْف بن السَّبَّاق بن عبد الدار ، والذي طعنه معه عُقْبَةُ بن الحارث .
يُسَكَّنِي أبا سَرُوعَةَ ، ويقال : إن أبا سَرُوعَةَ وعُقْبَةُ أخوان أسلمًا جميعًا
ولعُقْبَةُ بن الحارث حديث واحد في الرضاع ، وشهادة امرأة واحدة فيه .
وحديثه مشهور في الصَّحَاح ، فيه أنه قال : تزوجت بنت أبي إهاب بن
عزير ، جاءت امرأة ، سوداء ، فقالت : إني قد أَرْضَعْتُكُمْ ، وذكر الحديث^(٢) .
وزاد فيه الدَّارِ قُطَيْبٌ قال : جاءت امرأة سوداء تُسَالُّ ، فلم نُعْطِهَا شَيْئًا ،
فقالت : إني والله أَرْضَعْتُكُمْ ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقال .
إنها كاذبةٌ بارسول الله ، فقال له عليه السلام : كيف ؟ وقد قيل ؟ فطَلَّقَهَا ،
ونكحت ضَرِيبَ بن الحارث ، فولدت له أُمَّ قَتَالٍ ، وهي امرأة جُبَيْرِ بن
مُطْعِمٍ ، وأُمُّ ابنه محمد ، ونافع ابنا جابر ، واسم هذه المرأة التي طلقها عُقْبَةُ :

- (١) وهي كلمة حق يجب أن يعيها الذين لا عمل لهم في الدين سوى
إثبات أن شيوعهم كانوا صناع معجزات تغلب الإنسان حجة ١١
(٢) رواه البخاري في الشهادات والعلم والبيع والنكاح ، ورواه أبو داود
في القضايا ، والترمذي في الرضاع ، والنسائي في النكاح . ولعقبة حديث : صلى
المعصوم قام مسرعًا ، فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسانه ، رواه
البخاري والنسائي ، وحديث ثالث دجىء بالنعميان أو ابن النعميان شاربًا
رواه البخاري .

غَنِيَّةٌ ، وَتُسَمَّى أُمُّ يَحْيَى ، ذَكَرَ اسْمُهَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارُقُطْنِيُّ فِي الْمُؤْتَفِ
وَالْمُخْتَلَفِ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو نُعْمَانَ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ ، وَلَا كَثِيرٌ مِنْ أَلْفِ
فِي الْحَدِيثِ .

وَذَكَرَ قِصَّةَ عَامِمْ حِينَ سَحَّتَهُ الدَّيْبُ . الدَّيْبُ هَاهُنَا : الزَّانِبُ ، وَأَمَّا
الدَّيْبُ (١) فَصَفَارُ الْجَرَادِ ، وَمِنْهُ يُقَالُ مَاءُ دَيْبٍ (٢) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، قَالَ : وَقَدْ يُقَالُ
لِلنَّحْلِ أَيْضًا دَيْبٌ يَفْتَحُ الدَّالَ وَاحِدَتَهَا دَيْبَةً ، قَالَ : وَيُقَالُ لَهُ : خَشْرَمٌ ،
وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ ، وَرَوَايَةٌ غَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ
وَاحِدَتَهُ : خَشْرَمَةٌ . وَالتَّوَلُّ جَمَاعَةُ النَّحْلِ أَيْضًا ، وَلَا وَاحِدَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ
التُّوبُ وَالتَّلُوبُ . وَمِنْ التَّلُوبِ : حَدِيثُ زَبَّانِ بْنِ قَسْوَرٍ (٣) ، قَالَ : رَأَيْتُ
النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ نَازِلٌ بِوَادِي الشُّوْحِطِ (٤) فَكَلِمَتُهُ ،
فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مَعَنَا لُوبًا لَنَا - يَعْنِي تَحْلًا - كَانَتْ فِي عَيْنِ لَنَا بِهِ طَرْمٌ
وَشَمْعٌ ، فَنَامَ رَجُلٌ فَضَرَبَ مِيتِينَ (٥) فَانْتَجَعَ حَيًّا ، وَكَفَّهَ بِالثَّمَامِ ، يَعْنِي نَارًا

(١) هَكَذَا مَضَبُهَا الْإِنْسَانُ .

(٢) فِي الْإِنْسَانِ : مَا لَدَيْهِ : أَيْ كَثِيرٌ .

(٣) فِي الْإِصَابَةِ : ابْنُ قَيْسٍ ، أَوْ قَيْسُورٌ . وَقَالَ : رَوَى حَدِيثَهُ الدَّرَاقُطْنِيُّ
فِي الْمُؤْتَفِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَرُوةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْهُ ، قَالَ
الدَّرَاقُطْنِيُّ : حَدِيثُهُ مَنْكُرٌ .

(٤) فِي الْقَامُوسِ وَفِي مَرَاوِدِ الْإِطْلَاعِ : شَوَاحِطُ بَعْضِ الشَّيْثِ وَكَسْرُ الْحَاءِ
جَبَلٌ مَشْهُورٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ كَثِيرُ التَّمُورِ

(٥) لَمْ أَهْتَدِ إِلَيْهَا ، فِي الْمَاجِمِ ، فَلَعَلَّهَا حَنِينٌ وَهُوَ الْجَبَلُ أَوْ النِّيَارُ أَوْعَتَيْنِ
وَهُي خِيوطٌ تُشَدُّ بِهَا أَوْصَالُ الْخِيَامِ ۝ لَا أَدْرَى .

من زَنَدَيْنِ، ونَحْسَه بِنِي: دُخْنَه، فطار الأوبُ هارباً، ودَلَّى مِشْوَارَه في العَنَلِمِ -
فاشتار العَنَلِمِ، فمضى به، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - مَلْمُونٌ مَلْمُونٌ
مَنْ سَرَقَ شَرَوْ قَوْمٌ، فَأَضَرَّ بِهِمْ، أَفَلَا تَبْعَمُ أَثَرَه، وعرفتم خبره؟ قال:
قلت: يا رسول الله إنه دخل في قوم لهم مَنَعَةٌ، وهم جيراننا من هُذَيْلٍ، فقال
النبي - صلى الله عليه وسلم - صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرِدُ نَهْرَ الْجَنَّةِ، وإن سَعَتَهُ كَمَا بَيْنَ
الْأَقِيْقَةِ وَالْحَقِيْقَةِ (١) يَنْسَبُ جَزِيًّا بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَذَاءِ مَا تَقِيَاهُ نُوبٌ،
وَلَا تَجْهَ نُوبٌ. فَالْعَنَلِمُ الْبُئْرُ، وأراد بها هاهنا قُبَّةَ النَّحْلِ أَوْ التَّخْلِيَّةَ، وقد
يُقال لموضع النحل إذا كان صَدْعًا فِي جَبَلٍ: شَيْقٌ، وجمعه: شَيْقَانٌ، ويُقال
لكل دُخَانٍ نَحَاسٍ (٢)، وَلَا يُقال أَيَّامٌ إِلَّا لِدُخَانِ النحلِ خَاصَّةً، يُقال: آمَهَا
يَتَوَمُّهَا إِذَا دَخَنَهَا، قاله أبو حنيفة.

مقتل مجمر به عرى:

فصل: وذكر أن حُجَبِيًّا أول من سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ. قوله
هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا سُنَّةٌ جَارِيَةٌ، وكذلك فعلهما حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ الْأَذْبَرِ
حِينَ قَتَلَهُ مُعَاوِيَةُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَذَلِكَ أَنَّ زِيَادًا كَتَبَ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَذْكُرُ أَنَّ حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ، قَدْ خَرَجُوا عَلَى السُّلْطَانِ، وَشَقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ،
وَوَجَّهَ مَعَ الْكِتَابِ (٣) بِكَ فِيهِ شَهَادَةُ سَبْعِينَ رَجُلًا فِيهِمُ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ.

(١) لم أفتد في مراجعي إلى معرفتهما.

(٢) التي سبق ذكره نحسة لا نحاس، وليس في المعاجم نحسة بمعنى دخان.

(٣) هكذا بالأصل، ولعلها: صكا.

البصري وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من عليّة التابعين ذكرهم الطبري^(١) يشهدون بما قال زياد من خروج حُجْر بن عديّ عليه^(٢) ، وكان حُجْر شديد الإنكار للظلم ، غليظاً على الأسماء ، وأنكر على زياد أموراً من الظلم ، فخرج عليه ، ولم يكن قصدُ الخروجِ على معاويةَ ، فلما حُلِحَ حُجْر إلى معاوية في خمسة من أصحابه ، قال له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : أو أنا للمؤمنين أمير ؟ ! ثم أمر بقتله ، فمعد ذلك صَلَّى حُجْر الركعتين ، ثم لقي معاوية عائشة بالمدينة ، فقالت له : أما اتقيت الله يا معاوية . في حُجْر بن عدي وأصحابه ؟ فقال : أو أنا قتلهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم ، فلما أكرت عليه ، قال لها : دعيني وحُجراً فأبى مُلاقيه عدأً على الجادة ، قالت : فأين عزبَ عنك حلمُ أبي سفيان ؟ فقال : حين غاب عني مثلك من قومي^(٣) .

(١) في ص ٢٦٩ وما بعدها ط دار المعارف .

(٢) وقد جاء في كتاب هذه الشهادة ما يأتي : هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين . شهد أن حُجْر بن عدي خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفره صلعاء ، ص ٢٦٩ المصدر السابق .

(٣) تعددت روايات الطبري لقاء عائشة ومعاوية رضى الله عنهما . ففي ص ٢٥٧ يذكر أنه لقيها بمكة ، فقالت : يا معاوية أين كان حُلُك عن حُجْر ؟ فقال لها : يا أم المؤمنين لم يحضرني رشيد ١١٠ وفي ص ٢٧٨ أن عائشة أرسلت إلى معاوية بعث عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في شأن حُجْر وأصحابه ، فقدم عليه ، وقد قتلهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ قال : غاب عني حين غاب عني مثلك من حبلاء قومي .

لَمْ صَارَتْ صَعْدَةً قَبِيْبَ سَنَةٍ ؟ :

وإنما صار فعلُ خُبَيْبٍ سُنَّةً حَسَنَةً . وَالسُّنَّةُ إِنَّمَا هِيَ أَقْوَالُ مِنَ النَّبِيِّ -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَفْعَالُ وَإِقْرَارٌ ، لِأَنَّهُ فَعَلَهَا فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
فَاسْتَحْسِنَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ ، وَاسْتَحْسَنَهُ الْمُتَمَلِّكُونَ ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ خَيْرٌ مَا خْتَمَ
بِهِ عَمَلُ الْعَبْدِ ، وَقَدْ صَلَّى هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ أَيْضًا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ -
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ طَاهِرٍ
الْإِسْبِيلِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْفَسَائِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو النَّعْمَرِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عِنْدَ الْوَارِثِ بْنِ سُمَيَّانَ بْنِ جَبْرِوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ : أَخْبَرَنَا
ابْنُ مَعِينٍ : أَخْبَرَنَا قَالَ : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ اكْتَرَى مِنْ رَجُلٍ

وفي نفس الصفحة ذكر أن معاوية حين حج مر على عائشة رضوان الله
عليهما ، فاستأذن عليهما ، فأذنت له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية : أأمنت أن
أخبا لك من يقتلك ؟ قال بليت الأمن دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت
الله في قتل حجر وأصحابه ؟ قال : استأنفتهم إنما قتلهم من شهد عليهم . هذا وقد
فصل الطبري في تاريخه قصة حجر وجمل معرعه من أحداث سنة إحدى وخمسين
وهي في كتابه من ص ٢٥٣ إلى ص ٢٨٥ أما المسعودي فذكر أن مصرع حجر
كان في سنة ٥٥٣ . ولكنه قال : قيل إن قتلهم كان في سنة ٥٥٠ ص ١٢ > ٣ مروج
الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ط ١٩٤٨ وانظر ص ٢٢
المجلد الثالث من تاريخ عبد الرحمن بن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان
المبتدأ والخبر الخ ، ط لبنان ١٩٥٧ .

تبعاً من الطائف اشترط عليه السكرى أن يُنزله حيث شاء ، قال : فقال به
إلى خربة ، فقال له : انزل فنزل ، فإذا في الخربة قتلى كثيرة ، قال : فلما
أراد أن يقتله ، قال : دعني أصلي ركعتين ، قال : صل ، فقد صلى قبلك
هؤلاء فلم تنفعهم صلاحهم شيئاً ، قال : فلما صليت أتاني ، ليقبلي ، قال :
فقلت : يا أرحم الراحمين ، قال : فسمع صوتاً : لا تقتله ، قال : فهاب ذلك
فخرج يطلب أعداء ، فلم ير شيئاً ، فرجع إلى ، فناديت : يا أرحم الراحمين ،
ففعل ذلك ثلاثاً ، فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد في رأسها شعلة من نار
فقطعني بها ، فأنفذه من ظهري ، فوقع ميتاً ، ثم قال : لما دعوت المرة الأولى
يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة ، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم
الراحمين ، كنت في السماء الدنيا ، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين
أتيتك (١) .

ما أنزل الله من القرآن في مو خبيب وأصحابه :

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله تعالى في خبر خبيب وأصحابه من
قول المنافقين فيهم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُفْجِرُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ
اللَّهَ عَلَى مَافِي قَلْبِهِ ﴾ البقرة : ٢٠٤ الآية ، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله
وأنها نزلت في الأخدسي بن شريق النخعي ، رواه أبو مالك عن ابن عباس ،
وقاله مجاهد ، وقال ابن السكبي : كنت بمكة ، فُسِّلتُ عن هذه الآية فقلت :

(١) لا شك في أنها أسطورة ..

نزلت في الأخنس بن شريق ، فسمعتي رجل من ولده ، فقال لي : يا هذا إن الله أنزل القرآن على أهل مكة ، فلا تُسم أحداً مادمت فيها ، وكذلك قالوا في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ البقرة ٢٠٧ . نزلت في صهيب بن سنان حين هاجر ، وترك جميع ماله لقرش وبذعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله ، واستشهد ابن هشام على تفسير الآية بقول مَهْلِيل ، قال : واسمه امرؤ القيس ، ويقال عدي ، وقد صرح مَهْلِيل باسمه نفسه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام ، فقال :

صَرَبَتْ صَدْرَهَا إِلَى وَقَاتٍ بِاعْدِيَا لَقَدْ وَفَتْكَ الْأَوَاقِ (١)

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام :

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدٌّ وَلَيْفَا وَخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِغْلَاقٍ (٢)

ويروى : مِغْلَاقٍ بِالْفَيْنِ الْمُعْجَمَةِ ، وَالْمِغْلَاقُ : اللسان ، وأما الْمِغْلَاقُ بِالْفَيْنِ مُعْجَمَةً ، فالقول الذي يُفْلِقُ قَمَّ اتْلَفَمَ وَيُسَكِّنُهُ . وبمده :

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَرْبَدُ لَا يَنْفَعُ مِنْهَا السَّلِيمُ نَفْثُ الرَّاقِ

(١) الأواني جمع واقية، فهز الوار الأولى في الجمع. ومن قال : إن اسمه امرؤ القيس بن ربيعة الخ روى الشرطة الثانية هكذا : يا امرأ القيس حان وقت الفراق. ص ١١١ سطر اللال البكري .

(٢) أشده اللسان : إن تحت الأحجار حرماً رجوداً . وزاد في تفسير المعلق أنه اللسان إذا كان جدلاً . هذا البيت الطرماس الذي في السيرة . أشده . اللسان هكذا : يضحي على سوق الجدول كأنه يلتند .

وسمى مهملًا بقوله :

لَمَّا تَوَقَّلَ فِي السَّكَارِاجِ مَجِيبُهُمْ هَمَلْتُ أَمَّا جَابِرٌ أَوْ صِنْوَانٌ^(١) .

هَمَلْتُ : أَمَى كِدْتُ وَقَارَبْتُ ، وَأَمَّا الْأَلَدُ ، فَهُوَ مِنَ اللَّدِيدَيْنِ ، وَهِيَ جَانِبُ الْعُنُقِ ، فَالْأَلَدُ الَّذِي يَرْبُغُ الْجُجَّةُ مِنْ جَانِبِ إِلَى جَانِبٍ ، يُقَالُ : تَرَكَتُهُ يَتَلَدَّدُ^(٢) ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ : الْخِصَامُ يَجْعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْخَاصِمَةُ ، لِأَنَّهُ أَقْلُ الَّذِي يَرَادُ بِهِ التَّنْضِيلُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْضُ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحُ النَّاسِ ، وَلَا تَقُولُ : زَيْدٌ أَفْصَحُ الْكَلَامِ .

قَالَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ حَسَنٌ إِنْ كَانَ الْأَلَدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ الْفُعْلَى ، أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ أَفْصَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعَلَاءُ نَحْوُ : أَخْرَسُ وَخَرَسَاءُ ، فَالْخِصَامُ مُصَدَّرٌ خَاصِمَةً ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ الْمَفْسَرِينَ ، فَإِنَّهُمْ فَسَرُوهُ بِالشَّدِيدِ الْخِصُومَةِ ، فَالَّذِدُ إِذَا مِنْ صِفَةِ الْمَخَاصِمَةِ ، وَإِنْ وَصِفَ

(١) فِي الْأَصْلِ : تَوَقَّلَ وَصَوَّابَهَا تَوَقَّلَ ، وَالْبَيْتُ فِي الْهَاسَنِ ، وَفِي سَمَطِ الْأَلَالِ ص ١١٢ : تَوَعَّرَ بَدَلًا مِنْ تَوَقَّلَ . وَالْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ قَالَهُ لُزْمِيرُ بْنُ جَنَابٍ ، وَقَدْ قَالَهُ لَمَّا أَدْرَكَ بَثَّارَ أَخِيهِ كَلِيبَ ، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ الْمُهَلِّلِ ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ أَنَّهُ سَمِيَ مَهْلِلًا لِأَنَّهُ هَلَّلَ الشَّعْرَ ، أَيْ أَرَقَهُ وَقَوْلُ السَّهْلِيِّ هُوَ قَوْلُ الطَّوْسِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي ارْتَضَاهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي رِسَالَةِ الْغُرَرَانِ ، وَجَابِرٌ وَصِنْوَانٌ رَجُلَانِ مِنْ قَتَلَبِ .

(٢) قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : مَعْنَى الْخِصَامِ الْإِلَادُ فِي الْفَعْلَةِ : الشَّدِيدُ الْخِصُومَةِ الْجَدَلِ وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ لَدِيدِ الْعُنُقِ ، وَهِيَ صَفْحَتَاهُ ، وَتَأْوِيلُهُ : أَنْ خَصِمَهُ أَيْ وَجَّهَ أَخَذَ مِنْ وَجْهِهِ الْخِصُومَةَ غَلَبَهُ فِي ذَلِكَ .

المسيح رفع وهمل

عروس في شعر مسافر في غيب:

وذكر شعر حسان في قصة خنبيب، وقوله فيه:

من القبائل منهم من نَفَتْ عُدُسُ

قوله: من نَفَتْ عُدُسُ، يعني حُجَيْرَ بن أبي إهاب بن عُرَيْنَ، وهو ينسب إلى بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم بن مالك بن حَنْظَلَة، ويقال: بل هو من بني ربيعة بن مالك بن حَنْظَلَة، ومن هاهنا ذكر نَفَى بني عُدُس له، من أجل الاختلاف في نسبه. وعُدُس بضم الدال في نيم، وهو هذا، وكل عُدُس في العرب سواء فهو بفتح الدال، وهو من عُدُس في الأرض إذا ذهب فيها، والله أعلم، فمن المفتوح الدال عُدُس بن عُبيد في الأنصار، ثم في بني النجار، وهو جد أبي أمية أسعد بن زُرارة (المرقد قال بعض النسابين في عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دَارِم الذي تقدم ذكره: عُدُس بفتح الدال، والأول أعرف وأشهر).

وعروة غيب على قائله:

وذكر قول خنبيب حين مضى في الحشبة: اللهم أحصهم عدداً، واقطعهم بَدْداً، فن رواه بَدْداً بكسر الباء، فهو مقدر بمعنى التبدد، أي: ذوى^(١)

(١) في الأصل دارة وهو خطأ وصوابه ما أثبت.

(٢) جاء في هامش المطبوعة: وفي النسخة الأخرى: يكسر الباء فهو جمع بدة، وهي الفرقة والقطعة من الشيء المتبدد، أي ذوى بدة هذا وقد ذكر =

بَدَدٍ. فإن قيل : فهل أُجيب فيهم دعوة خُبَيْبٍ ، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجَابَةٌ ؟

قلنا : أصابت منهم مَنْ سبق في علم الله أن يموت كافراً ، ومن أسلم منهم فلم يَمُتْ خُبَيْبٌ ولا قصده بدعائه ، ومن قتل منهم كافراً بعد هذه الدعوة ، فإنما قُتِلُوا بَدَدًا غير مُسْكِرِينَ ولا مُجْتَمِعِينَ كاجتماعهم في أُحُدٍ ، وقبل ذلك في بدر ، وإن كانت اتْلَفَدُقُ بعد قصة خُبَيْبٍ فقد قتل منهم آحادٌ فيها مُتَبَدِّدُونَ ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا مَسْكِرٌ غَزَوا فيه ، فنُفِذَتِ الدعوة على صورتها ، وفيمن أراد خُبَيْبٌ - رحمه الله - وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامهم ^(١) .

ابن كرهية في شعر مساه :

فصل : وذكر أشعار حَسَّانٍ في خُبَيْبٍ وأصحابه ، وليس فيهم معنى خفي ، ولا لفظ غريب وحشي ، فيحتاج إلى تفسيره ، لكن في بعضها :

= الخشني البدة بكسر الباء : المتفرقون ، وهو بفتح الباء المصدر ، وأصله من التبديد وهو التفرق . وذكر ابن الأثير ما يأتي : بدد : يروي بكسر الباء جمع بدة وهي الحصة والنصيب ؛ أي اقتلهم حصصاً مقسمة ، لكل واحد حصته ونصيبه . ويروى بالفتح . أي . متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد .

(١) وقصيدة خبيب في السيرة لم يرو منها البخاري غير هذين :

ما إن أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو بجمع

وفي رواية أبي الأسود من عروة ذكر البيت الأول والرابع من القصيدة .

بني كُثَيْبَةَ أن الحربَ قَدْ لَقِيتَ

جمل كُثَيْبَةَ كانه اسمٌ عَلمٌ لأمهم ، وهذا كما يقال : بني ضَوْطَرَى
هو بني القُتَبَاءِ وبني دَرَزَةَ^(١) قال الشاعر :

أولادُ دَرَزَةَ أَشْلُوكَ وَطَارُوا^(٢)

وهذا كله اسمٌ لمن بَسَّ ، وعِبَارَةٌ عن السَّفَلَةِ من الناس ، وكُثَيْبَةُ
من السُّكْنَبَةِ ، وهي القُتَبَةُ ، وهذا كما قالوا : بني القُتَبَاءِ ، وأكثرُ أَسْطَر
حَسَّانَ في هذه القصة ، قال فيها من هُذَيْلٍ ، لأنهم إخوانُ القَارَةِ ، والمشاركون
لهم في القَدْرِ بِجُبَيْنٍ وأصحابه ، وهُذَيْلٌ وخَزِيمَةُ أبناءُ مُدْرِكَةَ بنِ إلياس
وعَصَلٌ والقَارَةُ من بني خَزِيمَةَ .

مرل العلم ومنه من التنوين مع التخصيص :

وقوله : وابنُ الطَّارِقِ ، وابنُ دَنَنْةٍ منهم ، حذف التنوين كما تقدم في قوله

(١) الضوْطَرَى : الرجل الضخم الذي لا غناء عنده ، ويقال للقوم إذا كانوا
لا يفتنون غناء بنو ضوْطَرَى . وبنو ضوْطَرَى : حمي معروف . وبنو غبراء يقال
للمحارب أو للمفترق كأنهم نسبوا إلى الأرض ، وهي في الأصل : غبرى —
مقصورة — ولم أجدها . وبنو درزة يقال للدعي هو ابن درزة وابن ترقى ،
وذلك إذا كان ابن أمة تساعى فجاءت به من المساعة : ولا يعرف له أب ويقال :
مؤلاه أولاد درزة وأولاد فرتى للسفلة والسقاط . انظر اللسان في مادة درز
وضطر وغيره .

(٢) في اللسان قاله شاعر يخاطب زيد بن علي . ويقال . أراد به الحياطين ،
مرفون كانوا خرجوا معه ، فتركوه واتهموا .

شَلَتْ بَدَا وَحْشِيٍّ مِنْ قَاتِلٍ ، ولو أنه حين حذف التنوين نَعَبَ ، وجهه
 كالاسم الذي لا ينصرف ، وهو في موضع الخفض مفتوح ، لمكان وجهها وقياساً
 صحيحاً ، لأن الخفض تابعُ التنوين ، فإذا زال التنوين زال الخفض ، مثلاً
 يلتبس بالضاف إلى ضمير التكلم ، لأن ضمير التكلم ، وإن كان باء فقد
 يحذف ، ويكتفى بالكسرة منه ، وزوال التنوين في أكثر ما لا ينصرف إنما
 هو لاستغناء الاسم عنه ، إذ هو علامة الانفصال عن الإضافة ، فكل اسم لا يتوهم
 فيه الإضافة لا يحتاج إلى التنوين ، لكنه إذا لم يُنَوَّن لم يُخَفَّض ، لما ذكرناه
 من التباسه بالضاف إلى التكلم ، وقد تقدم في أشعار أحد : كَنَارِ
 أَبِي حُبَابٍ وَالْغُلَيْنَا بفتح الباء من حُبَابٍ في موضع الخفض ، وكان حق
 كلِّ علم ألا يُنَوَّن ؛ لأنه مُسْتَقْنٍ عن الإضافة كما لم يُنَوَّن جميع أنواع
 المعارف ، ولكنه نَوَّنَ ما نَوَّنَ منه للسر الذي بيناه في أسرار ما لا ينصرف
 من الأسماء ، وقد أملينا في ذلك جزءاً ، ولكن الخفض في طارقٍ وَوَحْشِيٍّ
 مَرَوِيٍّ ، وجهه أنه لما كان ضَرْوَرَةً شَعَرٍ ، ولم يكن في كلامهم لم يُنَبِّهوا
 الخفض فيه التنوين إذ لا يتوهم إضافته إلى التكلم ، إذ لا يقع إلا نادراً
 في شعر ، فاللتبس فيه بعيد .

استقواء اسم غيب وهزل

وقوله : وابن البكير إمامهم وخبيب ، أزدف حرف الروي بياء
 مفتوح ما قبلها ، وقد تقدم القول فيه مرتين . وخبيب في اللفظة تصغير خب ،

فيكون من باب تصغير الترخيم ، وهو الذي ينبقى على حذف الزوائد ، وأما هُذِلْ فقالوا فيه : إنه مُصَغَّرُ تَصْغِيرِ التَّخِيمِ ، لأنه من هَوَذَلَ الرَّجُلُ يَبْوُلُهُ إذا باعد به ، فكأنه تصغيرٌ مُهَوَذَلَ على حذف الزوائد ، ويجوز أن يكون تصغير هُذُلُولٍ ، وهو التَّلُّ المَصْغَرُ مِنَ الرَّجُلِ عَلَى تَصْغِيرِ التَّخِيمِ أَيْضاً^(١) .

سألت برونه همزة :

وقوله : سألت^(٢) هُذِلْ رسولَ الله فاحِشَةً ، ليس على تسهيل الهمزة في سألت ، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم : تَسْأَلُ الْقَوْمُ ، ولو كان تشبيهاً ، لكانت الهمزة بينَ يَينَ ، ولم يستقم وَزْنُ الشَّعْرِ بِهَا ، لأنها كَالْمُتَحَرِّكِ ، وقد ثَقُلَ الْفَاءُ سَاكِتَةً كما قالوا : الْمُنْسَاءُ^(٣) ، ولكنه شيء لا يُقَاسُ عَلَيْهِ ، وإذا كانت سَأَلَ لُغَةً فِي سَأَلَ فَيُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمَضَارِعُ يَسِيئاً ، ولكن قد حكى يونس : سِئْتَ تَسَالُ مِثْلَ خِفْتَ تَخَافُ ، هو عنده من ذَوَاتِ الْوَاوِ ، وقال الزجاج : الرَّجُلَانِ يَتَسَابَلَانِ ، وقال النحَّاسُ والمُبَرِّدُ : يَتَسَاوِلَانِ ، وهو مثل ما حكى يونس .

خبر بئر معونة

قال ابن إسحاق : وكانوا أربعين رجلاً ، والمصحح أنهم كانوا سبعين ،

-
- (١) قريب منه قول ابن دريد : اشتقاق هذيل من الهذل وهو الاضطراب ، يقال : هوذِل الرجل يبو له إذا اضطرب بوله فقد هوذِل .
 (٢) السيل ينتقل من قصيدة إلى قصيدة دون ترتيب .
 (٣) المنساء : المعاليهز ولا يهز .

كذا وقع في صحيح البخارى ومسلم .

ملعب الأسيّة وبغزة ومعوذ الحكماء :

وذكر أبا براء ملاعب الأسيّة، وأنه أجاز أصحاب بئر مئونة من أهل نجد ، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، سمى ملاعب الأسيّة في يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام حيلة ، وهي أيام حروب كانت بين قيس وتيم ، وجيلة اسم لهضبة عالية ، وقد تقدم طرّف من هذا الحديث في أول الكتاب ، وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسيّة أن أخاه الذي يقال له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قرزل ، كان أسلمه في ذلك اليوم ، وقرّ فقال شاعر :

قرزت وأسنت ابن أمك عامراً بلاعب أطراف الوسيج المزعزع
فسمى ملاعب الأسيّة ، وملاعب الرماح . قال لبيد :

ولمّا ملاعب الرماح ومدره الكتيبة الرّداح

وهو عمّ لبيد بن ربيعة ، وكانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعلمير ملاعب الأسيّة ، وربيعة المقترين ^(١) وهو والد لبيد ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء ^(٢) وهو الذي يقول :

(١) في الجمهرة لابن حزم : وربيعة ، وهو ربيع المقترين .

(٢) في الجمهرة معوذ ص ٢٦٨ وكذلك في اللسان وفي سبسط اللال

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِيظَةٌ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وَفِي هَذَا الشَّرْحِ يَقُولُ :

يَعُودُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِمَعْنَى إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا
وَبِهَذَا الْبَيْتِ سُمِّيَ مُعَوِّذَ الْحِكْمَاءِ ^(١).

شَرَّ لِيَدٍ عَنِ مَرْهَبٍ وَاهْوَنَ أَمَامَ الْعَمَامِ :

وَأِيَّاهُمْ عَنِّي آيِدُ حِينَ قَالَ بَيْنَ يَدَيِ التُّغَمَّانِ بْنِ الْمُتَدْرِ :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَيْتَيْنِ الْأَرْبَعَةِ الْبَطْمُونِ الْجَنْفَةِ الْمُدْفَعَةِ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ نَحْتُ الْخَيْضَةَ يَارُبُّ فَيَجَأُ هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ ^(٢)

(١) الْبَيْتُ فِي الْلسَانِ مَكْنًى :

أَعُودُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِمَعْنَى إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْحَدَثَانِ نَابَا
وَيَقُولُ الْلسَانُ قَبْلَهَا : وَسَمِيَ مُعَوِّذَ الْحِكْمَاءِ لِقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ .
وَفِي سَمَطِ اللَّالِي ص ١٩٠ يَقُولُ : سَمِيَ مُعَوِّذَ - بِالْبَدَالِ - الْحِكْمَاءِ بِقَوْلِهِ :

سَأَعْقِلُهَا وَتَحْمِلُهَا غَنِي وَأُورِثُ بِجَدِّهَا أَبَدًا كَلَابَا
أَعُودُ مِثْلَهَا الْحِكْمَاءُ بِمَعْنَى إِذَا مَا مَعْضَلُ الْحَدَثَانِ نَابَا

وَفِي ص ٤٤٨ يَذْكُرُ بَعْدَ بَيْتِهِ إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

لِكُلِّ مَقْلُصٍ عِلٌّ شَوَاهٍ إِذَا وَضَعْتَ أَعْتَبِينَ نَابَا
وَعَفْزَةُ الْحَزَامِ بِمَرْفَقَيْهَا كِفَاةَ الرِّبْلِ أَفْطَتِ الْكَلَابَا

وَنَظَرَ ص ١٨٢ ج ١ الْأَمَالِي لِقَالِي ط ٢

(٢) فِي الْلسَانِ وَفِي سَمَطِ اللَّالِي : نَحْنُ بَنُو ، وَزَادَ الْلسَانُ بَعْدَ الْبُشْطَرَةِ الْأُولَى
فِي مَادَّةِ خَضَعُ : وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرُ بْنُ صَعْصَعَةٍ ، وَالْمُدْفَعَةُ : الْمَلِيَّةُ ، وَالْخَيْضَةُ :
الْبَيْضَةُ أَوْ التَّفَافُ الْأَصْوَاتُ فِي الْحَرْبِ وَقَدْ قَالَ لَبِيدُ الرَّجَزِ حِينَ نَظَرَ الرِّيحَ =

ثم ذكر الربيع بن زياد [القيسي] فقال:

مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّفْنَ لَا نَأْكُلُ مِنْهُ

إلى آخر الرجز في خبر طويل ، إنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن
أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يُعزى
إلى الفرء أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز
لشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ،
وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل قاسد تأوله في قوله سبحانه :
(وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) الرحمن : ٤٦ . وقال : أراد جنة واحدة ،
وجاء بلفظ التثنية ، لتفق رؤوس الآي ، أو كلاماً هذا منتهى ، فصلى صمام (١)
ما أشنع هذا الكلام ، وأبعد عن العلم ، وفهم القرآن : وأقل هبة قائله
من أن يتنبأ مقدمه من النار ، فعذار منه حذار . وما يدلك أنهم كانوا
أربعة حين قال ليبد هذه المقالة أن في الخبر ذكرهم ليبد وصغر منه ،
وأن أحامه الأربعة استغفروه أن يذخلوه معهم على النعمان حين همهم
ما قالوا لهم به الربيع بن زياد ، فسمعهم ليبد يتحدثون بذلك ، ويهتفون له ،
فسألهم أن يذخلوه معهم على النعمان ، وزعم أنه سيفهمهم فتحاؤنوا بقوله ،

= ابن زياد العبسي بحضرة النعمان بن المنذر . أنظر ص ١٥١ وسط اللال . وحسنا فعل
السهيل حين يتر الرجز ، فقد أفضى فيه ليبد ، ورمى زياداً بما عمراً منه الرجولة
بألفاظ تثير التفزز ،

(١) صمى صمام : يضرب للرجل يأق الداهية ، أى اخرمى بصمام . ويقال
للداهية : صمى صمام مثل نظام . وهى الداهية ، أى زيبد .

حتى اخْتَبَرُوهُ بِأَشْيَاءَ مَذْكُورَةٍ فِي الْخَبَرِ ، فَبَانَ بِهِذَا كُلِّهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةً ،
وَلَوْ سَكَتَ الْجَاهِلُ لَقُلَّ الْخِلَافُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

معبر ابن فهيره :

وذكر ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل
قال يومئذ : مَنْ رَجُلٍ لَمَّا طَلَعَتْهُ رُفِيعٌ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ . هَذِهِ
رَوَايَةُ الْبُكَائِيِّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَرَوَى يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْهُ بِهِذَا الْإِسْنَادِ أَنَّ
عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَالَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ رَجُلٍ
يَا مُحَمَّدُ لَمَّا طَلَعَتْهُ رُفِيعٌ إِلَى السَّمَاءِ ؟ فَقَالَ : هُوَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ^(١) وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ
وَابْنُ الْمُبَارَكِ أَنَّ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ التَّمَسَّ فِي الْقَتْلِ يَوْمَئِذٍ ، فَفُقِدَ ، فَيَرَوْنَ
أَنَّ الْمَلَائِكَةَ رَفَعَتْهُ أَوْ دَفَنْتَهُ .

أسم البنين الأربعة :

وذكر قول حسان :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أُمُّ يَرْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ فِي ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ

وهذه أم البنين التي ذكر لبيد في قوله :

نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ

(١) في رواية البخاري أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمري ،
وأن عامرا قال : لقد رأيت ما قتل رفيع إلى السماء ، حتى إنني لأنظر إلى السماء
بينه وبين الأرض وهذا قول رجل كافر ظل على كفره فهل يصدق ؟
(٢) في السيرة : من .

واسمها: كَيْلَى بنتُ عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها ،
ولم يذكر اسمها .

وذكر قول أنس بن عباس السلي :

تَرَكْتُ ابْنَ وَرَقَاءَ الْخَزَاعِيَّ قَاوِيَا بُمَعْرَكٍ تَنَبَّيَ عَلَيْهِ الْأَخْصِرُ
ذَكَرْتُ أَبَا الزَّبَّانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَأَيَقَنْتُ أَنِّي عِنْدَ ذَلِكَ نَائِرُ

الزبان أو الزبان

هكذا وقع في النسخة أبا الزبان^(١) ، وفي رواية إبراهيم بن سنان :
أبا الزبان بالراء المهملة ، وبالياء أخت الواو ، وهكذا ذكره الدارقطني
في المؤتلف والمختلف ، كما في رواية إبراهيم بن سعد .

القرطاء :

وذكر شعركب وفيه : أو القرطاء ما إن أسلموه . القرطاء هم
بنو قرط وقريط وقريط ، وهم أبطن من بني عامر ثم من بني كلاب .

سوى منسوخ

ولما قتل أصحاب بدر مونة نزل فيهم قرآن ، ثم رفع : أن أبلغوا قَوْمَنَا
أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضَى عَنَّا وَرَضِينَاهُ^(٢) ، فثبت هذا في الصحيح ، وليس

(١) في أبي ذر: الزبان أي بالزاء والياء وقد صوب : الزبان .

(٢) البخاري : إنا لقينا ربنا ، فرضى عنا وأرضانا . ولتدبر النقد الرائع

الذي نقد به السهيلي هذا .

عليه رَوَتْهُ الإِجْهَازُ ، فيقال : إنه لم يَنْزَلْ بهذا النظم ، ولكن يَنْظُمُ مُعْجِزٌ .
كَنْظُمِ الْقُرْآنِ .

فإن قيل : إنه خَبَرٌ والخبر لا يدخله النسخ ، قلنا : لم يُنسخ منه الخبر ، وإنما نُسخَ منه الحكم ، فإنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ أَنْ يُتْلَى فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَا يَمْسَهُ إِلَّا طَاهِرٌ^(١) ، وَأَنْ يُكْتَبَ بَيْنَ الْأَوْحَيْنِ ، وَأَنْ يَكُونَ نَعْلُهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ ، فَكُلُّ مَا نُسخَ ، وَرَفَعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَحْكَامُ ، وَإِنْ بَقِيَ مُحْفُوظًا ، فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ ، فَإِنْ تَضَمَّنَ حُكْمًا جَازَ أَنْ يَبْقَى ذَلِكَ الْحُكْمُ مَعْمُولًا بِهِ ، وَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ لِلْمَنْزِلَةِ ، وَإِنْ تَضَمَّنَ خَبْرًا بَقِيَ ذَلِكَ الْخَبَرُ مُصَدَّقًا بِهِ ، وَأَحْكَامُ التَّلَاوَةِ مَنْسُوخَةٌ عَنْهُ ، كَمَا قَدْ نَزَلَ : لَوْ أَنَّ لابْنَ آدَمَ رَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ لَا يَبْتَنَى لَهَا ثَلَاثًا ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ .

وَيُرْوَى : لَا يَمْلَأُ حَيْثَى ابْنِ آدَمَ ، وَفَمَ ابْنِ آدَمَ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ ، وَكَذَلِكَ رُوي : وَادْبِأَ مِنْ مَالٍ أَيْضًا ، فَهَذَا خَبَرٌ حَقٌّ ، وَالْخَبَرُ لَا يُنسخُ ، وَلَكِنْ نُسخَ مِنْهُ أَحْكَامُ التَّلَاوَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَعْنَى قَوْلِهِ : لَوْ أَنَّ .

(١) يشير إلى قوله سبحانه : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون) الواقعة : ٧٧ — ٧٩ والضمير في لا يمسه يعود إلى الكتاب الذي في السماء كما قال ابن عباس . والمطهرون هم الملائكة . وقال ابن زيد : زعمت كفار قريش أن هذا القرآن نزلت به الشياطين ، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى : (وما نزلت به الشياطين) وقال الفراء : لا يمسح طمعه . ونفعه إلا من آمن به .

أمر إجلاء بني النضير

في سنة أربع

بنو النضير يأمرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعصمهم في دية ذينك القَتيلين من بني عامر ، الذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عتد وحلف .

لابن آدم في سورة يونس بعد قوله : كأن لم تنفن بالأمس كذلك فنصّل الآيات لقوم يتفكرون ، كذلك قال ابن سلام ، وأما الحكم الذي بقي ، وكان قرآناً يُتلى : فالشَّيخُ والشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا ، فارجعوهما إلى النَّبِيِّ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ ، وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فإن ذلك كفرٌ بكم ، فهذا حكم كان نسخه جائزاً حين نسخ حكم التلاوة ، وكان جائزاً أن يبقى حكم التلاوة ، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدم^(١) .

(١) سؤال نسأله هؤلاء الذين يزعمون مثل هذا : هل يجوز للمسلم أن يزعم أن قوله : لو أن لابن آدم الخ من القرآن ؟ ثم هل يكفر من ينكر أنه كان من القرآن ؟ وفي آي القرآن من جلال البيان وجماله وإشراقه ما يقضي عن هذا ، وما يحكم بأن هذا كلام ليس عليه — كما قال السهيلي من قبل — روق الإعجاز ثم كيف تنسخ آية ويبقى حكمها ؟ أهذه تتفق مع حكمة الله بعباده ورحمته ؟ ليتق الله الذين يزعمون مثل هذا ، وكيف نأمن شرأبغرى مثل هذا ؟ وسؤال آخر : أفي كتاب الله آية بحره على المسلم أن يعمل بها ؟ لا يجوز أحد على قول : نعم .

ثُمَّ أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ ، قَالُوا : نَعَمْ ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ . ثُمَّ خَلَا بِمَضْمَنِهِمْ بِيَمَضٍ ، فَقَالُوا : إِنْ كُنْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بَيْتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلَمُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً ، فَيَرْجِفُ مِنْهُ ؟ فَأَتَدَبَ لَذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جَعْلَانَ بْنِ كَعْبٍ ، أَحَدُهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا لَفَلَاكُ ، فَصَعَدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَفَرُّقٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَنُحَيْرُ بْنُ عُلَى ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

اللَّهُ يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ بِمَا دَبَّرُوا

فَإِنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبِيرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ ؛ فَقَالَ : رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ . فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْفَنْدَرِ بِهِ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاتِّهَامِ الْخَبَرِ ، وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمٍّ مَكْتُومٌ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصروهم ست ليال ؛ ونزل
نحرم الظفر .

حصار الرسول لبني النضير

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع النخيل والتخريب فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى
من الفساد ، وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم (عدو الله) عبد الله بن
أبى بن سلول ، ووديعه ، ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى
بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلحكم ، إن قوتكم قاتلنا معكم ،
وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من تصرفهم ، فلم يفعلوا ، وقذف
الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم
ويكف عن دماءهم ، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الخلقة .
ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فسكران الرجل منهم يهديم
بيته عن نجاف بابه ، فيضمه على ظهره ، فينطلق به . فخرجوا إلى خير ،
ومنهم من سار إلى الشام .

من هاجر منهم إلى خير

فكان أشرفهم من سار منهم إلى خير : سلام بن أبى الحقيق .

وكيدانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحيق بن أخطاب. فلما نزلوها دان لم أهلها .
 قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا
 بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والتيان يفرغن خلفهم ،
 ولأن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العنسي ، التي ابتاعوا منه ،
 وكانت إحدى نساء بني غفار ، بزهاة وقدر مازئي مثله من حتى من الناس
 في زمانهم .

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم خاصة ، بضمها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف
 وأبا دجاجة سمالك بن خرسة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أسلم من بني النضير

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو
 ابن جحاش ؛ وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما .

تخريب يامين على قتل ابن جحاش

قال ابن إسحاق - وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لقيت من ابن عمك ، وما هم به من شائي ؟

.....

فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ﴾ وكان لهم من الله نعمة ، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ : أي بالسيف ، ﴿ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾ مع ذلك . ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْلَةٍ أَوْ نَحْوِهَا فَا تَمُّوا عَلَى أَمُورِهَا ﴾ . والليانة : ما خالف المجرة من النخل ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ : أي فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نعمة من الله ﴿ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الليانة : من الألوان ، وهي ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

كَانَ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لَيْتَةٍ سَوْدَاءَ تَهْفُو جُنُوبَهَا
وهذا البيت في قصيدة له .

(وما أكرم الله على رسوله منهم) - قال ابن إسحاق : يعني من بني
النضير - (فما أوزجتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط
رسوله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير) : أي له خاصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن
مُقبل أحد بني عامر بن صعصعة :

مذاويد بالبيض الخديث صقالها من الركب أحياناً إذا الركب أوجفوا
وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . (و) قال أبو زيد الطائي ،
واسمه حرمة بن المنذر :

مُستغفك كأنهن قدنا الهنسد لعلول الوجيف جذب العرود

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : السَّاف : البطان . والوجيف (أيضا) : وجيف القلب
والبكيد ، وهو الضربان . قال قيس بن الخطيم الظفري :

إنا وإن قدّموا التي علموا أكبادنا من قدائم تجف

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلَهُ وَالرَّسُولِ ﴾ - قال ابن إسحاق : ما يُؤجف عليه المسلمون بالخليل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فله والرَّسُولُ - ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَإِذَا السَّبِيلُ ﴾ ، كَيْتَلَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ . يقول : هذا قسم آخر فيما أُهيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَصُوا ﴾ . يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : يعني بنى النضير ، إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : يعني بنى قينقاع . ثم القصة . . إلى قوله : كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . فكان عاقبتهما أنهما في النارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ، وذلك جزاء الظَّالِمِينَ .

ما قيل في بنى النضير من الشعر

وكان مما قيل في بنى النضير من الشعر قول ابن لُقَيْمِ القُبَيْسِي ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي - فقال :

أَهْلِي فِدَا لَا مَرِيٍّ غَيْرِ هَالِكٍ أَحَلَّ الْبُهْدَ بِالْحَسَى الْمُرْتَمِ
يَقِيلُونَ فِي بَحْرِ النَّضَاءِ وَبَدَّلُوا أَهْضِبْ عُودِي بِالْوَدَى الْمُسْكَمِ

فَإِنْ يَكُ عَلَى صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ تَرَوْا خَلَّةَ بَيْنَ الصَّلَا وَرَمَرَمِ
يَوْمَ بَهَا حَمْرُو بْنُ بَهْشَةَ إِيَّاهُمْ حَدَّثَ وَمَا حَىٰ صَدِيقِ كَمْ جَرِمِ
حَلِيمَنَ أَبْطَالٍ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الشَّقُومِ
سَوَكِلَ رَفِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَسِدِ تُؤْوِرُنَّ مِنْ أَزْمَانٍ عَادٍ وَجُرْمِ
فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي قُرْبَشًا وَرِسَالَةً قَهْلَ بَعْدَمِ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُسْكِرَمِ
بَانَ أَخَاكُمْ فَاعْلَمُنَّ مُحَمَّدًا تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحَجُونِ وَزَمَرَمِ
مُخْدِبُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَحْسُمُ أُمُورَكُمْ وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُقْظَمِ
نَسِيَّ تَلَاقَتْهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرْجَمِ
فَقَدْ كَانَ فِي بَنِيهِ لَعْنَتِي خَيْرَةً لَكُمْ يَا قُرْبَشَا وَالْقَلْبِيبِ الْمَلَمَمِ
غَدَاةَ أَتَى فِي الْخَزَرْجِيَّةِ حَامِدًا إِلَيْكُمْ مُطْعِمًا لِلْمَعْظِمِ الْكَرَمِ
مُعَلِّمًا بَرُّوحَ الْقُدُسِ يُنْصِي عَدْوَهُ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بِمَقَلَمِ
رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَتْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَنَارَ الْخَلْقُ لَمْ يَتَلَمَمِ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلُوا لِأَمْرِ نَحْمَهُ اللَّهُ مُحْكَمِ

قال ابن هشام: عمرو بن بهشة، من غطفان. وقوله «بالحصى الزنم» عن
غير ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب: يذكر لإجلاء بني النضير،
وقتل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قال رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب، فيما ذكر

لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها على :

عرفتُ ومن يعتدل بعرفٍ وأيقنتُ حقا ولم أضيق
عن الحكم المحكم اللاء من لدى الله ذى الرأفة الأراف
رسائلُ مدرّس في المؤمنين بين اصطفى أحدا المصطفى
فأصبح أحدا فينا عزيزا عزيزا المقامة والموقف
فيا أيها الموعودوها فهاها ولم يأت جورا ولم يفت
ألسن تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كالأخوف
وأن تضرهوا تحت أسيافه كمتصرع كعب أبي الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجمل الأجنب
فأنزل جبريل في قته يوحي إلى عبده ملطف
قدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبة مرهف
فبانت عيون له مقولات متى بُنِع كعب لها قدرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلا فإنا من التّوَح لم نشف
فسلامم نم قال انظمتوا دحورا على رغم الأنف
وأجلى التّخير إلى غزية وكانوا بدار نوى زخرف
إلى أذرع رُدافى وم على كل ذى دبر أعجب

فأجابه سمالك اليهودى ، فقال :

إن تمخروا فهو فخر لكم بمقتل كعب أبي الأشرف

.....

غَدَاةً غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُخْلِفْ
 قَعْلَ اللَّيَالِي وَصَرَفَ الدُّهُورَ يُبْدِلُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُتَنَصِفِ
 بِقَتْلِ النَّضِيرِ وَأَخْلَافِهَا وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفْ
 فَإِنْ لَا أُمْتُ تَأْتِكُمْ بِالْقَنَا وَكَلَّ حُسَامٍ مَعًا مَرَهَفِ
 بِكَفِّ كَمِيٍّ بِهِ يَحْتَمِي مَتَى يَلْقَى قِرْنًا لَهُ يُبْقِ
 مَعَ الْقَوْمِ صَخْرَ وَأَشْيَاءَهُ إِذَا غَلَوْرَ الْقَوْمِ لَمْ يَضْمَفْ
 كَلَيْثٍ يَتْرَجُ حَتَّى غِيَلَهُ أَخِي غَايَةَ هَاصِرِ أَجْوَفِ

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل
 كعب بن الأشرف :

لَقَدْ خَزَبَتْ بَسْدَرَتَهَا الْحُيُورُ كَذَلِكَ الدُّهُرُ ذُو صَرَفٍ يَدُورُ
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
 وَقَدْ أَوْثَرُوا مِمَّا قَهَبُوا وَعَلِمَا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
 نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَى كِتَابًا وَأَيَاتٍ مُبَيِّنَةً مُنِيرُ
 فَقَالُوا : مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِمَّا جَدِيرُ
 قَال : بَلَى لَقَدْ أَدَيْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ النَّهْمُ الْحَمِيدُ
 فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يَهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَافُورُ
 فَلَا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الثَّنُورُ

أَرَى اللَّهُ النَّبِيَّ بَرَأَى صَدَقٍ وَكَانَ اللَّهُ بِحُكْمٍ لَا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَمَسَّ لَطْفُهُ عَلَيْهِم وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعْمَ النَّصِيرُ
فَقُدِّرَ مِنْهُمْ كَتَبٌ صَرِيحًا فَذَلَّتْ بِعَدِّ مَضْرَعَةِ النَّصِيرِ
عَلَى الْكَافِّينَ ثُمَّ وَقَدْ عَلَّمَهُ بَأْيَدِيهَا مَشْهُورَةٌ ذُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَتَبٍ أَخَا كَتَبٍ بَصِيرِ
خَمَلًا كَرِهَ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرِ وَنَحْمُودُ أُخْرَى نَقَّةٍ حَسُورِ
فَتَلَكَّ بَنُو النَّصِيرِ بَدَارِ سَوْرِهِ أَبَارَمَ بِمَا اجْتَرَمُوا الْمِيرِ
غَدَاةَ أَنَاثُمْ فِي الرَّحْفِ رَهْوًا رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرِ
وَعَسَانَ الْحُمَاةِ مُوَازِرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
فَقَالَ السَّلْمُ وَبِحُكْمٍ قَصَدُوا وَحَالَفَ أَمْرَمَ كَذِبِ وَزُورِ
فَذَاقُوا غِيبَ أَمْرِهِمْ وَبَلَاً لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ تَبِيرِ
وَأَجَلُوا عَامِدِينَ لَقَيْنُقَاعَ وَغَوَّوْا مِنْهُمْ نَحْلَ وَدُورِ

شعر سماك في الرد على كتب

فأجابه سماك اليهودي ، فقال :

أَرِقْتُ وَضَافِي مَمْ كَبِيرُ بَلِيلِ غَيْرُهُ لَيْلِ قَصِيرُ
أَرَى الْأَخْبَارَ تُشْكِرُهُ جَمِيعًا وَكُلُّهُمْ لَهُ حِلْمٌ خَبِيرُ
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ حِلْمٍ بِهِ التَّوْرَةَ تَنْطِقُ وَالزَّبُورُ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَخْبَارِ كَتَمًا وَقَدَمًا كَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرُ

تَدَلَّى نَحْوَ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ وَمُحَمَّدٌ سَرَّ بَرْتَهُ الْفُجُورِ
خَلَدَرَهُ كَانَ دَمًا نَجِيمًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ حَبِيرِ
قَدْ وَأَيْكُمْ وَأَبَى جِيمًا أُصِيبَتْ إِذْ أُصِيبَ بِهِ النَّصِيرِ
فَإِنْ نَنَلَمْ لَكُمْ تَرَكَ رِجَالًا بَكَتْ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورِ
كَأَنَّهُمْ عَتَارُ يَوْمِ عِيدِ تُذَبِّحُ وَهِيَ لَيْسَ لَهَا تَكْبِيرِ
بَيْضٍ لَا تُلَيِّقُ لَهْنَ عَظْمًا صَوَافِي الْخَلْدِ أَكْثَرُهَا ذُكُورِ
كَأَلَا قِيمُ مِنْ بَاسٍ صَخْرٍ بِأُخْدِ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرِ

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير :

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهُى وَمَلْعَبَا
خِلَافَكَ عَمْرَى هَلْ أُرْبِكَ ظِلْمَانًا سَلَكَنْ عَلَى رُكْنِ الشَّطَاءِ قَنَابَا
حَلِيمِينَ عَيْنٍ مِنْ ظَبَاءِ تَبَالَةٍ أَوَانِسُ بَعْضِينَ الْحَلِيمِ الْعُجْرَبَا
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَبْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بَوَجُوهُ كَالدَّانِيَرِ مَرَحَبَا
وَأَهْلًا فَلَا مَتْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تَوُتَبَا
فَلَا تَحْسَبْنِي كَنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ سَلَامٌ - وَلَا مَوْلَى حَيٍّ بِنِ أَخْطَبَا

شعر خوات في الرد على ابن مرداس

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن موف ، فقال :

تَبَكَّى عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدَّرَى مِنْ الشُّجُو لَوْ تَبَكَّى أَحَبُّ وَأَقْرَبَا
قَهْلًا عَلَى قَتْلَى بَيْطُنِ أَرْبَنْقِ بَكَيْتَ وَلَمْ تَقُولَ مِنَ الشُّجُو مُنْهَابَا
إِذَا السَّلَامُ دَارَتْ فِي صَدْيُورِ دَنْهَابَا وَفِي الدِّينِ مَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ تَغْلِبَا
عَدْتُ إِلَى قَدَرِ أَمَوِيكَ تَبَتَّنَى لَهُمْ شَبَابًا كَيْفَمَا تَعَزَّ وَتَغْلِبَا
فَلَيْتَ لِمَا أَنْ كُنْتُ نَعْدَا لِمَنْ كَانَ غَيْبًا مَدْحُهُ وَنَعْدَا
رَحَلْتُ بِأَمْرِ كُنْتُ أَهْلًا لِشَلَا وَلَمْ تُنْفِ فِيهِمْ قَاتِلًا لَكَ مَرْحَبَا
قَهْلًا إِلَى قَوْمِ مُلُوكٍ مَدْحَتِهِمْ تَبَتَّنُوا مِنَ الْعَزِّ الْمُؤَثَّلِ مَنَصِبَا
إِلَى مَقَرِّ صَارُوا مُلُوكًا وَكُرُمُوا وَلَمْ يُلَفِّ فِيهِمْ طَالِبُ الْعُرْفِ مَجْدَا
أُولَئِكَ أُخْرَى مِنْ يَهُودَ بِمَدْحَةٍ تَرَامُ وَفِيهِمْ عِزَّةُ الْمَجْدِ تَرْتَبَا

شعر ابن مرداس في الرد على خوات

فأجابه عباس بن مرداس السلي، فقال :

مَجُورٌ مَرِيحَ الْكَاهِنِينَ وَفِيكُمْ لَمْ يَنْعَمْ كُنْتُ مِنَ الذَّهْرِ تَرْتَبَا
أُولَئِكَ أُخْرَى لَوْ بَكَيْتَ عَلَيْهِمْ وَقَوْمُكَ لَوْ أَدَّوْا مِنَ الْحَقِّ مُوجِبَا
مِنْ الشُّكْرِ إِنْ الشُّكْرُ خَيْرٌ مَقْبَةٍ وَأَوْفَقُ فَعَلًا لَذَى كَانَ أَصَوْبَا
فَكُنْتُ كَمَنْ أَمْسَى يُقَطِّعُ رَأْسَهُ لَيَبْلُغُ عَرَا كَانَ فِيهِ مَرْكَبَا
مَبَكَّ بَنِي هَارُونَ وَإِذَا كَرُّ فَعَالِهِمْ وَقَتْلُهُمْ لَجُوعٌ إِذْ كُنْتُ مُجْدِبَا
أَخَوَاتُ أَذْرِ الدَّمْعِ بِاللَّعْمِ وَابِكِيمِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَكْرُوهِ مِنْهُمْ وَنَكْبَا
فَلَيْتَ لَوْ لَا فِيهِمْ فِي دِيَارِهِمْ لَأَلْفَيْتَ عَمَّا قَدْ تَقُولُ مُنْكَبَا

سَرَّاعٌ إِلَى الْعَمَلِ كَرَامٌ لَدَى الْوَعَى يُقَالُ لِبَاغِي أَنْظِرْ أَهْلًا وَمَرْحَبًا

شعر لکعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمري لقد حكت رحي الحرب بدماء أطارت لؤبياً قبل شرقاوم غرباً
بِقِيَّةِ آل الكاهنين وعِزِّها فعاد ذليلاً بعد ما كان أغلباً
فطاح سلامٌ وابنُ سَفِيَّةِ عَنُوةٌ وقيد ذليلاً للمنايا ابنُ أخطباً
وأجلبَ يَبْنِي العِزَّ والذلَّ يَبْتغى خِلافَ يَدَيْهِ ما جئى حين أجلباً
كثارك سَهْلُ الأضْيِ والحزنُ هَمٌّ وقد كان ذاقِ الناسُ كُدى وأصعباً
وشأنٌ وعِزَّالٌ وقد صلباً بها وما غُيِّباً عن ذاك فيمن تَغَيَّباً
وعوفُ بنِ سلمى وابنُ عَوْفٍ كَلَامُها وكعبُ رَئيسُ القومِ حانَ وخُيَّباً
فُيْئِداً وسُجُقاَ للنَّظِيرِ ومثلها إن اعقبَ فتَحَ أو إن الله أعقبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النَّظِيرِ بَنِي الْمُعْطَلِ . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة

بني النضير شهر ربيع الآخر وبمضج جدى ، ثم غزا نجداً بُرِيد بنى مُحارب وبنى
ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : عمان بن
عمان ، فيما قال ابن هشام .

لَمْ سَمِيَتْ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ؟

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لما غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رَقَمُوا فيها راياتهم ،
ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ،
ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التميمي - وكان يُكنى :
أبا عبيدة - قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن
جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطائفة ركعتين ثم سأم ، وطائفة مُقبلون على العدو . قال : فجاءوا فصلى بهم
ركعتين أخريين ، ثم سلم .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ،

عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعاً ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ، فلما رفعوا ردهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثنوري قال : حدثنا أيوب بن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

هم غوث بن الحارث بقتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلاً من بني محارب ، يقال له : غوث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم - وكان

.....

مَحَلِّي بَفَضَةٍ ، فَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - قَالَ : فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَهْزُهُ ، وَرِيْهِمْ
فَمَكَّبَتْهُ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَمَدُ ، أَمَا تَخَافُنِي ؟ قَالَ : لَا ، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ ؟ قَالَ :
أَمَا تَخَافُنِي فِي يَدَيِ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا ، يَمْنَعُنِي اللَّهُ مِنْكَ . ثُمَّ عَمِدَ إِلَى سَيْفِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُفِّرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴾ .
أَبْدِيهِمْ ، فَكَفَّ أَبْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي عَمْرِو بْنِ
جِيحَاشٍ ، أَخِي بَنِي النَّضِيرِ وَمَا مَعَهُ ، فَاللهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ .

قصه جل جابر

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ
نَخْلٍ ، عَلَى بَجَلٍ لِي ضَمِيمٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :
جَعَلَتِ الرِّقَاقُ تَمَضَى ، وَجَعَلَتِ أَخْلَفُ ، حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا جَابِرُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْطَأَ بِي جَلِي هَذَا ؛
قَالَ : أَيْنَهُ ؟ قَالَ : فَأَتَيْتُهَا ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ قَالَ :
أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ ، أَوْ أَقْطَعْ لِي عَصَا مِنْ شَجَرَةٍ ؛ قَالَ : فَعَمَلْتُ . قَالَ :
فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَخَسَهَا بِهَا نَخَسَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ ،
فَرَكِبْتُ ، فَخَرَجَ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أتبيعتني بجمالك
 وهذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ؛ قال : لا ، ولكن
 بعني ، قال : قلت : فسئنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال :
 قلت : لا ، إذن ، تفينني يا رسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا .
 قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية .
 قال : فقلت : أفقد رضيت يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ، قال :
 قد أخذته . قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم
 يا رسول الله ، قال : أنثيبك أم بكر ؟ قال : قلت : لا ، بل أنثيبك ؛ قال : أفلا جارية
 تلبسها وتلاعبك ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات
 له سبعاً ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ؛ قال :
 أصبت إن شاء الله ، أما إننا لو قد جئنا صراراً أمرنا بحزور فتجرت ، وأقمنا
 عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنقضت نمارقها ؛ قال : قلت : والله
 يا رسول الله مالنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاهمل
 عملاً كيساً . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحزور
 فتجرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 دخل ودخلنا ، قال : تحدثت للمرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، قالت : فدؤنك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت
 برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أمتته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 قال : ثم جلست في المسجد قريباً منه ، قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فرأى الجمل ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به

جابر ، قال : فأين جابر؟ قال : فدُعيتُ له ، قال : فقال : يا ابن أخي خذ برأسك ، جملك ، فهو لك ، ودعاً يلاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت منه ، فأعطاني أوقية ، وزادني شيئاً يسيراً . قال : فوالله ما زال يبتني . عندي ، ويُرَى مكانه من بيتنا ، حتى أُصيب أسير فيما أُصيب لنا ، يعني يوم الحرة .

ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول

وما أُصيبا به

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فلما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قفلاً ، أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دماً ، فخرج يلعب أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا (هــذه) ؟ قال : فأتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فمكثنا بقم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعبد بن بشر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري :

للمهاجرى أى الليل تحب أن أكفيك : أوله لم آخره ؟ قال : بل اكفى
أوله ، قال : فاضطجع المهاجرى فنام ، وقام الأنصارى يصلى ، قال : وآتى
الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عَرَفَ أنه ربيثة القوم . قال : فرمى بسهم ،
فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه
فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال :
فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ صاحبه فقال : اجلس فقد أثبتتُ ،
قال : فوثب ، فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد تذرأ به ، فهرب . قال : ولما
رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهبتني
أول مارماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ،
فلما تابع على الرمنى ركعتُ فاذنك ، وإيم الله ، لولا أن أضيع تمرأ أمرنى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقطع نفسى قبل أن أقطعها
أو أنفذها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

رجوع الرسول

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من
غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

خروج الرسول

قال ابن إسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لميعاد أبي سفيان ، حتى نزل .

استماله ابن أبي على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سؤل الأنصاري .

رجوع أبي سفيان في رجاله

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليالٍ ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بحجة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترهون فيه الشجر ، وتشربون فيه الالين ، وإن عامكم هذا عام جذب ، وإنى راجع ، فارجموا فرج الناس . فسماهم أهل مكة جيش السويق ، بقولون : إنما خرجم تشربون السويق .

الرسول ونخشي الضمري

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ،

فأتاه نخشى بن عمرو الضمري ، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجبته للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك ردونا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدهناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة .

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فرآه به متعبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به .

قد نقرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالتعجد
تهوى على دين أبيها الأند قد جمعت ماء قد يد هو عدي
وماء ضجنان لما ضعى القدر

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك - قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

وعذنا أبا سفيان بدرأ فلم نجد
فأقسم لو وافيتنا فلقيننا
لأبت دميما وافقت المواليا
تركننا به أوصل عتبة وابنه
وعمرأ أبا جهل تركناه نأويا

عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفَ لَدَيْكُمْ وَأَمْرُكَ السَّيِّئُ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فَاتَى وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لَتَقَاتِلَنَّ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطَعْنَاهُ لَمْ تَفْدُلْهُ فِينَا بَغْزُهُ شَرَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

شعر حسان في بدر

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دُعُوا فَلَجَّاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا بِلَادٌ كَأَقْوَامِ الْخَاضِ الْأَوَّلِ
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا وَنَحَرُ بِيْهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي السَّلَاطِ
إِذَا سَلَكْتَ لَلْعَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَاكَ
أَقْنَنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزُوعَ ثَمَانِيَا بَارِعِنَ جِرَارٍ عَرِيضَ الْمَبَارِكِ
بِكُلِّ كَمِيَتْ جَوْزُهُ نِصْفَ خَلْقِهِ وَقُبَّ طَوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْخَوَارِكِ
تَرَى الْعَرَفَجَ الْعَامِيَّ تَذَرِي أَصُولَهُ مَنَائِمُ أَخْفَافِ الْعَطَى الرَّوَانِكِ
فَإِنْ تَلَقَّى فِي تَطَوُّافِنَا وَالتَّمَاثِنَا قُرَاتِ بِنِ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنُ هَالِكِ

وإن تلقى قيس بن امرئ القيس بعده

يُرْزَدُ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَأَبْلَغُ أَبَا سُوَيْيَانَ عَنِّي رِسَالَةٌ فَإِنَّكَ مِنْ غُرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

شعر أبي سفيان في الرد على حسان

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أَحْسَنُ إِنَّا بَابُ آكِلَةِ الْفَقَا وَجَدَكَ تَقْتَالُ الْحُرُوقَ كَذَلِكَ
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاظِيرَ بَيْنَنَا وَلَوْ وَأَلَتْ مَنَا بَشْدَ مُدَارِكَ
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَازِحِ حَسْبَقَتِهِ مُدَمِّنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ
أَقْبَتَ عَلَى الرِّسِّ النَّزْوَاعِ تُرِيدُنَا وَتَرَكْنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشَى خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقَتَهُ بِالْأَكَادِكِ
أَقْبَتْنَا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِحُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرَّوَانِكِ
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ كَأَخَذِكُم بِالْمَيْنِ أَرْطَالَ آتِنُكَ
فَلَا تَبْمِثِ الْخَيْلُ الْجِيَادَ، وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُفَصِّمِ الْمُتَعَارِكِ
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ قَهْرٍ بِنِ مَالِكِ
فَمَا لَكَ لَا فِي حَجَرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حُرُمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكَ

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها . لتبجح اختلاف قوافيها .
وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعاظير بيننا

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة بني النضير وما نزل فيها

ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة في هذا الموضع ، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر ، لما روى عتيل بن خالد وغيره عن الزهري ، قال : كانت غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

قطع اللينة وتأويله :

وذكر نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ببني النضير ، وشيئهم إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ، وهموا بقتله ، فلما تحصنوا في حصونهم وحرق نخلمهم نادوه أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ونميتهم ، وذكر الحديث . قال أهل التأويل : وقع في قلوب المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا ﴾ الآية الحشر : ٥ . واللينَةُ ألوانُ التمرِ ماعدا العجوة والبرني . ففي هذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخلمهم إلا ما ليس بقوت للناس ، وكانوا يفتاتون العجوة ، وفي الحديث : العجوة من الجنة ^(١) . وتمرها يقدو أحسن غذاء ، والبرني أيضا كذلك . وقال أبو حنيفة : معناه بالفارسية حمل مبارك ، لأن بر معناه : حمل ، وفي معناه جيد ، أو مبارك . فمر به العرب ، وأدخلته في كلامها ، وفي حديث وفد عبد القيس أن

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه . عن أبي هريرة وأحمد واللفهاني وابن ماجه عن أبي سعيد وجابر عنه صلى الله عليه وسلم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال لهم ، وذكر البرزني : إنه من خير تمر كرم ،
 وإنه دواء وليس بداء ، رواه منهم مزينة القصري ، في قوله تعالى : ﴿ مَا يَطْعَمُونَ مِنْ لَيْتَةٍ ﴾ ولم يقل : من نخلة على العموم : تنبيه على كراهة قطع ما يقتات
 وينفذ من شجر التدو إذا رُجى أن يصير إلى المسلمين ، وقد كان الصديق
 - رضى الله عنه - يوصى الجيوش ألا يقطعوا شجراً شئراً ، وأخذ بذلك
 [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأوزاعي ، فلما تأولوا حديث بنى
 النصير ، وإما رأوه خاصاً للنبي عليه السلام ، ولم يختلفوا أن سورة الحشر نزلت
 في بنى النصير ، ولا اختلفوا في أموالهم ، لأن المسلمين لم يؤجفوا عليها بخيل
 ولا ركاب ، وإنما قُذِفَ الرُّعْبُ في قلوبهم وجَلَّوا عن منازلهم إلى خيبر ،
 ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم ، قسمها النبي صلى الله عليه وسلم -
 بين المهاجرين ، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار ، إذ كانوا قد ساء لهم
 في الأموال والديار ، غير أنه أعطى أبا دُجَانَةَ وسَهْلَ بْنَ حَنْظَلَةَ حاجتهما ،
 وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار ، وذكر الحارث بن
 الصمة فيهم .

مول أول سورة الحشر :

وقوله سبحانه : ﴿ يُخْرِجُونَ يَدَايَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحشر : ٢]
 أى يُخْرِجُونَهَا مِنْ دَاخِلٍ ، وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ خَارِجٍ ، وَقِيلَ مَعْنَى بِأَيْدِيهِمْ : بِمَا
 كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ ، وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْ بِمُجَاهَدِهِمْ .

وقوله (لأول الحشر) ، روى موسى بن عَقَبَةَ أنهم قالوا له : إلى أين نخرج

يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعني : أرض المتحشر ، وهى الشام ، وقيل : لهم كانوا من بسط لم يصيبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ^(١) ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبييت معهم ، حيث باتوا ، وتقبل معهم قالوا ، وتاكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلام عمر من خيبر إلى نيباء وأربحا ^(٢) ، وذلك حين بلغه العتب من النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقيم دينان بأرض العرب .

وقوله : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ الحشر : ٢ ، يقال : نزلت فى قتل كعب بن الأشرف .

وقوله تعالى : ﴿ ما أتاه الله على رسوله من أهل القرى ﴾ الحشر : ٧ .
وروى عن مالك أنه قال : هم بنو قريظة ، وأهل التأويل على أنها عامة فى جميع القرى المفتحة على المسلمين وإن اختلفوا فى حكمها ، فرأى قوم

(١) الحشر — كما يقول الراغب : لإخراج الجماعة عن نفرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ، ولذا يقول البيضاوى : أى فى أول حشرهم من جزيرة العرب إذ لم يصيبهم هذا الدل قبل ذلك ، أو فى أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وهو قريب من بعض ما ذكر السبيل .

(٢) نيباء : بليد فى أطراف الشام بينها وبين وادى القرى على طريق حاج

تَقَسَّمَهَا كَمَا تُقَسَّمُ النَّفَاقَةُ ، وَرَأَى بَعْضُهُمُ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْتَنَهَا ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ
هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي غُرُوقِ خَمِيرٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَذَكَرَ شَيْخُ الْقُتَيْبِيِّ فِي إِجْلَاءِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ :

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمَرْزُومِ .

يُرِيدُ : أَحَلَّهُمْ بَارِضَ غُرُوبَةٍ ، وَفِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ ، وَالزَّيْنِيمُ وَالْمَرْزُومُ :
الرَّجُلُ يُكُونُ فِي الْقَوْمِ ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ ، أَيْ أَنْزَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَسِيِّ ، أَيْ الْمُنْبَعِدِ
الطَّارِدِ ، وَإِنَّمَا جُمِلَ الطَّارِدُ بِالذَّلِيلِ حَسِيًّا لِأَنَّهُ عُرْضَةُ الْأَكْلِ ، وَالْحَسِيُّ
وَالْحُسُو مَا يُنْحَسَى مِنَ الطَّعَامِ خَسُوءًا ، أَيْ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى أَكْلِ ، وَبِمَجُوزِ أَنْ
يُرِيدَ بِالْحَسِيِّ مَعْنَى الْقَذِيٍّ مِنَ الْغَنَمِ ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ
الرَّغْيَ ، يُقَالُ : بُدِّلُوا بِالسَّالِ الدُّثْرَ وَالْإِبِلَ الْكُومَ رُدَّالَ الْمَالِ وَغِذَاءَ
الْغَنَمِ ، وَالْمَرْزُومُ مِنْهُ ، فَهَذَا وَجْهٌ يَحْتَمِلُ ، وَقَدْ أَكْثَرُ النَّقِيرَ عَنْ الْحَسِيِّ
فِي مَعْنَاهُ مِنَ اللُّغَةِ فَلَمْ أَجِدْ نَصًّا شَافِيًّا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ : الْحَسِيَّةُ ، وَالْحَسِيُّ
مَا يُنْحَسَى مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِذَا قَدْ وَجَدْنَا الْقَذِيَّ وَاحِدَ غِذَاءِ الْغَنَمِ ، فَالْحَسِيُّ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُ
مُتَمَتِّعٍ أَنْ يُقَالَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) . وَالْمَرْزُومُ أَيْضًا : صِفَارُ الْإِبِلِ ، وَسَائِرُ هَذَا

(١) يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ الْخَسَنِيُّ : الْحَسِيُّ وَالْحَسَاءُ : مِيَاهُ تَقُورُ فِي الرَّمْلِ وَتَمْسِكُهَا
حَبْلَابَةُ الْأَرْضِ ، فَإِذَا خَفَرَتْ عَنْهَا وَجَدَتْ ، وَالْمَرْزُومُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ هُوَ الْمَقْتُلُ
الْيَسِيرُ ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالْحَسِيِّ أَرَادَ بِهِ حَاشِيَةَ الْإِبِلِ ، وَهِيَ صِفَارُهَا وَضَعَاظُهَا وَهِيَ
الصَّوَابُ ، وَالْمَرْزُومُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْنِي بِهِ أَوْلَادَ الْإِبِلِ الصَّغَارَ ، وَقَدْ يَكُونُ
الْمَرْزُومُ هُنَا الْمَرْزُومُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِلزَّمَنِ الْتَيْنِ فِي أَصْنَاقِهَا ، وَهِيَ الْهَيْئَتَانِ الْتَانِ
تَتَمَلَّقَانِ مِنْ أَصْنَاقِهَا ص ٢٨٨ .

الشعر مع ما بعده من الأشعار ليس فيه عويص من الغريب ، ولا مُستفلق
من الكلام .

الطائفة :

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرْبَطَةُ والنَّصِيرُ ، وفي الحديث :
يخرج في الكاهنين رجل يدرُسُ القرآنَ دَرَسًا لم يدرُسهُ أحدٌ قبْلَه ،
ولا يدرُسُهُ أحدٌ بعده ، فكانوا يروونه أنه مُحَمَّدُ بنُ كَعْبِ القُرْظِيِّ وهو محمد
ابن كعب بن عطيّة ^(١) ، وسيأتي خبرُ جَدِّهِ عَطِيَّةٍ في بني قُرْبَطَةَ ، والكاهنُ
في اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذي يقوم بحاجة أهله ، إذا خَلَفَ عليهم ، يقال :
هو كاهنُ أبيه وكاهلُهُ ، قاله المروى ، فيحتمل أن يكون سُمِّيَ الكاهنًا
بهذا ^(٢) .

خروج بني النصير إلى خيبر :

فصل : وذكر ابن إسحاق خروجَ بني النَّصِيرِ ، إلى خيبر ، وأهم
استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوفُ والمزاميرُ والقيانُ يَنْزِفَنَ

(١) محمد بن كعب القرظي المدني ثم الكوفي أحد العلماء . قال ابن عون :
ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وقال ابن سعد : كان ثقة ورعا
كثير الحديث ، وقد وثقه أبو زرعة والعجلي مات سنة ١١٩ ، وقيل سنة ١٢٠
وقيل سنة ١٠٨ خلاصة تذهيب الكمال والإكمال لولي الدين أبي عبد الله
محمد بن عبد الله الخطيب .

(٢) العرب تسمى كل من يتعاطى علما دقيقا : كاهنا .

خَلَقَهُمْ ، وَإِنَّ فِيهِمْ لَأُمَّ عَمْرٍو صَاحِبَةُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ الَّتِي ابْتَاعُوا مِنْهُ ، وَكَانَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي غِفَارٍ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهَا فِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقَانِيِّ عَنْهُ ، وَذَكَرَهُ فِي غَيْرِهَا ، وَهِيَ سَلْتَى ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : اسْمُهَا : كَيْلَى بِنْتُ شَقَوَاءَ ، وَقَالَ أَبُو الْقَرَجِ : هِيَ سَلْتَى أُمُّ وَهْبٍ امْرَأَةٌ مِنْ كِنَانَةَ ، كَانَتْ تَأْكُلُ فِي مُزِينَةٍ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ، فَسَبَّاهَا ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَقَوْلُ أَبِي الْقَرَجِ لَهَا مِنْ كِنَانَةَ لَا يَدْفَعُ قَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ لَهَا مِنْ غِفَارٍ ، لِأَنَّ غِفَارًا مِنْ كِنَانَةَ . غِفَارُ بْنُ مُثَلِّلٍ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ كَيْثٍ ^(١) . بَنُ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ ابْنِ كِنَانَةَ . وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ بْنِ زَيْدٍ ، وَيُقَالُ : ابْنُ عَمْرٍو بْنِ نَاشِبٍ بْنِ هَذَمِ ابْنِ عَوْذٍ بْنِ غَالِبٍ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ دَبَسٍ ، فَهُوَ عَبْسِيٌّ غَطَفَانِيٌّ قَيْسِيٌّ ، لِأَنَّ عَبْسًا هُوَ ابْنُ بَيْضِ بْنِ رَبِيعِ بْنِ غَطَفَانَ قَالَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ : مَا يَسِرُنِي أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ وَلَدَنِي إِلَّا عُرْوَةَ بْنَ الْوَرْدِ لِقَوْلِهِ :

أَهْزَأْنِي أَنْ تَمِثَّ ، وَقَدْ تَرَى بِحَسْبِي مَنْسَ الْخَقِّ وَالْخَقِّ جَاهِدُ
إِنِّي أَمْرُو عَافٍ إِنَّا بِي شِرْكَةٍ وَأَنْتَ أَمْرُو عَافٍ إِنَّا بِي وَاحِدُ
أَقْسَمُ جَنْبِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وَأَحْسُو قَرَّاحَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدُ ^(٢)

(١) فِي جَهْرَةَ ابْنِ حَزْمٍ : مُثَلِّلُ بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بِاسْقَاطِ كَيْثٍ بَيْنَ ضَمْرَةَ وَبَكْرِ

ص ١٧٥ .

(٢) هِيَ فِي الْأَمَالِ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وَقَدْ نَسَبَ الْقَالِي بَيْنَاقٍ أُولَاهَا إِلَى عُرْوَةَ : لَا تَمِثَّنِي يَا بَنِي وَرْدٍ فَإِنِّي نَعُودُ عَلَى مَالِي الْحَقُوقَ الْعَرَاءِدُ
وَمَنْ يُوْثِرُ الْحَقَّ النَّدُوبَ تَكُنْ خِصَاصَةَ جِسْمٍ وَهُوَ طَيَّانٌ مَا جَدُ
وَقَدْ عَلِقَ الْبَكْرِيُّ فِي السَّمَطِ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : هَذَا وَمِنْ بَيْنِ وَغُلَطٍ وَاحِضٍ وَالْبَيْتُ =

وكان يقال : مَنْ قَالَ : إِنَّ حَاتِمًا أَسْمَحُ الْعَرَبَ ، فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ
الْوَزْدِ^(١) ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَكَانَ عُرْوَةُ يُتَرَدَّدُ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ ،
فَيَسْتَقْرِضُهُمْ إِذَا أَحْتَاجَ ، وَيَبِيعُ مِنْهُمْ إِذَا غَنِمَ ، فَرَأَوْا عِنْدَهُ سَلَمَى ،
فَأَعْجَبَهُمْ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهَا^(٢) ، مِنْهُمْ فَأَبَى فَسَقَوْهُ الْخَرَّ ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ ،
حَتَّى ابْتَاعُوهَا مِنْهُ ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ :

سَمَوْنِي الْخَرَّ نِمَ تَسْكَنْتُونِي عِدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ

وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ قَوْمًا افْتَدَوْهَا مِنْهُ ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَا تَخْتَارُ عَلَيْهِ
أَحَدًا ، وَلَا تَفَارِقُهُ ، فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا ، فَندِمَ ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا بَنُونَ فَقَالَتْ لَهُ :
وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَرْخَبَتْ سِتْرًا عَلَى بَعْلِ مِثْلِكَ أَغْضَ طَرَفًا ،

= الأول لقيس بن زهير يخاطب عروة . . وكان بين قيس وعروة . تنافس
وتحاسد ، وكان قيس لا يكره ولا يبغض ، وكان عروة يعرض له بذلك في أشعاره .
وقيل في نسب عروة همور بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم
بن سواد الخ ، وهو في الأغاني كذلك . ويعلق الأستاذ الميمنى على هذا بقوله :
وخرمه السهيل في ٢ ص ١٧٩ ، ص ٨٢٢ ، ٧٢٣ سمط اللالي . وكان يكنى عروة :
أبا الصعاليك ، وقيل بل أبا نجدة ، وقيل : كنيته أبو المغاس ، أو : أبو عبلة .
وفي السلم : أبو هراشة . وفي الحماسة ثلاثة أبيات من قصيدة عروة هذه ، ورواية
البيت الأول هكذا :

أَتَزَامُنِي أَنْ سَمَنْتَ وَأَنْ تَرَى بَوَّحِي شَحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ جَاهِدِ

وفي الأغاني ثلاثة أبيات منها أيضاً ص ٧١ ص ٣

(١) ص ٧١ ص ٣ الأغاني ط لبنان .

(٢) لعلها : يبيعوها منه .

وَلَا أُنْدَى كَفًّا وَلَا أَعْنَى غَنَاءَ ، وَإِنَّكَ لَرَفِيعُ الْعِمَادِ ، كَثِيرُ الرَّمَادِ ، خَفِيفُ
ظَهْوِرِ الْخَلِيلِ ، ثَقِيلُ عَلَى مُتُونِ الْأَعْدَاءِ ، رَاضٍ لِلْأَهْلِ وَالْجَارِ ، وَمَا كُنْتُ
لَأَوْزِعَنَّكَ أَهْلِي ، لَوْلَا أَنِي كُنْتُ أَسْمَعُ بَنَاتِ عَمِّكَ يَقْلُنَ فَعَلْتُ أُمَّةً عُرْوَةً ،
وَقَالَتْ أُمَّةُ عُرْوَةَ ، فَأَجِدُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتَ ، وَاللَّهِ لَا يَجَامِعُ وَجْهِي وَجْهَ
غَطَفَانِيَّةٍ أَبَدًا ، فَاسْتَوْصِ بَيْنِيكَ خَيْرًا ، قَالَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بِعَدَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي
النَّضِيرِ^(١) ، فَسَأَلَهَا أَنْ تُنْثِنِي عَلَيْهِ فِي نَادَى قَوْمِهِ ، كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى عُرْوَةَ ،
فَقَالَتْ : أَغْنَى ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا مَا عَلِمْتَهُ ، فَإِنِّي أَنْ يُفْقِيَهَا ، فَجَاءَتْ حَتَّى
وَقَفَتْ عَلَى النَّادَى ، وَهُوَ فِيهِ ، فَقَالَتْ : عُمُوا صَبَاحًا ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ هَذَا
أَمَرَنِي أَنْ أَثْنِي عَلَيْهِ بِمَا عَلِمْتُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ إِنْ شَمَلَمَتَكَ

(١) اقرأ قصتها في الأغاني ص ٧٢ ، ٧٣ - ط لبنان في إحدى الروايتين
أن قومها هم الذين قالوا لعروة : فادعنا بصاحبتنا فانها وسيطة النسب فينا معروفة .
فلما فادعه بها خيرها واختارت أهلها ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة لما إني
أقول فيك ، وإن فارقتك الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألقيت سترها
على بعل خير منك ، وأغض طرفا ، وأقل فحشا ، وأجود بدا : وأحبي للحقيقة
ومامر على يوم منذ كنت عندك إلا والموت أحب إلى من الحياة بين قومك
لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا
إلا سمعته ، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبدا ، فارجع راشدا إلى ولدك
وأحسن إليهم ص ٧٣ - ٣ الأغاني ط لبنان وفي رواية أخرى أنها قالت له : والله
إنك ما علمت لضحك مبالا كسوب مدبرا ، خفيف على متن الفرس ، ثقیل
على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضى الأهل والجانب ، فاستوص ببيتك
خيرا ، ثم فارقته ، فتزوجها رجل من بني عمها . والسبيل جمع بين الروايتين -
أو لعله نقل من كتاب آخر .

لَا التَّخَافُ^(١) ، وَإِنْ شُرِبَكَ لِاشْتِغَافُ ، وَإِنْ ضَجَعْتَكَ لَا انْجِمَافُ ، وَإِنْكَ
لَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَتَنَامُ كَهَيْلَةِ تَخَافُ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : قَدْ كُنْتَ فِي غِنَى
عَنْ هَذَا ، وَفِيهَا يَقُولُ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

أَرِفْتُ وَصُحْبَتِي بِمَضِيقٍ عُمُقٍ لِبَرْقٍ فِي نِهَامَةٍ مُسْتَطِيرٍ^(٣)

إِذَا قُلْتُ اسْتَهْلْ عَلَى قَدِيدٍ يَمُورُ رِبَابُهُ حُورَ الْكَمِيرِ

سَقَى سَلَمَى ، وَأَبْنَى تَحْلُ سَلَمَى إِذَا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ^(٤)

إِذَا حَلَّتْ بَارِضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلَكَ بَيْنَ أُمَرَةٍ وَكَبِيرِ^(٥)

ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهْبٍ تَحْلُ الْحَيَّ اسْفَلَ ذِي النَّفِيرِ^(٦)

وَأَخْرُ^(٧) مَعْبَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَعْرَسَنَا فَوْقَ بَنِي النَّصِيرِ^(٨)

وَقَالَتْ : مَا تَشَاءُ ، فَقُلْتُ : أَلْتَهْوِ إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أُثِيرِ

بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا بُعِيدَ النَّوْمِ كَالْعَنَبِ لِلْعَصِيرِ

(١) فِي الْأَغَانِي : لَا التَّخَافُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : وَإِنْكَ لَتَنَامُ لَيْلَةً تَخَافُ ، وَتَشْبَعُ لَيْلَةً تُضَافُ ، وَمَا تَرْضَى
الْأَمَلُ وَلَا الْجَانِبُ ، ص ٧٥ - ٣ الْأَغَانِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : مِنْ نِهَامَةٍ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : كَانَتْ مُجَاوِرَةً ..

(٥) فِي الْأَغَانِي : وَأَهْلَى .

(٦) فِي الْأَغَانِي : مِنْ نَفِيرٍ .

(٧) فِي الْأَغَانِي : وَاحِدٌ .

(٨) فِي الْأَغَانِي : بِنَارِ بَنِي النَّصِيرِ .

أَطَعْتُ الْأَمِيرِينَ بِصَرْمٍ سَلَمَى قَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَمُورِ
 سَمَوْنِي الْخَمَرُ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ
 وَقَالُوا لَسْتُ بِعَدَدِ فِدَاءِ سَلَمٍ يَمُنُّ مَا لَدَيْكَ وَلَا قَتِيرٍ
 وَلَا وَأَبِيكَ لَوْ كَالْيَوْمِ أَمْرِي وَمَنْ لَكَ بِاللَّهِ بَرٍّ فِي الْأُمُورِ
 إِذَا لَمَلَكْتَ عِصْمَةً أُمَّ وَهَبٍ عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ
 فَيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي عَلَى شَيْءٍ وَبَكَرَهُ خَمِيرِي (١)

قوله : السريير موضع في ناحية كِنَانَة ، وقوله : الْيَسْتَمُور : هو موضع
 قبل حَرَّةِ المدينة ، فيه عِصَادٌ مِنْ سَمَرٍ وَطَلَحٍ ، وقال أبو حنيفة : الْيَسْتَمُورُ شَجَرٌ
 يُسْتَاكُ بِهِ ، يَذْمَى بِالسَّرَامَةِ ، وَالْيَسْتَمُورُ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي ، وَالْيَاءُ
 فِي الْيَسْتَمُورِ أَصْلِيَّةٌ ، فِهَذَا شَرَحَ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ
 أُمِّ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا هِيَ أُمَّ وَهَبٍ كَمَا تَكَرَّرَ فِي شِعْرِهِ .

شجرة ذات الرقاع

وُسِّمَتْ ذَاتُ الرَّقَاعِ ، لِأَنَّهُمْ رَفَعُوا فِيهَا رِجَالَهُمْ فِي قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ ، قَالَ :
 وَيُقَالُ ذَاتُ الرَّقَاعِ شَجَرَةٌ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ الرَّقَاعِ ، وَذَكَرَ غَيْرُهُ
 أَنَّهَا أَرْضٌ فِيهَا يُبْقَعُ سُودٌ ، وَبُقَعٌ بِيضٌ ، كَلَامُهَا مُرَقَّعةٌ بِرِقَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ،

(١) الْآيَاتُ : الثَّانِي ثُمَّ الثَّاسِعُ وَالْحَادِي عَشَرَ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ لَيْسَتْ فِي
 الْأَغَانِي . هَذَا وَقَدْ نَسَبَ عِدَادَةً عَلَى الذِّمِّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ (عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ
 وَزُورٍ) أَنْظَرَ لِهَذَا ص ٢٢٥ إِعْرَابَ ثَلَاثِينَ سُورَةَ لِابْنِ خَالَوَيْهِ .
 (١٦٢ — الرُّوسُ الْأَنْفُ ج ٦)

فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري ، قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ، ونحن ستة نفر ينفقه بغير نعتيقه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدامى ، وسقطت أظفارنا ، فكننا نألف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاء » (١) .

صلاة الخوف : الصلاة التي يصليها المسلم في حالة الخوف

فصل : وذكر صلاة الخوف ، وأوردها من طرق ثلاث ، وهي مروية بصور مختلفة أكثر مما ذكر . سمعت شيخنا أبا بكر - رحمه الله - يقول : فيها ست عشرة رواية ، وقد خرج المصنفون أصحها ، وخرج أبو داود منها مجمل ، ثم اختلف الفقهاء في الترجيح ، فقال طائفة : يصلى منها بما كان أشبه بظاهر

(١) هو في صحيح مسلم أيضاً . ونقبت أقدامنا : رقت أقدامنا . نعتيقه : نركبه عتبة عقبة ، وهو أن يركب هذا قليلاً ، ثم ينزل فيركب الآخر بالثوبه حتى يأتي على سائرهم . وقد اختلف في ميقاتها على أقوال ذكرها الحافظ في الفتح ، ثم قال : وهذا التردد لا حاصل له ، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة ، لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، فدل على تأخرها بعد الخندق . من ٢٣٥ - فتح الباري سنة ١٣٤٨ مطبعة البية المصرية . وانظر أيضاً زاد المعاد من ٢٧٤ - ٢ ط السنة المحمدية .

القرآن ، وقالت طائفة : يُجْتَنَبُ فِي طَلَبِ الْآخِرِ مِنْهَا ، فَإِنَّهُ الْفَاسِخُ لِمَا قَبْلَهُ ،
وقالت طائفة : يُؤْخَذُ بِأَصَحِّهَا نَقْلًا ، وَأَعْلَاهَا رِوَاةً ، وقالت طائفة - وهو
مذهب شيخنا : يُؤْخَذُ بِجَمِيعِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخُوفِ ، فَإِذَا اشْتَدَّ
الْخُوفُ ، أُخِذَ بِأَيْسَرِهَا مُؤَانَةً ، فَإِذَا تَفَاقَمَ الْخُوفُ صَلُّوا بِغَيْرِ إِمَامٍ لِقَبْلَةٍ أَوْ
لغَيْرِ قَبْلَةٍ ، وَقَدْ رَوَى ابْنُ سَلَامٍ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ صَلَاةَ الْخُوفِ ،
قَدْ تَنَوَّلُوا إِلَى أَنْ تَكُونَ أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَقْعَةِ الْقِتَالِ ، وَسَيَأْتِي
بَقِيَّةُ الْقَوْلِ فِي صَلَاةِ الْخُوفِ فِي خِتَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(١) ، وَعَمَّا تَخَالَفَ
بِهِ صَلَاةُ الْخُوفِ حُكْمٌ غَيْرُهَا أَنَّهُ لَا تَسْتَوِي فِيهَا عَلَى إِمَامٍ ، وَلَا عَلَى مَأْمُومٍ

(١) رَوَى أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ الثَّلَاثَةُ عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَاتٍ
عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَشْمَةَ - وَفِي لَفْظِهِ عَنْ صَالِحِ بْنِ خُوَاتٍ - يَوْمَ
ذَاتِ الرِّقَاعِ - أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَطَائِفَةٌ وَجَّاهُ الْعَدُوَّ -
أَيَّ تَجَاهَهُ هَرَابَةً لَهُ - فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رُكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا فَأَتَمُّوا لِنَفْسِهِمْ ، ثُمَّ
انصَرَفُوا وَجَّاهُ الْعَدُوَّ ، وَجَّاهُ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى ، فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيََتْ
مِنْ صَلَاتِهِ ، فَأَتَمُّوا لِنَفْسِهِمْ ، فَسَلَّمَ بِهِمْ . وَهَذِهِ السَّيْفِيَّةُ تَطَابِقُ مَفْهُومَ الْآيَةِ
الْمَكْرِمَةِ ، لِإِذْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ ذِكْرُ السُّجُودِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَالَ
عَلِيٌّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عُمَرَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ
وَسَهْلُ بْنُ أَبِي حَشْمَةَ ، وَعَلَيْهَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَغَيْرُهُمْ . وَهَنَّاكَ رِوَايَةُ
آخَرَى عَنْ أَحَدِ الشَّيْخَيْنِ مِثْلَ هَذِهِ غَيْرَ أَنَّهَا زَادَتْ أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ قَضَتْ رُكْعَةً ۖ
وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْآيَةِ هَذَا . أَمَّا عَيْنُ يَكُونُ خَوْفٌ مِنْ شَيْءٍ أَكْثَرَ مِنَ الْفِتْنَةِ
فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا) جَمْعُ رَاجِلٍ وَرَاكِبٍ وَقَدْ فُسِّرَ بِهَا
ابْنُ عُمَرَ : قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ مُسْتَقْبِلِي الْقَبْلَةِ وَغَيْرِ مُسْتَقْبِلِيهَا قَالَ مَالِكٌ : قَالَ نَافِعٌ :
لَا أَرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ إِلَّا عَنِ الرَّسُولِ ، ص ، الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ قَوْلِ
ابْنِ عُمَرَ بَنَحُو ذَلِكَ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ مَرْفُوعًا ، وَرَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَمِّ .

رواه الدارقطني بسند ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا سهو في صلاة الخوف.

رفع المنسوب:

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جملة فتخسب النبي صلى الله عليه وسلم - تحسات - فخرج بواهي نافته مواهية. المواهية كالمسابقة، والمجارية، وأنشد سيدي به لأوس بن حجر:

تواهي رجلاها يداها ورأسه لها قتب خنت الحقيبة رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل، لأن المواهية، لا تكون إلا من اثنين، فشكل واحد منها فاعل في المعنى كما ذكرنا في قول الراجز:

قد سالم الخليات منه انقدا الأفعوان والشجاع الشحما

[وذات قرنين صمورا ضرة زما ^(١)]

هكذا تأوله سيدي به، وأمل هذا الشاعر كان من لفته أن يجعل التسمية بالألف في الرفع والنصب والخفض كما قال:

نزود منا بين أذماه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

(١) الزيادة من الكتاب لسيدي به ص ١٤٥ ط أول، وقد نسب سيدي به لشاعر قال عنه هو عيد بن عيسى. وقد نسب في اللسان إلى مساور بن هند العبسي، وفي شرح الشواهد لشتري نسب للمعاج. والشهم: الطويل، والضمور: الساكنة المطرقة التي لا تصغر لخبثها. والضرزم: المسنة.

وكما قال الآخر :

قد بلغنا في المجد غايتها^(١)

وهي لغة بني الحارث بن كعب ، قاله أبو عبيد . وقال النحاس في الكتاب
المفنع : هي أيضاً لغة تلمذهم وطبي وأبطن من كدانة ، والبيت أعنى :
تواهي رجلاً يدانها ، هو لأوس بن حجر الأسدي ، وليس ممن هذه
لغته ، فالبيت إذاً على ما قاله سيبويه .

(١) أصل الشعر :

واها لليلي ثم واها واها هي المي لو أننا نلتها
بالت عينيها لنا وفاها

وقد نسبته الهروي في التلويح شرح فصيح ثعلب ص ٣٩ ط ١٩٤٩ إلى أبي النجم
المجلى المتوفى نحو سنة ١٣٠ هـ وفي بعض الروايات سلمى ، وفي بعضها : ربا
وقد زاد القالي في الامالي : بضمن نرضى به أباهما ص ٧٧ ط ١ وبعده هذا :
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها
وفي الصحاح زيادة قبل المني :

فاضت دموع العين من جراها

وقيل أيضاً :

شالوا علينا فشل علاها واشدد بطن حقب حقواها
إن أباهما وأبا أباهما قد بلغنا في المجد غايتها
أنظر سمط الآي ص ٢٥٧ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاني ص ٩ وعلى
هامشه شرح الشواهد أيضاً للشيخ فطه العدي ص ٩ .

مسألة جابر في جهره وما فيه منه الفقر :

وذكر مسأمة النبي صلى الله عليه وسلم لجابر في الجمل^(١) ، حتى اشتراه منه بأوقية ، وأنه أعطاه أو لا درهما ، فقال : لا إذا تقبلني يا رسول الله ، فإن كان أعطاه الدرهم مازحاً ، فقد كان يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، فإذا كان حقاً ، ففيه من الفقه إباحة الكايسة الشديدة في البيع ، وأن يُعطى في السلعة ما لا يشبه أن يكون ثمناً لها ينص الحديث ، وفي دليله أن من اشترى سلعة بما لا يشبه أن يكون لها ثمناً ، وهو عاقل بصير ، ولم يكن في البيع تدليس عليه ، فهو بيع ماضٍ لا رجوع فيه ، وروى من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهماً قد أخذته بكذا والله يغير لك ، فكانه عليه السلام أراد بإعطائه إياه درهماً درهماً أن يكثر استغفاره له ، وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا ، وذلك أن طائفة من النُفهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط^(٢) ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - شرط له ظهره إلى المدينة ، وقالت طائفة : لا يجوز بيع وشرط ، وإن وقع فالشرط باطل ، والبيع باطل^(٣) ، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه

(١) كما رواه ابن إسحاق رواه ابن سعد في طبقاته ، وفي البخاري في عشرين موضعاً في بعضها أن ذلك كان في غزوة تبوك ، وفي مسلم أنه في غزوة الفتح . . . وعن نخسه ذكر في أحمد ومسلم أنه ضربه برجله ، ودعاه .

(٢) إلى هذا ذهب أحمد والبخاري لكثرة رواية الاشتراط .

(٣) إلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعي مطلقاً ، وتوسط مالك ففصل .

عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن شرط البيع ، وعن بيع وسلف .

شُعَيْب لا يروى عن أبيه وإنما عن جده :

وقد روى أبو داود هذا الحديث ، فقال : عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو . وهذه رواية مُسْتَفْرِغَةٌ عند أهل الحديث جِدًّا ، لأن المعروفَ عندهم أن شُعَيْبًا إنما يروى عن جده عبد الله ، لا عن أبيه محمد لأن أباه محمداً مات قبل جده عبد الله ، فقف على هذه التنبيهة في هذا الحديث ، فَقُلْ مَنْ تَنَبَّهَ إليها ، وقالوا : لا حُجَّةَ في حديث جابر لما فيه من الاضطراب ، فقد روى أنه قال : أَفْقِرُنِي ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : اسْتَشْنَيْتُ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ : شَرَطَ لِي ظَهْرَهُ ^(١) ، وقال البخاري : الاشتراط أكثر وأصح ، وكذلك اضطرَبُوا في الثمن ، فقالوا : بَعَثَهُ مِنْهُ بِأَوْقِيَّةٍ ، وقال بعضهم : بِأَرْبَعِ أَوْاقٍ ، وقال بعضهم : بِخَمْسِ أَوْاقٍ ، وقال بعضهم بِخَمْسَةِ دَنَانِيرٍ ، وقال بعضهم : بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ ، وقال بعضهم : هُوَ فِي مَعْنَى الْأَوْقِيَّةِ ، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري ، وقال مسلم في بعض رواياته : دِينَارَيْنِ وَدِرْهَمَيْنِ ، وقالت طائفةٌ بِإِبْطَالِ الشَّرْطِ ، وَجَوَازِ الْبَيْعِ ، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ بَرِيرَةَ حِينَ بَاعَهَا هَاهُنَا مِنْ عَائِشَةَ ، وَاشْتَرَطُوا الْوَلَاءَ فَأَجَازَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) وفي رواية : وشرطت ظهره إلى المدينة .

البيع وأبطل الشرط^(١)، واستعمل مالك هذه الأحاديث أجمع، فقال :
 بإبطال البيع والشرط على صورة، ويجوزها على صورة أخرى، وإبطال
 الشرط وجواز البيع على صورة أيضاً، وذلك بين في المسائل من تدبرها،
 وأبين ما توجد مُحْكَمَةُ الأصول مُسْتَمَرَّةُ الْجَنَّا وَالْفُصُولِ فِي كِتَابِ الْمُقَدِّمَاتِ
 لابن رشد، فليُنظَرِها هنالك من أرادها^(٢).

الحكمة من مساومة النبي لجابر :

فصل : ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تَعَلَّمَ قَطْعاً أَنَّ النَّبِيَّ -
 صلى الله عليه وسلم - لم يكن يَقُولُ شَيْئاً عَبَثاً بل كانت أفعاله مَقْرُونَةً
 بِالْحِكْمَةِ وَمُؤَيَّدَةً بِالْعِصْمَةِ، فاشترأوه الجُلَّ من جابر ثم أعطاه الثمن، وزاده
 عليه زيادة، ثم رَدَّ الجُلَّ عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون
 مُسَاوَمَتِهِ فِي الْجُلِّ، وَلَا اشْتِرَاءٍ وَلَا شَرْطٍ وَلَا تَوْصِيلٍ، فَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ
 بَدِيحَةٌ جَدًّا، فَلْتَنْظُرْ بَيْنَ الْاعتِبَارِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَأَلَهُ : هل تزوجت، ثم قال
 له : هَلَّا يَكْرَأُ، نَذَرَ لَهُ مَقْتَلَ أَبِيهِ، وَمَا خَلَّفَ مِنَ الْبَنَاتِ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ قَدْ أَخْبَرَ جَابِرًا أَنَّ اللَّهَ، قَدْ أَحْيَا أَبَاهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وَقَالَ :
 مَا شِئْتُمْ فَازِيدُكُمْ، فَأَكَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْخَبَرَ بِمَثَلِ مَا يُشَبِّهُهُ، فَاشْتَرَى مِنْهُ
 الْجُلَّ، وَهُوَ مَطِيئَتُهُ، كَمَا اشْتَرَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَبِيهِ، وَمِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْفُسَهُمْ.

(١) عن عائشة أنها أرادت أن تشتري بريرة للعتق، فاشتروا ولادها،
 فذكرت ذلك لرسول الله ص، فقال اشتريها واعتقها، فإيما الولاء لمن أعتق،
 متفق عليه. ولم يذكر البخاري لفظة : أعتقها. يروى بصورة أخرى أطول من هذه.
 (٢) أنظر في ص ١٣٢ - ٢ من : إية المجتهد لابن رشد ط ١٣٢٣ .

بشئ هو الجفنة، ونفس الإنسان مطيته، كما قال عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - إن نفسى مطيتى ، ثم زادهم زيادة فقال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس : ٢٦ ، ثم ردّ عليهم أنفسهم التى اشترى منهم فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ آل عمران ١٦٩ الآية ، فأشار عليه السلام باشرائه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزادته على الثمن ، ثم ردّ الجمل المشتري عليه ، أشار بذلك كده إلى تأكيد الخبر الذى أخبر به عن فعل الله تعالى بأبيه ، فتشاكل الفعل مع الخبر ، كما تراه ، وحاش لأفعاله أن تحلو من حكمة ، بل هى كلها ناظرة إلى القرآن ومُنْتَزَعَةٌ منه صلى الله عليه وسلم .

ببافه الحديث هم عمرو بن عبير :

فصل : وحدث عن عمر بن عبير عن الحسن بن جابر ، وذكر حديث غورث ، وقد ذكره البخارى فقال فيه : غورث بن الحارث ^(١) ، وقد ذكره الخطائى ، فقال فيه : إنه لما تم بقتل النبى - صلى الله عليه وسلم - رمى بالرملة فنذر السيف من يده ، وسقط إلى الأرض . الرملة : وجع يأخذ فى الصلب ، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبير فأعجب شئ سيقته إياه عن عمرو بن عبير ، وقد رواه الأئمة عن جابر ، وعمرو بن عبير متفق على توهين حديثه ، وترك الرواية عنه ، لما اشتهر من بدعته ، وسوء تحفته ،

(١) يقال أيضاً بضم الفين . ووقع عند الخطيب بالكاف بدلا من الاء ، وحنى الخطائى فيه غويرث . وقد ذكر فى غزوة ذى أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دغور .

حَفَانَهُ حُجَّةَ الْقَدَرِيَّةِ ، فَيَا بُسَيْدُونَ إِلَى الْحَسَنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْقَوْلِ
بِالْقَدَرِ ، وَقَدْ بَرَّاهُ اللَّهُ مِنْهُ ، وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ، وَأَمَّا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ
دَأْبٍ ، فَقَدْ ^(١) كَانَ عَظِيمًا فِي زَمَانِهِ عَلَى الرُّثْبَةِ فِي الْوَرَعِ ، حَتَّى افْتَنَ بِهِ ،
وَبَعَثَتْهُ أُمَّةٌ فَصَارُوا قَدَرِيَّةً ، وَقَدْ نُيِّزَ بِمَذْهَبِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَلَمْ
يَسْقُطْ حَدِيثُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجَادِلُوا عَلَى مَذْهَبِهِمْ ، وَلَا طَعَنُوا فِي مُخَالَفَتِهِمْ مِنْ
أَهْلِ الشُّنَّةِ ، كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ . فَمِمَّنْ نُيِّزَ بِالْقَدَرِ ابْنُ أَبِي ذَيْبٍ وَقَفَادَةُ
وَدَاوُدُ بْنُ الْحَصَنِ وَعَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَطَائِفَةٌ سِوَاهُمْ مِنَ الْأَثْبَاتِ فِي عِلْمِ
الْحَدِيثِ ، وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يُكْنَى أَبَا عَمَّانَ وَأَبُوهُ عُبَيْدُ بْنُ دَأْبٍ كَانَ صَاحِبَ
شُرْطَةٍ فَيَا ذَكَرُوا وَسَمِعَ يَوْمًا نَاسًا يَقُولُونَ فِي ابْنِهِ هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنُ شَرِّ
النَّاسِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : وَمَا بِمَعْجَبِكُمْ مِنْ هَذَا ؟ هُوَ كَأَبِ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا كَأَنزَرٍ ،
وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ ، يَقُولُ : بَعْدَ مَوْتِ عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : مَا بَقِيَ أَحَدٌ
يُسْتَحْيَا مِنْهُ ^(٢) بَعْدَ عَمْرُو ، وَكَانَ يَقُولُ :

(١) تَوَفَّى عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ سَنَةَ ١٤٤ بِحِرَانَ وَرِثَاهُ الْمَنْصُورُ ، قَالُوا : وَلَمْ
يَسْمَعْ بِخَلِيفَةِ رُفْيٍ مِنْ دُونِهِ سِوَاهُ .

(٢) قَالَ الْمَنْصُورُ قَوْلَهُ لَمَّا مَاتَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ ص ٩٤ - ٢٠
الْبَيَانُ لِلْجَاحِظِ . وَمِنْ أَقْوَالِ عَمْرُو الطَّيْبَةِ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَرْحَمُكَ بِمَا يَقُولُ
النَّاسُ فَيْكَ ، قَالَ : أَسَمِعْتَنِي أَذْكَرُ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ . وَقَوْلُهُ
لِأَبِي جَعْفَرٍ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَهَبَ لَكَ الدُّنْيَا بِأَسْرَاهَا ، فَاشْتَرِ نَفْسَكَ بِبَعْضِهَا ، فَلَوْ أَنَّ
هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي صَارَ إِلَيْكَ بَقِيَ فِي يَدِي مِنْ - كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، وَتَذَكَّرْ
يَوْمًا يَتَمَنَّى بِأَهْلِهِ لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ ص ٦٥ - ٦٤ الْبَيَانُ . وَمِنْ دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ اغْنِنِي
بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تَفْقِرْنِي بِالْإِسْتِغْنَاءِ عَنْكَ ص ٢٧١ - ٢٧٠ الْبَيَانُ . اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي
عَلَى الدُّنْيَا بِالتَّقَاعَةِ . وَعَلَى الدِّينِ بِالْمَعَصَةِ .

كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صَيِّدٌ * كُلُّكُمْ يَمْنَى رُوَيْدٌ * غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ
وقد نُزِلَ ابنُ إِسْحَاقَ بِالْقَدَرِ أَيْضًا ، وَرَوَاتُهُ عَنْ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ تُوَيْدٌ
قَوْلٌ مِنْ عَزَاهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

(١) وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ الْقَرِيدِ أَنَّ عَمْرًا بَعْدَ أَنْ نَصَحَ أَبَا جَعْفَرٍ النَّصِيحَةَ
الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا أَمْرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ بِصِرَّةٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا ، وَجَمَلُ يَقُولُ :
كُلُّكُمْ يَمْنَى رُوَيْدٌ كَلِّكُمْ خَاتِلٌ صَيِّدٌ
غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

وَفِي رِوَايَةٍ : كَلِّكُمْ يَطْلُبُ صَيِّدٌ
وَأَقْرَأُ نَصِيحَتَهُ الرَّائِعَةَ الْمَنْصُورَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي الْمَلَالِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ . وَمِنْ
رِثَاءِ الْمَنْصُورِ لَهُ كَمَا ذَكَرَ الشَّهْرِسْتَانِيُّ :

لَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أَبَا شِمَانٍ
وَقِيلَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِصَاحِبِهِ : تَوَلَّيْتُ الْمَوْتَ ، وَلَمْ أَتَأَمَّبْ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ :
الْهَمُّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَنْسَحْ لِي أَمْرَانِ فِي أَحَدِهِمَا رِضَاكَ ، وَفِي الْآخَرِ هَوَى لِي
لَا لِاخْتَرْتُ رِضَاكَ عَلَى هَوَايَ فَاعْفُ رِضَاكَ لِي ، وَمَاتَ عَنْ ٦٤ عَامًا . وَالْقَدَرِيَّةُ تَقَالُ
بِاطْلَاقَيْنِ الْأَوَّلَى عَلَى الَّذِينَ يَنْفُونَ الْقَدَرَ ، وَالْآخِرِينَ عَلَى الَّذِينَ يَشْتَبُونَهُ مَعَ نَفْيِ
الشَّرْعِ . وَالْقَدَرِيَّةُ كَمَا يَعْرِفُهُمُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ — هُمُ الَّذِينَ خَاضُوا فِي قَدَرِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ ،
وَأَصْلُ ضَلَالَتِهِمْ ظَنُّهُمْ أَنَّ الْقَدَرَ يَنَاقِضُ الشَّرْعَ ، فَصَارُوا حَزْبَيْنِ حَزْبًا يَعْظُمُونَ
الشَّرْعَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعْدَ ، وَاتَّبَاعَ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَهَجَرَ
مَا يَبْغِضُهُ وَمَا يَسْخَطُهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَدَرِ . . .
وَقَدْ وَصَفَ هَذَا الْحَزْبَ بِأَنَّهُ يَكْذِبُ بِالْقَدَرِ وَيَنْفِيهِ ، أَوْ يَنْفِي بَعْضَهُ ، ثُمَّ قَالَ
عَنِ الْحَزْبِ الثَّانِي « وَحَزْبًا يَغْلِبُ الْقَدَرَ ، فَيَنْفِي الشَّرْعَ فِي الْبَاطِنِ ، أَوْ يَنْفِي حَقِيقَتَهُ ،
وَيَقُولُ : لَا فَرْقَ بَيْنَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ الْجَمِيعِ سِوَاهُ ،
وَكَذَلِكَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَعْدَاؤُهُ ، وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ يَحِبُّهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ يَبْغِضُهُ لَكِنَّهُ
خَرَقَ بَيْنَ الْمُتَمَثِّلِينَ بِمَحْضِ الْمَشِيشَةِ ، بِأَمْرِ هَذَا ، وَيَنْهَى عَنْ مِثْلِهِ ، فَجَحَدُوا =

== الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام ، ثم عاد يسم الحزب الاول وهم نفاة القدر أو بعضه أنهم أنكروا الجوع وأنكروا أن يكون الله على كل شيء قدير ، ومنهم من أنكروا أن يكون الله بكل شيء عليا ، وأنكروا أن يكون خالقا لكل شيء ، ثم وازن بين الفريقين فقال عن نفاة الشرع الذين يسوون بين الأمر والنهى . هؤلاء نفوا حكيمته وعدله ، وأولئك - أى نفاة القدر - نفوا قدرته وهيبته . وشبه هؤلاء بالمجوس ، وشبه الآخرين بالمشركين من ١٤ وما بعدها . ١ مجموعة الرسائل الكبرى ، وقد أبدع فيها كمادته رضى الله عنه .

وعمر بن عبيد هو من نفاة القدر الذين سموا بالمعتزلة . يقول ابن تيمية . وكانت الخوارج قد تكلموا فى تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا : إنهم كفار مخلدون فى النار ، فخاض الناس فى ذلك ، وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى ، فقال عمرو بن عبيدة وأصحابه : لا هم مسلمون ، ولا كفار ، بل لهم منزلة بين المنزلتين ، وهم مخلدون فى النار ، فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون ، وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء ، ولكن لم يسموهم كفارا ، واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السخيتاني وأمثالها ، فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن ، ص ٢٧ . المصدر السابق . وهناك آراء أخرى فى سبب تلقبهم بالمعتزلة ولكن ابن تيمية فى موازنة العادلة يقول عن المعتزلة . ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة - أى الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد - ومن الخوارج ، فإن المعتزلة تقر بخلافه الخلفاء الأربعة وكلمهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان ، وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليا ، ومنهم من يفضل على أبي بكر وعمر ، وكلمهم يتول عثمان . ويعظمون أبا بكر وعمر ، ويعظمون الذنوب ، فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون تحاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج ، ولهم كتب فى تفسير القرآن ، ونصر الرسول ولهم بحاس كثيرة يترجمون على الخوارج والروافض ، وهم قصدتهم لإثبات توحيد ==

وقعة الحرة وموقف الصحابة منها:

فصل : وذكر قول جابر : فوالله ما زال يَنْبَغِي عندنا ، ويرى مكانه من من بيتنا حتى أصيب فيما أصيب منا يومَ الحرةِ يعني : وقعة الحرة (١) التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدِ مُسْلِم بن عُقْبَةَ المُرِّي الذي يُسَمِّيهِ أهلُ المدينة مُسْرِف بن عُقْبَةَ ، وكان سببها أن أهل المدينة خَلَعُوا يزيدَ بنَ مُعاوية وأخرجوا مَرْوَانَ بنَ الحَكَمِ وَبَنِي (٢) أُمَيَّة ، وأمرُوا عليهم عبدَ الله بنَ حَنْظَلَةَ النَّسِيبِ الذي غَسَلَتْ أبا المَلائِكَةِ يومَ أُحُدٍ ، ولم يوافق على هذا اتِّخاِجَ أَحَدٍ من أكابر الصَّحَابَةِ الذين كانوا فيهم . روى البخاري أن عبدَ الله بنَ عمرَ لما أُرْجِفَ أهلُ المدينة بيزيدَ دعا بنيه ومَوَالِيه ، وقال لهم : إِنَّا قد بَايعْنَا هذا الرجلَ على بَيْعَةِ اللَّهِ وَبَيْعَةِ رَسُولِهِ ، وإِنَّه والله لا يَبْلُغُنِي عن أَحَدٍ منكم أَنه خَلَعَ بَدَأَ من طاعته إِلَّا كانت الْفِتْنَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، ثم لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَلَزِمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ بَيْتَهُ ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انْتَبَهَتْ لِلدِّينَةِ فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ

= الله ورحمته وحكمته وصدقته وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس ، ولكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس ، ثم عدد أحطاءهم رضى الله عنهم ص ٧٥ = المصدر السابق .

(١) الحرة سنة ٦٣ هـ ص ٢٨٤ = هـ الطبري .

(٢) وأخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد وقد طلب يزيد من مسلم أن يدعو القوم ثلاثاً ، فإن هم أجابوه وإلا قاتلهم ، وأمره أن يبحث عن علي بن الحسين وأن يكف عنه ، وأن يستوصى به خيراً ، وأن يدن من مجلسه . وكان على قدر رفض أن يخب في الفتنة .

صاحبُ النبيّ - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : قد سمعنا خبرك ، وَلَئِنْ مَنّا فَمَعَلْتَ حينَ كَفَفْتَ بِدَكَ ، وَلَزِمْتَ بَيْتَكَ ، وَلَكِنْ هَاتِ الْمَالَ ، فَقَالَ قَدْ أَخَذَهُ الدِّينَ دَخَلُوا قَبْلَكُمْ عَلَى ، وَمَا عِنْدِي شَيْءٌ ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ وَتَقْتُلُوا أَحِبَّتَهُ ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا حَتَّى صُوفَ الْفَرَشِ ، وَحَتَّى أَخَذُوا زَوْجَيْنِ مِنْ حَتَّامٍ كَانَ صَبِيَّاهُ يَلْعَبُونَ بِهِمَا . وَأَمَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي كُنَّا يَمْسُقُ حَدِيثَهُ ، فَخَرَجَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطُوفُ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ وَالْبُيُوتِ تُنْقَتُ ، وَهُوَ أَعْمَى ، وَهُوَ يَتَرَفَّى لِلْقَتْلِ ، وَيَقُولُ تَيْمَسُ مِنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : وَمَنْ أَخَافَ رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ أَخَافَ الْمَدِينَةَ ، فَقَدْ أَخَافَ مَا بَيْنَ جَنْبَيْ ، فَعَمِلُوا عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ، فَأَجَارَهُ مِنْهُمْ مَرْوَانُ ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ ، وَقَتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ وَجْهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَلْفٌ وَسَبْعُمِائَةٍ ، وَقَتِلَ مِنْ أَخْلَاطِ النَّاسِ عَشْرَةٌ أَلْفٍ سِوَى النِّسَاءِ وَالصُّبْيَانِ ، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ إِسْرَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ دَخَلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَهِيَ تُرَضِعُ صَبِيَّهَا ، وَقَدْ أَخَذَ مَا كَانَ عَنْدهَا ، فَقَالَ لَهَا : هَاتِ الذَّهَبَ ، وَإِلَّا قَتَلْتُكَ ، وَقَتَلْتُ صَبِيَّكَ ، فَقَالَتْ : وَيْحَكَ إِنْ قَتَلْتَهُ فَأَبْرَهُ أَبُو كَبْشَةَ صَاحِبُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَاخُنْتُ اللَّهَ فِي شَيْءٍ بَايَعْتُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ ، فَانْتَفَضَ الصَّبِيُّ مِنْ حِجْرِهَا ، وَتَذَيُّبُهَا فِيهِ ، وَضَرَبَ بِهِ الْخَائِطَ حَتَّى انْتَشَرَ دِمَاغُهُ فِي الْأَرْضِ وَالْمَرْأَةُ تَقُولُ : يَا بُنَيَّ لَوْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ نَقَدْتُكَ بِهِ ، لَفَدَيْتُكَ ، فَمَا خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى اسْوَدَّ نِصْفُ وَجْهِهِ ، وَصَارَ مَثَلَةً فِي النَّاسِ .

قال المؤلف : وأحسب أن هذه المرأة جدّة للصبي ، لا أمّ له ، إذ يبعد في العادة أن تباع النبیّ عليه السلام ، وتسكون يوم الحرّة في سین من رضيع. والحرّة التي يُعرف بها هذا اليوم يقال لها حرّة زهرة ، وفي الحديث أن النبیّ - صلى الله عليه وسلم - وقف بها ، وقال : لَيَقْتُلَنَّ بهذا المكان رجالٌ هم خیار أمتي بعد أصحابي ، ويذكر عن عبد الله بن سلام ، أنه قال : لقد وجدتُ صفتها في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديلٌ ، وأنه يُقتل فيها قومٌ صالحون يقيمون يوم القيامة وسلاحهم على عوّايقهم ، وذكر الحديث . وعرفت حرّة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود ، وكانت كبيرة في الزمان الأول ، ويقال كان فيها ثلاثمائة صائغ ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له : وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين ، وقد كان يزيد ابن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا ، وبذل لهم من المطأ أضعاف ما يُعطى الناس واجتهد في استمالهم إلى الطاعة ، وتحذيرهم من الخلاف ، ولكن أبى الله إلا ما أراد ، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون : **فَإِنَّ تِلْكَ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ^(١) البقرة : ١٣٤ ، ١٤١ .

(١) أنظر ص ٢٨٢ ح الطبري . وقد أحسن السبيل في ختام كلامه عن هذه الفتنة وإن كان قد نقل مبالغات عن كتاب الحرّة لواقدي وما ذكره من أحاديث فيها شيء لا يعتمد به فإخرج واحداً منها أحد من أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن ، فقد نقلها عن كتاب الحرّة لواقدي ، وأنظر ص ٨٥ > ١ من كتاب وفاء الرقا للمهمودي وفي كتابه أيضاً عن حرّة واقم : هي حرّة المدينة الشرقية . وتسمى أيضاً حرّة بني قريظة لأنهم كانوا بطونها القبلي وحرّة زهرة لمجاورتها لما

معنى الربيثة :

فصل : وذكر حديث الأنصاري والمهاجري ، وهما عبادة بن بشر ،
وعمار بن ياسر ، وأن رجلا من العدو رمى الأنصاري بسهم ، وهو يصلي
لما علم أنه ربيثة القوم . الربيثة هو الطليعة ، يقال : ربأ على القوم ربأ
فهو رباه وربيتة قال الشاعر [الهذلي] :

رَبَّاءٌ شَمَاءٌ لَا يَأْوِي لِقَلْبَتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبَلُ (١)

قرباءه : فعال من ربأ إذا نظر من مكان مرتفع ، وشمائه ، يريد هضبة
شماء ، وإنما قالوا : ربيثة بهاء التانيث ، وطليعة ؛ لأنها في معنى العين ، والعين
مؤنثة ، تقول : ثلاث أعين ، وإن كانوا رجلا ، بمعنى الطلائع ، لأن
الطليعة والربيثة إنما يراد منه عينه الناضرة ، كما تقول في ثلاثة أعبد : اعتقت
ثلاث رقاب ، فتؤنث ، لأن الرقية ترتجة عن جميع العبد ، كما أن العين الذي
هو الطليعة كذلك ، ويجوز أن تكون الهاء في ربيثة وطليعة للمبالغة ،
كما هي في علامة ونسابة ، فعلى الوجه الأول تقول : ثلاث طلائع ، وثلاث
ربايا في جمع ربيثة ، كما تقول : ثلاث أعين ، لأنه باب واحد من التانيث ،
وإذا كانت الهاء للمبالغة قلت : ثلاثة وأربعة ، لأنك تقصد التذكير ، لأن
هاء المبالغة لا توجب تانيث المسمى ، ولأنها في الصفة ، والصفة بعد الموصوف ؛
ولذلك تقول : هذا علامة ، ولا تقول : هذه علامة بخلاف الرقية والعين ،

والكلام على ذلك في الجزء الأول وفي المستدركات في الجزء الثاني .

لأنك تقول في العبد الذكر : هذه رَقَبَةٌ فَأَعْتِقْهَا ، وفي العَيْن : هذه طَلِيعَةٌ ،
وهذه عَيْنٌ ، وأنت تعنى الرجل . هذا معنى الفرق بينهما .

فقه الحديث :

وفي هذا الحديث من النِّقَةِ صَلَاةُ الْمَجْرُوحِ وَجُرْحُهُ يَنْشَبُ دَمًا ، كما فعل
عمرُ بن الخطَّابِ ، وقد ترجم بعضُ المصنفين عليه لموضع هذا الفقه ، وفيه مُتَعَلِّقٌ
لمن يقول : إن غُسْلَ النَّجَاسَةِ ، لا يُعَدُّ في شُرُوطِ صِحَّةِ الصَّلَاةِ ، وفيه من الفقه
أيضًا تعظيمُ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ ، وَأَنَّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتِمَّادَى عَلَيْهَا ، وإن جَرَّ إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْقَتْلُ ، وتَفَوُّتِ النَّفْسِ ، مع أن التمرُّضَ لِقَوَاتِ النَّفْسِ ، لا يَحِلُّ إِلَّا فِي
حَالِ الْمُحَارَبَةِ ، ألا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ : لَوْلَا أَنْ أَضَيِّعَ كَفَرًا أَمَرَني رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم بحِفْظِهِ لِقَطْعِ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أَنْفَذَهَا ، يعنى :
السُّورَةُ الَّتِي كُنَّا يَقْرَؤُهَا .

حول رَجَزٍ مَعْبُودٍ وَسَمَرٍ مَسَارٍ وَأَبَى سَفِيَّانٍ :

وَذَكَرَ قَوْلَ مُعْتَبِدٍ : وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَنْفُسُ وَالْأَعْيُنُ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْأَلْسُنُ وَالْأَفْهَامُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ وَالْأَفْئِدَةُ وَالْأَلْسُنُ وَالْأَفْهَامُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
وَعَجُوزَةٌ مِنْ بَثْرٍ كَالْمَعْجَدِ

الْمَعْجَدُ : حَبُّ الزَّيْبِ ، وَقَدْ يُقَالُ لِلزَّيْبِ نَفْسُهُ أَيْضًا عَجْدٌ ، وَأَمَّا
الْعَيْنُ ، فَيُقَالُ : لِمَجْمَعِهِ : الْفِرْعَدُ . وَالْأَتْلُ : الْأَقْدَمُ مِنَ لَمَالِ التَّلِيدِ .
وَأَمَّا قَوْلُ حَصَانٍ :

(م ١٧ — الترويض الأتق ج ٦)

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ

جمعُ فَلَجٍ ، وهو لواء الجارى ، سُمِّيَ فَلَجًا ، لأنه قد خَذَ في الأرضِ ،
وفُرقَ بين جانبيه مأخوذٌ من فَلَجِ الأسنانِ ، أو من الفلج وهو التمسُّمُ ،
والفلجُ مَكِيلٌ يُقَسَّمُ به ، والفَلَجُ والفَلَجُ بغيرِ ذُو سَنَامَيْنِ ، وهو من هذا
الأصل ، ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال : الفلجة للزرعة (١) .

وذكر شعر أبي سفيان :

أَحْسَنُ إِنَّا بَيْنَ آكَلَةِ الْفَنَّا

الْفَنَّا : ضرب من الثمر ، ويقال : هي غيرة تغلو ، الدُّسْرُ ، والْفَنَّا لغة
في الْفَنَّا (٢) .

وفيه :

كأَخَذِكُمْ بِالْعَيْنِ (٣) أَرْطَالَ آنَكَ

(١) وفي اللسان : الفلجات : المزارع وقد استشهد بالميت المذكور . وفي
مادة فلح يقول : والفلاحة القراح الذي اشتق للزرع عن أبي حنيفة ، وأنشد
لحسان : دعوا فلجات ... الخ يعنى المزارع . ومن رواه فلجات فمناه : ما اشتق
من الأرض للديار ، كل ذلك قول أبي حنيفة ،

(٢) الفنا : البسر الفاسد المغبر ، أو هو فساد البسر . والفنا ما يخرج من
الطعام فيرمى به والردى من كل شيء من الناس ولما كوى والمشروب والمر كوى .

(٣) العين هنا : المال الحاضر ، والعين أيضاً الدر وكلامها يصلح ما هنا .
ومن رواه بالمير فالعير الرفقة من الإبل ، والآلك : الأسرْب وهو
الجموع . الخ .

أنقمت على هذا البيت في حاشية أبي بحر ما هذا نصه : ذكر مُحَمَّدُ بْنُ
سَلَامٍ في الطبقات له هذا البيت :

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ حَوْلَ بَيْتِكُمْ كَأَخْذِكُمْ فِي الْعَيْنِ أَرْطَالَ أَنْكٍ
ووصل به بَنان قال : فقال أبو سفيان بن حرب لأبي سفيان بن الحارث :
يا ابن أخي : لم جعلتها آنك إن كانت لَفِضَةً بَيضاءَ جَيِّدَةً .

وقوله :

سَمِعْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلَهَا

وفي حاشية الشيخ : شَقِيقُكُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِهَا .

وقوله :

خَرَجْنَا وَمَا نَنْجُو الْيَعْفِيرُ بَيْنَنَا

اليعافير : الطَّيْبَاءُ الْعَفْرُ^(١) يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير .

= وقيل هو الرصاص الأبيض ، وقيل الأسود . وقيل الخالص منه . ويقال : لم
يُجْنِ عَلَى مِثَالِ فَاعِلٍ بِضَمِّ الْعَيْنِ غَيْرُهُ أَوْ أَفْعَلُ وَاحِدًا غَيْرُهُ ، فَمَا أَشَدَّ فَيُخْتَلَفُ
فِيهِ هَلْ هُوَ وَاحِدٌ أَوْ جَمْعٌ .

(١) جمع أَعْفَرٍ وَهُوَ مِنَ الطَّيْبَاءِ مَا يَبْلُغُ بَيَاضَهُ حُمْرَةً ، أَوِ الَّذِي فِي سِرَاقِهِ

حُمْرَةٌ وَأَقْرَابُهُ بَيَضٌ ، أَوِ الْبَيَضُ لَيْسَ بِالشَّدِيدِ الْبَيَاضِ .

غزوة دومة الجندل

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفَةَ النِغَارِي .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقيّة سنته .

غزوة الخندق

في شوال سنة خمس

تاريخها

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال حدثنا زياد بن عبد الله البسكاني ، عن محمد بن إسحاق الطلبي ، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تحرض قريشاً

لقد نفي يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن
لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ،
وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم
قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به
بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام
ابن أبي الحقيق النخعي ، وحوي بن أخطاب النخعي ، وكنانة بن أبي الحقيق
النخعي ، وهودبة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني
النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدّموا على قريش مكة ، فدعاهم إلى
إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ،
حتى نتخاضله . فقالت لهم قريش : يا بني إسرائيل ، إنكم أهل الكتاب
الأول والعلم بما أجمعنا تختص فيه نحن ومحمد أفدبنا خير أم دينه ؟ قالوا :
بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق (منه) فهم الذين أنزل الله تعالى
فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ
وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْهُمْ اللَّهُ ، وَهُمْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
نصيراً . . . إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ
فَضْلِهِ ؟ : أي النبوة ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ

مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَمِيرًا .

اليهود تحرّض غطفان

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشطوا لما دَعَوْهم إليه ، من حَرْبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتَّعدوا له . ثم خرج أولئك التَّفَرُّ من يهودَ ، حتى جاءوا غطفانَ ، من قيس عَيْلَانَ ، فدَعَوْهم إلى حربِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشًا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب من المشركين

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سُفْيَان بن حَرْب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عُبَيْدُ بنِ حِصْن بنِ حَذِيفَةَ بنِ بَدْرٍ ، في بَنِي قُرَازَةَ ؛ والحارث بن عَوْف بن أبي حارثة الثَّمَرِيُّ ، في بَنِي مُرَّة ؛ ومُسْنَر بن رُخَيْلَةَ ابن ثَويرة بن طَرِيف بن سُحُتْمَة بن عبد الله بن هَالِل بن خُلاَوَة بن أَشْجَع بن رَبِيع بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أَشْجَع .

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، صَرَبَ الخَنْدَقَ على المدينة ، فعمل فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ترغيبًا للمسلمين

حتى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يُورُونَ بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته الفاتية ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل في حق الماملين في الخندق

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيَفْعَلُوا شَأْنَهُمْ فَأَذَنْ لَنْ نَشْتَكِيَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسنة ، والرغبة في الخير ، والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْمَعُوا دُعاءَ الرِّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّهُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

تفسير بعض الغريب

قال ابن هشام : الاواذ : الاستتار بالشئ عند الحرب ، قال حسان بن ثابت :

وَقُرَيْشٌ تَفِي — مِنْ أَوَاذٍ أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْخَلْمُ
وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أحد .

﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ بَنَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْجَبُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

المسلمون يرتجزون في الحفر

قال ابن إسحاق : وعز المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جعيل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، فقالوا :

سَمَاءُ مِنْ بَعْدِ جَعِيلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَانِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا سمعوا « بعمرو » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا سمعوا « بظنهر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهراً .

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق

قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بَلَّغَتْنِي ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بَلَغَتْنِي أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشْتَدَّتْ عليهم في بعض الخندق كذبة ، فَشَكَّوْهَا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا يائزاً من ماء ، فَثَقَلَ فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعوه به ، ثم نَضَحَ ذلك الماء على تلك الكذبة ، فيقول من حضرها : فواللهي بعثه بالحق نبياً ، لانهاات حتى عادت كالكتيب ، لا ترد فأساً ولا منجاة .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حَدَّثَ : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت للنعمان بن بشير ، قَالَتْ : دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ فِي ثَوْبِي ، ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّ بُنْيَةٍ ، اذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَهُمَا ، قَالَتْ : فَأَخَذْتُهَا ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهَا ، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْبَسُ أَبِي وَخَالِي ؛ فَقَالَ : تَعَالَى يَا بُنْيَةَ ، مَا هَذَا مَعَكَ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا تَمْرٌ ، بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ ؛ قَالَ : هَانِيهِ ؛ قَالَتْ : فَصَبَّيْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَا مَلَأْتُهُمَا ، ثُمَّ أَمْسَ بَثُوبَ فُبَسَطْتُهَا ، ثُمَّ دَحَا بِالْتَمْرِ عَلَيْهِ ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ :

أصرخ في أهل الخندق : أن هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ ، فَاجْتَمِعْ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ ، فَجَعَلُوا
يَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يَزِيدُ ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنَ
أَطْرَافِ الثُّوبِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مَيْمُونٍ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ :
عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَنْدَقِ ، فَكَانَتْ عِنْدِي شَوْبِيَّةٌ ،
غَيْرُ جِدَّةٍ شَمِيَّةٍ . قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْتُمُوهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
قَالَ : فَامْرُتُ لِمَرَأَتِي ، فَطَلَعَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ ، فَصَنَعْتُ لَنَا مِنْهُ خَبِزًا ،
وَذَبَحْتُ تِلْكَ الشَّاةَ ، فَشَوَّيْتُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَلَمَّا
أُمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْانْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ - قَالَ :
وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارًا ، فَإِذَا أُمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا - قَالَ : قُلْتُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شَوْبِيَّةً كَانَتْ عِنْدَنَا ، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ
خَبِزِ هَذَا الشَّعِيرِ فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ
مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ . قَالَ : فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ : نَعَمْ ،
ثُمَّ أَمْرًا صَارَ خَا فَصَرَخَ : أَنْ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : قُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَيْ قَالَ : فَأَقْبَلَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْبَلَ النَّاسَ مَعَهُ ؛ قَالَ : فَجَلَسَ وَأَخْرَجَنَا
إِلَيْهِ . قَالَ : فَبَرِكْ وَسَبِّحْ (اللَّهُ) ، ثُمَّ أَكَلْ ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ ، كُلُّهُمْ فَرَّغَ قَوْمٌ
قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثْتُ مِنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : ضَرَبْتُ

ففي ناحية من الخندق ، فقلّظت على صخرة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رأيته أضرب ورأى شدة المكان على ، نزل فأخذ المغول من يدي ، فضرب به ضربة كَمَعَتْ تحت المغول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمت تحته برقة أخرى . قال : قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لَمَعَ تحت المغول وأنت تضرب ؟ قال : أَوَقَدْ رأيت ذلك يا سَلْمَانُ ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ على بها اليمن ؛ وأما الثانية فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ على بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ، حين فُتِحَتْ هذه الأمصار في زمان عمر و زمان عثمان وما بعده : افتتحوها أبداً رُسُكُمْ ، فوالذي نفسُ أبي هريرة بيده ، ما افتتحوهم من مدينة ولا تَفْتَقَحُونَهَا إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانهُ محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجُرُفِ وَرَغَابَةِ في عشرة آلاف من أحاديثهم ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ يَمَامَةَ ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ، حتى نزلوا بِذَنْبِ قَحْصَى ، إلى جانب أحد . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، حتى جعلوا

ظهورهم إلى سَلْع ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فغزب هنالك عسكره ،
والتفندق بينه وبين القوم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذراري والنساء ففعلوا في الآطام .

تخريب حِي بن أخطب لكعب بن أسد

وخرج عدو الله حِي بن أخطب النَّصْرِي ، حتى أتى كَعْب بن أسد
الْقُرَظِي ، صاحب عَقْد بني قُرَيْظَة وعَهْدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحِي بن أخطب أغلق
دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حِي : **وَنَحْلِكَ يَا كَعْبُ !**
افتح لي ، قال : **ويحك يا حِي ! إنك امرؤ مَشْتُومٌ ، وإني قد عاهدتُ محمداً ،**
فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه ولم أرَ منه إلا وفاءً وصِدْقاً ؛ قال : وَنَحْلِكَ افتح
لي أكلتُكَ ؛ قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغثتُ دوني إلا تخوفت
على جَشِيشَتِكَ أن آكل معك منها ، فأحفظ الرِّجْل ، ففتح له ، فقال : وَنَحْلِكَ .
يا كَعْب ، جِئْتُكَ بعزِّ الدهر وببَحر طَامٍ ، جِئْتُكَ بقُرَيْشٍ على قادتها وسادتها ،
حتى أنزلتهم بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ من دُومَةٍ ، وبمَظَفَانٍ على قادتها وسادتها حتى
أنزلتهم بِذَنْبِ نَقَمِي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاهدوني على أن لا يبرحوا
حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب جِئْتَنِي والله بِذُلِّ الدهر ،
وبتَجمَامٍ قد هَرَأَقَ ماءه ، فهو يُرعد ويُبْرِق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حِي !
قد غنى وما أنا عليه ، فأبى لم أرَ من محمد إلا صِدْقاً ووفاء . فلم يزل حِي

يَكُفُّ يَنْفِلُهُ فِي الدَّزَوَةِ وَالْغَارِبِ ، حَتَّى سَمَحَ لَهُ ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ
بِوَمِيثَاقًا : لَنْ رَجَعْتُ قَرِيشَ وَغَطَفَانَ ، وَلَمْ يُصَيِّبُوا عَمْدًا أَبْتُ أَدْخَلَ مَعَكَ
فِي حَصْرِكَ حَتَّى يُصَيِّبَنِي مَا أَصَابَكَ . فَتَقَضَّى كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ ، وَبَرَى .
بِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

التحرى عن تقضى كعب للعهد

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ وَإِلَى الْمُسْلِمِينَ ،
بِعَثْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بْنِ النَّمَانِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ
الْأَوْسِ ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ دُلَيْمٍ ، أَحَدُ بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ
وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَمَعَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ
الْخَزْرَجِ ، وَخَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى
تَنْظُرُوا ، أَحَقَّ مَا بَلَفْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا ؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَيُّوا إِلَى لَحْنَاءِ
أَهْرَفِهِ ، وَلَا تَفْتُرُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَلِمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا
بِهِ لِلنَّاسِ . قَالَ : فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَخْبَثَ مَا بَلَفْنَاهُمْ عَنْهُمْ ،
فَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالُوا : مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ؟ لَعَهْدَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ عَمْدٍ وَلَا عَهْدَ . فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاتَمَهُمْ ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ ،
فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : دَعْ عَنْكَ مُشَايَمَتَهُمْ ، فَلِمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرَبْنِي مِنَ
الْمَشَاعَةِ . نَحْمُ أَقْبَلَ سَعْدٌ وَسَعْدٌ وَمِنْ مَعَهُمَا ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا : عَصَلٌ وَالْقَارَةُ ، أَيْ كَفَدَرُ عَصَلٍ وَالْقَارَةُ

بأصحاب الرجيع ، خُيِّب وأصحابه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
الله أكبر ، أبشروا بامعشر المسلمين .

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين

وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجَم النفاق من بعض المنافقين .
حتى قال مُعْتَب بن قُشَيْر ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ
كَنْوَزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْفَاطَةِ .

أكان معتب منافقاً ؟

قال ابن هشام : وأخبرني من أتق به من أهل العلم : أَنَّ مُعْتَبَ بْنَ قُشَيْرٍ
لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّاظِقِينَ ، وَاحْتِجَّ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أَوْسُ بْنُ قَيْظٍ ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْخَارِثِ :
يُرْسُولُ اللَّهُ ، إِنْ يَبُوتُنَا هَوْرَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ ،
فَأَذِنَ لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا ، فَهِيَ خَارِجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ بَعْضًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً ، قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ،
لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمْيُ بِالْثَنَبِلِ وَالْحِصَارِ .

قال ابن هشام : ويقال الرَّمْيُ .

الهمم بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما
 حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا آتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن
 شهاب الزهري - إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث
 ابن عوف بن أبي حارثة المزي ، وهما قائدَا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة
 على أن يزوجا من مملوكتيهما وعن أصحابه ، يجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى
 كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة في ذلك .
 فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ
 وسعد بن عباد ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله ،
 أمرنا بحبه فنهضنا ، أم شيئاً نقولك الله به ، لا يد لنا من العمل به ، أم شيئاً
 نصنع له ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت
 القرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوك من كل جانب ، فأردت أن
 أكبر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ،
 قد كنا نحن وهؤلاء اليوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لانصب الله
 ولا نعرفه . وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أخوف
 أكرمتنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزتنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! (والله)
 مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأتت وذلك . فتناول سعد بن معاذ
 الصحيفة ، فمعاها منها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

عبور نفر من المشركين الخندق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس -

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب الخزوميان ، وحرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، تلّبسوا للقتال ، ثم خرجوا على غيلهم ، حتى مزوا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : هبثوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تمنّقى بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لم تكنيدة ما كانت العرب تنكيدها .

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

مبارزة عليّ لعمر بن عبد دو

قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقترعت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلم ، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الفقرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تنشق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحمد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعلماً ليرى مكانه . فلما وقف هو وخيله ، قال : مَنْ يُبارز ؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قُرْبش إلى إحدى خلتين إلا أخذتهما منه ، قال له : أجل ؛ قال له عليّ : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له عليّ : لكنني والله أحب أن أقتلك ، فحیی عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعمقه ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على عليّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله عليّ رضي الله عنه . وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نَعَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَتَصَرَّتْ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
فَصَدَدَتْ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجَذْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي

وَعَفَّتْ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْمَقَطَّرَ بَرَزَنِي أَتَوَانِي ،
لَا تَحْبِسُنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيِّهِ . يَا مَعْشَرَ الْأَحْزَابِ
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيهما لعل بن أبي طالب .

شعر حسان في عكرمة

قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رُفْحَهُ يومئذ وهو منهمزج
عن عمرو ، فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُفْحَهُ لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَسْدُو كَعْدُو الظُّلُمِ مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْعَفْدِلِ
وَلَمْ تَبْلُقْ ظَهْرَكَ مُسْتَانِسًا كَانَ قَفْصَاكَ قَفَا فُرْعُلِ
قال ابن هشام : الفُرْعُلُ : صغير الضباع ، وهذه الأبيات في أبيات له .

شعار المسلمين يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة :
حَمَّ ، لَا يَنْصُرُونَ .

حديث سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ،
ابن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن

بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد ابن معاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فرّ سعد وعليه درع له مقلاة ، قد خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرّقل بها ويقول :

ثَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا بَعْلُ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخرت ؛ قالت عائشة : قتلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مماهى ، قالت : وخنت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرمى سعد بن معاذ بهم ، قطع منه الأكليل ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، حيّان بن قيس بن العرقعة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العرقعة ، فقال له سعد : عرّق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحبّ إلى أن أجاهدكم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاحملها لى شهادة ، ولا تمتحنى حتى تُفتر عيني من بنى قريظة .

مَنْ قَاتَلَ سَعْدَ؟

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَنْ لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل :

أَعِكرَمَ هَلْ لَمَتْنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدُ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مِرْشَةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدُ
قَصَى نَحْبِهِ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّطَطِ الْقَذَارَى النَّوَاحِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عُيَيْدُهُ جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينِ مَأْمُومٍ جَائِرٍ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرَ مَرْعُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ
(وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَيْ ذَلِكَ كَانَ).

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حِجَّان .

الحديث عن جبن حسان

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزُّبَيْر ، عن أبيه
عباد قال : كانت صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي فَارِجٍ ، حِصْنُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ؛
قَالَتْ : وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعْنَا فِيهِ ، مَعَ الذِّهَاءِ وَالصَّبِيانِ ، قَالَتْ صَفِيَّةُ : فَمَرَّ بِنَا
وَجَلَّ مِنْ يَهُودٍ ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، وَقَطَعَتْ
مَابَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ
هَذَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نَحْوِ عَدُوِّهِمْ ، لَا يَسْتَطِيعُونَ
أَنْ يَنْصَرَفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَنَا آتٍ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا حَسَّانُ ، إِنْ هَذَا
الْيَهُودِيُّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا

مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،
فانزل إليه فآتله ؛ قال : يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا بنة عبد المطَّاب ، والله لقد عرفتِ
ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، احتجرت
ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتَه .
قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحصن ، فقالت : يا حسن ، انزل إليه
فأسلبه ، فإنه لم يَمْنَعْنِي من سلبِهِ إلا أنه رَجُل ؛ قال : مالى بِسلبِهِ من حاجة
يا بنة عبد المطَّاب .

نعيم يَخْذَلُ المشركين

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما
وصف الله من الخوف والشدَّة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإيمانهم بإياهم من
قوتهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قُثَيْد بن هلال
ابن خلابة بن أشجع بن رَيْث بن غطفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمتُ ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني
بما شئتُ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ،
تَخْذَلُ عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني
قُرَيْظَةَ ، وكان لهم نديماً في الجاهليَّة ، فقال : يا بني قُرَيْظَةَ ، قد عرفتم ودِّي
إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال

.....

لهم: إن قريشاً و غطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرّون على أن تحمّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً و غطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموه عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلقوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتى تنجزوه ، فقالوا له : لقد أثرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقى محمّداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت على حقٍّ أن أبلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموا عني ، فقالوا : نعمل ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد ، وقد أرسلوا إليه : إننا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قريش و غطفان رجلاً من أشrafهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتصقون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيري ، وأحب الناس إلي ، ولا أراكم تهملوني ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا

يَتَّبِعُهُمْ ، قَالَ فَاتَّكُمُوا عَنِّي ، قَالُوا : نَفْعَلُ ، فَمَا أَمْرُكَ ؟ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ قُرَيْشٍ وَحَذَرَهُمْ مَا حَذَرَهُمْ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّبْتِ مِنْ شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ ، وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَرِئُوسَ غَطَفَانَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِصْرِيَّةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ ، فِي تَفْرِيقِ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ ، فَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّا لَسْنَا بِدَارٍ مَقْدَةٍ ، قَدْ هَلَكَ الْخَلْفَ وَالْخَافِرُ ، فَاعْدُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى تُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، وَتَفْرَغَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : إِنْ الْيَوْمَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا ، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا ، فَأَصَابَهُ مَا يَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ يُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ ، يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا نَقْمَةً لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ ضَرَّسْتُمْ الْحَرْبَ ، وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا ، وَالرَّجُلُ فِي بِلَدِنَا ، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ بِمَا قَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ : وَاللَّهِ إِنْ أَدَّى حَدَّثَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، فَأَرْسَلُوا بَنِي قُرَيْظَةَ : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْفِعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْبُدُونَ الْقِتَالَ فَأَخْرُجُوا فَمَاتُوا ، فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ ، حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ بِهَذَا : إِنْ أَدَّى ذَكَرَ لَكُمْ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقَّ ، مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ يُقَاتِلُوا ، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمِرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ . وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بِلَادِكُمْ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ : إِنَّا وَاللَّهِ لَا يُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا رَهْنًا ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذَلَ اللَّهُ يَدَهُمْ ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ

في ليل شلتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

تعرف ما حلّ بالمشر كين

(قال) : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف مزب
أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر
مافعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ،
قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته ؟ قال : نعم ، يا بن أخي ، قال :
فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجيد ، قال : فقال : والله لو أدركناه
ما تركناه ينشئ على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخي ،
والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم هويًا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا مافعل
القوم ثم يرجع . بشرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة . أسأل الله تعالى
أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فقام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة
الجوع ، وشدة البرد ، فلما لم يغم أحد ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة ، اذهب فادخل في القوم ،
فانظر ماذا يصنعون ، ولا تأخذن شيئاً حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت
في القوم ، والرياح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا .

ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادي بالرحيل

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبَحتم بدار مُقام . لقد هلك الكراع والخلف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكروه ، ولقينا من شدة الريح ما تروُن ، ماتطعن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جله وهو مَقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى « أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشي اليمن . فلما رأي أني أدخاني إلى رجليه ، وطرح على طَرَف المرط ، ثم ركع وسجد ، وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غَطَاقاً بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الإصراف عن الخندق

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة

في سنة خمس

الأمر بالإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزُّهري ، معتجراً بعامة من استبرق ، على بقة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أَوَقَدْ وضعتَ السلاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : فما وضعتَ اللاتسكةَ السلاحَ بعد ، وما رجعتَ الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرُك يا محمد بالتسيرِ إلى بني قُريظة ، فإني عامدٌ إليهم فغزّزل بهم .

فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً ، فأذن في الناس ، من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصحبَ العَصْرَ إلا ببني قُريظة .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة

قال ابن إسحاق : وقَدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب

سرايته إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس . فسار علي بن أبي طالب ، حتى إذا
دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع
حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك
أن لا تدنو من هؤلاء الأخاث ، قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال :
نعم يا رسول الله ، قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله
يو أنزل بكم نعمته ؟ قالوا يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

جبريل في صورة دحية

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْنِ قبل أن
يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرَّ
بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بئلة بيضاء عايباً رَحالة ، عايباً قَطيفةً ديباج .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يُرْلِل
بهم حصونهم ، ويقتل الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة : نزل على بئر من
آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أناب .
قال ابن هشام : بئر أنى .

تلاحق الناس بالرسول

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، قاتى رجالٌ منهم من بعد العشاء

الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصليَنَّ أحدُ العصرَ إلا ببني قُريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بدٌ في حربهم ، وأبوا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بني قريظة . فصلَّوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فسا عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنَّتهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار . عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

الحصار

(قال) : وحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسًا وعشرين ليلةً حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ الله في قلوبهم الرعبَ .
وقد كان حُيَّي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاقه لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

نصيحة كعب بن أسد لقومه

فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ، وإن عارض عايكم خلالًا ثلاثًا ، تُغذوا أيها شتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : مُتابع هذا الرجل ونصديق فوالله لقد تبَيَّن لكم أنه لنبىٌّ مُرسل ، وأنه للذى تَجِدونه في كتابكم ، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ، قالوا : لا نفارقُ حكمَ التَّوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره ، قال : فإذا أبيتُم على هذه ،

فَقَتْلُ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ نَخْرُجُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ رَجَالًا مُصْلَتِينَ السُّيُوفَ ،
لَمْ نَتْرَكْ وَرَاءَنَا ثَقْلًا ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، فَإِنْ هَلَكَ نَهْلِكَ ، وَلَمْ نَتْرَكْ
وَرَاءَنَا نَسْلًا نَحْشَى عَلَيْهِ ، وَإِنْ نَظَرُ فَلَعمَرَى لِنَجِدَنَّ النِّسَاءَ وَالْأَبْنَاءَ ، قَالُوا :
نَقْتُلُ هَؤُلَاءَ الْمَسَاكِينَ ! فَمَا خَيْرَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ ؟ قَالَ : فَإِنْ أَيْتِمَ عَلَى هَذِهِ ،
فَإِنَّ اللَّيْلَةَ لَيْلَةُ السَّبْتِ ، وَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَدْ أَمِنُونَا فِيهَا ،
فَانْزِلُوا لَعَلَّنَا نَصِيبُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غِرَّةً ، قَالُوا : نُفْسِدُ سَدِّعَتَنَا عَلَيْنَا ، وَنُحَدِّثُ
فِيهِ مَا لَمْ يُحَدِّثْ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِلَّا مِنْ قَدِ عَامَتِ ، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ
مِنَ الْمَسْخِ ! قَالَ : مَا بَاتَ رَجُلٌ مِنْكُمْ مِنْذُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الدَّهْرِ
حَازِمًا .

قصة أبي لبابة

ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ
ابْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، أَخَاهُ عِمْرَانَ عَوْفٍ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ ، لَنَسْتَشِيرَهُ
فِي أَمْرِنَا ، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَامَ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ
الرِّجَالُ ، وَجَبَّشَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ ، فَرَفَّقَ لَهُمْ ، وَقَالُوا
لَهُ : يَا أَبَا لُبَابَةَ ! أَنْتَ رَأَى أَنْ تَنْزِلَ عَلَى نَحْسِكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ
إِلَى حَلْفِهِ ، إِنَّهُ الذَّبْحُ . قَالَ أَبُو لُبَابَةَ : فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى
عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خَفَّتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى
وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى
إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَقُوبَ اللَّهُ عَلَىَّ مِمَّا

صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبداً ، ولا أرى في بلد خُذت الله
ورسوله فيه أبداً .

توبة الله على أبي لبابة

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن
إسماعيل بن أبي خالد ، عن عبد الله بن أبي قتادة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ . الأنفال : ٢٧ .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان
قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما
أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : خُذني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر ، وهو في بيت أم سَلَمَةَ .
(فقالت أم سَلَمَةَ) : فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو
يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؟ قال :
تريب على أبي لبابة ، قالت : قلت : أفلا أُنشِره يا رسول الله ؟ قال : بلى . إن
شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عاين الحِجَاب ،
فقالت : يا أبا لبابة ، أبشِر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه أيَّهذه وهـ .
فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يُثاقني .
بيده ، فلما مرَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أضغفه .

قال ابن هشام : أقام أبو ألبابة مُرتبطاً بالجذع ستَّ ليالٍ ، تأتية امرأته في كلِّ وقت صلاة ، فتخله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثني .
بعض أهل العلم والآية التي نزلت في توبته قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

إسلام بعض بني هذيل

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْدَةَ ، وأسييد بن سَعْدَةَ ، وأسد بن عُبَيْدٍ ، وهم من بني هذيل ، ليسوا من بني قريظة ولا المنضير ، نسبهم فوق ذلك . هم بنو عمِّ القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمرو بن سعدى

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فمرَّ بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى . وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم . برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحجر مني إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَأَ من الوجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برؤيته فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رؤيته ملقاة ، ولا يذرى أين ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد بن أبي قريظة ووضاء الرسول به

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوالت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأوس ما قد علمت . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فوجههم له . فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ فقالوا : بلى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد ابن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها ربيعة ، في مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتختبئ بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار

تقد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جليلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد أتني سعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فثنى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيديكم - فاما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم كما حكمت ؟ قالوا : نعم ، وعلى من هاهنا ، في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبي الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : خذني عاصم بن ممر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة :

قال ابن هشام : حدثني بعض من أتق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم مُحاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقنَ مذاقَ حمزة أو لأفتحنَ حصنهم ، فقالوا : يا محمد ، نزل على حكم سعد بن معاذ .

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فجلسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمديعة في دار بنت الطارث ، امرأة من بني النججار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المديعة ، التي هي سوقها اليوم ، فحشد بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فصرع أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ست مائة أو سبع مائة ، والمكث لهم يقول : كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قالوا أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تفعلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل حيي بن أخطب

وأبي بجي بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقا حية . قال ابن هشام :

فَقَاتِلِيَّ : ضرب من الوشي - قد شَقَّهَا عليه من كل ناحية قدر أُنْمَلَةٍ لثلاث
يُسَلِّبُهَا ، مجموعة بدام إلى عُنُقِهِ بِحَبْل . فلما نَظَرَ إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، قال : أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ
يُخَذَّلُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابٌ
وَقَدَرٌ وَمَلَحَمَةٌ كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَاسَ فُضْرِيَّتْ عُنُقَهُ .

فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَّالِ التَّمَامِي :

تَعْمُرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يُخَذِّلُ اللَّهَ يُخَذَّلُ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلُغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَتْلُ بَيْتِي الْمَرْءَ كُلَّ مُنْقَلٍ

المرأة القاتلة من بني قريظة

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عمرو بن
الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة .
قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله
صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في الشوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟
قالت : أنا والله ، قالت : قات لها : ويحك ، مالك ؟ قالت : أقتل ، قلت : ولم ؟
قالت : حدثني أحدته ، قالت : فانبسط بها ، ففُضْرِيَّتْ عُنُقَهَا ، فكانت عائشة تقول :
فوالله ما أنسى عَجَباً منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفتُ
أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرِّحَا على خلاد بن سويد ، فقتلته .

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّاس ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري ، أني الزُّبير بن باطا القرظي ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن وكا الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شَّاس في الجاهلية . ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير أنه كان من عليه يوم بُعث ، أخذه فجزَّ ناصيته ، ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يُجمل مثلي مثلك ، قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إن الكريم يجزي الكريم ، ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزُّبير عليَّ منَّة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ، قال : شيخ كبير لأهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : باني أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ، قال : ثم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك ، فهم لك ، قال : أهل بيتي بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم علي خلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ، قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماله ، فهو لك ، قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترامى فيها حداري الحية ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر

والبادي حُيَّي بن أُخْطَب ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل مُقَدِّمَتَنَا إِذَا شَدَدْنَا ،
وحاميتَنَا إِذَا فَرَرْنَا ، عَزَّال بن سَمُوَال ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل الجلسان ؟
يَمْنَى بنى كَسْب بن قُرَيْظَةَ وبنى عَمْرُو بن قُرَيْظَةَ ؟ قال : ذهبوا قُتِلُوا . قال : فإني
أَسْأَلُكَ يَا نَابِت بِيَدِي عِنْدَكَ إِلَّا أَكَلَفْتَنِي بِالْقَوْمِ ، فَوَاللَّهِ مَا نِي الْعَيْشُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ
مِنْ خَيْرٍ ، فَمَا أَنَا بِصَابِرٍ لِّلَّهِ قِتْلَةً دَلُو نَاضِحَ حَتَّى أَلْتَقِيَ الْأَحْبَةَ . فَقَدَّمَهُ نَابِت ،
فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ قَوْلَهُ « أَلْتَقِيَ الْأَحْبَةَ » . قَالَ : بِأَقَامِهِ وَاللَّهِ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ خَالِدًا مُّخْلَدًا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَبْلَةَ دَلُو نَاضِحَ . وَقَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ فِي « قَبْلَةِ » :

وَقَابِلٍ يَتَغَنَّى كَيْدًا قَدَّرْتُ عَلَى الْعَرَّاقِ يَدَاهُ قَائِمًا دَقَاتَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُرْوَى : وَقَابِلٍ يَتَمَلَّقُنِي ، يَعْنِي قَابِلَ الدَّلُو يَتَنَاولُ .

عَطِيَّةُ الْقُرْظَى وَرِفَاعَةُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ
كُلِّ مَنْ أُتْبِتَ مِنْهُمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ،
عَنْ عَطِيَّةِ الْقُرْظَى ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُقْتَلَ

من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً ، فوجدني لم أنبت
تخلوا سبيل .

قال : وحديثي أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صفصة أخو بني
عدى بن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط بن أخت
سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد
صلت معه القبلتين ، وبابته بيعة النساء - سأله رفاعه بن سموأل القرظي ،
وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يرفههم قبل ذلك ، فقالت : يا بني الله ،
يا بني أنت وأمي ، هب لي رفاعه ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل ،
قال : فوهبه لها فاستحيته .

الرسول صلى الله عليه وسلم يقسم في بني قريظة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني
قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل
وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس
سهمان وفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فارس ، سهم . وكانت الخيل يوم
بني قريظة ستة وثلاثين فارساً ، وكان أول فتي وقعت فيه السهمان ، وأخرج
منها الخمس ، فعلى سنتها ومماقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت
المقامس ، ومضت السنة في المغازي .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا

بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا
بوسلاحا .

شأن ربحانة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ربحانة
بنت عمرو بن خنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَضَ عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ،
فقاتل يارسول الله ، بل تتركنى في ملكك ، فهو أخفّ عليّ وعليك ،
فتركها . وقد كانت حين سبأها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ،
فمرّذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها . فبينما هو
مع أصحابه ، إذ سمع وقع كملين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْيَةَ يبشرني
بإسلام ربحانة ، فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسلمت ربحانة ، فسرّه ذلك
من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبنى قريظة

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من
القرآن ، القصّة في سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته
عليهم ، وكفائته إياهم حين فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل
النفاق : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاء نكركم

جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠٠﴾ . والجنود قرش وعطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قرش وعطفان . يقول الله (تبارك و) تعالى : ﴿ هُمَا لَكَ ابْنَايَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ لقول مُتَّسِبِ ابْنِ قُشَيْرٍ إِذَا هُوَ لِمَا قَاتَلَ ، ﴿ وَإِذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَذْجُوا ، وَبَسْتَاذِينَ قَرِيبَ مِنْهُمْ لِلنَّسِيِّ يَقُولُونَ إِنْ بَيُّوتَنَا عَوْرَتَهُ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ، إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا قِرَارًا ﴾ لقول أوس بن قيطي وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿ وَلَوْ دَخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾ : أي المدينة .

تفسير ابن هشام لبعض القريب

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ، وواحدها : قطر ، وهي الأقطار وواحدها : قطر .

قال الفرزدق :

كَيْ مِنْ غِيٍّ فَتَحَّ إِلَهُ لَمْ بِهِ وَالْحِيلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ

ويزوي : « على الأقطار » . وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ ثُمَّ سَبَّوْا الْفِتْنَةَ ﴾ : أى الرجوع إلى الشرك ﴿ لَا تَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَذْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفسلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همّا بالقتل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لقتلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَنْفَعُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ ﴾ : أى أهل النفاق ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : أى إلا دفعاً ونمذيراً ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ : : أى لا يهتمون الذى فى أنفسهم ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ مِنْهُ عَيْنَا مِنَ الْمَوْتِ ﴾ : أى إعظاماً له وفرقاً منه . ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّيَةِ جِدَادٍ ﴾ : أى فى القول بما لا يحبون ، لأنهم لا يرجون آخوه ولا تحامهم حسبة ، فهم يهابون الموت هيبته من لا يرجو ما بعده .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سلقوكم : بالفوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم . . .
تقول العرب : خطيب سلاق ، وخطيب مسلق ومسلاق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

ففيهم الجَدُّ والسَّامَةُ والنَّجْدَةُ فيهم والخطاب السَّلاَقُ

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ يَحْسُبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ قُرَيْشٌ وَعَظْفَانُ ﴿ وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ
وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

ثم أفبل على المؤمنين فقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم
عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ،
فقال : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ،
وَصدقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ : أى صبراً على البلاء
وتسليماً للقضاء ، وتصديقاً للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله
عليه وسلم . ثم قال : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم
بَدْر ويوم أُحُد .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : قضى نَحْبَهُ : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرني
أبو عبيدة ، وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

.....

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَلِيلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت في قصيدة له . وهَوْبَر : من بني الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن هَوْبَر . والنحب (أيضاً) : النذر . قال جرير بن الخططي :

يُطِخِفَةُ جَالِدًا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسَطَامٍ جَرِينٍ عَلَى نَحْبٍ

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت في قصيدة له . وبسَطَام : بسطام بن قيس بن مسمود الشيباني ، وهو ابن ذى الجدين : حدثني أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن زرار . وطِخِفَةُ : موضع بطريق البصرة . والنحب (أيضاً) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وَإِذْ تَحَبَّتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيْنَا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لَلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ

وَالنَّحْبُ (أيضاً) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضاً) : الحاجة والممة ، تقول : مالى عندهم نحب . قال مالك بن نويرة الأيربوعي :

وَمَالِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي نَلَمْتُ مَا تَبْنِي مِنَ الشُّدْنِ الشُّجَرِ

وقال نهار بن تَوْسِمَةَ ، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بني حنيفة :

وَنَجَّى بَوْسَفَ الذَّقْنِيَّ رَكْضٌ دِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ الْأَوَاءُ

وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ لَقَضَيْنَا نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطِئَةٍ وَقَاءُ

والنَّحْب (أَيْضاً) : السَّيرُ الْخَفِيفُ الْمَرَّةُ .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴾ : أى ما وعد الله به من نصره ،
والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِلاً ﴾ :
أى ما شكوا وما ترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ
الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُتَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۖ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ ﴾ : أى قريشاً وعظمتان
﴿ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزًا ۝
وَأُنْزِلَ الَّذِينَ ظَاهَرُواهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ : أى بنى قريظة ﴿ مِنْ
صِيَامِهِمْ ﴾ ، والصيامى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحِمْيَارِ ، وبنو الحِمْيَارِ من بنى
أسد بن خزيمة :

وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتِ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا
وهذا البيت فى قصيدة له . والصيامى (أَيْضاً) : القرون . قال للناطقة
الجملى :

وَسَادَةٌ رَهْطَى حَتَّى بَقِيَتْ فُرْدًا كَصَيْعَةِ الْأَعْظَبِ

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال

أبو دؤاد الإيادى :

فَدَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصَى بِأَيْدِيهِمْ نَضْحٌ مِنَ الْكَحِيلِ وَقَارِ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى أيضاً : الشوك الذى للنساجين ،
خفيا أخبرني أبو عبيدة . وأنشدني لدريد بن الصمة الجشمى ، جشم بن معاوية
ابن بكر بن هوازن :

نَفَّارْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حَ تَنْوِشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصَى فِي الذَّيْجِ الْمَمْدَدِ

وهذا البيت في قصيدة له . والصياصى (أيضاً) : التى تكون في أزجل
الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار ، والصياصى (أيضاً) : الأصول . أخبرني
أبو عبيدة أن العرب تقول : جَذَّ الله صيبيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقًا تَمْتَلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ : أى قتل الرجال ، وسبي الذراري والنساء ، ﴿ وَأَوْزَرَ لَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّأُوهَا ﴾ : يعنى خيبر ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .

إكرام سعد في موته

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ،
فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة الزرقى ، قال : حدثني من حدثت
من رجال قومي : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ،

من هذا الميّت الذي فُتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، آحزن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك ، وقد اهتز له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآأتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلاً بادراً ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادناً ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبانغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له سملة غيركم ، والذي نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن ابن عمرو بن الجوح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبر فسكر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ويجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : إن للقبر لَصَمَةً لو كان أحد منها ناجياً لكان سعدُ بن مُعَاذٍ -

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك
سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لَسَعْدِ أَبِي عَمْرٍو

وقالت أم سعد ، حين أحتمل نعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي
كَيْثَةُ بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خُدْرَةُ بن
عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًّا

وَسُوءَ دَأْ وَنَجْدًا وَفَارًا مُقْدًا

مُسْدًا بِهِ مَسْدًا يَقْدُ هَامًا قَدًّا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائمة تكذب ، إلا نائمة

سعد بن مُعَاذٍ -

شهداء الخزرج

قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ..

ومن بني عبد الأشهل : سعد بن مُعَاذٍ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن

همرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سامة : الطفيل بن النعمان ، وطلحة

ابن غنمة . رجلان .

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم
عَرَب ، فقتله .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سَهْمُ عَرَبٍ وَسَهْمُ عَرَبِيٍّ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو
الذي لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به .

قتلى المشركين

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار بن قُصَيٍّ : مُنَبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السباق بن
عبد الدار ، أصابه سهم ، فأت منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبّه بن عبيد بن السباق بن

قال ابن إسحاق : ومن بنى نخزوم بن يَظْقَلَة : نوفل بن عبد الله بن

الأميرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم
الخطوق ، فتورط فيه ، فقتل ، فقلب المسلمون على جسده . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا في جسده ولا بشفته ، فدخل بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة
آلاف درهم ، فيما بلغني عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤَيٍّ ، ثم من بنى مالك بن حنبل :

عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنته حنبل بن عمرو .

قال ابن شام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

شهداء المسلمين يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرحت عليه رحي ، فشدخته شدا شديدا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيد .

ومات أبو سنان بن محصن بن حُرثان ، أخو بني أمد بن خزعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

البشارة بفزوقريش

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تفزواكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تنزولهم . فلم تنزروهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يفزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

غزوة دُومَةَ الْجُنْدَلِ

قال أبو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ: سَمِيتَ دُومَةَ الْجُنْدَلِ بِدُومَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، كَانَتْ نَزْلَهَا (١)

غزوة الخندق

وَحَفَرُ الْخَنْدَقِ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَةِ الْقَرَبِ، وَلَسْكَتَهُ مِنْ مَكَائِدِ الْفَرَسِ وَحُرُوبِهَا، وَلِذَلِكَ أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَأَوَّلُ مَنْ خَنْدَقَ الْخَنَادِقَ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ «مِنْوَشَهْرَ بْنَ أَبِي رَجَّحٍ» (٢) بْنِ أَفْرِيدُونِ (٣). وَقَدْ قِيلَ فِي أَفْرِيدُونِ: إِنَّهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَكْثَرُهُمْ يَقُولُ فِيهِ: هُوَ ابْنُ أَتَقْيَانَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَخَذَ آلَةَ الرَّثْمِ، وَإِلَى رَأْسِ سِتِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ بَعَثَ

(١) يَصِفُهَا الْبَكْرِيُّ بِأَنَّهَا عَلَى عَشْرِ مَرَاهِلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعَشْرٍ مِنَ الْكُوفَةِ، وَثَمَانٍ مِنْ دِمَشْقَ، وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْ مِصْرَ، وَسَمِيتَ بِدُومَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَنْزِلُهَا.

(٢) هُوَ فِي الطَّبْرِيِّ: إِبْرَاجٌ وَكَذَلِكَ فِي الزُّرْقَانِيِّ وَهُوَ يَنْقُلُ عَنِ الرُّوَضِ وَيَقُولُ: عَنْ الطَّبْرِيِّ ص ٣٧٩ - ط المَعَارِفُ - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَنْدَقَ الْخَنَادِقَ وَجَمَعَ آلَةَ الْحَرْبِ.

(٣) ذَكَرَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ الطَّلَاقِيُّ فِي شَعْرِهِ إِذْ قَالَ: مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا هَامَانَ فِي الدُّنْيَا، وَلَا قَارُونَ بَلْ كَانَ كَالضُّحَاكِ فِي سَطَوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ وَالْعَجْمُ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَفْرِيدُونَ وَثَبَ بِالضُّحَاكِ، وَأَوْثَقَهُ وَصَبَرَهُ بِجَبَالِ دُنْيَاوَنَدَ وَأَنَّهُ إِلَى الْيَوْمِ مَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ يَعْذَبُ ١١ ص ١٩٧ - تاريخ الطَّبْرِيِّ.

موسى عليه السلام ، وقد تقدم ذكر الكمائن في الحروب ، وأن أول من فعلها
بمُخْتَصَرٍ في قول الطبري .

وذكر تحزيب بنى قُرَيْظَةَ الأحزاب ، ونَسَب طائفة من بنى النضير ،
فقال فيهم النضري ، وهكذا تنيد في النسخة المتيقة ، وقياسه : النضريُّ
إلا أن يكون من باب قولهم كَفَفْنِي وَقُرَيْشِي^(١) ، وهو خارج عن القياس ،
وإنما يقال : فَمَلِي في النَسَب إلى فَعِيلَة .

عِيْنَةُ بن حصص :

وذكر قائد غطفان يوم الأحزاب ، وهو عِيْنَةُ بن حصص ، واسمه
حُذَيْفَةُ ، وُسْمَى : عِيْنَةُ لِشَرِّكَانِ بِمِثْلِهِ ، وهو الذي قال فيه عليه السلام

(١) هذا شاذ في فَعِيل بفتح الفاء وفَعِيل بضم الفاء . فالقياس فيها إبقاء
الياء . ولكن يقول السيرافي عن النسب إلى فَعِيل بضم الفاء . أما ما ذكره
سيبويه من أن النسبة إلى هذيل هذلي فهذا الباب عندى لكثرة كالتأرجح عن
الشذوذ وذلك خاصة في العرب الذين بنهامة وما يقرب منها ، لأنهم قالوا : قرشي
وملحي وهذلي وفقعي ، وكذا قالوا في سليم وخشم وقرين وحرقي وهم من هذيل -
وكلها بضم الأول - سلمي وخشمي وقرني وحرني . وهؤلاء كلهم متجاوزون
بنهامة وما يدانها ، والعلة اجتماع ثلاث ياءات مع كسر في الوسط ، ص ٢٩
٢٨ شرح الشافيه المرضي . ويرى المبرد أن ما كان على فَعِيل وفَعِيل بالفتح في
الأولى والضم في الأخرى فأنك منخير في النسب إليهما بين حذف الياء وبقيتها
قياسا مطردا فتقول في النسب إلى شريف وجميل شريفي وجميلي أو شرفي وجملي .
أما مذهب السيرافي فيبدو أنه يشير إلى أن ما كان على فَعِيل بفتح الفاء فليس فيه
إلا إبقاء الياء .

الْأَحْمَقُ الْمُطَاعُ ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْجَرَّارِينَ تَتَّبِعُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قَنَاقَ ، وَهُوَ
الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتَّقَاءَ شَرِّهِ ،
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَنَّهُ قَالَ : إِنْ أَدَارِيهِ ، لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ ،
وَفِي هَذَا بَيَانٍ مَعْنَى الشَّرِّ الَّذِي اتَّقَى مِنْهُ ، وَكَانَ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَعِيرًا إِذْنٍ ، فَلَمَّا خَالَ لَهُ : أَيْنَ الْإِذْنُ ؟ قَالَ : مَا اسْتَأْذَنْتَ عَلَى مُصْرِي قَبْلَكَ ،
وَقَالَ : مَا هَذِهِ الْحُمَيْرَةُ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَقَالَ : هِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَتْ :
لَمَقَهَا ، وَأَنْزَلَ لَكَ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَ ، فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَذَكَّرُ مِنْ جَفَانِهِ ، أَسْلَمَ ،
ثُمَّ ارْتَدَّ ، وَآمَنَ بِطَلْحَةَ حِينَ تَلَبَّأَ وَأَخَذَ أَسِيرًا ، فَأَتَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَسِيرًا ، فَكَنَّ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَزَلْ مُظْهِرًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى جَفَوْتِهِ وَعُجْبِهِتِهِ
وَلَوْ نَظَرْنَا أَعْرَابِيَّتَهُ حَتَّى مَاتَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَتَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِتِي وَلَوْ نَظَرْنَا أَعْرَابِيَّتِي لَا دِيبٌ ^(١)
وَذَكَرَ حَفَرَهُ الْخُنْدُقُ ، وَأَنَّهُ عَرَضَتْ لَهُ صَخْرَةٌ ، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ السَّيِّئَةِ

(١) الْبَيْتُ فِي السَّانِ . وَفِيهِ عَيْدُهُنِي بِدَلَا مِنْ عُجْبِهِتِي ، وَأَرَبُّ بِدَلَا مِنْ أَدِيبِ
وَالْعَيْدِيَّةِ : الْكِبَرُ . وَالْعُنْجِيَّةُ وَالْعَيْدِيَّةُ إِضْرَافُ الْعُنْدِيَّةِ وَعَجْرِيَّةُ ، وَشَمْعَرَةٌ إِذَا كَانَ
فِيهِ جَنَاءٌ . هَذَا وَقَدْ وَصَفَ بِالْأَحْمَقِ الْمُطَاعِ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ
مُرْسَلًا . وَقَدْ قِيلَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ سَأَلَتْ عَائِشَةُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ مَا قَالَ . وَقَدْ
أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مُوَصَّلًا مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَيْنَةَ بْنِ حَصْنٍ دَخَلَ عَلَى
النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ وَغِنْدَهُ عَائِشَةُ — مِنْ هَذِهِ الْجَالِسَةِ إِلَى جَانِبِكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ .
قَالَ : أَفَلَا أَتَوَلَّى لَكَ مِنْ خَيْرِ مَنْهَا ؟ يَعْنِي أَمْرَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : أَخْرَجَ فَاسْتَأْذَنَ ،
فَقَالَ : إِنَّمَا يَمِينُ عَلَى أَلَا أَسْتَأْذِنُ عَلَى مُصْرِي ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : مِنْ هَذَا ؟ فَذَكَرَهُ .

عَبْلَةٌ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّائِغَةُ ، وَجَمْعُهَا عِبَلَاتٌ وَيُقَالُ لَهَا الْقَبْلَاءُ وَالْأَعْبِلُ أَيْضًا ،
وَهِيَ صَخْرَةٌ بِيضَاءُ .

البرقات التي لعت :

وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمَعَتْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الصَّخْرَةِ بَرَقَةٌ بَعْدَ بَرَقَةٍ ، وَخَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ
مِنْ طَرِيقِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ بِأَنَّهُمْ مِمَّا وَقَعَ فِي السَّيْرِ ، قَالَ : لَمَّا أَصْرْنَا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ تَحْفِرَ الْخَنْدَقَ عَرْضَ لِنَاحِجٍ لَا يَأْخُذُ فِيهِ لِلْعَوَلِ ،
فَأَخَذَ لِلْعَبْلِ وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الصَّخْرَةِ ،
وَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ الشَّامِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَهَا الْخَفَرُ مِنْ
مَكَانِي هَذَا ، قَالَ : ثُمَّ ضَرَبَ أُخْرَى ، وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، وَكَسَرَ ثُلُثًا أُخْرَى ،
قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ فَارِسَ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ قُصُورَ الْبَدَاثِنِ
الْأَبْيَضِ الْآنَ ، ثُمَّ ضَرَبَ ثَالِثَةً وَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَقَطَعَ الْحَجَرَ ، وَقَالَ : اللَّهُ
أَكْبَرُ . أُعْطِيتُ مِفْتَاحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ [مِنْ مَكَانِي هَذَا
السَّاعَةَ] ^(١) . وَقَوْلُهُ : قَاسًا وَلَا مِسْحَةً . الْمِسْحَةُ : مِفْعَلَةٌ مِنْ سَحَوْتُ الطَّيْرَ ،
إِذَا قَشَرَتْهُ ، وَيُقَالُ لِحَدِّ الْقَاسِ وَالْمِسْحَةِ : الْفُرَابُ ، وَلِنَصْلَيْهِمَا : الْفِعَالُ بِكَسْرِ
الْفَاءِ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ أَنَّهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ قَالَ :

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ وَالزَّيْلَعِيُّ وَالْبُيْهَقِيُّ . وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو نَحْوَهُ ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ كَثِيرٍ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ وَتَمَّتْ خِلَافُ بَيْنِ رَوَايَتَيْهَا وَرَوَايَةُ السَّيْرِ
فَوَازَنَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ .

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدِينَا * وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا * حَبْذَارُ بَا وَحَبْذَارِ دِينَا^(١)

(١) هو عند الحارث بن أبي أسامة من طريق سليمان بن طرخان التيمي عن أبي عثمان النهدي . وبدينا بكسر الدال يقال : بديت بالشيء بكسر الدال ، أى : بدأت به ، فلما خفف الهمز كسر الدال ، فاقبلت الهمزة ياء ، وليست الياء فيه أصلية . وقوله حبذا دينا يجعل الرجز غير موزون إلا بإسكان ياء حبذا . والذي في الفتح والحلية : حبذا رباً وحب دينا . انظر ص ٣٢٢ = ٢ وفتح الباري في غزوة الخندق .

وفي البخاري : كان النبي ﷺ ، من ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو أغمر بطنه يقول :

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا آمَدِينَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِينَا
فَأَنْزَلَنَّا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَا قِينَا
إِنْ إِلَّا قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَوَادُوا فَتْنَةً أَيْبِنَا
وفي رواية أخرى عن البراء ، فسمعت برنجز بكلمات ابن رواحة ثم ذكر الرجز السابق . وقوله : إِنْ إِلَّا قَدْ بَغَوْا لَيْسَ بِمُوزُونٍ ، وتحريره إِنْ الَّذِينَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا . وفي رواية مسلم : أَوْ أَيْدِلَا مِنْ بَغَوْا أَنْظَرُ ص ٣٢١ = ٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري . وفي البخاري أيضاً أنه خرج دس ، فرأى المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلما رأى ما بهم من النصب والجريح قال :

اللَّهُمَّ إِنْ الْعَيْشَ عَيْشَ الْآخِرَةِ فَاعْفُ الْإِنْسَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ
فَقَالُوا بِحَبِينٍ لَهُ :

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا
وهذا قول ابن رواحة . وقد قال الداودي : إنه قاله : لاهم ، فأردده بعض الرواة على المعنى ، وقيل ليس كذلك بل يكون دخله الخرم ومن صورته زيادة شيء من حروف المعاني في أول الجزء ، والجزء الثاني أيضاً غير موزون . وفي رواية : فبارك بدل : فاغفر

تحقيق اسم زغابة :

وقوله : حتى نزولوا بين الجُرُفِ وزغابة . زغابة اسم موضع بالنين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زغابة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرُفِ والغاية ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف . قال المؤلف : والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالنين المنقوطة ، لأن في الحديث السند أنه عليه السلام ، قال في ناقة أهداها إليه أغرابي ، فكافأه بست بركات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تَعْجَبُونَ لهذا الأعرابي ! أهدى إلى ناقة أغرابي فباعها ، كما عرف بعض أهل ذهبت منى يوم زغابة ^(١) ، وقد كافأه بست فخط الحديث ، وقال : ذنب نقيم ونقمة معا .

يفتل في الذروة والغارب :

وذو كرجي بن أخطب ، وماتل لكعب ، وأنه لم يزل يفتل في الذروة والغارب . هذا مبتل ، وأصله في البعير ، يستصعب عليك فتأخذ الفراد من ذروته وغارب سنكاه ، وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة قياس عند ذلك ^(٢) ، فصرَب هذا الكلام مثلاً في المرأوضة والمخاضة ، وكذلك جاء في حديث

(١) ولكن يقول الخشن : كذا وقع هنا الزاء مفتوحة ، وزغابة بالراء المفتوحة هو الجيد وكذلك رواية الوقفي ، ص ٣٠١ .

(٢) فسر الخشن بقوله : أراد بذلك أنه لم يزل يحدعه كما يحدع البعير إذا كان فاراً فيمسح باليد على ظهره حتى يستأنس ، فيجعل الخظام على رأسه . ص ٣٠١ .

ابن الزبير حين اراد عائشة على الخروج الى البصرة^(١)، فابيت عليه، فحمل
يفعل في الذروة والغارب حتى اجابته. وقال الخطيب: .

تفرك ماقرأه بنى بفيض إذا ترع القراء بمسطاع^(٢)
يريد: انهم لا يحدسون ولا يستدلون .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - ائتوا الى كذا أعرفه، ولا تقفوا
في أعقاب الناس .

اللحن: المدول بالكلام على الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرف
إلا صاحبه، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف .

قال السيرافي: ما عرفت حقيقة معنى النحو إلا من معنى اللحن الذي
هو ضده، فإن اللحن عدول عن طريق الصواب، والنحو قصد إلى
الصواب، وأما اللحن فيفتح الحاء، فأصله من هذا إلا أنه إذا لحن لك لتفهم
عنه، ففهمت معنى ذلك التفهم كلفاً، ثم قيل لكل من فهم قد لحن بكسر

(١) يقول ابن قتيبة في ضبطها: مسكة الصاد، وكسر خاطأ، فاذا حلفوا
إليه قالوا: البصر، فكسروا الباء، وإنما أجازوا في النسب بصرى لذلك،
ص ٢٠، أدب الكاتب، وانظر معجم البكري. وفي القاموس البصرة بلد
وموضع وبكسر ويحرك وبكسر الصاد، أو هو معرب بن راء، أي كثير الطرق.
(٢) البيت في الساند وفيه كليب يدلان: بفيض، وقد لحنه الأزهري

الحاء ، وأصله ما ذكرناه من القم عن اللاحن^(١) قال الجاحظ في قول مالك
ابن أسماء [بن خازجة الفزاري] :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(٢)

أراد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يستمّاح ، ويستقطب من الجارية الحديثة
السّر ، وخطئ الجاحظ في هذا التأويل^(٣) ، وأخير بما قاله الحاج بن

(١) في اللسان : اللحن والحن - بالسكون في الحاء الأولى والفتح في الثانية
والجانية والحاين ترك الصواب في القراءة والنشيد . وفيه أيضاً : الحز -
بفتح الحاء - القطنة .

(٢) يريد : أنها تتكلم بشئ . وهي تريد غيره ، وتعرض في حديثها ، فزيلة عن
جنته من فطنتها . وفسر القائل قوله : وتلحن أحياناً تهيب ، وذكر أن اللحن بفتح
الحاء هو القطنة . قال : وربما أسكتوا الحاء في القطنة ، وقال : لحن الرجل يلحن
بفتح الحاء لحناً فهو لاحن إذا أخطأ ، ولحن يلحن بكسر الحاء في الماضي وفتحها
في المضارع - فهو لحن بفتح فكسر إذا أصاب وفطن . واستشهد بالبيت وبيت قبله .
(٣) قال الجاحظ : وقد قال مالك بن أسماء في استصلاح اللحن من بعض نساء :

أَمَطُ مَنْ عَلَى بَصْرِ الْحَبِّ أَمْ أَنْتَ أَكْمَلُ النَّاسِ حَسَنًا
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مَا تَشْتَبِهُ النَّفْسُ بِوِزْنِ وَزَنَّا

م ذكر البيت الذي في الروض

وقال في موضع آخر : وقال مالك بن أسماء في بعض نساءه ، وكانت
لا تصيب الكلام كثيراً وربما لحنتم ثم ذكر ثلاثة الأبيات ص ١٤٧ ، ٢٢٥ ، ١٠
البيان والتبيين بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، وانظر ص ٩٩ من أمالي
ثعلب بتحقيق الأستاذ الفاضل وقد أشهد ابن الأباري في كتاب الأضداد
البيت وبيتاً قبله ، وقال : أي أبو العباس : أراد بتلحن : تصيب وتفطن ،
وأراد بقوله : ما كان لحناً : ما كان صواباً . ونقل قول ابن قتيبة : وهذا

يُوسُفَ لامرأته : هِنْدُ بنتِ أسماءَ بنِ خَارجَةَ ، حينَ سَلَمَتْ ، فَأَنكَرُوا عليها ،
الْحَنَ فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء :

وخيَّرُ الحديثِ ما كانَ لِحَنًا

فقال لما الحجاجُ : لم يَرُدْ أخوك هذا ، إنما أرادَ الْحَنَ الذي هو
التَّوَرِيَّةُ والألفاظُ ، فسكت ، فلما حَدَّثَ الجاحظُ بهذا الحديث ، قال : لو كان
بلغنى هذا قبل أن أؤلف كتابَ البيانِ ما قلت في ذلك ما قلت ، فقليل له :
أَفَلَا تُغَيِّرُهُ ؟ فقال : كيف وقد سارت به النِّعالُ الشُّبُّ وأنجَدَ في البلادِ وغار .
وكا قال الجاحظُ في معنى تَلَحَّنَ أحيانًا قال ابن قتيبة مثله أو قريبًا منه (١)

== الشاعر استلح من هذه المرأة ما يقع في كلامها من الخطأ ثم رد قول ابن قتيبة بقوله :
وقوله عندنا محال ، لأن العرب لم تزل تستقيح الحن من النساء كما تستقيحه من
الرجال الخ ص ٢١٠ ط الحسينية . وقد ذكر ابن قتيبة بعد البيت أربعة أبيات
أخرى . كما نقل ثلاثة الآيات في ص ن من مقدمته لكتابه عيون الأخبار ، ونقلها
أيضاً في ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٠٠ ونقل تعليق ابن دريد على الآيات ، وهو
قوله : استعمل منها الإعراب .

(١) يقول الأستاذ عبد السلام هارون في تعليقه على أمالي ثعلب : وقد نبه
الجاحظ إلى خطئه فاعترف به ، وقصته واعترافه في تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٤ ،
ومعجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث ص ٥٩٩ أمالي ثعلب . هذا وقد قال
الحجاج لهند لما لحنت : أتلحنين وأنت شريفة ، وفي بيت قيس ، فاستشهدت
يقول أخيها كما ذكر السهلي ، فقال لها : إنما عني أخوك الحن في القول إذا كنتي
المحدث عما يريد ، ولم يكن الحن في العربية ، فأصلحي لثامك . وانظر ص ١١ ،
١٢ من أمالي المرتضى ، ففيها بيان خطأ الجاحظ واعترافه بهذا الخطأ . ونص
المرتضى على خطأ ابن قتيبة حين ذكر في كتابه عيون الأخبار أبيات القزاري
معتدراً بها عن لحن أصيب في كتابه — كما يقول المرتضى ط ١ .

وقوله : بَفَتْ في أَعْضَادِ النَّاسِ ، أى يكسِر من قُوَّتِهِمْ وَيُوهِنُهُمْ ، وضرب
الْقَصْدِ مثلاً ، وَالْفَتْ : الْكَسْرُ ، وقال : في أَعْضَادِهِمْ ولم يقل : بَفَتْ أَعْضَادَهُمْ ،
لأنه كنايةٌ عن الرُّغْبِ الدَّاخلِ في القلب ، ولم يُرِدْ كَسْرَ حَقِيقِيًّا ، ولا الْمَضْدَ
الَّذِي هو الْمَضْوُ ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُلُ في القلب مِنَ الْوَهْنِ ، وهو
من أَفْصَحِ الْكَلَامِ .

وذكر أَوْسَ بْنَ قَيْظِيٍّ ، وهو الْفَائِلُ : ﴿ إِنَّا بَيُّوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ وابنه :
عَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ كَانَ سَيِّدًا ، وَلَا صُحْبَةَ لَهُ ، وَقَدْ قِيلَ : لَهُ صَحْبَةٌ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ
فَإِنَّ اسْتُصْفِرَ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّمَاخُ :

إِذَا مَارَايَةَ رُقِيتَ لِحْدِي تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ^(١)

وَلِئَلَّامَارَايَةَ أَخْ اسْمُهُ : كِبَاثَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي الصَّحَابَةِ أَيْضًا .

مصاحبة الأعراب :

فصل : وذكر ما مَّحَّمُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُصَاحَبَةِ الْأَحْزَابِ
عَلَى مُلْكِ تَمَرِ الْمَدِينَةِ ، وَفِيهِ مِنَ الْفَقْهِ جَوَازُ إِعْطَاءِ الْمَالِ لِلْعَدُوِّ ، إِذَا كَانَ
فِيهِ نَظَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَحَيَاةٌ لَهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ هَذَا الْخَبَرَ ، وَأَنَّهُ أُمِرَ

(١) معناها كما يقول البكري في السمط : القوة أو الحق . ومن القصيدة :

إِذَا بَلَقْتَنِي وَحَلَمْتَ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَاتَرَقَى بِدَمِ الْوَتِينِ
فَنَعَمَ الْمَرْجِيُّ رَحَلْتُ إِلَيْهِ رَحَى حَيَّوْمَهَا كَرَحَى الطَّحِينِ

ص ٦٠٧ - ٦١٩ السمط .

مَعْمُولٌ بِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَالِحَ مَلِكِ الرُّومِ عَلَى الْكَفِّ عَنْ تُغُورِ الشَّامِ بِمَالٍ دَفَعَهُ إِلَيْهِ ، قِيلَ : كَانَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَأَخَذَ مِنَ الرُّومِ رَهْنًا ، فَغَدَرَتِ الرُّومُ ، وَتَقَضَّتِ الصَّلَاحَ ، فَلَمْ يَرِ مُعَاوِيَةُ قَتْلَ الرَّهَائِنِ ، وَأَطْلَقَهُمْ ، وَقَالَ : وَقَالَ بَغْدَادِيُّ خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ بَغْدَادِي ، قَالَ : وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ وَأَهْلِ الشَّامِ إِلَّا تُقْتَلَ الرَّهَائِنُ ، وَإِنْ غَدَرَ الْعَدُوُّ .

سَلَامُهُ مَنَا :

وَذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : سَلَّمَ أَنْ مِثْلَ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالنَّصَبِ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ ، أَوْ عَلَى إِضْمَارِ أَغْنَى ، وَأَمَّا الْخَفَضُ عَلَى الْبَدَلِ ، فَلَمْ يَرَهُ سَيَبُوهُ جَائِزًا مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، وَلَا مِنْ ضَمِيرِ الْخَاطِبِ ، لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَأَجَازَةِ الْأَخْفَضِ .

مَوْلَى مَبَارَظَةِ ابْنِ أَدِ الْعَلِيِّ :

فَصَلَ : وَذَكَرَ خَيْرَ عَمْرٍو بْنِ أَدَةَ الْعَامِرِيِّ ، وَمَبَارَظَةَ لِعَلِيِّ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ، وَوَقَعَ فِي مَنَازِلِ ابْنِ إِسْحَاقَ مِنْ غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ عَنِ الْبَهْكَائِيِّ فِيهَا زِيَادَةٌ حَسَنَةٌ ، رَأَيْتُ أَنْ أَوْرَدَهَا هُنَا تَنْجِيماً لِلْخَيْرِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : إِنْ عَمْرٍو بْنُ أَدَةَ ^(١) خَرَجَ فَنَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَقَامَ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مُقْنَعٌ بِالْحَدِيدِ ، فَقَالَ : أَنَا لَهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ عَمْرٍو اجْلِسْ ، وَنَادَى عَمْرٍو أَلَا رَجُلٌ بَوَّئْتُمْ بِهِمْ ، وَيَقُولُ : أَيْنَ جَنْتُكُمْ الَّتِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ دَخَلَهَا ، أَفَلَا تُبْزَوْنَ لِي رَجُلًا ، فَقَامَ عَلَى -

(١) فِي السِّيَرَةِ : وَد . وَكَانَ سَنَهُ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ تَسْمَعِينَ عَامًا .

قال : أنا يا رسول الله ، قال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

وَلَقَدْ بَعَثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِكٍ ؟
وَوَقَفْتُ إِذْ جَسَبَ الشَّمْسُ يَجْعُ مَوْقِفَ الْقِرْنِ الْمَنَاجِزِ
وَكَذَلِكَ إِنِّي لَمْ أَزَلْ مُتَسَرِّعًا قَبْلَ الْهَزَاهِرِ (١)
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْقَرَارِ

فقام علي ، قال يا رسول الله ، أنا له فقال : إنه عمرو ، فقال : وإن كان
عمراً ، فأذن له النبي - صلى الله عليه وسلم - فمشى إليه علي ، حتى أتاه وهو يقول

لَا تَمْجَلَنَّ فَقَدْ أَنَا كَمُحِبِّ صَلَواتِكَ عَيْرَ عَاجِلٍ
دُونِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ وَالصَّدَقُ مُنْجَى كُلِّ قَائِلٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَفِدَ بِمِ عِلِّكَ نَائِمَةَ الْجَنَازِ
مِنْ ضَرَبَةِ نَجْلَاءَ بَيْنَ قِي ذَكَرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِرِ

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي ، قال : ابن عبد مناف ؟ فقال : أنا
ابن أبي طالب ، فقال : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك ، فإني
أكره أن أفرق دَمَك ، فقال له علي رضي الله عنه : ولكني والله لا أكره
أن أفرق دَمَك ، ففضب ونزل فسل سيفه ، كأنه شُعْلَةٌ نَارٍ ، ثم أقبل
نحو علي مُنْضَبًا ، وذكر أنه كان على قَرَسِهِ ، فقال له علي : كيف أقاتلك ،

(١) الهزاهر : الفتن يهتز فيها الناس .

وَأَنْتَ عَلَى قَرَسِكَ ، وَلَسَكَ أَنْزِلٌ مَعِيَ ، فَنَزَلَ عَنْ قَرَسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ عَلَى تَبَتُّ
وَاسْتَقْبَلَهُ عَلَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِدَرَقَتِهِ (١) ، فَصَرَبَهُ عَمْرُو فِيهَا فَقَدَّهَا وَأَنْبَتَ
فِيهَا السِّيفَ ، وَأَصَابَ رَأْسَهُ فَشَجَّهُ ، وَطَرَبَهُ عَلَى عَلَى حَبِيلِ الْعَاتِقِ ، فَسَقَطَ ،
وَنَارَ الْعَجَاجُ ، وَرَسِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّكْوِيرَ ، فَغَرَفَ أَنْ عَلِيًّا
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدْ قَتَلَهُ ، فَنِمَّ يَقُولُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَلَيْ تَقْتَحِمُ لِلْفَوَارِسِ هَكَذَا عَنِّي وَعَنْهُ أُخْرُوا أَصْحَابِي
فَالْيَوْمَ تَمْنَعُنِي الْفَرَارُ حَفِيطَتِي وَنَحْمَمُ فِي الرُّأْسِ لَيْسَ بِنَائِي
أَدَى مُمَيَّزٍ حِينَ أَخَاصُ صَقْلَهُ صَاقِ الْحَدِيدَةِ بِسْتَفِيزِ ثَوَابِي
فَقَدَوْتُ أَلْتَمِسُ الْقَرَاعَ بِمُزْهَفٍ عَضِبَ مَعَ الْبَثْرَاءِ فِي أَقْرَابِ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةَ وَحَلَفْتُ فَأَتَمَمُوا مِنَ الْكَذَّابِ
أَلَا يَبْرُ وَلَا يَهْلُ فَاثَتِي رَجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ كُلُّ ضِرَابِ

وبعده : نصر الحجارة إلى آخر الأبيات ، إلا أنه روى : عَبْدُ الْحَجَّارَةِ ،
وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ ، وروى في موضع : وَلَقَدْ بَحَحْتُ : وَلَقَدْ عَجِيتُ ،
ويروى : فَالْتَقَى أَسْدَانُ يَضْطَرِبَانِ كُلُّ ضِرَابِ ، وفيه إِنْصَافٌ مِنْ عَلَى -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لقوله : أَسْدَانٌ ، ونسبه إلى الشَّجَاعَةِ وَالنَّجْدَةِ . وقوله : أَدَى
عَمِيرٌ إِلَى قَوْلِهِ ثَوَابِي ، أَيْ أَدَى إِلَى ثَوَابِي ، وَأَحْسَنُ جَزَائِي حِينَ أَخَاصُ صَقْلَهُ ،

(١) الدرة : الفرس من جلد ليس خشب ولا عقب ، والعقب هو القصب الذي تعمل منه الأوتار .

ثم أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو مُهْمَلٌ ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هَلَّا سَلَبْتُهُ دِرْعَهُ ، فإنه ليس في العرب دِرْعٌ خير منها ، فقال : إلى حين ضربته استقبلني بسِوَأَتِهِ ، فاستَحَبَّيْتُ ابن عَمِي أن أَسْتَقْبِلَهُ ، وخرجت خيلهم مُهْرَمَةً حتى اقتحمت الخندقَ هاربةً ، فمن هنا لم يأخذُ عَلَى سَلَبِهِ ، وقيل نَزَهَ عن أخذها ، وقيل : إنهم كانوا في الجاهلية إذا قتلوا القَتيل لا يسلبونه ثيابه .

وقول عمرو لملي : والله ما أحب أن أقتلك ، زاد فيه غيره : فإن أباك كان لي صديقاً ، قال الزبير : كان أبو طالب يُقَادِمُ مُسَافِرَ بن أبي عمرو ، فلما هلك اتخذ عمرو بن ودَ ندماً ، فذلك قال لملي حين بارزه ما قال

الفرعل :

وقول حسان في عكرمة :

كَلَّمْتُ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلْ

الفرْعُلُ : وَلَدُ الصَّبْعِ

وذكر قول سعاد :

لَيْتَ قَلِيلاً يَبْلَحِقِ التَّهِيَجَا حَمَلْ

هو بيت تمثّل به عُمِي به حَمَلَ بن سَعْدَانَةَ بن حَارِثَةَ بن مَعْقِلَ بن كَعْبِ ابن عُكَيْمِ بن جَذَابِ الكَلْبِيِّ . وقوله يَرْقُدُ (١) بالحُرْبة أي : يُسْرِعُ بها ، يقال : ارْقُدْ وارْمُدْ بمعنى واحد . قال ذو الرُّمَّة :

(١) في السيرة : يوقل .

يَرَقْدُ فِي أَثَرِ عَرَّاضٍ وَتَنْبَعُهُ صَبَابُ شَامِيَّةٍ عُنْتُوْهَا حَصْبٌ (١)

بمعنى الريح .

ابن العرقه وأسم سعد :

وابن العرقه الذي روى سَعْدًا هو حَبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعَرِيقَةِ ، وَالْعَرِيقَةُ هِيَ قَلَابَةُ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ ابْنِ لُؤَيٍّ [تُسَكَّى أُمُّ فَاطِمَةَ ، تُحْمِيَّتُ الْعَرِيقَةُ لَطِيبٌ بِحَبَّاءَ ، وَهِيَ جَدَّةُ خَدِيجَةَ أُمِّ أُمِّهَا هَالَةَ ، وَحَبَّانُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ مُنَقِّذِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ هُصَيْنِ بْنِ عَامِرِ ابْنِ لُؤَيٍّ (٢) .

(١) البيت في اللسان وفيه عراض وحفيف نالجة بدلا من عراض وصبا . شامية ، وعراض خطأ وقد روى الشرطة الثانية في مادة حصب كما رواها هنا . وروى البيت كله في مادة عرس وشرطته الأولى هكذا . يرقد في ظل عراض ويطرده . . . الخ وقبل البيت :

حتى إذا الميق أمسي شام أفرخه
ومن لا مؤبس نايأ ولا كتب
والبيت في وصف ظليم .

انظر ص ٧٩٨ سطر الآلى ص ١٨٠ ط ٢ .

(٢) في نسب قريش : عبد مناف بن الحارث بن منقذ الخ ص ٢٢ ، ٤١٢ ويقول عنه إنه أخو هالة لآبيها وأما . وعند الحفاظ في الفتح عنه فيما شرح به لفظ البخاري ، وهو حبان بن قيس ، . ويقال : ابن أبي قيس بن علقمة ابن عبد مناف .

وَلَمْ يَسْقُدْ اسْمُهَا: كَبَشَةُ بِنْتُ رَافِعٍ [ابْنِ عُبَيْدٍ] ^(١)

حول اهتزاز العرش

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه ^(٢)، وفي بعض ألفاظه أن جبريل

(١) هي من الانتصار من بني خديرة، وقد ذكر ابن سعد أنها أولاد من بايع النبي ورسوله من نساء الانتصار.

(٢) رواه الشيخان من حديث جابر، وثبت - كما قيل - عن عشرة من الصحابة أو أكثر. وقال الحاكم: الأحاديث التي تصرح بهتزاز عرش الرحمن منرجة في الصحيحين، وليس لها رضا في الصحيح ذكر. وسيأتي حديث السبيلي عن هذا.

وقد أنكر مالك هذا الحديث، وكره التحدث به. فقد سئل - كما روى صاحب العتبية - عن هذا الحديث، فقال: أنهلك أن تقوله وما يدعو المراء أن يتكلم بهذا، وما يدري ما فيه المخوف. ويقول اليمري عن إنكار مالك: إن العلماء اختلفوا في هذا الخبر، فمنهم من يحمله على ظاهره، ومنهم من يزوله، وما هذا سبيله من الأخبار المشككة، فمن الناس من يكره روايته إذا لم يتعلق به حكم شرعي، فلعل الكراهة المروية عن مالك من هذا النمط. ويقول أبو الوليد بن رشد في شرح العتبية: إنما هي مالك لتلا يسبق إلى وهم الجاهل أن العرش إذا تحرك يتحرك الله يحركه، كما يقع الجالس منا على كرسيه، وليس العرش بموضع استقرار الله تبارك الله وتعالى من مشابهة خلقه. ولكن مالك من رواة حديث النزول وهو أصرح في إثبات الحركة. فقيل: لعل حديث سعد لم يثبت عنده كما ثبت حديث النزول. لكن لو كان الأمر كذلك لقال مالك: ليس بثابت، أو لا عرفه أو ما سمعته أو نحو ذلك. وكان ابن عمر يقول: إن العرش لا يهتز لأحد، ولكن قيل إنه رجع عن هذا ما بلغته الروايات. أخرج ذلك ابن حبان من طريق مجاهد عنه. المراد بهتزاز العرش: قيل المراد استبشاره وسروره بقدم روجه، كما يقال = (٢٣ - الروض الأف ج ٦)

عليه السلام نزل حين مات سعدٌ مُقتَحِرًا بِمِثْمَةٍ من إِسْتَبْرَقٍ ، فقال : يا محمد

== لسكل من فرج بقدوم أحد عليه : اهتز له ، ومنه : اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت ، ومنه قول العرب : فلان يهتز للمكارم يريدون : ارتياحه إليها ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ : اهتز العرش فرحاً به لكنه تأوله ، فقال : اهتز العرش فرحاً ببقاء الله سعداً حتى تفسخت أحواده على عوايقنا . قال ابن عمر : يعني عرش سعد الذي حمل عليه . وقيل : المراد به اهتزاز العرش : اهتزاز سدة العرش وبؤيده . حديث إن جبريل قال : من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء ، واستبشر به أهلها ؟ أخرجه الحاكم ، وقيل : هي علامة نصبها الله لعل من يموت من أوليائه ، ليشر ملائكته بفضله . وقال الحربي : هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته من النبي ، والعرب إذا عظموا الأمر نسبوه إلى عظيم ، كما يقولون : قامت لموت فلان القيامة ، وأظلمت الدنيا بموته ونحو ذلك .

وقال الثوري في شرح مسلم ما معناه : إن طائفة حملت الاهتزاز على ظاهره ، وقالوا إن اهتزاز العرش تحركة حقيقة فرحاً بقدوم روح سعد ، وجعل الله في العرش تمييزاً حصل به هذا التحرك ، ولا مانع منه كما قال تعالى عن الحجارة ، (وإن منها لما يهبط من خشية الله) وهذا القول هو ظاهر الحديث ، وهو المختار . ويقول المازري عن حركة العرش : وهذا لا ينكر من جهة العقل ، لأن العرش جسم مخلوق يقبل الحركة والسكون .

وأقول : دين السلف : إذا ثبت النص ثبوتاً لا اختلاف عليه ، فإنه لا يجوز تأويله تأويلاً يفسد معناه ، أو يجرده من حقيقته ، وإنما يجب حمله كما ورد دون تشبيهه لما نسب إلى الله من صفة أو اسم أو فعل بما ينسب إلى الخلق من ذلك . وقد ثبتت إلى ذلك مراراً في الكتاب . فله مثلًا يدان حقيقتان ليستا هما النعمة أو القدرة أو غير ذلك مما يعرف به المعطلة ، لكنهما ليستا كيد الخلق ، وإذا كانت أيدي البشر لا تشابهه ، فكيف تشبه يد الخالق بيد الخلق . فنقع في وصف الله بأنه عدم حين نجرد صفاته من معانيها ، أو بأنه ضم حين تنسب إليه عين ما ننسبه إلى الخلق ، تعالى الله عن هذا علواً كبيراً . وما نقلت ما نقلت إلا لتعرف فحسب

من هذا التَّيْتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماء ، واهتز له العرشُ ؟ وفي حديث آخر : قال عليه السلام : لقد نزل لموت سعدِ بن مُعَاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ ما وطِئوا الأرضَ قبلها ، ويذكر أن قبره وُجد منه رائحةُ المسك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحدٌ من ضَفْطَةِ القبر لنجا منها سعد^(١) ، وفي كتاب الدلائل أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس على قبر سعد حين وضع فيه ، فقال : سبحان الله هذا المبد الصالحُ مِمَّ في قبره صَمَّةٌ ، ثم فرج عنه ، وأما ضَفْطَةُ القبر التي ذكر في الحديث ، فقد روى عن عائشة - رضى الله عنها أنها قالت : يارسول الله ، ما انتفعتُ بشئٍ مِمَّنْذُ سمعتك تذكر ضَفْطَةَ القبر ، وصَمَّتَهُ [وصوت مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ] فقال : يا عائشة ، إن ضَفْطَةَ القبر على المؤمن أو قال صَمَّةُ القبر على المؤمن كَضَمَّةِ الأُمِّ الشَّفِيفَةِ يَدَيَّهَا على رَأْسِ ابْنِهَا ، يشكو إليها الصَّدَاعَ ، وصوت مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ كالْكُفْلِ في الدِّينِ ، ولكن يا عائشة وَبِئْسَ لِلشَّاكِّينَ [في الله] أولئك الذين يُضَفِّطُونَ في قبورهم ضَفْطَ البَيْضِ على الصَّخَرِ. ذكره أبو سعيد ابن الأعرابي في كتاب المعجم^(٢) .

وذكر ابن إسحاق في رواية [يونس] الشَّيبَانِي عنه ، قال : حدثني أُمِّيَّةُ ابن عبدِ الله ، قال : قلت لبعض أهل سعد بن مُعَاذٍ : ما بلغكم في هذا ، يعني الضَّمَّةَ التي انصَمَّتْ القبرُ عليه ؟ قال : كان يُقَصِّرُ في بعضِ الطُّمُورِ من البَوَلِ

(١) أخرجه ابن سعد وأبو نعيم

(٢) ورواه أيضاً : البيهقي وابن مندة .

بعض التفسير (١).

ألمه متناه جباناً ؟ :

فصل : وذكر حديث حسان حين جُعل في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صفيّة في أمر اليهودي حين قتله ، وما قال لها ، وتحمل هذا الحديث عند الناس على أن حساناً كان جباناً شديد الجبن ، وقد دّفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، وقال : لوضح هذا لمجي به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرائ وابن الزبيري ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردّون عليه ، فما عيّره أحد منهم مجنن ، ولا وسمه به ، يدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون سعة لا في ذلك اليوم بعلّة منعه من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه ، ومن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له .

الحديث عن الصوريين ورمية :

فصل : وذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة حين مر بالصوريين ، والصور القطعة من النخل (٢) ، فسألهم ، فقالوا مرّ بنا دحية

(١) قيل : إن تفسيره لم يكن على وجه يؤدي إلى فساد عبادته . وأقول : إن الرجل الذي قيل عنه ما قيل لا نصدق أنه يقع في مثل هذا الذي نسب إليه . هذا وإفرا حديث سعد الذي قال فيه : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش عيشاً الخ المذكور في السيرة في البخاري وغيره .

ابن خَلِيفَةَ السَّكَلَبِيِّ . هو : دَحْيَةُ بَفَتْحِ الدَّال ، ويقال : دَحْيَةُ بِكْسَرِ الدَّال أيضاً ، والدَّحْيَةُ بِلِسَانِ الْبَيْنِ : الرَّئِيسُ ، وجمعه دِحَاءٌ ، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دَحْيَةٍ ، نحت يد كل دَحْيَةٍ سبعون ألف مَلَكٍ ، ذكره القُتَيْبِيُّ ، ورواه ابن سُنَجَرٍ في تفسيره مُسْتَدَافاً إلى عبدِ الله بن الهذيل ، رواه عنه أبو التَّيَّاحِ ، وذكر أن حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ قَالَ لِأَبِي التَّيَّاحِ حين حدثه بهذا الحديث ما الدَّحْيَةُ ؟ قال : الرَّئِيسُ ، وأما نَسَبُ دَحْيَةٍ فهو ابن خَلِيفَةَ بن فَرْوَةَ بن فَصَّالَةَ بن زَيْدِ بن أُمَيْرٍ القَيْسِيُّ الخَزْرَجِيُّ ، والخَزْرَجُ الْعَظِيمُ الْبَطْنُ ابْنُ زَيْدِ مَنَاةَ ابْنِ عَامِرِ بن بَكْرِ بن عَامِرِ الْأَكْبَرِ بن عَوْفِ بن عُذْرَةَ بن زَيْدِ اللَّاتِ ابْنِ رُقَيْدَةَ بن ثَوْرِ بن كَلْبٍ ^(١) يُذَكَّرُ مِنْ بَحَالِهِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ عَصْرٌ ، وَهِيَ الْمَوَاقِفَةُ لِأَحْيَاضٍ إِلَّا خَرَجَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ .

فقر لا يصلين أمةكم العصر إلا في بني قريظة :

وذكر قوله عليه السلام : لَا يُصَلِّينَ أَحَدُكُمْ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، ففربت عليهم الشمس قبلها ، فصلوا العصر بها بعد المشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عذَّبهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا من اللطف أنه لا يَبَابُ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِظَاهِرِ حَدِيثٍ أَوْ آيَةٍ ، فَقَدْ صَلَّيْتُ مِنْهُمْ طَائِفَةً

(١) لم يذكر ابن حزم في نسبه زيد مَنَاةَ ص ٢٨٤ الجهرة . وذكر ابن دريد في الاشتقاق أن الخزرج هو الريح العاصف .

قبل أن تشرق الشمس ، وقالوا : لم يرِدِ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - إخراج الصلاة عن وقتها ، وإنما أراد الحثَّ والإجمال ، فاستغفِرُ أحدُ من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كلَّ مُختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضًا ، فإنه قال سبحانه : ﴿ فَفَرَّقْنَا هَاجِرًا وَسَيِّدًا وَوَدَّعَيْنَا أَسَرَ لِيْكَمَ وَاعْلَمَا بِمَا كَيْدُكُمْ ﴾ ، وكذا آتينا عُسْكَمَ وَعِلْمًا ، ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابًا في حقِّ إنسانٍ وخطأً في حقِّ غيره ، فيكون من اجتهاد في مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيبًا في استحلاله ، وآخر اجتهاد فأداه ، اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مُصيبًا في تحريمها ، وإنما المحال أن يُحكم في النازلة بمحكمين متضادين في حقِّ شخص واحد ، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة ، أما الظاهرية فإنهم علّقوا الأحكام بالتأويل ، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتي بحظرٍ ، وإباحةٍ معًا إلا على وجه التسخير ، وأما المعتزلة ، فإنهم علّقوا الأحكام بتقبيح العقل ونحسينه ، فصار حسنُ الفعل عندهم أو قبحه صفةً عين ، فاستحال عندهم أن يتّصفَ فعلٌ بالحسن في حقِّ زيدٍ والقبح في حقِّ عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان ، والأكوان وغيرها من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الخطرُ والإباحة عندهم بصفات أعيانٍ ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالخطر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الخطر ، وكذلك الإباحة والنذب والإيجاب والكرهية ، كلها صفات أحكامٍ ، فكلُّ مجتهد وافق اجتهاده

التقليد إلى هَضْبَةِ النَّظَرِ ، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذي تَعَبَّدَ به ، وإن تعبد غيرُهُ في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تَعَبَّدَ هو به ، فلا يُعَدُّ في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو دَلَّ به الهوى عن أَوْضَحِ الطَّرَاقِ ^(١) .

(١) يقول الحافظ في الفتح تعليقاً على هذا ، وهو أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق : ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأنيبه .. هذا ومن المشهور الذي عليه الجمهور أن المصيب في القطعيات واحد . وخالف هذا الجاحظ والعنبري . وما لا قطع فيه فالجمهور يرى أيضاً أنه واحد . ويقول الأشعري : كل مجتهد مصيب ، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد . ويرى بعض الحنفية والشافعية أن من لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ .

وأقول : الحق واحد لا يتعدد ، والله لا يجهل الشيء مباحاً ومحظوراً من جهة واحدة : وإذا كان الأمر كذلك ، فإن من اجتهد — كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — وأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد استحقه باجتهاده . ويقال لمن أصاب الحق بحق . ولمن لم يصبه : غير محق في رأيه ، لكن قد يكون الشيء واجباً فعمله ومحظوراً فعمله لا من جهة واحدة ، وإنما من جهات متعددة ، أو من جهتين مختلفتين ، كالصوم في بعض أحواله المعروفة . هذا وقد وقع في جميع نسخ البخاري أن الصلاة هي العصر ، واتفق على هذا جميع أهل المغازي ، ولكن وقع في جميع نسخ مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بأسناد واحد . ووافق مسلماً ابن سعد وابن حبان كلاهما من طريق مالك بن إسماعيل . وانظر التوفيق بين هذا في شرح المواهب اللدنية ص ١٣٠ > ٢ وفي فتح الباري في الغزوة . ومن بين التوفيق أن البخاري كتبه من حفظه ، ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه في تجويز ذلك بخلاف مسلم فإنه يحافظ كثيراً على اللفظ .

سور قصص آية ثمان :

فصل :: وذكر أبا لُبَابَةَ واسمه رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبِرٍ ^(١) وقيل ::
اسمه مُبَشَّرٌ ^(٢) ، وَتَوْبَتَهُ وَرَبَطَهُ نَفْسَهُ حَتَّى ثَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ أَقْسَمَ
أَلَّا يَحْكُمَهُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَوَى سَعْدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيٍّ
ابْنِ زَيْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ فَاطِمَةَ أَرَادَتْ حَلَّهَ حِينَ نَزَلَتْ تَوْبَتُهُ ، فَقَالَ :
قَدْ أَقْسَمْتُ أَلَّا يَحْكُمَنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ فَاطِمَةُ مُضْغَةٌ مِنْي ، فَصَالِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى فَاطِمَةَ ،
فَهَذَا حَدِيثٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ سَبَبِهَا قَدْ كَفَرَ ، وَأَنَّ مِنْ صَلَاتِي عَلَيْهَا . قَدْ صَلَّيْتُ
عَلَى آيِهَا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِيهِ : أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا
بِفَنائِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا بِعَمَلٍ آثِمٍ ۚ وَاللَّهُ يَخْلُفُ عَنِ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ يَخْلُفُ عَنِ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ يَخْلُفُ عَنِ النَّاسِ ۚ
فِي ذَنْبِهِ مَا كَانَ ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَا ذَكَرَهُ فِي السَّيِّئَةِ مِنْ إِشَارَتِهِ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ،
وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ : الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَنَزَلَتْ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ .

لعل وعسى وليت :

فإن قيل : ليس في الآية نصٌّ على تَوْبَتِهِ وَتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ .
فالجواب : أَنَّ عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ وَخَبَرٌ صَدِيدٌ . فَإِنْ قِيلَ : وَهُوَ سَوَالٌ .

(١) في جمهرة ابن حزم ص ٢١١:٤ وفي الإصابة : زر .

(٢) مختلف في اسمه فهو بشير ، وهو مروان . أنظر الإصابة والاشتقاق لابن

يجب الاعتناء به : إن القرآن نزل بلسان العرب ، وليست عسى في كلام العرب .
بخير ، ولا تقتضى وجوباً ، فكيف تكون عسى واجبة في القرآن ، وليس .
بخارج عن كلام العرب ؟

وأيضاً : فإن لعل تعطى معنى التَّرجى ، وليست من الله واجبة ، فقد قال :-
(لعلهم يشكرون) فلم يشكروا ، وقال (لعله يتذكر أو يخشى) فلم يتذكر ولم يخش ،
فما الفرق بين لعل وعسى حتى صارت عسى واجبة ؟

قلنا : لعل تعطى التَّرجى ، وذلك الترجى مصروف إلى الخلق ، وعسى
مثلاً في الترجى ، وتزيد عليها بالمقاربة ، ولذلك قال : ﴿ عسى أن يبيمنك
ربك مقاماً محموداً ﴾ الإسراء : ٧٩ ومعناه الترجى مع الخير بالقرب ، كأنه
قال قُرْبَ أن يبيمنك ، فالترجى مصروف إلى العبد ، كما في لعل ، والخير عن
القرب والمقاربة مصروف إلى الله تعالى ، وخبره حقٌّ ووَعْدُهُ حتمٌ ، فما
تضمنته من الخير فهو الواجب دون التَّرجى الذى هو محال على الله تعالى ،
ومصروف إلى العبد ، وليس في لعل من تضمن الخير مثل ما في عسى ، فمن
ثم كانت عسى واجبة إذا تكلم الله بها ، ولم تكن كذلك لعل .

فإن قيل : فهل يجوز في آيت ما كان في لعل من ورودها في كلام الباري
سبحانه ، على أن يكون التمنى مصرفاً إلى العبد ، كما كان الترجى في لعل كذلك ؟

قلنا : هذا غير جائز ، وإنما جاز ذلك في لعل على شرط وصورة ، نحو أن يكون قبلها قتل ، وبعدها قتل ، والأوّل سببٌ للثاني نحو قوله : ﴿ بَعْظُكُمْ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴾ النحل : ٩٠ ، فقال بعض الناس : لعل هاهنا بمعنى كى ، أى كى تَذَكُّرُوهُ ، وأنا أقول : لم يذهب منها معنى التَّرَجَّى ، لأن اللوعة ، مما يَرْجى أن تكون سبباً للتذكّر ، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن ، ونحو قوله أيضاً : ﴿ فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بِمَعْصَايُوحَى إِلَيْكَ وَضَاتِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ هود : ١٢ هى هاهنا تَوَقُّعٌ وَتَخَوُّفٌ ، أى : ما أصابك من التكذيب مما يَتَخَوَّفُ وَيُتَوَقَّعُ منه ضيقُ الصدر ، فهذا هو الجائز في لعل ، وأما أن ترد في القرآن داخلةً على الابتداء والخبر مثل أن تقول ، مُبْتَدَأً : لعل زيدا يؤمن ، فهذا غير جائز ، لأن الربّ سبحانه لا يَتَرَجَّى : وإن صُرِفَ الترجى إلى حقّ الخلق ، وموضوعها في كلام العرب أن يكون التكلمُ بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى : كى ، ووقوعها بين السبب والمسبب ، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في لعل أنها لا تكون في كلام الباري سبحانه ، لأن التمتي محالٌ عليه ، والتَّرَجَّى والتَّوَقُّعُ والتَّخَوُّفُ كذلك ، حتى تزيلها عن الموضع الذي يكون معناها فيه للتكلم بها .

من أسماء السماء :

فصل : وذكر حكم سعد في بنى قُرَيْظَةَ ، وقول النبي عليه السلام له : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ ، هكذا في السيرة : أَرْقَعَةٌ ،

وفي الصحيح : من فوق سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ^(١) ، وللمعنى واحد ، لأنَّ الرِّقِيعَ من أسماء السماء ، لأنها رُقِيتَ بالشُّجُومِ ، ومن أسمائها : الْجَزْبَاءُ وَرَقِيعٌ ، وفي غير رواية البُكَائِيُّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي حُكْمِ سَعْدٍ : بِذَلِكَ : طَرَفِي الْمَلِكُ سَحَرًا .

فوقية الله سبحانه :

وفيه من الفقه تعليمٌ حسنٍ اللفظ إذا تكلمت بالقول مخبراً عن الله سبحانه ألا تراه كيف قال : بحكم الله من فوقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، ولم يقل فوق على الظرف ، فسدل على أن الحكم نازلٌ من فوق ، وهو حكم الله تعالى ، وهذا نحو من قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ النحل : ٥٠ ، أي يخافون عقاباً ينزل من فوقهم ، وهو عقابُ رَبِّهِمْ .

فإن قيل : أو ليس يجاز أن يخبر عنه سبحانه أنه فوق سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ؟ قلنا : ليس في هذه الآية ، ولا في هذا الحديث دليل على إطلاق ذلك ، فإن جاز فبدليل آخر ، وكذلك قول زينب : رَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ كُنْبِيهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ

(١) رواه النسائي . هذا وما حكم به سعد قريب جداً مما في سفر الثانية ، ففي الإصحاح المتمم للعشرين منه جاء ما يلي : « إن لم تُسألك بل حملت معك حرباً ، فحاصرهما ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم ، وكل ما في المدينة كل غنيمتها : فغنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » من فقرة ١٠ إلى ١٥ . وازن بين هذا وبين حكم سعد « تقتل مقاتلتهم ، وتسبي ذراريهم » ثم قول الرسول « ص » له : قضيت بحكم الله ، أفيباح لنا أن نقول إن الحديث يشير إلى هذا الحكم الذي ورد في سفر الثانية ؟

سماوات ، وإنما معناه : أن تزويجه إياها نزل من فوق سبع سموات^(١) ولا يجلد في الشرع وصفه سبحانه بالقوى على المعنى الذى يليق بجلاله ، لا على المعنى الذى يَسْتَقِلُّ للوهم من التَّخَدُّبِ ، ولكن لا يَتَلَقَّى إطلاق ذلك الوصف مما تقدم من الآية والحديثين لارتباط حرف الجر بالفعل ، حتى صار وصفاً له لا وصفاً للبارى سبحانه ، وقد أمليتنا في حديث الأمة التى قال لها : أين الله ؟ قالت : فى السماء مسألة بديمة نافعة شافية رافعة لكل لبس ، والحمد لله^(٢) .

(١) حقيقة الفوقية هى علو ذات الشئ على غيره ، والجهميون يزعمون أن فوقية الله فوقية رتبة وقهر كقولنا : الذهب فوق الفضة ، وأهل السنة وسلفنا الصالح يقولون إن الهدى والفطر والعقول والشرائع وجميع كتب الله المنزلة على خلاف ما يزعم الجهميون ، وأنه سبحانه فوق العالم بذاته ، فالخطاب بفوقيته ينصرف إلى ما استقر في الفطر والعقول والكتب السماوية . والمجاز في الفوقية وإن احتمل في قوله : (وإنا فوقهم قاهرون) فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض فهى فوقية قهر وغلبة ولكن هذا المجاز لا يحتمل في قوله سبحانه : (وهو القاهر فوق عباده) إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة . واقرأ كتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ولا سيما من أول ص ٢٠٥ فقد أقام الأدلة القاطعة من القرآن والسنة والعقل على فوقية الله سبحانه بذاته من سبعة عشر وجهاً ، وأقرأ لابن رشد الفيلسوف في إثبات جهة العلو لله سبحانه في كتابه مناهج الأدلة .

وكانت زينب رضى الله عنها تفخر على أزواج النبي تقول : زوجكن أهاليكن ، وزجنى الله تعالى من فوق سبع سموات . رواه البخارى في الصحيح . (٢) وحديث الأمة التى سأها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ قالت : الله فى السماء ، قال من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها وكان الذئب قد أصاب شاة من غنم كانت ترعاها لسيدها ، فصكها صكة ، ثم =

كيسة :

فصل : وذكر حبس بني قُرَيْظَةَ في دار بنتِ الحَدَثِ ، كذا وقع في هذا الكتاب ، والصحيح عندهم بنت الحارث ، واسمها : كَيْسَةُ بنت الحارث بن كُرَيْز بن حَبِيب^(١) بن عَبْدِ قَيْس ، وكانت تحت مُسَيْلَةَ الكَذَّاب ، ثم خلف عليها عبدُ الله بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيْسَةُ أُخْرَى مذكورة في النساء ، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز ، وكَيْسَةُ بنت أبي بَكْرَةَ روت عن أبيها عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن الحِجَامَةِ يوم الثلاثاء : أَشَدَّ النَّهْيِ ، ويقول : فيه ساعةٌ لا يَرَفَأُ فيها الدمُّ^(٢) : وأما كَيْسَةُ بكون الياء ، فهي بنت أبي كثير تروى عن أمها عن عائشة في الخبر : لا طيب الله من

== انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل مع الجارية وأراد عتقها تكفيرا عن ذنبه ، فطلب منه الرسول دس ، أن يأتيه بها . ففعل فساها - عما قدمت ذكره . والحديث في صحيح مسلم . وقد ورد في حديث رواه البخاري ومسلم . ألا تأمنوني ، وأنا آمن من السماء ، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء ، وفوق ذلك كله قول الله سبحانه : (أأنتم من في السماء) .

(١) في الاشتقاق لابن دريد : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب ص ١٦٤ وكذلك هو في نسب قريش : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب فلعلمه سقط ، فالسبيل يأخذ بقول الزبيرين في الانساب . وكذلك ذكر نسبه في كتاب حذف من نسب قريش للسدوسي : كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب . وفي الإصصابة أن المرأة هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد . وهي زوجة معاذ بن الحارث بن رفاءة . وعند أبي الاسود أنهم حبسوا في دار أسامة بن زيد

(٢) قول لا يعتد به ، وإلا توقفت الجراحات كلها يوم الثلاثاء .

تَغْلِيْبُهَا ، وَلَا شَيْءَ مِنْ اسْتَشْقَىٰ بِهَا ، ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَشْرِبَةِ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْكِتَابِ ، وَوَقَعَ اسْمُهَا فِي السِّيرَةِ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ : زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ النَّجَّارِيَّةِ ، فَاللهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا كَيْسَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، فَهِيَ الَّتِي أُنْزِلَ فِي دَارِهَا وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهَا .

رَفِيدَةُ :

وَذَكَرَ رُفَيْدَةَ ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ أَسْلَمَ الَّذِي كَانَ سَعْدُ يُمَرِّضُ فِي خِيَمَتِهَا . لَمْ يَذْكُرْهَا أَبُو عُمَرَ ، وَزَادَهَا أَبُو عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ أَبِي مُعْمَرٍ ، حَدَّثَنِي بِتِلْكَ الزُّوَادِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ عَنْهُ ، وَحَدَّثَنِي عَنْهُ أَيْضًا عَنْ أَبِي عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَلِيٍّ : أَمَانَةُ اللَّهِ فِي عُنُقِكَ ، مَتَى عَثَرْتُ عَلَى اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ ، لَمْ أَذْكُرْهُ . إِلَّا الْحَقَّقْتُ فِي كِتَابِي الَّذِي فِي الصَّحَابَةِ ^(١) .

غَزْوَةُ الْخَنْزَرِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْزَرِ تَعْلِيمَةَ بَنِي سَعْيَةَ ، وَأَسَدَ بْنَ سَعْيَةَ ^(٢) . وَأَسِيدَ بْنَ سَعْيَةَ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَذِلٍ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا .

(١) وَقِيلَ هِيَ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَفِي الْإِصَابَةِ الْأَنْصَارِيَّةِ أَوْ الْأَسْلَحِيَّةِ ، وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ حَدِيثَهَا ، وَذَكَرَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ إِذَا مَرَّ بِعَدُوِّهِ عِنْدَهَا يَقُولُ : كَيْفَ أَمْسَيْتَ ، وَإِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ . وَفِي الْإِصَابَةِ فِي حَرْفِ الْكَافِ : كَعْبَةُ بِنْتُ سَعِيدِ الْأَسْلَحِيَّةِ وَقَدْ قَالَ عَنْهَا ابْنُ سَعْدٍ هِيَ الَّتِي كَانَتْ لَهَا خِيْمَةٌ فِي الْمَسْجِدِ . وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ : وَفَضْرِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَسًّا ، خِيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ ، لِيَعُودَ مِنْ قَرِيبٍ ، أَيْ لِيَعُودَ سَعْدُ .

الكتاب على سَعْيَةٍ وَسُعْنَةٍ بالنون، وذكرنا الاختلاف في أسيد وأسيد، وذكرته
خبراً مجيباً لزَيْد بن سَعْيَةَ بالياء، ومن قال من النساين هَذَا بسكون الدال.
في بنى هَذَا، فأغنى ذلك عن إعادته.

قتل المرتدة :

وأما حديث المرأة المقتولة من بنى قُرَيْظَةَ، ففيها دليل لمن قال بقتل
الْمُرْتَدَّةِ من النساء، أخذاً بمموم قوله عليه السلام : مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ ، فَاضْرِبُوا
عُنُقَهُ (١). وفي هذا الحديث مع الْمُمُومِ قوة أخرى، وهو تعليق الحكم بالعلة،
وهو التبديل والرَّدَّةُ، ولا حُجَّةَ مع هذا لِمَنْ زَعَمَ من أهل العراق بَأَن
لَا تُقْتَلُ الْمَرْأَةُ لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ، وللإحتجاج
للفريقين، وما نزل به كُلُّ واحد منهم موطن غير هذا.

الزبير بن باطا :

قُصِّلَ : وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزَّيْبِرِ بن باطا، وهو الزَّيْبِرُ

(١) في حديث رواه الجماعة إلا مسلماً : من بدل دينه فاقتلوه . وقد علقه
صاحب الفتح عليه بقوله : واستدل به على قتل المرتدة كالمُرْتَدِّ . وخصه بالخفية
بالذكر متمسكين بحديث النبي عن قتل النساء، ولكن الجمهور يحمل النهي على
الكفارة الأصلية إذا لم تبأشر القتال، لقوله في بعض طرق الحديث النهي عن
قتل النساء لما رأى امرأة مقتولة : ما كانت هذه اثماتال، ثم نهى عن قتل النساء .
واحتجوا بأن من الشرطية لا تعم المؤنث، وتعم بأن راوى الخبر هو
ابن عباس، وقد قال بقتل المرتدة وقد قتل الصديق امرأة ارتدت في خلافته .
ولم ينكر عليه صحابي . أنظر ص ١٩٠ ج ٧ نيل الاوطار للشوكاني .

يفتح الزاي وكسر الباء جدُّ الزبير بن عبد الرحمن للذكور في الموطأ
في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، قيل : الزبير بفتح
الزاي وكسر الباء كاسم جده ، وقيل الزبير ، وهو قول البخاري في التاريخ .

وذكر فيه قول الزبير :

فأنا بصابر لله فتلة دلو ناضح

وقال ابن هشام : إنما هو قبلة دلو بالقاف والباء ، وقابل الدلو هو
الذي يأخذها من المستقى^(١) .

وذكر أبو عبيد الحديث في الأقوال على غير ما قاله جميعاً ، فقال :
قال الزبير : يا ثابت ألحقني بهم ، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو .

الإنبات اصل في معرفة البلوغ :

وذكر حديث عطية القرظي ، وهو جدُّ محمد بن كعب القرظي ، وذكر
أنه لم يكن أنبت فترك ، ففي هذا أن الإنبات أصل في معرفة البلوغ إذا
جهل الاختلام ، ولم تعرف سنوؤه .

(١) يقول الخشنى : الناضح : الحبل الذي يستخرج عليه الماء من البشر
بالسانية ، وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا
أخرجت فيصبها في الحوض يفتلها أو يردّها إلى موضعها ، ومن رواه قبلة بالقاف
والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض ، ثم يصرفها ، وهذا
كله لا يكون إلا عن استحجال وسرعة ص ٣٠٧ .

ملة مي :

وذكر حيي بن أخطب حين قُدِّمَ إلى القتل ، وعليه حُلَّةٌ فُقَّاحِيَّةٌ . الحلة :
إزارٌ ورداه ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين ، كما حُلَّ طيهما ،
فقال له : حُلَّةٌ لهذا ، ثم استمر عليه الاسم ، قاله الخطابي .

وقوله : فُقَّاحِيَّةٌ نُسِبَتْ إلى الفُقَّاح ، وهو الزَّهْرُ إذا انشَقَّتْ أَكِمَّتُهُ ،
وأنْضَرَجَتْ بَرَاعِيْمُهُ ، وَتَفَقَّحَتْ أَخْيَبِيَّتُهُ ، فيقال له حينئذٍ فُقَّحَ وهو فُقَّاحٌ . والقنابيعُ
أَيْضاً في معنى البراعيم ، واحدها : قُنْبُومَةٌ ، وأما الفِقَّاحُ بالعين ^(١) فهو الْفَطْرُ ،
ويقال له أَيْضاً : آذَانُ الْكَمَّاءِ من كتاب النبات .

ويروي أَيْضاً : حُلَّةٌ شُقْحِيَّةٌ وهو سَنَحٌ ^(٢) الْبُسْرِ إذا تَلَوْن . قاله الخطابي .

ولكنه مَنْ يَحْذُلُ اللَّهَ يَحْذُلِ

بنصب الهاء من اسم الله ، وَيُصَحِّحُ هذه الرواية أن في الخبر قول النبي
صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ يُمْكِّنْ اللَّهُ مِنْكَ ؟ فقال : بَلَى ، ولقد قَدَقْتُ كُلَّ
مُقَلَّلٍ ، ولكن من يَحْذُلُكَ يَحْذُلِ ، فقوله : يَحْذُلُكَ كقول الآخر
في البيت :

ولكنه مَنْ يَحْذُلُ اللَّهَ يَحْذُلِ

(١) في اللسان : المقع بكسر الهمزة وفتحها وسكون القاف الأبيض الرخو
من السكأة وهو أردؤها وجمعها على وزن فعلة بكسر الفاء وفتح العين مثل قرعة
(٢) في التمييز خلل ، وهو يعني أن شقحية نسبة إلى شقحة التي جمعها شقح .
والشقحة : هي البسرة المتغيرة الحمرة . وسنح في الأصل : صوابها شقح .
(٢٢م — الروض الأنف ج٢)

لأنه إنما نَظَمَ في البيت كلام حُيٍّ .

سَلَمَى بنتُ أيوب :

وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صفصة ،
والقبتُ في حاشية الشيخ ، قال : وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو
الخبر أن سَلَمَى بنت قيس هي : سَلَمَى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله
وهو الصحيح والله أعلم .

سَلَمَى بنت قيس :

وقوله عن سَلَمَى بنت قيس ، هي سَلَمَى بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن
مالك بن عمرو بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

تفسير آيات قرآنية :

وقوله تعالى : ﴿ وَبَلَّتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ والقلبُ لا يَنْقَلُ من موضعه ،
ولو انتقل إلى الخنجره لمات صاحبه ، والله سبحانه لا يقول إلا الحق ، ففي هذا
دليل على أن التكلم بالجواز على جهة المبالغة ، فهو حق إذا فهم المخاطبُ عنك ،
وهذا كقوله تعالى : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴾ السكف : ٧٧ ، أى مثله كمثل
من يريد أن يفعل الفعل ، ويهم به ، فهو من مجاز التشبيه ، وكذلك هؤلاء
ممثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المنخلع قلبه من
موضعه ، وقيل : هو على حذف المضاف ، تقديره : بلغ وجيف القلوب الحناجر
أما قوله تعالى : ﴿ لَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْخَنَاجِرِ ﴾ ١٨ فلا بد من الحذف هنا ،

لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشدُّ مما تقدَّم ، لاسيَّما وقد قال في أخرى : ﴿ لَا يَرْنَدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ ﴾ إبراهيم : ٤٣ ، أي قد فارق القلبُ الفؤادَ ، وبقي فارغاً هَوَاءً ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ القلبَ غيرُ الفؤاد ، كأنَّ الفؤادَ هو غلافُ القلبِ ، ويؤيده قولُ النبي صلى الله عليه وسلم في أهلِ البين : **الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ أَرْقُ أَفْنَدَتْهُ^(١)** مع قوله تعالى : ﴿ قَوِيلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ الزمر : ٣٢ ولم يقل للقاسية أفندتهم ، والقسوةُ ضدُّ اللين ، فتأمل .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ^(٢) اللَّهُ الْمُعْوَِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ الأحزاب : ١٨ أي المُخَذِّلِينَ لإخوانهم : **فَيَمُوتُ قَوْلُهُمْ بِالْمُخَذِّلِ** عن الطاعة ، لقولهم : **هَلُمَّ إِلَيْنَا** . تقول : عاقف الأمرُ عن كذا ، وعوَّقني فلانٌ عن كذا ، أي صرفني عنه .

وذكر الصَّيَاصِي وأنها الحُصُون ، واستشهد بقول سُحَيْمٍ يصف سَيْلًا : **وَأَصْبَحَتِ النَّيْرَانُ صَرْعَى ، وَأَصْبَحَتْ نَسَاءُ تَعِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا** . وأُلفت في حاشية الشيخ أبي بحر رحمه الله على هذا البيت : الصياصي : **فَرُونَ النَّيْرَانِ** المذكورة فيه ، لأماتهم ابنُ هشام أنها الحُصُون والآطامُ . يقول : لما أهلك هذا السيلُ النَّيْرَانَ وغرقها أصبحت نساءً تعيمُ يَبْتَدِرْنَ أَخَذَ قَوْلُهَا ، لِيَنْتَجِنَ بها البُجْدَ ، وهي الأَكْسِيَّةُ ، قال هذا يعقوب بن الأَصْمَعِيِّ . ويصحح هذا أنه لاحتُصُونٌ في بادية الأعراب . قال المؤلف : ويصحح

(١) جاء في حديث متفق عليه : **دُمِ أَرْقُ أَفْنَدَتْهُ** وألين قلوبها ،
(٢) دخلت قد هنا لتوكيد العلم ، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد ، ولأن الله لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء .

هذا التفسير أيضاً رواية أحمد بن داود له ، فإنه أنشده في كتاب النبات له ، فقال فيه يَلْتَقِطْنَ الصِّيَاصِيَا^(١) ولم يقل : يبتدرن ، وأنشد :

فَدَعَرْنَا سُخَمَ الصِّيَاصِي بِأَيْدِيهِنَّ نَضَحَ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارُ
الْكُحَيْلِ : الْقَطْرُنُ ، والقَارُ : الزُّفْتُ ، شَبَّهَ السَّوَادَ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ بِنَضَحِ
مِنْ ذَلِكَ الْكُحَيْلِ وَالْقَارِ ، يَصِفُ بَغْرَ وَحْشٍ ، وَأَنشَدَ لِذُرَيْدِ بْنِ الْعُصَمَةِ :
كَوَقَعَ الصِّيَاصِي فِي الذَّيْجِ الْمَمْدَدِ

وحله الأصمعيُّ على ما تقدم في البيت قبل هذا من أنها القرون التي
يُنْسَجُ بها ، لا أنها شوك كما قال ابن هشام .

اهتزاز العرسه :

وذكر اهتزاز العرش ، وقد تكلم الناس في معناه ، وظنوا أنه مُشْكِلٌ ،
وقال بعضهم : الاهتزاز هاهنا بمعنى الاستبشارِ بقُدوم رُوحه ، وقال بعضهم :
يريد تحلة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم ، لأن يَهْتَزَّ العرشُ
على الحقيقة ، ولا يُعَدُّ فيه ، لأنه تَخْلُوقٌ وتَجُوزُ عليه الحركة ، والهِزَّةُ ،
ولا يُعَدَّلُ عن ظاهر اللفظ ، ما وُجِدَ إليه سبيل ، وحديثُ اهتزاز العرشِ
لموثٍ سَعْدٍ صحيحٌ . قال أبو عُمر : هو ثابت من طُرُقٍ متواترة ، وما رَوَى
من قول البراء بن عازب في معناه : أنه سَرِيرٌ سَمْدٌ اهْتَزَّ لم يلتفت إليه
الْعُلَمَاءُ^(٢) ، وقالوا : كانت بين هذين الحَيَيْنِ من الأنصار ضغائن^(٣) . وفي لفظ

(١) كذا أنشده ابن بري في اللسان . وقال : يلتقطن القرون لينسجن بها .

(٢) قال الحافظ : إلا أن يراد اهتزاز حلة سريره فرحاً بقُدومه ، فيتجه

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

شعر ضرار

وقال ضرار بن الخطّاب بن مِرْدَاس ، أخو بني مُحارب بن فهر ، في يوم
الخندق :

وَمُشْفِقَةٌ تَنْظُنُّ بَيْنَا الظَّنُونَا وَقَدْ كُنْهَنَا عَرَنْدَسَةٌ طَحُونَا
كَانَ زُهَاهَا أَحَدٌ إِذَا مَا بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّظِيرِينَا

الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزُّبَيْر عن جابر يرفعه، ورواه البخاري
من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من
الصحابه جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ،
وَرُمَيْثَةُ بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعلجب لما روى عن مالك رحمه الله
من إنسكروا للحديث، وكرهيته للتحديث به مع صحه نقله ، وكثرة الرواة له ،
ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك والله أعلم^(١) .

= [إنه كان بين هذين الحيين صفاتين سمعت النبي ص. يقول اهتز عرش الرحمن لموت
سعد . والحيان : الاوس والخزرج ، فقال ذلك جابر لإظهارا للحق واعترافا
بالفضل لاهله فكأنه تعجب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أومى ، ثم قال :
أنا وإن كنت خزرجيا ، وكان بين الحيين ما كان لا أمتنع من قول الحق ، وعذر
البراء أنه فهم ذلك لا أنه قصد النض من حكاية سعد وقد ظن جابر أن البراء
قصد النض من سعد فانتصرله . فتح الباري ، والمواهب ح ٢ ص ١٤٠ .
(١) سبق الكلام عن هذا .

تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْتَفِاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبَ الْحَصِينَا
وَجُرْدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ نَوْمٌ بِهَا الْغَوَاهِ الْخَاطِئِينَا
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَصَلْنَا بِيَابِ الْخَنْدَقِينَ مُصَافِحُونَا
أَنَاسٌ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَا
فَأَخْبَرْنَا نَامُ شَهْرًا كَرِيمًا وَكُنَّا قَوْقِهِمْ كَالْقَاهِرِينَا
تُرَاوِحُهُمْ وَتَفْدُو كُلَّ يَوْمٍ عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجِّجِينَا
بِأَيْدِينَا صَوْرَامُ مُرَهَقَاتٍ نَقْدُ بِهَا التَّفَارِقِ وَالشُّوْنَا
كَأَنَّ وَمِضْهَنَ مُعَرِّبَاتٍ إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مَصْلَتِينَا
وَمِضْهُ عَمِيقَةٍ لَمَعَتْ بَلِيلٍ تَرَى فِيهَا الْعَقَاقِقِ مُسْتَبِينَا
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ لَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
وَلَكِنْ حَالِ دُونَهُمْ وَكَانُوا بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَّعَوْذِينَا
فَإِنْ نَزَلَ فَنَانًا قَدْ تَرَكْنَا لَدَى أُنْيَانِكُمْ سَعْدًا رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعْتَ نَوْحِي عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعُنِ الْحَنِينَا
وَسَوْفَ تَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَا
يَجْمَعُ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ تَحَتِ الْعَرِينَا

كعب يرد على ضرار

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ ، فَقَالَ :

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَالَقِينَا وَلَوْ شَهِدْتَ رَأَيْنَا صَابِرِينَا

حَبْرَنَا لَا تَرَى لِلَّهِ عَدْلًا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
 وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ تَمَلُّو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
 مُقَاتِلَ مَقْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا وَكَانُوا بِالْمَدَاوَةِ مُرْصِدِينَ
 نَعَاجِلِهِمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُنْسَرِعِينَ
 بَرَانَا فِي قَضَائِنَا سَابِقَاتٍ كَفُذْرَانِ السَّلَا مُنْصَرِّبِينَ
 وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خِفَافٌ يَهَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاغِبِينَ
 بِيَابِ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أَسْدًا شَوَائِكُهُمْ يَحْنِينُ الْعَرَبِينَ
 فَوَارِسَنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ شُوسًا مُعَلِّبِينَ
 لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهِ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ
 وَيَتَلَمَّ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَخْرَابَ أَتَوْا مُتَحَرِّبِينَ
 بَانَ اللَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَإِنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ
 فِيمَا تَقَاتَلُوا سَفَادًا سَفَاهًا فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ
 سَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ طَيِّبَاتٍ تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
 كَأَنَّ رَدَّكُمْ فَلَا شُرَيْدًا بِغَيْظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ
 خَزَايَا لَمْ تَدْلُوا نَمَّ خَيْرًا وَكَذَّبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَ
 بِرَبِّعٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْهِمْ فَكُفْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَدِّمِينَ

شعر ابن الزبيرى

وقال عبد الله بن الزبيرى السهمى ، فى يوم الخندق :

حتى الدبار بما معارف رثمها طول البلى وتراوح الأخطاب
 فكأما كتب اليهود رؤسومها إلا الكنيف ومعقد الأطواب
 قفراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أثراب
 فأنرك تذكر مامضى من عيشة وبحلة خلق المقام يباب
 واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
 أنصاب مكة عامدين ليثرب في ذى غياطل جحفل جباب
 يدع الحزون مناهجاً معلومة في كل نشر ظاهر وشعاب
 فيها الجياد شواذب تجنوبة قب البطون لواحى الأقراب
 من كل سلبية وأجر دسلب كالسيد بادر غفلة الرقاب
 جيش عينة قاصد بلوانه فيه وصخر قائد الأحزاب
 قرمان كلبدين أصبح فيهما غيث الفقير ومنقل الهراب
 حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل تجرب قضاب
 شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابه في الحرب خير صحاب
 نادوا برخلتهم صبيحة فلم نادوا بركلهم صبيحة فلم
 لولا الخنادق غادروا من جمعهم قتلى لطي سغب وذباب

حسان يرد على ابن الزبيرى.

فلجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رسم دارسة القلم يباب مثلكم لخواير بجمواب

قَتَرُ عَفَارِهِمُ السَّحَابُ رُسُومُهُ وَهُبُوبُ كُلِّ مِطْلَةٍ مِنْ بَابِ
وَلَقَدْ رَأَيْتَ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ بَيْضُ الْوُجُوهِ نَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ
قَدَحَ الدِّيَارِ وَذِكْرُ كُلِّ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءُ آتَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ
وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غَضَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَأَلْبُوا أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِي الْأَغْرَابِ
جَيْشٌ عُمَيْيَّةٌ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمْ مُتَحَمِّطُونَ بِحُلْبَةِ الْأَحْزَابِ
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا قَتَلَ الرَّسُولَ وَمَقَمَ الْأَسْلَابِ
وَعَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رَدُّوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ
بِهَبُوبٍ مُعْصِفَةٍ تُنْفِرُ بَجَمْعِهِمْ وَجُنُودٍ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
فَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَنَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ نَوَابِ
مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
عَاثِيَ الْفُؤَادِ مَوْجِ ذِي رِبِيَّةٍ فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بَطَاهِرِ الْأَثْوَابِ
عَنِ الشَّقَاءِ بِقَلْبِهِ، فَتَوَادَّهُ فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

كعب يرد على ابن الزبير

وأجابه كعب بن مالك أيضاً ، فقال :

أَبَقِيَ لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً مِنْ خَيْرِ نَحْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَّابِ
بَيْضَاءُ مُشْرِفَةِ الذَّرَى وَمَعَاظِنَا حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَحْلَابِ

كاللُّوب يُبْذَلُ نَجْمُهَا وَخَفِيلُهَا
 وَتَزَانِمًا مِثْلَ السَّرَاحِ نَمَى بِهَا
 عَرَى الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْذَفَ نَحْمُضَهَا
 قَمُودًا تَرَاخَ إِلَى الصَّيَاحِ إِذْ غَدَتْ
 وَنَحْوُ سَائِمَةِ الدَّيَّارِ وَتَلَاةَ
 حَوْشِ الْوُحُوشِ مَطَارَةً عِنْدَ الْوَعَى
 غَلِثَتْ عَلَى دَعَا فَصَارَتْ مُدْنًا
 يَفْدُونُ بِالزَّغْفِ الْمُضَاعَفِ شَكَّهُ
 وَصَوَائِمِ نَزَعِ الصَّيَاقِلِ غَلْمَهَا
 يَصِلُ الْيَمِينَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبِ
 وَأَغَرَ أَرْزُقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ
 وَكَتَيْبَةٍ يَنْفَى الْقِرَانَ قَدِيرُهَا
 جَاوَى مُلَمَلَمَةً كَانَ رَمَاحُهَا
 يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
 أَغَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَغَيْتَ مُتَبَعًا
 وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبَّنَا نُهُدَى بِهَا
 عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
 حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بَزْعُمِهَا
 لَلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ
 عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجِزَّةُ الْقَضَابِ
 جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرُ الْآرَابِ
 فَمَلُ الضَّرَاءِ تَرَاخَ لِلْمُكَلَّابِ
 تَرْدَى الْعَدَا وَتَثُوبُ بِالْأَسْلَابِ
 عُيَسُ الْإِقَامِ مُبِينَةُ الْإِنْجَابِ
 دُخَسَ الْبَضِيعِ خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ
 وَبِمُتَرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِيَابِ
 وَبِكُلِّ أَرْزُوعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ
 وَكِلْتَا وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ
 فِي طُخْيَةِ الظُّلُمَاءِ ضَوْءُ سِهَابِ
 وَتَرْدَ حَدِّ قَوَاحِذِ الدُّشَابِ
 فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ضَرِيرَةٍ غَابِ
 فِي صَمْدَةٍ انْطَلَقَ فِيهِ عُقَابِ
 وَأَبَتْ بَسَائِلُهَا عَلَى الْأَغْرَابِ
 يَلْسَانُ أَرْهَرَ طَيِّبُ الْأَنْثَوَابِ
 مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
 حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ

جاءت سَخِينَةُ كى تُغَالِبَ رَبَّهَا فَلَيُغَالِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَالِبِ

قال ابن هشام : حدثني من أنق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال : لما قال كعب بن مالك :

جاءت سَخِينَةُ كى تُغَالِبَ رَبَّهَا فَلَيُغَالِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَالِبِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

مَنْ مَرَّةً ضَرَبْتُ يُتَمَمِّعُ بَعْضُهُ	بَعْضًا كَمَعَمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحَرَّقِ
فَدِيَّاتٍ مَأْسَدَةٍ تُسَنِّ سُوْفَهَا	بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدَقِ
دَرِبُوا بِضَرْبِ الْمُغْلِينَ وَأَسْلَمُوا	مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عُصْبَةٍ تَصْرُ الْإِلَهِ نَبِيَّهُ	يَسِيمُ وَكَانَ بَعْدِيهِ ذَا مَرْفِقِ
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَحْطُّ فُضُولُهَا	كَالْتَمَنِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
بَيَاضٍ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا	حَدَقَ الْجَنَادِ ذَاتَ شَكِّ مُوتِقِ
جَدَلَاءُ يَخْفِزُهَا نَجَادُ مُهَنَّدِ	صَافِيِ الْخَلِيدَةِ صَارِمِ ذَى رَوْنِقِ
تَلَسُّكُمْ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا	يَوْمَ الْهِبَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
نَصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قُضِرْنَ بِخَطُونَا	قُدَمًا وَنُلَجِّقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ
فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَانَهَا	بَلَهَ الْأَكْفُ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

تَنفَى الْجُمُوعَ كَفَصَدْرِ أَسِ الْمَشْرِقِ تَنفَى الْمَدَوَ بِفَخْمَةٍ مَلُومَةٍ
وَزِدِ وَتَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أُبْلَقِ وَنُعِدِ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصِ
عِنْدَ الْهَيَاجِ أَسْوَدَ طَلِّ مُلْتَقِ تَرْدِي بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَلْبَهُمِ
تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ الْمُرْهَقِ صَدُوقُ يُمَاطُونَ الْكُفَاةَ حُتُوفِهِمِ
فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقِ أَمَرَ الْإِلَٰهَ بِرَبْطِهَا لَتَدْوَاهِ
لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خُيُولُ التَّرَفِّقِ لَتَكُونَ غَظًّا لِّلْمَدَوِّ وَحِيطًا
مِنْهُ وَصِدْقُ الصَّبْرِ سَاعَةً تَلْتَقِي وَبُعِينَا اللَّهُ لِلْعَزِيزِ بِقُوَّةِ
وَإِذَا دَعَا لِكَرْهِيهِ لَمْ نُسَبِّحْ وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
وَمَتَى تَرَ الْحُلُمَاتِ فِيهَا نُعْنِقِ وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا
فِيْنَا مُطَاعَ الْأَمْرِ حَقَّ مُصَدِّقِ مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
وَبُصْبِينَا مِنْ نَيْلِ ذَاكَ عِزِّ رَفِيقِ فَبِذَاكَ بَنَصْرْنَا وَيُظْهِرْ عِزَّنَا
كَفَرُوا وَضَلَّوْا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي إِنَّ الَّذِينَ يُكْذِبُونَ عَمْدًا

قال ابن هشام أنشدني بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبي

أبو زيد . وأنشدني :

تَنفَى الْجُمُوعَ كَرَأْسِ قُدْسٍ لِلْمَشْرِقِ

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّوْا عَلَيْنَا وَرَأَوْا دِينَنَا مَا نُوَادِعُ
أَضَامِيهِمْ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَمِلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِيفَ لَمْ يَذَرُوا بِنَا هُوَ وَاقِعُ
يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاهُ وَسَامِعُ
إِذَا غَابَطُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَنَا عَلَى غِيْظِهِمْ نَصْرُ مَنْ اللَّهُ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَامِعُ
هَدَانَا لِلدِّينِ الْخَلْقُ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَاعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

أَلَا أُبَلِّغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَمًا وَمَا بَيْنَ الْعَرَبِ إِلَى الْعَمَادِ
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدَرَّبَاتٍ وَخُوصِ تَقَبَّتْ مِنْ عَهْدِ عَادِ
رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْعُرَّارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجَاهِمِ وَلَا النَّادِ
كَانَ الْعَابَ وَالْبَزْدَى فِيهَا أَحْشَى إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَمَادِ
وَلَمْ تَحْمَلْ تِجَارَتَنَا اشْتَرَاءَ الْخَمِيرِ لِأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادِ
بِلَادٍ لَمْ تُتْرَ إِلَّا لَكُنَّا مُجَالِدُ إِنْ نَشِطْهُمْ لِلْجِلَادِ
أَتَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرِ مِثْلَهَا جَلَّاهَاتٍ وَادِ
وَقَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُفْرٍ وَطُولِ عَلَى الْغَايَاتِ مُقْتَدِرِ جَوَادِ

أَجِيبُونَا إِلَى مَا تَحَدَّيْكُمْ مِنْ الْقَوْلِ الْبَيِّنِ وَالشَّدَادِ
وَالْإِقَابِ وَالْجِلْدِ يَوْمَ نَصَبَّحَكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ
وَكُلِّ طَيْرَةٍ خَفِقَتْ حَشَاهَا وَكُلِّ مُقْلَسِ الْأَرَابِ نَهْدٍ
حَيُولَ لَانْضَاعٍ إِذَا أُضِيعَتْ يُنَارِغْنَ الْأَعْنَسُ مُصْنِفَاتٍ
إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذُرُ اسْتَعْدُوا وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَا تَقِينَا
فَلَمْ تَرِ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا أَشَدَّ بَالَةً مَنَا إِذَا مَا
إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَفِيرٍ
أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ يُفَشِّي هَامَةَ الْبَطْلِ الْبَذَكِيِّ
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا مِنْ الْقَوْلِ الْبَيِّنِ وَالشَّدَادِ
لَكُمْ مِنَّا إِلَى شَطْرِ التَّدَادِ وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلَسِ الْقِيَادِ
تَدِفَ دَفِيفَ صَفَرَاءِ الْجِرَادِ تَمِيمِ الْخَلْقِ مِنْ أُخْرٍ وَهَادِي
خِيُولِ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَادِ إِذَا نَادَى إِلَى الْفَزَعِ الْمُنَادِي
تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ سَوَى ضَرْبِ الْقَوَائِسِ وَالْجِهَادِ
مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارِ وَبَادِي أَرْدَنَاهُ وَالْبَيْنَ فِي الْوِدَادِ
جِيَادِ الْجُدْلِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِكِ الرَّنَادِ
غَدَاةَ بَدَائِبِطِنِ الْجَزَعِ غَادِي صَبِي السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النِّجَادِ
بَكَّتْكَ فَاهِدِنَا سَبِيلَ الرِّشَادِ

قال ابن هشام بيته :

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوَّلَ

والبيت الذي يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :-

أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسْدٌ عَبُوسٌ

والبيت الذي يتلوه ، عن أبي زيد الأنصاري .

مسافع يبكي عمرأ في شعره

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن مجح
يبكي عمرو بن عبدود ، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عمرؤ بن عبدي كان أول فارس جزع السداد وكان فارس يليل
تمح الخلائق ماجد ذو مرق يبغي القتال بشكة لم يفسكل
ولقد علم حين ولوا منكم أن ابن عبدي فيهم لم يفسكل
حتى تكفه الكهاة وكلمهم يبغي مقاتله وليس بمؤتلي
ولقد تكففت الأضمة فارساً بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل الزال على فارس غالب بجنوب سلع ، كيته لم ينزله
فاذهب على فسا ظفرت بمثله فخراً ولا لافيت مثل المفضل
نفسي الغداة لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتجملحل
أعنى الذي جزع السداد مهيمة طلباً لتأثر معاشر لم يتخذل

مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا
عنه وتركوه :

عمرو بن عبيد والجيادُ بقودها خيلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنقل
أجلت فوارسه وغادر رهطه رُكناً عظيماً كان فيها أول
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته متهما تسوم على عمراً ينزل
لا تبعدن فقد أصبتُ بقتله ولقيتُ قبل الموتُ أمراً ينقل
وهيرة المسلوب ولّى مذبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كأن البأس منه مُحضراً ولّى كما ولّى اللئيمُ الأغزل

قال ابن هشام : وبمض أهل العلم بالشعر يُسكروها له . وقوله : « عمراً
ينزل » عن غير ابن إسحاق .

هيرة يبكي عمراً ويعتذر من فراره

قال ابن إسحاق : وقال هيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكي
عمراً ، ويدكر قتل عليّ إياه :

أصعابى ما وثيتُ ظهري محمداً وأصعابه جُبناً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبتُ أمرى فلم أجد لستيفي غناءً إن ضربتُ ولا نبلى
وقفتُ فلماً لم أجد لي مقدماً صددتُ كضرغامٍ هزبراً بى شبل

تَنَنِي عِطْفَةً عَنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَنَكَرًا وَقَدْ مَأْكَلَنَ ذَلِكَ مِنْ قَعْلِي
 «فَلَا تَبْعِدَن يَاعَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقُّ لِحْسَنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
 «وَلَا تَبْعِدَن يَاعَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَيْتَ سَمُودَ الشَّنَا مَا جِدَ الْأَصْلُ
 «فَمَنْ لِيَطْرَادَ الْخَلِيلَ تُفَدِّعَ بِالْقَفَا وَلَا تَفْخَرْ يَوْمًا عِنْدَ قَرَقَرَةِ الْبَزْلِ
 «هَذَا لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَّارَهَا وَفَرَّجَهَا حَقًّا فَقَى غَيْرُ مَا وَغَلِ
 «فَعَيْنُكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَفَقْتُ عَلَى تَجْدِ الْقَدَمِ كَالْفَحْلِ
 «فَمَا ظَفِيرَتِ كَفَالِكَ نَفْرًا بِمَنْبَلِهِ أَمِنْتُ بِهِ مَا عِثْتُ مِنْ زَلَّةِ النَّعْلِ

هيرة يبيكى عمرو أفي شمره

قال هيرة بن أبي وهب يبيكى عمرو بن عبد ود ، وبذكر قتل علي إياه :

تَقْدَعِلْتُ عَلِيًّا لَوْئِيَّ بَنَ غَالِبٍ لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا نَابَ نَائِبُ
 لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا مَا بَسُوهُ عَلِيٌّ وَإِنْ اللَّيْثُ لَا بَدَّ طَالِبُ
 عَشِيَّةً يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ لِفَارِسُهَا إِذَا خَامَ عِثَةُ الْكَائِبِ
 حَيًّا لَهْفَ نَفْسِي إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ بِيَتْرِبُ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمُصَائِبُ

حسان يفتخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بَقِيَّةَ كَمِ عَمْرُو أَبْنَحْنَاهُ بِالْقَنَا بِيَتْرِبُ نَحْصِي وَأُلْحَمَاهُ قَلِيلُ
 وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مَهْدٍ وَنَحْنُ وَلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَقُولُ

وَمَنْ قَتَلْنَاكُمْ يَبْدُرُ فَأَصْبَحَتْ مَعَاشِرُكُمْ فِي الْمَالِكِينَ تَجُولُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ود :

أُمْتُ الْفَتَى عَمْرُو بْنُ عَبْدِ يَبْتَنَى بِمَنْجُوبٍ يَثْرِبُ ثَأْرَهُ لَمْ يُنْظَرْ
فَقَدْ وَجَدْتَ سُيُوفَنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدْتَ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرْ
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَذْرِ عُصْبَةٍ ضَرْبُكَ ضَرْبَ غَدَاةِ ضَرْبِ الْخُسْرِ
أَصْبَحْتَ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرُو أَوْ لَجْسِمِ أَمْرِ مُنْكَرٍ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

إِلَّا أَنْبِئْ أَبَا هِدْمٍ رَسُولًا مُفْلَقًا لَمْ تَخْبُ بِهَا التَّطِيُّ
أَكُنْتُ وَلَيْكُمُ فِي كُلِّ كُرُوٍّ وَغَيْرِي فِي الرِّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ
وَمَنْكَ شَاهِدٌ لَقَدْ رَأَيْتُ رُفِئْتُ لَهُ كَمَا احْتَمَلَ الصَّبِيُّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الدائلي ، ويروى

فيها آخرها :

كَتَبْتُ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَلَنْ شِفَاءً نَفْسِي الْخَزْرَجِيَّ

وَتُرْوَى أَيْضًا لِأَبِي أَسَامَةَ الْجُشَمِيِّ .

شعر حسان في يوم بني قريظة وبكاء ابن معاذ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد
ابن معاذ وبذكر حركته فيهم :

لقد سَجَمْتُ من دَمْعِ عَيْنِي عِبْرَةً	وَحَقَّ لَعْنَتِي أَنْ قُضِيَ هَلِي سَعْدٌ
فَقَتِيلَ ثَوْبِي فِي مَعْرِكٍ فُجِعْتُ بِهِ	عُيُونٌ ذَوَارِي اللَّدْمِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ	مَعَ الشُّهَدَاءِ وَقَدْ هَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِنْ نَكَ قَدْ وَدَعْتُنَا وَتَرَكْتُنَا	وَأَمْسَيْتُ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ الْأَحَدِ
فَأَنْتَ الَّذِي يَأْسُدُ أَبْتُ بِمَشْهَدِ	كَرِيمٍ وَأَتُوبُ الْكَارِمِ وَأُحْدَدِ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي	فَقَصَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَصَّيْتُ عَلَى عَمْدِ
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمَكَ فِيهِمْ	وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى	شَرُّوا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَائِهَا الْخُلْدِ
فَنُفِضَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا	إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكي سعد بن معاذ ، ورجالا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، وبذكرهم بما كان فيهم من الخير :
أَلَا يَا تَقْوَى هَلْ لِيَا حُمَّ دَافِعٌ وَهَلْ مَاتَصَى مِنْ صَالِحِ الْعِيشِ رَاجِعٌ

تذگرت عَصْرًا فَمَضَى فَمَهَافَتْ بناتُ الحَشَى وانهلَ منى القدامع
 صَبَابَةٌ وَجَدَ ذَكَرْتَنِي أَحِبَّةً وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعٌ
 وَسَعْدًا فَاضْعُوا فِي الْجِنَانِ وَأَوْحَشَتْ مَنَازِلَهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعِ
 وَقُوا يَوْمَ بَذَرِ الرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ ظِلَالُ التَّنَائِبِ وَالشُّيُوفِ اللُّوَامِعِ
 دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكَلَّمَهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعٌ
 فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَاعَةً وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ
 لَأَنَّهُمْ يَرْجُونَ مِنْهُ شِفَاعَةً إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعُ
 فَذَلِكَ يَأْخِذُ الْعِبَادَ بِلَاؤُنَا إِبَاجُنَا اللَّهُ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ
 لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا لِأَوَّلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
 وَنَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ اللَّهُ وَخَدَهُ وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعُ

شعر آخر لحسان في يوم بني قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة :

لَقَدْ لَقِيتَ قُرَيْظَةً مَاسَاها وَمَا وَجَدْتُ لِذَلِكَ مِنْ نَصِيرِ
 أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
 غَدَاةَ أَتَانُمْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الدَّانِيرِ
 لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَمَادَى بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ
 تَرْكُزَاهُمْ وَمَا ظَفَرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْقَدِيرِ
 فَمَنْ مَرَّ عَى تَحْمُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ

فَأَنْذِرْ مِنْهَا نُصْحًا قُرَيْشًا مِنْ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ تَنْذِيرِي

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ :

أَقْدَ أَقِيَّتْ قُرَيْظَةُ مَاسَاهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذَلَّ ذَايِلُ
وَسَعْدُ كَانَ أُنْدَرَهُمْ يُنْصَحُ بَأَنَّ إِلَهُكُمْ رَبَّ جَلِيلِ
فَمَا بَرَحُوا يَنْقُضِ الْعَهْدَ حَتَّى قَلَّامٌ فِي بِلَادِهِمُ الرَّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنْهَا صُفُوفٌ لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتَهُمْ صَلِيلُ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا فِي يَوْمِ بَنِي قُرَيْظَةَ :

تَفَاقَدَ مَشَرُّهُ نَصْرُوا قُرَيْشًا وَإِلَيْسَ لَهُمْ يَبْلَدُهُمْ نَصِيرُ
مُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ غَنَى مِنَ التَّوْرَةِ بُورُ
كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَنْتُمْ بِتَصْدُقِ الَّذِي قَالَ التَّنْذِيرُ
فَهَانَتْ عَلَى سَرَاتِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيقٌ بِالْبُورَةِ مُسْتَظِيرُ

شَمْرُ أَبِي سَفِيَّانٍ فِي الرَّدِّ عَلَى حَسَّانَ

فَأَجَابَهُ أَبُو سَفِيَّانُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ ، قَالَ :

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعٍ وَحَرَقَ فِي طَرَاتِقِهَا السَّعِيرُ
سَقَطْلُمُ أَثْنَا مِنْهَا بَنَزَهُ وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ
فَلَوْ كَانَ التَّخِيلُ بِهَا رِكَابًا لَقَالُوا لَا مَقَامَ لَكُمْ فَصِيرُوا

شعر ابن جوال في الرد على حسان

وأجابه جَبَل بن جَوَال التَّمَلِي أَيْضاً ، وبكى النَّضِير وقُرَيْظَةَ ، قَالَ :

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ لَمَّا لَقِيتَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرُ
لَعَمْرِكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ غَدَاةً تَحْمَلُوا لَهُوَ الصُّبُورُ
فَإِنَّمَا أَخْزَجَ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لَقِيتُكَ لَا تَسِيرُ
وَبَدَلَتِ الْمَوَالِي مِنْ حُضِيرٍ أَسْنِدًا وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ وَسَعْيَةٍ وَابْنُ أَخْطَبٍ فَهِيَ بُورُ
وَقَدْ كَانُوا بَيْتَهُمْ ثَقَالًا كَمَا تَمُوتُ بِمَيْطَانِ الصُّخُورِ
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٌ فَلَا رَثَ السَّلَاحِ وَلَا دَنُورُ
وَكُلَّ الْكَاهِنِينَ وَكَانَ فِيهِمْ مَعَ الْإِئْمَنِ الْخَضَارِمَةُ الصُّفُورُ
وَوَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ كَبَتُوا عَلَيْهِ بِمَجْدٍ لَا تَغِيْبُهُ الْبُدُورُ
أَقْبِمُوا يَاسِرَةَ الْأَوْسِ فِيهَا كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْرَاجِ عُورُ
تَرَكَتُمْ قِذْرَكُمْ لِأَنْبِيَاءٍ فِيهَا وَقَدَّرَ الْقَوْمُ حَامِيَةً تَفُورُ

مقتل سلام بن أبي الحقيق

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : وأما انقضى شأن الخندق ، وأمر بني قُرَيْظَةَ ، وكان
سَلَامُ بن أبي الْحَقِيقِ ، وهو أبو رافع فِيمِنْ حَزْبِ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف ،
فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ،
فأذن لهم .

التنافس بين الأوس والخزرج فى عمل الخير

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد
ابن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن
هذين الحيين من الأنصار والأوس ، والخزرج ، كانا يتصاؤلان مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم تصاؤل المَحْلين ، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم غنائاً إلا قالت الخزرج : والله لا نذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقموا مثلها ؛ وإذا
فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت الخزرجُ : والله لا نذهبون بها فضلاً علينا أبداً ؛ قال :
فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟
فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى قتله ، فأذن لهم .

قصة الذين أخرجوا لقتل ابن أبي الحقيق

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ،
ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الخارث بن ربيعة ،
وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمر عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهام عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ،
فخرجوا حتى إذا قدموا خير ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلًا ، فلم يدعوا
بيتاً في النار إلا أغلقوه على أهله . قال : وكان في علية له إليها عجلة قال :
فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ،
فقلت : من أنتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتهم الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ،
فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجر ، تخوفاً
أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوّهت
بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيفنا ، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل
إلا بياضه كأنه قنطرة ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا
يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسكت يده ،
ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيفنا تحامل عليه عبد الله
ابن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنقذه ، وهو يقول : قطني قطني : أي
حسبي حسبي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيئ البصر ،
قل : فوقع من الدرجة فوثبت يده وثناً شديداً - ويقال : رجله ، فيما قال
ابن هشام - وحملناه حتى نأى به منهراً من عيونهم ، فدخل فيه . قال :

فَأَوْقَدُوا النَّيِّرَانَ ، وَاشْتَدَّوْا فِي كُلِّ وَجْهٍ يَطْلُبُونَنَا ، قَالَ : حَتَّى إِذَا بَسُّوْا رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَاسْتَنْفَوْهُ وَهُوَ يَقْفِى بَيْنَهُمْ . قَالَ : قَتَلْنَا : كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا : أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ . قَالَ : فَوَجَدْتُ أَسْرَأَتَهُ وَرِجَالَ يَهُودٍ حَوْلَهُ وَفِي يَدَيْهَا الْمِصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ، وَتَحَدِّثُهُمْ وَتَقُولُ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكَ ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ : أَنَّى ابْنُ عَتِيكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ : فَارْأَوْا إِلَهَ يَهُودٍ ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدًا إِلَى نَفْسِي مِنْهَا . قَالَ : ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبَرُ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا فَقَدَمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَاخْتَلَفْنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ ، كُلُّنَا يَدَّعِيهِ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ ، قَالَ : فَجُمْنَاهُ بَهَا ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا ، فَقَالَ لَسَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسَ : هَذَا قَتْلُهُ ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الصَّامِ .

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف ، وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لِللَّهِ دَرٌّ عَصَابِيَّةٌ لَا قِيَمَهُمْ	يَا بْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِيفَ إِلَيْنَا	مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفٍ
حَتَّى أَنْزَلْنَاكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ	فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ دُفٍّ
مُسْتَبْعِرِينَ لِنَقْرَ دِينَ تَبِيَّهِمْ	مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ

قال ابن هشام : قوله : « دُفٍّ » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جئت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما رآون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فلما أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعو لنا ما نهديه لله ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل ، ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت

.

ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فوجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إلى من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا ؛ قال : ثم قرّبتني إليه ، فأعجبته واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطينيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : ففضب ، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تسكره هذا ما سألتك به ؛ قال : أنساني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ليقتله ! قال : قالت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعني وأتبعه ، فإنه والله على الحق ، وليظننّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ؛ قال : قلت : أمتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته : على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سُلَيْمَان ؟ قال : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ، فحتى

متى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأسلم . قال : فقد منّا للدينّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلامَ يَحِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحِبُّ ما كان قبلها ، قل : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلامَ يَحِبُّ ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحِبُّ ما كان قبلها .

إسلام ابن طلحة

قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

شعر ابن الزبيري في إسلام ابن طلحة وخالد

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبيري السّهي :
أَنشَدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حَلَفْنَا وَمُنَى نِمَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ خَلْفَةٍ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلِّ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبَتَّنِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ تَجْدِ بَيْتِ مُؤَثَّلِ
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِاللَّهِيمِ الْمُعْضَلِ
وكان فتح بن قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بني لحیان

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح قريظة . إلى بني لحیان يطلب بأصحاب الرّجيع : خبيب بن عديّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غيرة .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فملك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على محيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيّرات الأيام ، ثم استقام به الطريق على الحجة من طريق مكة ، فأغذ للسير سريعاً ، حتى نزل على غرّان ، وهي منازل بني لحیان ، وغرّان وادي بين آملج وعُصفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رموس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عُصفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج بنو أميّة راكب من أصحابه حتى نزل عُصفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغنا كراع القميم ، ثم كرّ وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول :
حين وجه راجعاً : آيئون ناثبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من
وعناء السفر ، وكآبة المقلب ، وسوء المنظر في الأهل وللال .

والحديث في غزوة بني إحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن
أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة
بني إحيان .

لو أن بني إحيان كانوا تناظرُوا لقوا عصباً في دارهم ذات مصدق
تقواسر عانا يملأ السرب روعه أمام طحون كالمجرقة فيسقى
واسكتهم كانوا وبارأ تنبعت شعاب حجاز غير ذى متعق

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شعر ضرار بن الخطاب :

على الأبطال واليأس الحصينا .

اليأس : الترس ، وقيل : الدرع ، وقيل : بيضات ودروع^(١) كانت
تؤخذ من جلود الإبل ، ويشهد لهذا قول حبيب :

(١) ترسة جمع ترس وكل ما سبق من أدوات الحرب من أول الترس .

هذه الأَسِنَّةُ وَالْمَازِيَّةُ^(١) قد كَثُرَا فلا الصَّيَاحِي لَهَا قَدْرٌ وَلَا الْيَلْبُ

أى لا حَاجَةَ بَعْدَ وُجُودِ الدُّرُوعِ الْمَازِيَّةِ إِلَى الْيَلْبِ ، وبعْدَ الْأَسِنَّةِ إِلَى الصَّيَاحِي ، وَهِيَ الْقُرُونُ ، وَكَانَتْ أَسَنَّتُهُمْ مِنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٢) . قَالَ الشَّاعِرُ :

يَهْزُهُ زُ صَفْدَةٌ جَرْدَاءُ فِيهَا نَقِيعُ النَّسَمِ أَوْ قَرْنٌ مَحِيقُ

شعر كعب :

وَذَكَرَ فِي شِعْرِ كَعْبٍ :

فَكُنْتُمْ نَحْمَتَا مُتَكَمِّمَيْنَا

مُتَكَمِّمَيْنِ مِنَ السَّكَمِ وَهُوَ الْعَمَى ، وَالْأَخْطَرُ فِي الْأَكْثَرِ أَنَّهُ الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ الَّذِي لَا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ شَيْئًا ، ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ .

مِنْ شِعْرِ صَاهِ مَوْلَى أَسْمَاءَ اللَّهِ :

وَفِيهِ قَوْلُهُ :

وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ

فِيهِ شَاهِدَانِ زَعَمَ أَنَّ السَّيِّدَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَقَدْ كَرِهَ أَكْثَرُ

(١) السَّالِحُ كُلُّهُ مِنَ الْحَدِيدِ .

(٢) فِي الْإِسْلَامِ : وَرَبَّمَا كَانَتْ تَرْكَبُ فِي الرِّمَاحِ مَكَانَ الْأَسِنَّةِ .

العلماء أن يقال في الدعاء : يَا سَيِّدِي ، وأجازه بعضهم ، واحتج بحديث ليس
إسناده بالقوي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له رجل : يَا سَيِّد ، فقال :
السَّيِّدُ الله .

وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الأسماء التى يراد بها المدح والتعظيم
فقد كره الله به جائزاً ما لم يردّ نهى عنه ، أو يُجمِعُ الأُمَّةُ على ترك الدعاء به ،
كما أجمعوا ألا يستُنى بفقير ، ولا عاقل ولا سخي ، وإن كان فى ذلك مدح .

قال المؤلف : والذى أقول فى السيد : إنه اسمٌ يُقتَبَرُ بالإضافة ، لأنه فى أصل
الوضع بعضٌ ما أضيف إليه . تقول : فلان سَيِّدٌ قيسٍ ، إذا كان واحداً منهم ،
ولا يقال : فى قيسٍ هو سَيِّدٌ تميمٍ ، لأنه ليس واحداً منهم ، فكذلك لا يقال
فى الله تعالى هو سَيِّدُ الناس ، ولا سَيِّدُ الملائكة ، وإنما يقال : رَبُّهم فإذا
قلت : سَيِّدُ الأرباب ، وسَيِّدُ الكرماء ، جاز ، لأن معناه أكرمُ الكرماء ،
وأعظم الأرباب ، ثم يُشْتَقُّ له من اسم الربِّ فيوصفُ بالربوبية ولا يوصفُ
بالشؤدد ، لأنه ليس باسم له على الإطلاق ، وقد جاء فى شعرِ حسان الذى
يرثى به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا ذا الجلالِ وذا العلا والشؤددِ

يصف الرب ، ولكن لا تقوم الحجة فى إطلاق هذه الأسماء إلا أن يستمعها
الرسول عليه السلام فلا يُفَكِّرُها ، كما سمع شعر كعب ، فلم يُفَكِّرْه ، وإنما

يوصف على الوجه الذى قدمناه ، وعلى المعنى الذى بيناه (١) .

من شعر كعب :

وفول كعب :

بَيْضَاءُ مُشْرِقَةِ الذَّرَى وَمَعَاطِنَا

(١) هذا كلام له وزنه العظيم . ومن أبدع وأجاد فى هذا الإمام ابن القيم فى بدائع الفوائد ما قرأ ما كتبه فى ص ١٦٤ - ١ بدائع الفوائد . وما قاله : اختلاف النظر فى الأسماء التى تطلق على الله وعلى العباد . كالحنى والسميع والبصير والعليم والقدير والملك ونحوها ، فقالت طائفة من المتكلمين : هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب . وهذا قول غلاة الجهمية وهو أخبث الأقوال ، وأشدّها فسادا .
والثانى مقابله : وهو أنها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد ، وهو قول أبى العباس الناشى .

والثالث : أنها حقيقة فيهما ، وهذا قول أهل السنة وهو الصواب ، واختلاف الحقيقة فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما ، والرب تعالى منها ما يليق بهجلاه ، والعبد منها ما يليق به ، ص ١٦٤ . ثم يقول : وله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمل وأتم معنى وأبعده وأزهره عن شائبة عيب أو نقص ، فله من صفة الإدراكات : العليم الخبير دون العاقل الفقيه ، والسميع والبصير دون السامع والباصر والناظر ، ومن صفات الإحسان : البر الرحيم الودود دون الرفيق والشفوق ونحوهما ، وكذلك العلى العظيم دون الرفيع الشريف ، وكذلك الكريم دون السخى . والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل . والغفور العفو دون الصفوح السائر . وكذلك سائر أسمائه تعالى يجرى على نفسه منها أكملها وأحسنها ، وما لا يقوم غيره مقامه . فتأمل ذلك . فأسأله أحسن الأسماء . كما أن صفاته أكمل الصفات . فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره . كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به البطلون والمعتلون ، أنظر صفحتى ١٦٤ ، ١٦٨ من المصير المذكور .

(م ٢٤ - الروض الأثف ج ٦)

يعنى : الآطام ، وقوله : مَعَاظِنَا يعنى : مَنَابِتَ اللَّتَمَخْلِ عند الماء شَبَّهَهَا بِمَعَاظِنِ الْإِبِلِ ، وهى مَبَارِكُهَا عند الماء .

وقوله : حُمَّ الْجُذُوعِ ، وَصَفَهَا بِالْحُمَةِ ، وهى السَّوَادُ ، لِأَنَّهَا تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ ، من التَّلَفُّزَةِ وَالتَّنْفِيسَةِ ، وَشَبَّهَ مَا يُجْتَمَعُ مِنْهَا بِالْحَلَبِ : فَقَالَ : غَزِيرَةُ الْأَحْلَابِ .

وقوله : كَاللُّوبِ ، اللُّوبُ : جَمْعُ لُوبَةٍ ، وَاللَّابُ جَمْعُ لَابَةٍ وهى الْحَرَّةُ ، يَقَالُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا مِثْلُ فَلَانٍ ، وَلَا يَقَالُ ذَلِكَ فِي كُلِّ بَلَدٍ ، فَقَدْ قَالَ شَيْبٌ بْنُ شَيْبَةَ لِرَجُلٍ نَسَبَهُ إِلَى التَّصْحِيفِ فِي حَدِيثِ السُّنَنِ : إِنَّهُ يَطْلُؤُ نَجَبًا عَلَى بَابِ الْحِنَةِ ، فَقَالَ لَهُ : شَيْبٌ : بِالضَّاءِ مَنْهَوِطَةٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَخْطَأْتُ ، إِنَّمَا هُوَ بِالطَّاءِ . قَالَ الرَّاجِزُ :

إِنِ إِذَا^(١) اسْتَنْشَدْتَ لَا أُحْبِطُنِي وَلَا أُحِبُّ كَثْرَةَ التَّمَطُّيِ

فَقَالَ لَهُ شَيْبٌ : أَتَدَحِّنُنِي وَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَفْصَحُ مِنِّي ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : وَهَذِهِ لَحْنَةٌ أُخْرَى ، أَوْ لِلْبَصْرَةِ لَا بَتَانِ ! إِنَّمَا اللَّابَتَانِ لِلدِّينَةِ وَالْكُوفَةِ .

(١) فى اللسان غير منسوب : أنشدت ومحبطنى . بالهمز وتركه : المتعذب المستبطى . الشئ . وقيل : هو الممتنع امتناع طلبه لا امتناع إباء . والنهاية لابن الأثير . وفى اللسان أن الحررة أعظم من اللوبة . ويرى سيبويه أن اللوب جمع لابة مثل قارة وقور . ومثلها سلاح وسوح .

وقوله : يُبَذَّنُ بِجَهْمٍ وَحَفِيلُهُ ، أى : الكثير منها ، والْمُنتَابُ : الزائر مُفْتَعِلٌ
من نَابَ يَنْوُبُ إذا أَلَمَ .

وقوله : وَنَزَائِعًا مِثْلَ السَّرَاجِ ، يعنى : الخليل العربية ، التى نَزِعَتْ
من الأعداء .

وقوله : مِثْلَ السَّرَاجِ بِالْجِيمِ ، كذا وقع فى الأصل ، أى كل واحد منها
كالسراج ، ووقع فى الحاشية بالحاء ، وفسره فقال : جمع سَرَحَان ، وهو
الدُّنْبُ ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدين من الاسم وهى الألف
والنون ، ولو جمعه على لفظه ، لقال : سَرَاحِين .

وقوله : وَجِزَّةُ الْمُقْضَابِ الْمُقْضَابُ : مَزْرَعَةٌ ، وَجِزَّتُهَا مَا يُحْزَرُ مِنْهَا لِاخْتِلَافِ
وقوله عرى الشوى منها ، يعنى القوائم . والنَّخْضُ : اللحم . والآراب : المفاصل ،
واحدهما إِرْبٌ ، وفى الحديث أَمِرْتُ أَنْ أُسْجَدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ .

وقوله : قوداً ، أى طوال الأعناق ، والضراء : الكلاب الضارية ، وفى
الحديث : إِنْ قَنَسَا ضِرَاءَ اللَّهِ فى الأرض ، أى أَسَدَهُ الضَّارِيَةَ . والكلاب :
جمع كالب ، وهو صاحب الكلاب ، الذى يصيدها .

وقوله : عُبْسُ اللِّقَاءِ : جمع عبوس .

وقوله : دُخَسَ البَضِيعُ . البَضِيعُ : اللَّحْمُ المستطيل ، والدُّخِيسُ من اللحم :
الكثير .

وقوله : خفيفة الأثصاب ، يعنى : تجتمع قُصَبٌ وهو المِصْبُ

الجزَّار قَصَابًا ، وقوله يَبْدُونَ بِالزَّغْفِ ، أى : بالدروع .

وقوله : شَكَّهُ : حَلَقَهُ وَنَسَجَهُ ، وقوله :

وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِبَابٍ

الْمُتْرَصَاتُ : الْمُحْكَمَةُ ، بمعنى الرماح الْمُتَقَفَّةُ .

وقوله : تَرَعَ الصَّيْقِلُ عَلَيْهَا ، أى : جُسَّاتُهَا وَخُشُونَةُ دَرِئِهَا ، يقال

عَلِبَ اللَّحْمُ إِذَا لَمْ يَكُن رَخِيصًا ، وَعَلِبَ^(١) التَّيْبَاتُ إِذَا جَسَأَ .

وقوله : بَمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ . الْمَارِنُ : اللَّابِنُ ، وَوَقِيعَتُهُ : صَقْلُهُ ، وَخَبَابُ :

لِاسْمِ صَيْقَلٍ .

وقوله : وَأَغْرَأَ أَرْزَقَ ، بمعنى الرمح ، وَطُخْيَةُ الظَّلَاءِ ، أى : شِدَّتُهَا ،

وَطُخَاءُ الْقَلْبِ : ظُلُمَتُهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّهْرِ جَلٍ : إِنَّهُ يَذْهَبُ

يَطْخَاءُ الْقَلْبِ .

وقول كعب :

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَهًا

كَانَ هَذَا الْاسْمُ مِمَّا سُمِّيَتْ بِهِ قُرَيْشٌ قَدِيمًا ، ذَكَرُوا أَنَّ قَصِيًّا كَانَ إِذَا

(١) هى فى نسخ أخرى بالذین وقد فسرهما أبو ذر بقوله : عليها : خشونتها
وما علا عليها من الصدأ . وليس فى اللسان ما قال . وإنما فيه مادة علب
ومعناها كما قال السبيل .

ذُبِحَتْ ذَبِيحَةً أَوْ نُحِرَتْ نَحِيرَةً بِمَكَّةَ أُنِي بِعَجْزِهَا ، فَصَنَعَ مِنْهُ خَزِيرَةً ، وَهُوَ
لَحْمٌ يُطْبَخُ بِبُرَّةٍ فَيُطْعَمُهُ النَّاسُ ، فَسَمِيَتْ قُرَيْشٌ بِهَا سَخِينَةً . وَقِيلَ : إِنْ الْعَرَبُ
كَانُوا إِذَا أَسْنَدُوا أَاكَلُوا الْعَمَازِ ، وَهُوَ الْوَبَرُ وَالْدَّمُ ، وَتَاكَلُ قُرَيْشٌ
الْخَزِيرَةَ وَالْفُحَّةَ ^(١) فَفَنَسَتْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَلَهُ يَوْمٌ : سَخِينَةٌ ، وَلَمْ تَكُنْ قُرَيْشُ
تَكْرَهُ هَذَا اللَّقَبَ ، وَلَوْ كَرِهَتْهُ مَا اسْتَجَازَ كَعْبٌ أَنْ يَذْكُرَهُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْهُمْ ، وَاتْرَكَهُ أَدَبًا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ كَانَ
قُرَيْشِيًّا ، وَاقْتَدَا عَنْهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْثُوانٍ مَا قَالَهُ الْهُوَالِيُّ فِي قُرَيْشٍ :

بِأَشَدِّ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا لَآئِلُ وَالْحَرَمُ ^(٢)

فَقَالَ : مَا زَادَ هَذَا عَلَى أَنْ اسْتَنْتَنِي ، وَلَمْ يَكْرَهُ سَمَاعَ التَّلَقُّبِ بِسَخِينَةٍ ،
فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ لَمْ يَكُنْ مَكْرُوهًا عَنْدهُمْ ، وَلَا كَانَ فِيهِ تَقْيِيدٌ لَهُمْ
بِشَيْءٍ يَكْرَهُ .

شعر يفرس كعب :

وَفِي شَعْرِ كَعْبٍ أَيْضًا : مَنْ مَرَّ بِهِ خَرِبَ بِمَعْنَى الْعَمَمَةِ : صَوْتُ
النَّارِ فِيهَا عَظِيمٌ وَكَثُفٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْقَضَبَاءِ وَنَحْوِهَا ، وَالْكَافُاجِيَّةُ صَوْتُهَا

(١) الفنة : السكتة من التمر .

(٢) قاله خدّاش بن زهير العامري بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن عامر بن صهصعة العامري ، شهد حنينًا مع المشركين ، وله في ذلك شعر منه
هذا البيت ، الإصابة رقم ٢٣٢٣ ، وقيل : قالها في حرب الفجار كما في الأغانى
أنظر ص ١٨ و ١٩ و ٢٠ البيان والتبيين الجاحظ .

فَمَا دَقَّ كَالسَّرَاجِ وَنَحْوَهُ ، وَالْقَطْمَطَةُ : صَوْتُ الْغَلِيَانِ ، وَكَذَلِكَ الْفَرَّغَةُ
وَالْجُمُجَّةُ صَوْتُ الرِّيحِ ، وَالذَّرْدَبَةُ صَوْتُ الطَّبْلِ .

وقوله : الْآبَاءُ ، هُوَ الْقَصَبُ وَاحِدَتَهَا أَبَاءَةٌ ، وَالْهَمْزَةُ الْآخِرَةُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ
يَاءٍ ، قَالَ ابْنُ جَنَى ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْآيَاتِ ، كَأَنَّ الْقَصَبَ يَأْبَى عَلَى مَنْ أَرَادَهُ بِمَضْغٍ
أَوْ نَحْوِهِ ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَ ابْنُ جَنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ [بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ] :
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءَةُ^(١)

وقوله : فُلَيَاتٌ مَأْسَدَةٌ ، هِيَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْأَسَدَ ، وَكَذَلِكَ الْمَسْبَعَةُ
الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ السَّبَاعِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْسَدَةٌ جَمْعُ أَسَدٍ كَمَا قَالُوا مَشِيخَةٌ
وَمَعْلَجَةٌ ، حَكَى سَيَبَوِيهٌ مَشِيخَةً وَمَشْيُوحَاءَ ، وَمَعْلَجَةً وَمَعْلُوجَاءَ ، وَأَلْفَيْتُ أَيْضًا
فِي النَّبَاتِ مَسْلُومَاءَ^(٢) لَجَمَاعَةِ السَّلَمِ وَمَشْيُوحَاءَ^(٣) لِلشَّيْحِ بِالْحَاءِ ، الْمَهْمَلَةِ ، الْكَثِيرِ .

(١) الْبَيْتُ لِبَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ ، وَقَدْ زِدْتَ الْأِسْمَ فِي الْأَصْلِ مِنَ الْلِسَانِ
وَالْأَمَالِ وَسَمَطُ اللَّالِ . وَقَبْلُ الْبَيْتِ :

خِيَا عَجِبًا عَجِبَتْ لَالٌ لَامٌ قَلِيلٌ لَمْ إِذَا عَقَدُوا وَفَاءً
سَاقِذٌ نَحْوَمٌ بِمَشْنَعَاتٍ لَهَا مِنْ بَعْدِ هَلِكُمْ بَقَاءُ
فَانِكُمْ وَمَدْحُكُمْ بِجَهْرٍ أَبَا لُجَا كَمَا امْتَدَحَ الْآلَاءُ
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

وَالْآلَاءُ شَجَرٌ حَسَنُ الْمَنْظَرِ مِنَ الْمَطْعَمِ . انْظُرْ ص ٣٢ - ٢ الْأَمَالِ ط ٢ ،
ص ٦٦٥ سَمَطُ اللَّالِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ مَسْلُومَاءُ . وَفِي الْلِسَانِ : أَرْضٌ مَسْلُومَاءُ كَثِيرَةُ السَّلَمِ .
(٣) فِي الْلِسَانِ : الْمَشْيُوحَاءُ : الْأَرْضُ الَّتِي تَنْبِتُ الشَّيْحَ يَقْصُرُ وَيَمْدُ ، وَقَالَ
لُأَيُّو حَنِيفَةً : إِذَا كَثُرَ نَبَاتُهُ بِمَكَانٍ قِيلَ : هَذِهِ مَشْيُوحَاءُ .

وقوله تُسَنُّ سِيُوقُهَا ، بنصب الفاء ، وهو الأصح عند القاضي أبي الوليد ،
ودفع في الأصل عند أبي بحر : تُسَنُّ سِيُوقُهَا بالرفع ، ومعنى الرواية الأولى :
تُسَنُّ أَيْ : تَعْقِلُ ، ومعنى الرواية الثانية أَيْ : تُسَنُّ لِلأبطال ، ولن بعدها من
من الرجال سَنَّةَ الجُرْأَةِ والأَقْدَامِ .

وقوله في وصف الدَّرْعِ :

جَدَلَاءُ يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ

جَدَلَاءُ من الجدال وهو قُوَّةُ الْفِتْلِ ، ومنه الأجدل الضَّعِيفُ ، وفي هذه
البيت دليل على قُوَّةِ اشتعاع الصَّرفِ في أجدال ، وأنه من باب أَفْعَلَ الذي
مؤنثه قَدَلَاءُ ، وَمَنْ هَرَفَهُ شَبَّهَ بِأَرْنَبٍ وَأَفْكَلٍ ، وهو أضعف الوجهين ،
وإن كانوا قد قالوا في جمعه : أجادل مثل أَرَانِبٍ فقد قالوا أيضاً الأجارع
والأباطح في جمع أَجْرَعٍ وَأَبْطَحَ ، ولكنهم لا يَصْرِفُونَهَا من حيث قالوا
في المراث بَطَحَاءَ وَجَرَعَاءَ ، وكذلك القول في أَبْرَقَ وَبَرَقَاءَ .

وقوله : يَحْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ ، كقول [أبي قيس] ابن الأَسَلَتِ في وصف
الدَّرْعِ :

أَحْفِزُهَا عَنِّي بَذَى رَوْنَقٍ أبيض مثل اللَّيْلِ قَطَاغٍ
وذلك أن الدَّرْعَ إِذَا طَالَتْ فَضُولُهَا حَفَزُوهَا ، أَيْ شَمَرُوهَا قَرَبُطُوهَا
بِنِجَادِ السَّيْفِ .

وقوله : تَلَسَّكُمُ مع التقوى تكون لباسنا

من أجود الكلام : وأملح الالتفاتات ، لأنه قول انتزعه من قول الله

تعالى : ﴿ وَلِيَأْسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ الأعراف : ٣٦ . وقال الشاعر :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَىٰ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطًا لِلْقَوْمِ عُرْبَانًا

وموضع الإجابة والإحسان من قول كعب أنه جعل لباس الذِّئْبِ نَبْعًا لِلْبَاسِ التَّقْوَىٰ ، لأن حرف مَعَ تعطى في الكلام أن ما بعده هو الْمُتَّبِعُ ، وليس بتابع ، وقد احتج الصَّدِيقُ على الأنصار بِوَمِ الْبَيْفَةِ بأن قال لهم أنتم الذين آمنوا ، ونحن الصادقون ، وإنما أمركم الله أن تكونوا مما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ التوبة : ١١٩ . والصادقون هم المهاجرون . قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحشر : ٨ .

مكم بد وما بعدها :

وقوله بَلَّةُ الْأَكْفُ ، بخفض الْأَكْفُ هو الوجه ، وقد رُوِيَ بالنصب ، لأنه مفعول ، أى : دَعِ الْأَكْفُ ، فهذا كما تقول : رُوَيْدُ زَيْدٍ ، ورُوَيْدُ زَيْدٍ . بلاتنوين مع النصب ، وبَلَّةُ كلمة بمعنى دَعِ ، وهى من المصادر المضافة إلى ما بعدها . وهى عندى من لفظ البله والتباله ، وهو من الغفلة ، لأن من غفل عن الشيء تركه ، ولم يَسْأَلْ عنه ، وكذلك قوله : بَلَّةُ الْأَكْفُ ، أى لا تَسْأَلْ عن الْأَكْفِ إذا كانت الجاهل ضاحية مُعْطَمَةً ، وفي الحديث : يقول الله تعالى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، بَلَّهَ مَا أَطْلَعَتْهُمْ عَلَيْهِ . وقوله : بِمَقْعَةٍ مَلْعُومَةٍ ، أى : كَتِيبَةٍ مَجْمُوعَةٍ . وقوله : كَفَعْدِ رَأْسِ

المَشْرِق ، الصحيح فيه : مارواه ابن هشام عن أبي زيد : كرأس قُدْسٍ .
للمَشْرِق ، لأن قُدْسَ جَبَلٍ معروفٌ من ناحية المشرق .

وقوله :

عند الهياج أسود طللٌ مُلْتَقٍ

الطللُ معروف ، والالتقُّ ما يكون عن الطلِّ من زَقْيٍ وطِينٍ ، والأَسْدُ
أَنْجُوعٌ مانسكون وأجراً في ذلك الحين .

قصيدة كعب العبينة :

وقوله في العَيْدِيَّةِ :

أضاميمُ من قيسِ بن عَيْلَانَ أضْمَقَتْ

واحد الأضاميم : إضَامَةٌ ، وهو كلُّ شيءٍ مجتمعٌ يُقَالُ : إضَامَةٌ من الناسِ .
وإضَامَةٌ من كُتُبٍ .

قيس عيلان وقيس كبة :

وقوله : من قيسِ بن عَيْلَانَ ، هو المشهور عند أهل النصب ، وبعضهم
يقول : إن قَيْساً هو عَيْلَانُ لا ابنته ، قال : وعُرفَ قَيْسُ بنُ عَيْلَانَ
بفَرَسٍ ، كان له يسمي : عَيْلَانَا ، كما عُرفَ قَيْسُ كُبَّةً من بَيْمِلَةَ بفَرَسٍ اسمه :
كُبَّةً ، وكان هو وقيسُ عَيْلَانَ مُتَجَاوِرَيْنِ ، فكان إذا ذكر أحدهما
وقيل أي القيسيين هو ، قيل قيس عيلان أو قيس كُبَّةً ، وقيل : إن عَيْلَانَ

اسم كلب، كان له، وقيل: عيلان اسم جبل ولده عنده، وقيل اسم غلام
لمضر كان حصنه، وقيل كان جواداً أنشأ ماله فأدركته عيلة فسمى
عيلان، وما يحتاج به للقول الآخر قول رؤبة:

وقيس عيلان ومن قيساً^(١)

شعر كلب في الحضر:

وقوله في الدالية: وما بين العريض إلى الصلابة العريض: موضع، والصلابة:
جمع صمد، وهو ما غلظ من الأرض.

وقوله: نواضح في الحروب. يعني: حدائق تخلي تسمى بالنضح، وأراد

(١) قال ابن بري: الرجز للعجاج، وليس لرؤبة، وصواب إنشائه:
وقيس بالنصب، لأن قبله: وإن دعوت من تميم أروساً. وجواب إن في
البيت الثالث: تقاعس العربنا فاقمنسا.

أقول: ولم أجد الرجز في ديوان رؤبة. ولم ينسبه ابن قتيبة إلى أحد في
أدب الكاتب. وقال عن صيغة تفعلت إنها تأتي بمعنى إدخالك نفسك في أمر حتى
تضاف إليه، أو تصير من أهله مثل تقيست. ومعناه: كما يقول الجواليقي في
شرح أدب الكاتب: تقيس: أهمل نفسه في القيسين، وانفسب إليهم. وقد
سبق الكلام عن قيس، واسمه النامي بن مضر، وكان الناس متلافاً، وكان إذا
نفد ما عنده أتى أخاه الياس، فيناصفه ماله أحياناً، ويواسيه أحياناً، فلما طال
ذلك عليه، وآتاه كما كان يأنيه، قال له الياس: غابت عليك العيلة، فأنت
عيلان، فسمى لذلك عيلان. ويقول الجواليقي: وليس في الأسماء عيلان يعين
غير معجمة غيره.

بأنلوصي آباراً ، وإنما جعل البئر خوفاً لأن العين الخوصاء هي الفائرة ،
وجمها خوفاً ، فعيون الماء في الآبار كذلك غائرة .

وأنشد أبو عبيد في وصف الإبل :

مَحْبَسَةٌ بَرْزَلًا كَانَ عِيُونُهَا عِيُونُ الرَّاكِبِ أَنْكَزَهَا الْمَوَاتِحُ ^(١)

وقوله : يَرْخَرُ الْمَرَارُ فِيهَا . المرارُ : اسم نهر .

وقوله :

كُنَ الْغَابَ وَالْبَرْدَى فِيهَا أَجَشُّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ

يريد : صوت حفيف الريح ، كصوت الأجش ، وهو الأبح ، وقد يوصف
الغابات أيضاً بالغنّة من أجل حفيف الريح فيه ، فيقال : رَوْضَةٌ غَنَاءٌ ، وقد
قيل إنما ذلك من أجل صوت الذباب الذي يكون فيه ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ ، أى : صارت فيه بُقَعٌ بَيضٌ مِنَ الْيَبَسِ ، يقال
للزَّرْعِ إِذَا صَارَ كَذَلِكَ : ارْقَاطٌ ، وَاسْحَامٌ وَاسْحَارٌ ^(٢) ، وَإِذَا أَخَذَ السَّبِيلُ الْخَبَّ
قِيلَ : الْحِمُّ وَأَسْقَى مِنَ السَّقَى ، وَأَشْعَى مِنَ الشَّعَاعِ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَكَسَرِهَا ، وَهُوَ
السَّقَى ، وَيُقَالُ أَسْبَلُ الزَّرْعُ مِنَ السَّبَلِ ، كَمَا يُقَالُ : يَبْعِرُ حَظْلٌ وَأَحْظَلُ الْمَكَانُ
مِنَ الْخَنْظَلِ ، وَهِيَ لَفَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَيَبْنُو تَمِيمٌ يَقُولُونَ : سَبَلٌ ، وَأَمَّا تَهْدَانُ

(١) سبق البيت ، وفي الأصل : أَنْكَرْتَهَا . والصواب ما أثبتته . ولروية :

على حميريات كان عيونها عيون الركايا أَنْكَزَتْهَا الْمَوَاتِحُ

(٢) اسحام واسحار ليستا في اللسان والقاموس .

فيسمون الثُّنْبُلَ سُبُولًا ، والواحدة سَبُولة ^(١) ققياس لمتهم أن يقال أَسْبَلٌ ،
وإنما فَخَرَتِ الْأَنْصَارُ في هذا الشعر والذي قبله بِنَحْلِهَا وَأَطَامِهَا ، إشارة إلى
عِزِّهَا وَمَنْعَتِهَا ، وأنها لم تُغْلَبْ على بلادها على قديم الدهر ، كما أُجْلِبَتْ أَكْثَرُ
الْأَعْرَابِ عَنْ تَحْلَاهَا ، وأَوْجِبَهَا الْخَوْفُ عَنْ مَوَاطِنِهَا ، وهذا المعنى أراد حسان
في قوله :

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْأَمْنُفِلِ
لأن إقامتهم حَوْلَ قُبُورِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى مَنَعَتِهِمْ ، وَالْأَمْنُفِلِ
مُغَالِبٌ لَهُمْ عَلَى مَا يُخَيِّرُوهُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ ، وَآثَرُوهُ عِنْدَ ارْتِيَادِهِمْ .
وقوله :

أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبِاطِ فِيهَا
السَّكَّةُ : النَّخْلُ الْمَضْطَفُ ، أَيْ حَرَثْنَاهَا وَغَرَسْنَاهَا ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَنْبِاطُ
فِي أَمْصَارِهَا لِاتِّخَافِ عَلَيْهَا كَيْدِ كَانِدٍ ، وَإِيَّاهَا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِقَوْلِهِ : خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ . وَالسَّكَّةُ أَيْضًا : السَّنَةُ ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي
يَسْقُطُ بِهَا الْفَدَانُ ^(٢) الْأَرْضُ ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا : الْمَانُ ، وَهُوَ تَفْسِيرُ الْأَصْمَعِيِّ ،
وَفَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ ، وَأَنَّهَا النَّخْلُ ، وَيُقَالُ أَيْضًا أُبَيْشَتْ الْأَرْضُ
فِي مَعْنَى أُثِيرَتْ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ ، وَبُرُوِي فِي الْحِمَاةِ :

(١) أنظر مادة سبل في اللسان ففيها تفصيل .
(٢) الفدان : الثور أو الثوران بقرن لا حرت بينهما ، ولا يقال للواحد
فدان ، أو هو الثورين .

هَلَمْ إِلَيْهَا قَدْ أُبَيِّنْتُ زُرُوعَهَا

نَمَى أُثْبِرَتْ وَفِي الْغَرِيبِ الْمُصَنَّف :

وَحَقُّ بَنِي شِفَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لِصَخْرٍ النَّيُّ مَاذَا تَسْتَبِيثُ^(١)
وَعَطَّ أَبُو عُبَيْدٍ [الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ] لَجَلٍ تَسْتَبِيثُ مِنْ نَبِيئَةٍ^(٢)
الْبَيْتِ ، وَهُوَ تَرَابُهَا ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقَالَ تَسْتَبِيثُ بَنُونَ قَبْلَ الْبَاءِ .

وَقَوْلُهُ : جَلَمَاتٍ وَادٍ

الْجَلَمَاتُ مِنَ الْوَادِي مَا كَشَفَتْ عَنْهُ الشُّيُولُ الشَّعْرَاءُ فَأَبْرَزَتْهُ ، وَهُوَ مِنْ
الْجَلَمِ وَهُوَ انْحِسَارُ الشَّعْرِ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ .

وَقَوْلُهُ : صَفْرَاءُ الْجَرَادِ ، وَهِيَ الْخَيْفَانَةُ مِنْهَا ، وَهِيَ الَّتِي أَلْقَتْ سُرُّهَا ،
أَيَّ بَيْضِهَا ، وَهِيَ أَخْفُ طَيْرَاتٍ ، وَالسُّكُفَانُ^(٣) مِنَ الْجَرَادِ أَكْبَرُ مِنَ الْخَيْفَانِ :

(١) الْبَيْتُ فِي الْلِسَانِ : لَحْنٌ وَشِمَارَةٌ وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي الْمَثَلَمِ الْهَذَلِيِّ ،
وَقَدْ عَرَّاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ سَهْوًا إِلَى صَخْرٍ النَّيِّ ، وَقَدْ عَلَنَ ابْنُ سَيِّدَةٍ فِي خُطْبَةٍ كِتَابَهُ
عَمَّا قَصَدَ بِهِ الْوَضْعَ مِنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ فِي اسْتِشْهَادِهِ بِقَوْلِ الْهَذَلِيِّ
الْمَذْكُورِ عَلَى النَّبِيَّةِ الَّتِي هِيَ كُنَاسَةُ الْبَشَرِ ، فَقَالَ : هِيَ مِنَ الْآرُورِيِّ مِنَ النَّعَامِ
الْآرُورِيِّ . وَأَيْنَ سَبِيلُ مِنَ الْفَرَقَةِ . لِأَنَّ النَّبِيَّةَ مِنْ نَبْتٍ أَمَّا تَسْتَبِيثُ فَمِنْ بَوْتِ
أَوْ بَيْتٍ . انْظُرْ مَادَّةَ بَوْتٍ وَبَيْتٍ وَنَبْتٍ فِي الْلِسَانِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ بِالنَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) فِي الْأَصْلِ كُفْنَانٌ وَهِيَ كُفْنَانٌ بِالنَّاءِ لَا بِالشَّاءِ وَهُوَ الْجَرَادُ بَعْدَ الْغُرْعَاءِ ،
وَقِيلَ هُوَ كُفْنَانٌ إِذَا بَدَأَ حَجْمَ أَجْنَحَتِهِ وَرَأَيْتَ مَوْضِعَهُ شَاخِصًا وَإِنْ مَسَّهَ
وَوَجَدْتَ حَجْمَهُ ، وَاحِدَتُهُ : كُفْنَانَةٌ ، وَقِيلَ وَاحِدُهُ : كَأَنَفٌ ، وَالْآخَرُ كَأَنَفَةٌ . =

وأول أمر الجراد دُودٌ ويقال له : الفمص^(١) بـلقيه بحرُ اليمَن ، وله علامةٌ قبل خروجه ، وهو برقٌ يلمع من ذلك البحر سبع عشرة مرةً ، فيعلمون بمخرج الجراد ، قاله أبو حنيفة .

وقوله : غير مُعْتَلِكِ الزنادِ

الزناد المُمْتَلِكُ : هو الذي لا يدري من أي عُودٍ هو ، وأصل الاعتلاكِ الاختِلَاطُ : يقال عَلَكْتُ الطعامَ إذا خلطت حِنطةً بِشَعِيرٍ ، وَالْعَلَاةُ : الزنادُ الذي لا بُورِي نارا .

مقتل ابن أبي الحقيق

ذكر فيه نفر الخمسة الذين قتلوه ، وسماهم ، وذكر فيهم ابن عَفِيَّةَ أَسَدَ ابن حَرَامٍ ، ولا يُعْرَفُ أَحَدٌ ذكره غيره .

قطني وقد وثقه الواقفي :

وذكر في الحديث : قَطْنِي قَطْنِي ، قال معناه : حَسْبِي حَسْبِي .

== وقال أبو منصور : سماعي من العرب في السمكفان من الجراد التي ظهرت أجنحتها ولما تطر بعد . والخيفانة : الجرادة إذا صارت فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة والجمع : خيفان ، وقال الأحياني : الخيفان : جراد اختلفت فيه الألوان وجراد حينئذ أطير ما يكون ، وقيل الجراد قبل أن تستوى أجنحته .

(١) لم أجده لافي اللسان ولا في القاموس ، ولا في معجم ابن فارس . وفي الإنصاح — وهو مختصر الخصاص لابن سيدة — السروة : الجراد أول ما يكون ، والدبا : أكبر من السروة وذلك إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته الواحدة : دماه . الساقة : جرادة التي ألقت بعضها الخ .

قال المؤلف : وهذه الكلمة أصلاً من القَطْ ، وهو القَطْعُ ، ثم خُفِّفَتْ .
وأَجْرِبَتْ تَجْرِي الحرف ، وكذلك قَدْ بمعنى قَطْ هي أيضاً من القَدْ ، وهو
القَطْع طُولا ، والقَطْ بالطاء هو القَطْع عَرْضاً ، يقال : إن عاتياً - رحمه الله -
كان إذا استعمل الفارس قَدَّهُ ، وإذا استمرَّضه قَطَّه ، ولما كان الشيء السكافي
الذي لا يحتاج معه إلى غيره يدعو إلى قَطْع الطَّلَب ، وترك الزيد جعلوا قَدْ
وقَطْ تُشعر بهذا المعنى ، فإذا ذكرت نفسك قلت : قَدِي وقَطِي ، كما تقول :
حَسْبِي ، وإن شئت أُلحقت نوناً ، فقلت : قَدْنِي ، وذلك من أجل سكون
آخرها فكَّرَها تحريكه من أجل الياء ، كما كَرَّها تحريك آخر الفعل ، فقولوا
ضَرَبَنِي ، وكذلك كَرَّها تحريك آخر آيت فقولوا لَيْدَنِي ، وقد يقولون :
لَيْدِي وهو قليل ، وقالوا لَعْنِي ولَعْلِي ، وقولوا من : لَدُنِّي فأدخلوها على الياء .
الخنوذة بالظرف كما أدخلوها على الياء الخنوذة بمن وعَن ، فعملوا هذا وقافية .
لأواخر هذه الكلم من الخفض وخَصَّوْا النون بهذا ؛ لأنها إذا كانت تنويناً
في آخر الاسم ، أذنت بامتناع الإضافة ، وكذلك في هذه المواطن التي تَمَيَّنَتْ
تُشعر بامتناعها من الخفض ، وتُشعر في الفعل والحروف بامتناعها من الإضافة .
أيضاً ، لأنَّ الحرف لا يضاف ، وكذلك الفعل مع أنَّ النون من علامات الإضافة
في فعلنا ، وفعلنا في ضمير المفعول ، فأما قَدْ وقَطْ فاسمان ، وكذلك لَدُنْ ،
ولكن كَرَّها تحريك أو آخرها شبهها بالحروف . فإن قيل : فما موضعُ نِي .
من قوله قَدْنِي ؟ قلنا : موضعها خفضٌ بالإضافة ، كما هي في لَدُنِّي . فإن قلت :
كيف تكون ضمير المفعول والمنصوب في ضَرَبَنِي ولَيْدَنِي ، ثم تقول إنها
في موضع خفض ؟ قلنا : الضمير في الحقيقة هي الياء وحدها في الخفض والنصب .

كما أن السكاف والماء كذلك ، وقد قالوا : مني وعني ، وهو ضمير خنفس ، وفيه النون ، وقالوا اليتى والى ، وهو ضمير نصيب وليس فيه نون فإن قيل : فما موضع الاسم من الإعراب إذا قلت : قطي وقدي ؟ قلنا : إعرابهما كإعراب حسبي مبتدأ وخبره محذوف ، وإنما لزم حذف خبره لما دخله من معنى الأمر ، ومن هذا الباب قول جهم أعاذنا الله منها : قطي وعزتك قطي ، وروى : قطني ، وذلك بعد قولها : هل من مزيد ، فإذا وضعت فيها القدم ، وزوى بعضها إلى ينص ، قالت : قطني ^(١) . وقد جمع الشاعر بين التامتين ، فقال :

قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيثِينَ قَدِي

(١) في حديث صحيح : لا تزال جهنم يلقى فيها . وتقول هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض ، فتقول : قط ، قط ، بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشأ الله لها خلقا ، فيسكنهم فضل الجنة ، متفق عليه بين البخاري ومسلم . وفي حديث آخر متفق عليه بينهما . فأما النار ، فلا تمتلئ . حتى يضع الله رجله تقول : قط قط قط . وثبت صحة النص بفرض علينا الإيمان بمقتضاه ، الإيمان الذي يقتبس نور الهدى من قوله سبحانه : (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير) فله جل شأنه ما يخبر به عن نفسه ، وما يخبر به عنه رسوله صلى الله عليه وسلم دون تمثيل أو تشبيه أو تأويل أو تعطيل .

(٢) الرجز من شواهد سيويه في الكتاب ، وقد أنشده ص ٣٨٧ > ١ تحت : باب علامة إضمار المنصرب المتكلم والمجرور المتكلم ، البيت عنده : قَدَنِي مِنْ نَصْرِ الْخَمْسِينَ قَدِي لَسَ الْإِمَامُ بِالْشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ

فهذا ما في قَطَّ التي هي بمعنى حَسْبِي ، فأما قَطَّ المبنية على الضم ، فهي ظرف لما مضى ، وهي تعال بالتخفيف والتثنية ، وهي من القَطَّ أيضاً الذي بمعنى القطع ، وفي مقابلتها في المستقبل : عَوَضَ ما فعلته قَطَّ ، ولا أفعله عَوَضَ^(١) مثل قَبِلَ وَبَعْدُ .

== وأراد بالخبيبين : عبد الله بن الزبير وكنيته أبو خبيب ، ومضياً أخاه وغلبه عليه لشهرته ، ويروي الخبيبين على الجمع يريد أبا خبيب وشيعته .
والرجز لم يقسبه سيبويه ، وهو حميد بن مالك بن ربيع الازرقط يعرض بابن الزبير ويمدح الحجاج . وقد الثابت تأكيد ائدق مبنى على الكسر في عمل رفع مرفوع بضمة مقدرة على ما قبل باء المتكلم ، وهي مضاف إليه ، وقد روى أبو علي القالي رجزه هكذا :

ليس الأمير بالشحيح الملعون ولا بوبر بالحجاز مفرد
إن ير يوماً بالفضاء بسطير أو يندجر فالجهر شر محكد
وروى البكري في السمع قبلها :

قلت لنفسى ، وهي عجلت تعتدى لا نوم حتى تحسرى وتلهدى

أو تردى جوى ، أبي محمد ليس للأمير . . . الخ
وقد أورد اللسان الشطرنج الأولى في مادة قد غير منسوبة وفي مادة لحد إلى حميد وقال ابن توت . أنظر ص ١٧ ط ٢ - ٢ ط ٢ الأما إلى القالي وسقط اللال للبكري ص ١٤٩ . ص ٤٧٤ . ص ٢١ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى وشرح الشواهد أيضاً للشيخ قطب العدوى ص ١٠١ - ١ شرح ابن عقيل بشرح الشيخ محي الدين .

(١) يقول ابن هشام في معنى اللبيب : عوض ظرف لاستغراق المستقبل مثل أبداً ، إلا أنه يختص بالنق ، وهو معرب إن أضيف كقولهم : لا أفعله عوض المائضين ، مبنى إن لم يضاف ، وبناءه إما على الضم كقولهم : أو على الكسر كأمس ، أو على الفتح كآين ، وسمى الزمان عوضاً ، لأنه كلما مضى جزء منه = (٢٥٢ - الروض الأثافي ج ٦)

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد

رحمة الله عليهما (١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسنادٍ يرفعه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يقدم عليكم الأئمة رجلٌ حكيمٌ، فقدم عمرو بن العاصي مهاجراً، ذكر فيه اجتماعه مع خالد في الطريق وقول خالد: والله لقد استقام اليأسُ. من رواه اليأسُ بالياء، فهي العلامة، أي قد تبين الأمر واستقام الدلالة، ومن رواه المنسَمُ بفتح الميم وبالنون، فعناه: استقام الطريق ووجبَت الهجرة، والمنسَمُ مُقَدَّمٌ خُفَّ البعير، وكُنِيَ به عن الطريق لتوجه به فيه.

وذكر الزبيرُ خبرَ عمرو هذا، وزاد فيه: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة صَحِبَهُما في تلك الطريق، فلما قدِموا على النبي صلى الله عليه وسلم، قال عمرو: وكنت أسنّ منها، فأردت أن أكيدَهما، فَقَدَّ قَتْلُهما قَتْلُ اللَّيْمَةِ، فبايعا، واشترطا أن يُفَقِّرَ مِنْ ذَنْبِهِمَا ما تَقْدَمُ، فَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ تُبَايِعَ عَلَى أَنْ يَفْقِرَ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِي ما تَقْدَمُ وما تأخر، فلما بايعتُ ذَكَرْتُ ما تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِي وَأَنْسَيْتُ أَنْ أَقُولَ وما تأخر.

= عوضه جزء آخر، تقول: عوض لا أفارقه، كما تقول: قط ما فارقتك، ولا تقول: عوض ما فارقتك ولا: قط لا أفارقه.

(١) يقول ابن كثير: كان إسلامهم بعد الحديبية، وذلك أن خالد بن الوليد كان من مشركي خُصَماءِ المشركين، ١٠٢، البداية والنهاية.

ما قاله الضمري للنجاشي :

وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية ، فإنه لما قدم عليه قال له : يا أضحمة إن على القول عليك الاستماع إنك كائنك في الرقة علينا مناً ، وكأننا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلتناه ، ولم نتخك على شيء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك إلا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرده ، وقاض لا يمور ، وفي ذلك وقع الحز وإصابة التفصيل ، وإلا فانت في هذا النبي الأُمِّي كاليهودي في عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فربما لم يرهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه خير سالف وأجر ينتظر ، فقال للنجاشي : أشهد بالله أنه النبي الأُمِّي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن إشارة موسى براكب الحمار كإشارة عيسى براكب الجمل ، وإن العيان له ليس بأشقي من الخبر عنه ، ولكن أعوان من الحبش قليل فأنظرنني حتى أكتب الأعوان وأبئن القلوب ، وسنذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك ، وما ردت عليها .

مرسل إلى الملوك :

فلن دحية كان رسوله إلى قيصر ، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى ، وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الساماني ، وسليط بن عمرو إلى هروذ بن علي الحنفي صاحب اليمامة ، والقلاء بن الحفصم إلى المنذر

ابن ساوى [مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ] وَالْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِي إِلَى الْجُلَنْدِيِّ^(١) صَاحِبِ عُمانَ، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَمَةَ إِلَى الْمُقَوِّسِ صَاحِبِ مِصْرَ، وَعَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ إِلَى النُّعْشَانِيِّ كَانَتْ قَدِمَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَلَامٌ قَالَهُ، وَشِعْرٌ نَظَّمَهُ بَيْنَهُ كَرِهَ بَعْدَ أَنْ شَاءَ اللَّهُ .

الشمسية:

فصل: وما وقع في أشعار السيرة من ذكر التَّمْهَرِيَّةِ من الرِّمَاحِ، فَتَسُوبَةُ إِلَى تَمْهَرٍ وَكَانَ صِنْعًا فِيمَا زَعَمُوا يَصْنَعُ الرِّمَاحُ، وَكَانَتْ أَسْمَاءُ رُدْبِيَّةُ تَبِيْعَهَا، فَقِيلَ لِلرِّمَاحِ: الرُّدْبِيَّةُ لِذَلِكَ، وَأَمَّا الْمَاسِيخِيُّ مِنَ الْقَسِيِّ فَتَسُوبَةُ إِلَى مَاسِيخَةٍ، وَاسْمُهُ نُبَيْشَةُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي نَضَرَ بْنِ الْأَزْدِ، وَقَالَ الْجَعْدِيُّ:

يَعِيْسُ تَعَطَّفُ أَغْنَاقَهَا كَمَا عَطَفَ الْمَاسِيخِيُّ التَّيْمَانَا

وَقَدْ تَنَسَّبَ الْقَسِيُّ أَيْضًا إِلَى زَارَةِ وَهِيَ أَسْمَاءُ مَاسِيخَةٍ. قَالَ صَخْرُ الْقَيْ:

سَمَحَةٌ مِنْ قَيْي زَارَةٌ خَمْرَاءَ هَتُوفٍ عِدَادُهَا غَرْدُ^(٢)

مِنْ كِتَابِ النَّبَاتِ لِلدِّيَنُورِيِّ، وَالْيَزَنِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عُيَيْنِ الطَّعْآنِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِإِيْزَنَ^(٣) بْنِ هَمَّادِي، وَالْمَآذِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَآذِي بْنِ يَافَثَ

(١) فِي الْقَامُوسِ: جُلَنْدَاءُ بَضْمُ أَرْلَهَ . وَفَتْحَ ثَانِيَهُ مَعْدُودَةٌ وَبِضْمِ ثَانِيَهُ مَقْصُودَةٌ اسْمُ مَلِكِ عُمانَ، وَوَمِ الْجَوْهَرِيِّ فَقَصْرُهُ مَعَ فَتْحِ ثَانِيَهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ زَرَارَةٌ وَهُوَ خَطَأٌ، وَالْعِدَادُ: صَوْتُ الْقُوسِ .

(٣) قَالَ ابْنُ حَنٍّ: ذُو بَنٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ، أَصْلُهُ وَ . بِوَأَنِّ بَدَلِيلُ قَوْلِهِمْ: =

ابن نُوح ، قاله الطبري ، وزعم أن أول من عمل السيوف جم وهو رابع ملوك الأرض .

غزوة بني الحميان

ليس فيها ما بُشِكِل ، وفيها من شعر حسان ^(١) .

لَقَوْلِهِ سَرَعَانًا بَعْلًا السَّرْبَ رَوْعُهُ

سَرَعَانُ الفلاس : سُبَّاقُهُمْ ، ولِلسَّرْبِ : المال الرَّاعِي ، كأنه يَجْعُ سَارِبٌ ، ويقال : هو آمن في سَرَبِهِ إِذَا لم يُذْعَرْ ، ولا خاف على ماله من اللقارة ، ومن قال في سَرَبِهِ بكسر السين ، فهو مَثَلٌ ، لأنَّ لِلسَّرْبِ هو الاطِّيع من الوحش والطير ، فمعنى : آمن في سَرَبِهِ ، أى لم يُذْعَرْ هو نفسه ولا ذُِعِرَ أهله ، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة : معنى في سَرَبِهِ أحم : في نفسه لم يُرَدَّ أَنَّ النَّفْسَ يقال لها : سَرَبٌ وإنما أراد أنه لم يُذْعَرْ هو ولا مَنْ مَعَهُ ، لا كالآخر الذى تقدم ذكره ، وقيل فيه آمن في سَرَبِهِ بفتح السين ، فكان الواحد آمن في ماله ، والآخر آمن في نفسه ، ويقال : في سَرَبِهِ ، أى : في طريقه أيضاً ^(٢) .
وقوله :

أمام طَاجُونٍ كَالْمَجْرَةِ فَيَنْتَى

= رمح براني وأزاني ، وقالوا أيضاً : أبرد ووزنه عيفى ، وقالوا آزنى ووزنه عافى ..
وسميت بريدة لأن أول من عملت له ذوبون .

(١) هو سهو من السبيل فالشعر لكعب بن مالك .

(٢) أنظر مادة سرب في اللسان .

بسم الله الرحمن الرحيم

بني : كتيبة ، جعلها كالمجرة لِلمعانِ الشيوفِ والأسيّة فيها كالنجوم
حوالِ المجرة ، لأن النجوم - وأكثر ما تكون - حولها ، وقد قيل : إن
المجرة نفسها نجومٌ صغارٌ متلاصقة ، فبياضُ المجرة من بياضِ تلك النجوم ،
وقد روى في حديث متقطع : أن المجرة التي في السماء هي من لمابٍ حبيّةٍ
تحت العرش^(١) ، وفي حديثٍ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -
حين بعثه إلى اليمن قال له : إنك ستقدم على قوم يسألونك عن المجرة ، قل
لهم : هي من عرق الأفي التي تحت العرش ، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف
عند أهل النقل لا يُعْرَجُ عليه ، ذكره المقيّل ، وعن عليّ أنها شرجُ السماء الذي
تنشق منه ، وأما قول أله مُعْجَبٍ - بين غير الإسلاميين في معنى المجرة ، فذكر لهم
القاضي في النقص الكبير نحواً من عشرة أقوال وأكثر ، منها ما يُجَوِّزُه
العقل ، ومنها ما هو شبه التهذيان ، والله أعلم .

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة ، أي أثر هذه الكتيبة الطّحُونُ كثر
المجرة تُقْسِرُ ما مرّت عليه ، وتكُنْسه . والفيلقُ : فِعْلٌ من الفلقِ وهي
الداحية ، كأنها تَفْلِقُ القلوبَ ، وهي الفِلَقَةُ^(٢) أيضاً . قال ابن أحرر :

- (١) هذا الحديث ومثله يبين لنا مدى احتدام شهوة الكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في نفوس الوضاعين ومدى الجهاة التي تردى فيها الكثير
من المسلمين إذ يعيش بينهم مثل هذا الافتراء حتى يكتب في كتب ١١
(٢) الذي في اللسان الفلق والفليق والفليقة والمفلقة والفيلق والفلق كله :

غزوة ذي قرد

تمّ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقيم بها إلا ليالٍ
مُتَعَلِّمًا ، حتى أغار عُمَيْيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بدر الْفَزَارِي ، في خَيْلٍ
مِنْ عَطْفَانَ عَلَى لِقَاحٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْعَاقِيَةِ ، وفيها رجلٌ من
بَنِي غِفَارٍ وامرأته له ، قَتَلُوا الرَّجُلَ ، واحتملوا المرأة في اللَّقَاحِ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ،
ومَنْ لَا أَتُهُمْ ، عن عبد الله بن كُفَيْبٍ بن مالك ، كلٌّ قَدْ حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ
ذِي قَرْدٍ بَعْضُ الْحَدِيثِ : أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ سَلَمَةً بَنِي عَمْرِو بْنِ الْأَكْوَعِ
الْأَسْلَمِيُّ ، غَدَاكَ يَرِيدُ الْعَاقِيَةَ يَتَوَشَّحًا قَوْسَهُ وَنَبْلَهُ ، ومعه غلامٌ لَطِيفٌ بِنُجَيْدِ اللَّهِ
معه قَرَسٌ لَهُ بِقُوْدِهِ ، حتى إِذَا عَلَا كَيْفِيَّةَ الْوَادِعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ ،
فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ ، ثم صرَّخَ : وَاصْبِ اسْأَه ، ثم خرج يَشْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ ،

فَدَبَّرُوهُ خَيْرًا ضَخْمَ الْعُنُقِ

فقيل : وما ذاك ؟ قال :

مَوْتُ الْإِمَامِ فِلَقَةٍ مِنَ الْفِلَقِ (١)

(١) قاله لما نعى إليه المنصور ، ورواية الشطرة الثانية في اللسان هكذا :
فَدَبَّرُوهُمَا وَهَمَةً . ويقال للدواهي بئس طبق ، ويرى أن أصلها الحية أي أنها
استدارت حتى صارت مثل الطبق .

وكان مثل السبع حتى سَلَقَ بالقوم ، فجعل يَرُدُّهم بالنَّيل ، ويقول إذا رمى :
خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ، اليوم يوم الرُّضْع ، فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوه انطلق
هاربًا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمْيُ رَمَى ، ثم قال : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ،
اليوم يوم الرُّضْع ، قال . فيقول قائلهم : أَوْبَسِكُمْنَا هُوَ أَوَّلُ النَّهَارِ .

تسابق الفرسان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحُ ابن الأكوع ، فصرخ
بالمدينة : الْقَرَعَ الْقَرَعَ ، فتراست الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان :
المقداد بن عمرو ، وهو الذي يُقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بني زُهرة ؛
ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ،
عباد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زَعُوراء ، أحد بني عبد الأشهل ، وسعد
ابن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأُسَيد بن ظُهَيْر ، أخو بني حارثة
ابن الحارث ، يُشكَّ فيه ، وعُكَّاشة بن مَحْصَن ، أخو بني أسد بن خزيمة ؛
ومُحرز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربيعة ،
أخو بني سلمة ؛ وأبو عيَّاش ، وهو عُبَيد بن زيد بن الصَّامِت ، أخو بني
زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ عليهم سعد بن
زيد فيما بَلَغنى ، ثم قال : اخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك في الناس .

نصيحة الرسول لأبي عيَّاش

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني عن رجال من بني .

زُرَيْق ، لأبي عِيَّاش : يَا أَبَا عِيَّاش ، لو أُعْطِيتَ هذا الفرس رجلاً ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عِيَّاش : قُلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربتُ الفرس ، فوالله ماجرى بي خَمَمٌ من ذراعاً حتى طَرَحَنِي ، فمَجِبْتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أُعْطِيتَهُ أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجالٌ من بني زُرَيْق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرساً أبي عِيَّاش مُعَاذِ بْنِ مَاعِضٍ ، أو عَائِذَ بْنَ مَاعِضٍ بن قَيْسِ بن خَالِدَةَ ، وكان ثامناً ، وبعض الناس يمدّ سلمة بن عمرو بن الأَكْوَعِ أحد الثمانية ، ويطرح أسيده ابن ظُهَيْرٍ ، أخا بني حارثة ، والله أعلم أي ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ ، فارساً ، وقد كان أوّل من لحق بالقوم على رجليه . فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا .

مقتل محرز بن نضلة

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن أوّل فارس لحق بالقوم مُحَرِّزُ بن نَضَلَةَ ، أخو بني أسد بن خُزَيْمَةَ - وكان يُقال لمحرز : الأخرم ؛ ويُقال له قُمَيْرٌ - وأن الفرع لما كان جال فرساً لمحمود بن مَسْلَمَةَ في الحائط ، حين سمع صاهلة الخليل ، وكان فرساً صَنِيعاً جَامِئاً ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يحول في الحائط يَجِدُّعُ نَحْلَ هو مَرْبُوط فيه : يَا قُمَيْرُ ، هل لك في أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلتحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطيته إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذّ الخليل بِجَمَامِهِ ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال :

.....

يَقْتُلُوا يَامُشَرَّ بْنَ الْكَيْمَةِ حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَذْبَارِكُمْ مِنَ الْهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ . قَالَ : وَحَلَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَجَالَ الْفَرَسَ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ
حَتَّى وَقَفَ عَلَى آرِيٍّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرِهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مُحْرَزٍ ، وَقَاسُ بْنُ مُحْرَزٍ
الْمُدَلِّجِي ، فَمَا ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

أَسْمَاءُ أَفْرَاسِ الْمُسْلِمِينَ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ اسْمُ فَرَسِ مُحَمَّدٍ : ذَا اللَّيْمَةِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ اسْمُ فَرَسِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ : لَاحِقٌ ، وَاسْمُ فَرَسِ الْقَدَادِ
بِفَرْجَةٍ ، وَيُقَالُ : سَهْمَةٌ ، وَاسْمُ فَرَسِ عُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ : ذُو اللَّيْمَةِ ؛ وَاسْمُ
فَرَسِ أَبِي قَتَادَةَ : حَزْوَةٌ ، وَفَرَسِ عَبَّادِ بْنِ يَشَرَ : كَدَاعٌ ، وَفَرَسِ أُسَيْدِ بْنِ
ظُهَيْرٍ : مَسْنُونٌ ، وَفَرَسِ أَبِي عِيَّاشٍ : جُلُودَةٌ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لَا أَنَّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ
مَالِكٍ : أَنَّ مُحْرَزًا إِنَّمَا كَانَ عَلَى فَرَسٍ لِعُكَّاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ ، يُقَالُ لَهُ : الْجَنَاحُ ،
فَقُتِلَ مُحْرَزٌ وَاسْتُبْلِتِ الْجَنَاحُ .

قَتْلُ الْمُشْرِكِينَ

وَلَمَّا تَلَا حَقَّتِ الْخَيْلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثَ بْنَ رَبِيعٍ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ،
حَبِيبَ بْنَ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ، وَغَشَّاهُ بُرْدَهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِالْفَاسِ .

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّالِمِينَ .

استعمال ابن أم مكتوم على المدينة

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مُسَجَّى يُزِدُ أَبِي قَتَادَةَ ، فاسترجع الناس وقالوا : قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قَتَادَةَ ، ولكنه قَتِيلَ لَأَبِي قَتَادَةَ ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ ، لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ .

وَأَدْرَكَ عُسْكَاشَةَ بْنَ مُحِصَنٍ أَوْ بَارَأَ وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْ بَارَ ، وَهَمَّا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ ، فَاتَّقَطَمَهُمَا بِالرُّمَحِ ، فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا ، وَاسْتَقْنَقُوا بَعْضَ الْأَقْبَاحِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرَدَ ، وَتَلَاحَقَ بِهِ النَّاسُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ؛ وَقَالَ لَهُ سَلْمَةُ ابْنُ الْأَكْثَوَعِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ سَرَحْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَنْقَذْتُ بَقِيَّةَ السَّرْحِ ، وَأَخَذْتُ بِأَعْقَابِ الْقَوْمِ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَا بُلْعْنِي : إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُفْتِقُونَ فِي غَطَفَانِ .

تقسيم الفء بين المسلمين

فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ .

امراة النفاقى وما نذرت مع الرسول

وأقبات امراة النفاقى على ناقة من ابل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بشئ ما جزيتها أن حلك الله عليها ونجائك بها ثم تتعزينا ؛ إنه لا نذر في منصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من ابل ، فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله .

والحديث عن امراة النفاقى وما قالت ، وما قل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي الزبير المكي ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

شعر حسان في ذى قرد

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت :

لولا الذى لاقت ومس نسورها	بحفوب ساية أمس في التفتواد
للقينكم يحملن كل مدحج	حامى الحليقة ماجد الأجداد
ولسرة أولاد الأقيطة أننا	سائم غداة فوارس القداد
كذا ثمانية وكانوا جحفلا	جلبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلوهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الرافعات إلى منى	يقطعن عرض تحارم الأطواد

حتى نبيل الخليل في عرصاتكم وتؤوب بالمدكات والأولاد
 رهوا بكل مقلص وطيرة في كل مُتدك عطفن روادى
 أفتى دوابرها ولاح متونها يوم نقاد به ويوم طراد
 فكذلك إن جياتنا ملبونة والحرب مشعلة بريح غواد
 وسيفنا بيض الخلدائد تجتلى جئن الحديد وهامة المرماد
 أخذ الإله عليهم لحرامه ولمزة الرحمن بالأسداد
 كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوة عباد

غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استراضاء

قال ابن هشام: فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف أن
 لا يكلمه أبداً؛ قال: انطلق إلى خيلى وقوارىى لجعلها المقداد! فاعتذر إليه
 حسان وقال: والله ما ذاك أردت، ولكن الروى وافق اسم المقداد؛ وقال
 أبيت أن يرمنى بها سعداً:

إذا أردتم الأشد الجلداً أو ذا غناء فعليكم سعداً
 سعد بن زيد لا يهد هدداً
 فلم يقبل منه سعد ولم يقن شيئاً.

شعر آخر لحسان في يوم ذى قرد

وقال حسان بن ثابت في يوم ذى قرد:

أُظِنَّ عَيْنِي إِذْ زَارَهَا بَانَ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورًا
فَأُكْذِبَتْ مَا كُنْتُ صَدَقْتَهُ وَقُلْتُ سَنَنْفُمُ أَمْرًا كَبِيرًا
فَنِفَتِ التَّدِينَةُ إِذْ زُرَّتْهَا وَأَنْتِ لِلْأَسَدِ فِيهَا زَيْبًا
قُولُوا سِرَاعًا كَثَدَ النَّعَامُ وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُطَاةٍ حَصِيرًا
أَمِيرُ عَلَيْنَا رَسُولُ الْعَلِيكَ أَحَبُّ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
رَسُولُ نَصْدَقُ مَا جَاءَهُ وَبَتَلُوا كِتَابًا مُضِيئًا مُبِيرًا

شعر كعب في يوم ذى قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرد للفوارس :

أَتَحْسَبُ أَوْلَادُ اللَّقِيطَةِ أَنَّنَا عَلَى الْخَلِيلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَأَنَا أَنَاسٌ لَا أَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا نَنْتَنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ
وَأَنَا لَتَقْرَى الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذُّرَا وَتَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلُخِ الْمُتَشَاوِسِ
تَزُدُّ كُمَاةَ الْمُعَلِّمِينَ إِذَا انْتَخَوْا بِضَرْبِ بَيْتِي نَحْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جَدِ كَرِيمٍ كَسِرَ حَانَ الْقَضَاءِ مُخَانِيسِ
يَذُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِيَيْضِ نَقْدِ الْهَامِ تَحْتَ الْقَوَانِيسِ
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرٍ إِذَا مَا لَعِبْتَهُمْ بِمَا قَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ الْقِمَارِيسِ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْحَجَالِيسِ
وَقُولُوا زَلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرٌّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُبَارِيسِ

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « وَأَنَا لَتَقْرَى الضَّيْفَ » أبو زيد .

شعر شداد لعينة

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي ، في يوم ذي قرد :
لعينة بن حصن ، وكان عينة بن حصن يسكن بأبي مالك :

فملاً كَرَزْتَ أبا مالك وخيلك مُدِيرَةُ مُنْقَلُ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجَرٍ وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعُدَ الْمُقَلُ
وَلَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْمَةٍ مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يُرْمَلُ
إِذَا قَبِضَتْهُ إِلَيْكَ الشَّامُ لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَ لِلرَّجَلِ
فَلَمَّا عَرَقْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ
عَرَقْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَدُوا طِرَادَ السَّكَمَةِ إِذَا أَسْهَلُوا
إِذَا طَارَدُوا الْخَلِيلَ تَشَقَّى بِهِمْ فَضَاحًا وَإِنْ يُطْرَدُوا يَنْزِلُوا
فَيَقْتَضِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ

غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض
جمادى الآخرة ورجباً ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست ..
قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرَّ الغفاري ؛ ويقال : عُمَيْلَةُ
ابن عبد الله الهذلي .

سبب الغزوة

قال ابن إسحاق : تحدثني عامر بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر .
ومحمد بن يحيى بن حبان ، كلُّ قد حدثني بمض حديث بني المصطلق ، قالوا :
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجتمعون له ، وقائدهم
الحارث بن أبي ضرار أبو جؤيزية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم
على ماء لهم يقال له : المرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فزاحف الناسُ
واقبلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قُتل منهم ، ونفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبتانهم ونساءهم وأموالهم ، فأقامهم عليه .

مقتل ابن صبابه خطأ

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث
ابن بكر ، يقال له : هشام بن صبابه ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عبادة
ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

فتنة

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس
ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غفار ، يقال له . جهجاه بن مسعود بقود
فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن زبر الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج
على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه :

حامش المجرين؛ فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رَهْط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سَمْنُ كَلْبِكَ يَا كَلْكُ، أما والله تَنَنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثم أقبل على مَنْ حَضَرَهُ من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتهم بلادكم، وقاسمتهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحتولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مُرْ بِهِ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ فليقتله؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها، فارتحل الناس.

حول فتنة ابن أبي ونفاقه

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، خلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تسكيت به. - وكان في قومه شريفاً عظيماً - فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، حسي أن يكون الغلام قد أوزم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولَ، وَدَفَعًا عَنْهُ.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، أقيده أسيد بن حضير فحيّاه بتحيةة النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رُحِتَ في ساعه مُنْكَرَة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأى صاحب يارسول الله؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، قال: فأنت يارسول الله والله تُخْرِجُه منها إن شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يارسول الله، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لَيُظْلَمُونَ له الخرز ليتوجوه، فإنه كيري أنك قد استلبته مُلْكًا.

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصذر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يابشوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي.

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع؛ يقال له: بقاء. فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوفوها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التباوت، أحد بني قينقاع، وكان

عظيماً من عظماء يهود ، وكفناً للمنافقين ، مات في ذلك اليوم .

مانزل في ابن أبي من القرآن

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه

قال ابن إسحاق : خدعتني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بملك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلا فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخرزج ما كان لما من رجل أبر بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس ، فأقتله فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل تترفق به ، وتُحسن صحبته ما بقي معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنفونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله ،

لا زِيدَتْ لَهُ آنْفٌ ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ ؛ قَالَ : قَالَ هَمْر : قَدْ وَاللَّهِ
هَلَمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكَةٍ مِنْ أَمْرِي .

قدوم مقيس مسلماً وشعره

قال ابن إسحاق : وَقَدِمَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ مِنْ مَكَّةَ مُسَلِّماً ، فِيمَا يُظْهَرُ ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، جِئْتُكَ مُسَلِّماً ، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي ، قُتِلَ خَطَأً .
فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَةِ أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ صُبَّابَةَ ؛ فَأَقَامَ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ كَثِيرٍ ، ثُمَّ عَادَ عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ،
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدًّا ؛ فَقَالَ فِي شَعْرِ يَقُولُهُ :

شَقَى النَّفْسَ أَنْ قَدِمْتَ بِالتَّقَاعِ مُسْنَدًا تُصَرِّجُ نَوْبِيَّةَ دِمَائِهِ الْأَخْدَاعِ
وَكُنْتَ مُهْمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ نِلِمَ فَتَحْمِيْنِي وَطَاءَ الْمَضَاجِعِ
حَمَلْتُ بِهَوْنِي وَأَدْرَكْتُ نُؤْرَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْتَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ
تَأَرْتُ بِهِ قَهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَّاقَةُ بَنِي النَّجَّارِ أَرْبَابَ فَارِعِ
وَقَالَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَّابَةَ أَيْضًا :

جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ لَهَا وَشَلَّ مِنْ نَاقِعِ الْجُوفِ يَمْلُوهُ وَيَنْصَرُّ
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تُفْشَاءُ أَسْرَتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرِ إِذَا ظَلَمُوا

شمار المسلمين

قال ابن هشام : وكان شمار المسلمين يوم بنى المصطلق : وامنصور ،
أُميت أُميت .

قتلى بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : وأُصيب من بنى المصطلق يومئذ ناسٌ ، وقتل على
ابن أبي طالب منهم رجلان ، مالكاً وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً
من قُرَيشهم ، يقال له : أحر ، أو أحيمر .

أمر جويرية بنت الحارث

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصحاب منهم شَبِيحاً كثيراً ، فشا
قَسَمُهُ في المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث
ابن أبي ضَرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ،
عن عائشة قالت : لما قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ،
وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّاس . أو لابن
عم له ، فكانت به على نفسها ، وكانت امرأة حُلُوَّةً مُلَاحَظَةً ، لا يراها أحد إلا
أخذت بِنَفْسِها ، فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْمَعِينَهُ في كتابتها قالت
عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي فكَرِهْتَهَا ، وَعَرَفْتُ

أنه سبى منها صلى الله عليه وسلم مارأيتُ، فدخلتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومى ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخفَ عليك ، فوَقعتُ فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّاس ، أولابن عمِّ له ، فسكَّابته على نفسى فحَبَّبتك أَسْتعينك على كتابتى ، قال : فهل لكِ فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أَقضى عنك كتابتكِ وأتزوجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جُويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتقُ بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظا على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جُويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار ودبمة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بيعريق منها ، ففَّيَّهما فى شَعب من شَعب العقيق ، ثم أتى إلى النِّبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شَعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت محمد رسول الله ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ،

فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودُفِقت إليه ابنته جُوَيْرِيَّةُ ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

ما نزل من القرآن في حق الوليد بن عقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقاتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى تم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ! سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنفكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أننا خرجنا إليه لنقتله ، والله ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ ﴾ . . . إلى آخر الآيات . (الحجرات ٦ - ٨) .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من

لا أتهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

سنة ست

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيك ابن جبير ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

الهدى فى السفر مع الزوجات

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه ، فأيتمن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عابن معه ، فخرج بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حديث الإفك

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العَلَقَ لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِلَ لي بهيرى جلستُ في هودجى ، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحِّلُونِ لي ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنقى عِقْدٌ لى ، فيه جَزَعُ ظَفَارٍ ، فلما فرغت أنسل من عُنقى ولا أدرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحْلِ ذهبتُ ألتسه فى عُنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ فى الرَّحْلِ ، فرجعتُ إلى مكانى الذى ذهبتُ إليه ، فالتسته حتى وجدته ، وجاء القومُ خلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلُونِ لى للبعير ، وقد فرغوا من راحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، كما كنتُ أضنع ، فاحملوه ، فشدُّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا حُجيب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتلففتُ بجلبائى ، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفتُ أن لو قد افتقدتُ لرجع إلى . قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مرَّ بى صفوان بن أمية الشلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبغض حاجته ، فلم يبت معى .

الناس ، فرأى سَوَادِي ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إِنَّا قَدِ إِتَيْنَا آلِيَهُ رَاجِعُونَ ، ظَلَمْنَاهُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ! وَأَنَا مُتَلَفَّةٌ فِي ثِيَابِي ، قال : مَا خَلَقَكَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ؟ قالت : فَمَا كَلَّمَنِي ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ ، فقال : اركبى ، واستأخر عَنِّي . - قالت : فركبتُ ، وأخذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ ، فأنطلق سريماً ، يطلب الناسَ ، ففَوَّاهُ . - ما أدركنا الناسَ ، وما افتقدتُ حتى أصبحتُ ، ونزل للناسَ ، فلما اطمأنوا - طلع الرجلُ يقودى ، فقال أهل الإفاك ما قالوا ، فارتفع العسكرُ ، ووالله - فما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شيء ، وقد انتهتِ الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أَبِي لا يذكرُون لى منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمض لُطْفِهِ بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمَنِي ، وأطَفَ بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندي أمى تُمَرَضُنِي - قال ابن هشام : وهى أم رُومَانَ ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُهمَانَ ، أحد بنى قِرَاسِ بن غَنَمِ بن مالك بن كِنانة - قال : كيف تَبِكُمُ ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجَدْتُ فى نَفْسِي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جَفَاءِهِ لى : لو أذنت لى ، فأنتهت لى إلى أمى ، فمرضتني ؟ قال : لا عليك . قالت : فأنتهت لى إلى أمى ، ولا علم لى بشيء مما كان ، حتى

نَهَتْ من وجى بمد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لا نتخذ في بيوتنا
 هذه الكُفَّ التي تتخذها الأعاجم ، نعانها ونكرها ، إنما كنا نذهب
 في فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجتُ
 ليلةً لبعض حاجتي ومعى أُمّ مسطح بنت أبي رُم بن المطلب بن عبد مناف ،
 وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبي بكر
 الصديق رضى عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت في مِرطها ،
 فقالت : تمس مسطح ! ومسطح لَقَبَ واسمه : عَوْف ؛ قالت : قلت : بش
 أعمرُ الله ما قالت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ، قالت : أو ما بلغك الخبر
 يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل
 الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت :
 فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكى حتى
 ظننت أن البكاء سيصدع كبدى ؛ قالت : وقلت لأُمى : يفر الله لك ،
 نحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ! قالت : أى
 بُنيّة ، خَفَضَ عليك الشأن ، فوالله لقدما كانت امرأة حسناء ، عند رجل
 يحبها ، لها ضرائر ، إلا أكثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم
 ولا أعلمُ بذلك ، سَخِمَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال
 يزودننى في أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ،
 ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتى
 إلا وهو معى .

قالت: وكان كُبر ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلُول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحنّة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فقصصها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حنّة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عُبادة ، وكان قبل ذلك برّى رجلاً صالحاً ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك مُنافق مُجادل عن المنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

(قالت) فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما عليّ فإنه قال يا رسول الله : إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تتخلف ، وسَل الجارية ، فإنها

استعذرك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها علي بن أبي طالب ، فغص بها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أني كنت أعجبن عجيني ، فأمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله .

القرآن وبراءة عائشة

قالت : تم دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبوأي ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكي ، وهي تبكي معي ، فجلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فأنق الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً ، مما يقول الناس فتوني إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك ، فقلص دمي ، حتى ما أحسن منه شيئاً ، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلموا ، قالت : وإيم الله لآنا كنت أخقر في نفسي ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله في قرآننا يقرأ به في المساجد ، ويصلي به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذب به الله عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يُخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل في ، فوالله لنفسي كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا يُجيبه ، قالت : ووالله ما أذلّ بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر

في تلك الأيام ، قالت : فلما أن استمعجماً على ، استعبرت فيكيت ، ثم قلت =
والله لا أتوب إلى الله بما ذكرت أبداً . والله إني لأعلم أني أقررت بما يقول
الناس ، والله يعلم أني منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت
ما يقولون لاتصدقوني . قالت : ثم التست اسم يعقوب فما ذكره ، فقالت =
ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعْمَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ ﴾ . قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجله حتى
تنشأ من الله ما كان يتفشأه ، فسجى بنوبه ووُضعت له وسادة من آدم
تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعيت
ولا باليت ، قد عرفت أني بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالم ، وأما
أبوأي ، فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ،
قالت : ثم سري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجاس ، وإنه ليمتددر
منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح الترق عن جبينه ، ويقول : أبشري
يا عائشة ، قد أنزل الله براءتك ، قالت : قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ،
تخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بتطبخ بن
أثانة ، وحسان بن ثابت ، وخنف بنت جحش ، وكانوا من أفصح الفاحشة ،
فصروا أحدهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني
الغجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ،

أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : بَلَى ، وَذَلِكَ السَّكْذِبُ ، أَكُنْتُ
يَا أُمَّ أَيُّوبَ فَاعْلَمِي ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلِهِ ؛ قَالَ : فَمَائِشَةُ وَاللَّهِ
خَيْرٌ مِنْكَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ
الْإِفْكَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا
لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِيَكُلَّ امْرِئٌ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ
الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وَذَلِكَ حَسَنُ بَنٍ
ثَابِتٍ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : وَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ
إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَبْلَ هَذَا . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَوَلَّوْا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ : أَيْ قَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ
وَصَاحِبُهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِذْ تَنْقُوْنَهُ بِاللِّسَانِ ﴾ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ
لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فَلَمَّا نَزَلَ هَذَا فِي عَائِشَةَ ، وَفِيمَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ يَنْفَقُ
عَلَى مِسْطَاحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ : وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَى مِسْطَاحٍ شَيْئًا أَبَدًا ، وَلَا أَنْفَعَهُ
يَنْتَفِعُ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ ، وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا ، قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ
﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى .

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِيَقْنُوا، وَلِيَصْفَحُوا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: يقال: كَبَرَهُ وَكَبَّرَهُ فِي الرِّوَايَةِ، وَأَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَكَبَّرَهُ
يَالْكَسْر.

قال ابن هشام: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) وَلَا يَأَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ.
قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِي:

أَلَا رَبُّ خَفَمَ فِيكَ أَلْوَى رَدَدَتْهُ نَصِيحٌ عَلَى تَغْذَالِهِ غَيْرُ مَوْتَلٍ

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ): وَلَا يَخْلِفُ
أُولُو الْفَضْلِ، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري، فيما بلغنا عنه.

وفي كتاب الله تعالى: ﴿لَا تَزِينَ يَأُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ وهو من الآلية،
والآلية: اليمين. قال حسان بن ثابت:

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَبِداً مِثْلِي أَلِيَّةٌ بَرٌّ غَيْرُ إِفْنَادٍ

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فغنى: أَنْ
يُؤْتُوا فِي هَذَا لِلذَّهَبِ: أَنْ لَا يُوْتُوا، وفي كتاب الله عز وجل: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ يريد: أَنْ لَا تَضَلُّوا، ﴿وَيُمْنِكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى
الْأَرْضِ﴾ يريد: أَنْ لَا تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، وقال ابن مفرغ الحميري:

لَا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ مُعِيرًا وَلَا دُعَيْتُ زَيْدًا
يَوْمَ أُعْطِيَ تَحَاةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدَا
يريد : أن لا أحيده ، وهذان البيتان في أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إني لأحب أن يغفر
الله لي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحَ فَفَقَّمَهُ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَالله لَا أَنْزِعَهَا
مِنْهُ أَبَدًا .

ابن المفضل يهيم بقتل حسان

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المفضل اعترض حسان بن ثابت
بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك
يعترض بابن المفضل فيه وبين أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أَمْسَى الْجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّزُوا وَقَدْ كَثُرُوا	وَابْنُ الْغُرَيْبَةِ أَمْسَى بَيْضَةُ اللَّيْلِ
قَدْ تَمَكَّلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ	أَوْ كَانَ مُنْذَسِبًا فِي بُرْنِ الْأَسَدِ
مَا لَقِيتُ الْقِيَّ أَعْدُو فَآخُذْهُ	مِنْ دِيَةِ فِيهِ يَمُطَّاهُ وَلَا قَوْدِ
الْبَحْرِ حِينَ مَهَبَ الرِّيحِ شَامِيَةً	فَيَفْطِلُ وَيَرْمِي الْعَيْرَ بِالزَّيْدِ
يَوْمًا بَاغَلَبَ مَنِي حِينَ تُبْصِرُنِي	مِلْفِيظًا أَوْ رِي كَفَرْنِي الْعَارِضَ الْبَرْدِ
أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي أَنْسِلُهُمْ	حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لِلرَّشَدِ
وَيَقْرَأُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرِلَةٍ	وَيَسْجُلُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّدِّ

وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَمْ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِّ ، فَضْرِبَهُ بِالسَّيْفِ ، ثُمَّ قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي
يَعْقُوبُ بْنُ عَتَبَةَ :

تَلَقَّى ذُؤَابَةَ السَّيْفِ عَنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لِسُوءِ بَشَائِرِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ : أَنَّ ثَابِتَ
ابْنَ قَيْسٍ بْنِ الشَّامِ وَتَبَّ عَلَى صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، حِينَ ضَرَبَ حَسَّانَ ،
فَجَمَعَ يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِمَجْلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ إِلَى دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ،
فَلَقِيَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : أَمَا أَهْجَبُكَ ضَرْبَ حَسَّانَ بِالسَّيْفِ ؟
وَاللَّهِ مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ قَتَلَهُ ، قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : هَلْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَاءَ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : لَقَدْ احْتَرَأْتُ ،
أَطْلَقَ الرَّجُلَ ، فَأَطْلَقَهُ ، ثُمَّ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ
لَهُ ، فَذَعَا حَسَّانَ وَصَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَلِّ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُعْطَلِّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : آذَانِي
وَهَجَانِي ، فَاحْتَمَلَنِي الْغَضَبُ ، فَضَرَبْتَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِحَسَّانَ : أَحْسَنُ يَا حَسَّانَ ، أَتَشَوَّهْتَ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَحْسِنُ يَا حَسَّانُ فِي الدِّينِ أَصَابَكَ ، قَالَ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامَ : وَيُقَالُ : أَبَدَ أَنْ هَدَاكَمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ عَوْضًا مِنْهَا يَبْرَحَاءَ ، وَهِيَ قَصْرُ بَنِي حَذَافَةَ الْيَوْمَ بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ

مالاً لأبي طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حسّان في ضربته ، وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المفضل ، فوجدوه رجلاً حصوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بمذّلك شهيداً .

قال حسّان بن ثابت يمتدح من القدي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا زَنَ بَرِيْقِي	وَتَضْبَحُ غَرَقِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ	كِرَامِ الْمَسَاعِي تَجْدُمُ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ فَدُ طَيْبَ اللَّهِ خِيَمَهَا	وَهَبَّهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَهَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ رَعَمْتُ	فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنَاوِلِ
وَكَيْفَ وَوَدَى مَا حَيَّتْ وَنُصِرْتِي	لَالِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ
لَهُ رَتَبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ	تَقَاصَرُ عَنْهُ سُورَةُ الْمُتَطَوِّلِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قَبِلَ لَيْسَ بِلَاطِ	وَلَسَكُنْ قَوْلُ امْرِئِي بِي مَا حِلِ

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حي » والذي بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبي زبد الأنصاري .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزَنَ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ النِّمَافِلِ
قَالَتْ عَائِشَةُ : لَكِنْ أَبُوهَا .

شعر في هجاء حسان ومسطح

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه
في فريقتهم على عائشة - قال ابن هشام : في ضرب حسان ومصابيه :

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ وَحَنَّهُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ
تَمَاطَلُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجَ بَيْتِهِمْ وَسَخَطَةَ ذِي الْقَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتَوْهُمَا
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا مُجَلَّلُوا تَحَاذَرَى تَبَقَى عُمُومُهَا وَفُضِّحُوا
وَصُبَّتْ عَلَيْهِمُ مَخَصَّدَاتُ كَأَنَّهَا شَايِبُ قَطَرٍ مِنْ ذُرِّ الْمُرْنِ تَسْفَحُ

غزوة ذي قرد

ويقال فيه : قُرْدٌ بضمين هكذا أَلْفِيَّتُهُ مُقَيَّدٌ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ، والقَرْدُ
في اللغة الصوفُ الرَّدِيُّ ، يقال في مثل : عَثَرْتُ عَلَى الْفَزْلِ بِأَخْرَةٍ فَلَمْ تَدَعْ
بِنَجْدٍ قَرْدَةً (١) .

أسماء أفراس المسلمين :

وذكر ابنُ إسحاق في هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حَضَرَهَا ،

(١) مثل لمن ترك الحاجة ممكنة ، وطلبها فائتة ، وأصله أن ترك المرأة

فذكر بَعْرِجَةَ فرس المِقْدَادِ ، والبَعْرِجَةُ : شِدَّةُ جَرِيٍّ فِي مُغَالِبَةٍ كَأَنَّهُ مَنَحُوتٌ
 مِنْ بَعِيجٍ إِذَا شَقَّ ، وَعَزٌّ ، أَيْ : غَائِبٌ . وَأَمَّا سَبِجَةٌ فَهِيَ سَبِجٌ إِذَا عَلَا عُلُوًّا
 فِي اتِّسَاعٍ ، وَمِنْهُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَسُبْحَاتُ اللَّهِ : عَظَمَتُهُ وَعُلُوُّهُ ، لِأَنَّ النَّاضِرَ
 الْمُسَكَّرَ فِي [اللَّهِ] سَبْحَانَهُ يَسْبِجُ فِي بَحْرِ لَاسَاحِلٍ لَهُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي مَعْنَى هَذِهِ
 الْكَلِمَةِ حَقَائِقَ وَدَقَائِقَ أَسْرَارٍ فِي شَرْحِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَمُحَمَّدِهِ . وَأَمَّا حَزَوَةٌ ،
 فَهِيَ حَزَوْتُ الطَّيْرِ إِذَا زَجَرَتْهَا ، أَوْ مِنْ حَزَوْتُ الشَّيْءِ إِذَا أَظْهَرْتُهُ .
 قَالَ الشَّاعِرُ :

تَرَى الْأَمْعَزَ الْحَزَوَّ فِيهِ كَأَنَّهُ مِنَ الْحَرِّ وَاسْتَقْبَالَهُ الشَّمْسُ مِسْطَحٌ ^(١)

وَجَلَوَةٌ مِنْ جَلَوْتُ السَّيْفَ ، وَجَلَوْتُ الْقُرُوسَ ، كَأَنَّهُمَا يَجْلُو الْفَمَ عَنْ
 قَلْبِ صَاحِبِهَا . وَمَسْنُونٌ مِنْ سَفَنَتُ الْحَدِيدَةِ إِذَا صَفَقَتْهَا .

سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ :

وَذَكَرَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَاسْمُ الْأَكْوَعِ : سِنَانٌ ، وَخَيْرُ سَلَمَةٍ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَطْوَلُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَأَعْجَبَ ، فَإِنَّهُ اسْتَلَبَ وَجَدَهُ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ التَّدْوِ وَهُوَ رَاجِلٌ قَبْلَ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ الْخَيْلُ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً
 وَثَلَاثِينَ دَرَقَةً ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ بِالْفَيْلِ كَثِيرًا ، فَكَلَّمَا هَرَبُوا أَدْرَكَهُمْ ، وَكَلَّمَا

(١) الْمِسْطَحُ : حَصِيرٌ يَسْفُ مِنْ خَوْصِ الدَّرَمِ ، وَالْبَيْتُ لَتَيْمِ بْنِ مِقْبَلٍ وَرِوَايَتُهُ
 فِي السَّانِ هَكَذَا :

إِذَا الْأَمْعَزُ الْحَزَوُّ أَجْنُ كَأَنَّهُ مِنَ الْحَرِّ فِي حَدِّ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ
 وَالْأَمْعَزُ : أَرْضٌ صَلْبَةٌ .

راموه أملت منهم ، وشهرة حديثه تُنفى عن سرده ، فإنه في كتب الحديث المشهورة^(١) ، وقيل إن سلة هذا هو الذي كُلمه الذئب ، وقيل : إن الذي كُلمه الذئب هو أهبان بن صبي^(٢) وهو حديث مشهور .

شرح اليوم يوم الرضع :

وقوله : اليوم يوم الرضع ، يريد يوم اللثام ، أي يوم جثثهم ، وفي قولهم : لثيم راضع أفوال ، ذكرها ابن الأنباري . قيل : الراضع هو الذي رَضَعَ اللثوم في فمَيْه أي : غدى به ، وقيل هو الذي يَرْضَع ما بين أسنانه يَتَكَثَّر من الجشع بذلك . وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تَذُمُّ رجلاً : إنه لا كلة تُكَلَّةُ يأكل من جشعه خِلْمه ، أي : ما يتخلل بين أسنانه . قال ابن قتيبة : ولم أسمع في الجشع ، والحرص أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يُبْثِر السكّاب من مَرِيضها ، أي يلتمس تحنها عظاماً يَتَقَرَّرُ به ، وقيل في اللثيم الراضع غير ما ذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور في كتبهم .

(١) ورد في حديث رواه البخاري ومسلم وفحلمات أرميهم بنبل ، وكنت رامياً . وأقول : أنا ابن الأكرع واليوم يوم الرضع وأرنحو حتى استنفذت القلاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة ، ولقاح الإبل الحوامل ذرات الالبان ، وقد رواه الإمام أحمد طرلاً وفيه : ثم لم أزل أرميهم حتى القوا أكثر من ثلاثين رجلاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ، وسلة هو ابن عمرو بن الأكرع وهو ممن بايع الرسول تحت الشجرة على الموت . مات وسنه أربع وسبعون سنة .

(٢) وقيل اسمه : أهبان ، أو . وهبان . ولقد علم سليمان النبي منطق الطير ،

وقوله : اليومُ يَوْمُ الرُّضْعِ بالرفعِ فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثاني ،
 حكى سيبويه : اليومَ يَوْمُكَ ، على أن تجعل اليومَ ظرفاً في موضع خبرٍ للثاني ،
 لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمانٍ مثلها إذا كان الظرفُ يتسع ، ولا يضيق
 على الثاني ، مثل أن تقول : الساعة يَوْمُكَ ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَذَلِكَ
 يَوْمُ مَثَدٍ يَوْمٍ عَسِيرٍ ﴾ اللذر ٩٠ أن يَوْمُ مَثَدٍ ظرفٌ ليومٍ عسيرٍ ، وذلك أن ظروف
 الزمانِ أحداثٌ ، وليست بِمَجْنُثٍ فلا يمتنعُ فيها مثلُ هذا ، كما لا يمتنعُ في سائر
 الأحداثِ .

وقوله عليه السلام لَمِفْكَارِبَةٍ ، واسمها ابلي ، ويقال هي امرأة أبي ذرٍّ حين
 أخبرته أنها نذرت إن الله نجَّأها ، عليها أن تنحَرَ هـ ، قال : فَنَقَبَسَ رسولُ الله -
 صلى الله عليه وسلم - ثم قال : بدس ما جزيتها أن تحلَّك الله عليها ونجَّاك بها ،
 ثم تنحَرَ بها إنه لا نذرَ في مَنَصِيَةِ الله ، ولا في مالا تملكين ، فيها حُجَّةٌ
 للشافعي ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدو من مالٍ إنه لهم بلائن قبل
 القسمِ وبعده ، لأنه لا يخرجُه من مِلْكِهِ حَوْزُ العدوِّ له ، وقال مالك : هو
 أولى به قبل القسمِ وصاحبه بعد القسمِ أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران
 لأهل العراق .

مول النذر والطلاق والتمس :

وقوله عليه السلام : لا نذرَ في مَنَصِيَةِ الله ، ولا فيما لا تملكين ، وقوله
 عليه السلام : لا نذرَ لأحدٍ بما لا يملك ، ولا طلاقَ لأحدٍ بما لا يملك ، ولا يفتق

لأحد فيما لا يملك، حديث مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ فِي الصَّحِيحَيْنِ لِمَعْلَلٍ فِي أَسَانِيدِهِ، وَقَدْ قَالَ تَهْنُذُ الْحَدِيثِ أَنَّ لَطَّاقَ قَبْلِ الْمَلِكِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَقَهَّاءُ التَّابِعِينَ وَقَهَّاءُ الْأُمَّصَارِ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُمْ عَيْنُ امْرَأَةٍ، أَوْ لَمْ يُبَيِّنْ، وَإِلَيْهِ مَالُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَرَوَاهُ ابْنُ كَيْسَانَ عَنْ مَالِكٍ، وَابْنُ وَهْبٍ، وَاحْتِجَّ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ نِمَ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الْأَحْزَابُ : ٢٩ قَالَ : فَإِذَا لَا طَّلَاقَ إِلَّا بَعْدَ نِكَاحٍ، وَقَالَ شَرِيكَ الْقَاضِي : النِّكَاحُ دَقْدُقٌ وَالطَّلَاقُ حَلٌّ، فَلَا يَكُونُ الْحُلُّ إِلَّا بَعْدَ التَّقْدُّ.

من شرح شعر مساه أعضاء الخيل :

وذكر شعر حسان :

لولا الذي لاقت ومسى نُسُورَهَا

يعنى : الخيل ، والنسر كالنواة في باطن الحافر ، وفي الفرس عشرون عضواً ، كل عضو منها يُسَمَّى بِاسْمِ طَائِرٍ ، فَهِيَ النَّسْرُ وَالنَّمَامَةُ وَالْمَامَةُ وَالسَّمَامَةُ وَالسَّيْدَانَةُ وَهِيَ الْحَمَامَةُ وَالْقَطَاةُ الذَّبَابُ وَالْمُصْفُورُ وَالْفُرَابُ وَالضَّرَدُ وَالصَّفْرُ وَالْحَرْبُ وَالنَّاهِضُ ، وَهُوَ قَرْنُخ ^(١) الْمُعْقَابُ وَالْخَطَّابُ ، ذَكَرَهَا وَفِيهَا الْأَصْنَمِيُّ ^(٢) ، وَرَوَى فِيهَا شِعْرًا لِأَبِي حَزْرَةَ جَرِيرٍ ، وَهُوَ :

(١) في الأصل : فرج .

(٢) أنظر ص ١٩٣ من هذا الأمل والنواذير قال ط ٢ فتر أكثر ما ذكر =

وَأَقْبَ كَالشَّرْحَابِ تَمَّ لَهُ مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى الذَّنَرِ
 رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوُفِّرَ قَرْخُهُ وَتَمَكَّنَ الثَّوَرَدَانِ فِي الذَّنَرِ
 وَأَنَافَ بِالْمُصْفُورِ فِي سَعَفٍ هَامِ أَشَمَّ مُوْتَقَّ الْجَنْدَرِ
 وَازْدَانَ بِالذَّبَّكَيْنِ صَلَاحَهُ وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدَرِ
 وَالْعَاهِضَانِ أَمْرًا جَدَزُهَا فَكَأَنَّمَا مُعْمَا عَلَى كَسْرِ
 مُسْحَنَفَرِ الْجَنْبَيْنِ مُلَقَّتُمْ مَا بَيْنَ شَيْمَتِهِ إِلَى الْفَرِّ
 وَصَفَتْ سُمَانَاهُ وَحَافِرُهُ وَأَدِيمُهُ وَمَنَابِتُ الشَّفَرِ^(١)
 وَسَمَا لِلْفُرَابِ لَمَوْقِعِهِ مَعَا فَأَبَيْنَ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدَرِ
 وَاسْتَنَّ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافُهُ وَنَاتُ سَمَامَتِهِ^(٢) عَلَى الصَّقْرِ
 وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ فَتَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ^(٣)
 وَسَمَا عَلَى نَقْوِيَّةٍ دُونَ حِدَاتِهِ خَرَبَانَ بَيْنَهُمَا مَدَى الشَّيْرِ
 بَدَعُ الرِّضِيمِ إِذَا جَرَى فَلَقَا بَتَوَائِمِ كَتَوَائِمِ تَمَرِ

= السهيل. ويدكرون أن الرشيد قال للأصمعي: قيل إن في الفرس عشرين اسماً من أسبا. الطير، فقال: نعم، وأنشده شعراً جامعاً لها من قول جرير، فأمر له بم عشرة آلاف درهم.

(١) في الأصل. وأديمه والشفر

(٢) في الأصل: سماته

(٣) في الأصل: فبات

رُكِّنَ فِي تَحْضِ الشَّوَى سَبِيحٍ كَفَتِ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ (١)

ببره وفجار :

وقوله : فَشَكُّوا بِالرُّمَاحِ بَدَادٍ بَدَادٍ مِنَ التَّبَدُّدِ ، وهو التفرُّق ، وهو في موضع نصب غير أنه مَبْنِيٌّ وَنَصْبُهُ كَانْتِصَابٍ لِلْمَصْدَرِ ، إِذَا قُلْتَ : مَشَيْتُ الْقَهْمَ قَهْمِي ، وَقَعَدْتُ الْقَرْصَاءَ ، وَكَأَنَّهُ قَالَ : طَعَمُوا الطَّعْنََةَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بَدَادٍ ، وَبَدَادٍ مِثْلُ فَجَارٍ مِنْ قَوْلِهِ : احْتَمَلْتُ فَجَارًا (٢) جَلَوْهُ اسْمًا عَلَمًا لِلْمَصْدَرِ ، كَمَا قَالُوا : فَحَمَلْتُ بَرَّةً ، فَعَمِلَ بَرَّةً عَلَمًا لِلْبَرِّ ، وَسَمَّاهُ هَذِهِ الْعَلَمِيَّةُ فِي هَذَا الْوَطَنِ أَنَّهُمْ أَرَادُوا الْفِعْلَ الْأَتَمَّ الَّذِي يُسَمَّى بِاسْمِ ذَلِكَ الْفِعْلِ حَقِيقَةً ، فَقَدْ يَقُولُ الْإِنْسَانُ بَرَّةً فَلَانٌّ وَفَجَرًا أَيْ قَارَبَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ، أَوْ فَعَلَ مِنْهُ بَعْضَهُ ، فَإِذَا قَالَ : قَعَلْتُ بَرَّةً ، فَإِنَّمَا يَرِيدُ الْبَرَّ الَّذِي يُسَمَّى بِرًّا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَجَاءَ بِالْإِسْمِ الْعَلَمِ الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مُسَمَّاهُ حَقِيقَةً ، إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْحِجَازِ فِي الْأَعْلَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ النُّجُورَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَرَادَ رَفَعَ الْحِجَازَ سَمَّاهُ ، فَجَزَّ تَحْقِيقًا لِمَعْنَى ، أَيْ : مِثْلُ هَذِهِ الْفِعْلَةِ يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى بِاسْمِ الْفُجُورِ حَقِيقَةً ، وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي النَّدَاءِ : يَا فَسَاقٍ وَيَا نُسُقُ فَجَاءُوا بِالصِّفَةِ لِلْعُرُوفَةِ الْعَلَمِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مَعَ النَّدَاءِ خَاصَّةً ، أَيْ : إِنْ هَذَا الْإِسْمُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

(١) انظر الفصيدة وشرحها وقصة الأصمعي مع الرشيد في نهاية الأرب

ص ٢٣ سفر العاشر وانظر أيضا "مقد القريد لابن عبدربه" ص ١٠١ ط ب و لاق

وص ٩١ ص ٢ سطر الآل للبكري .

(٢) يعني قول النابغة :

لَمَّا أَفْقَسْنَا خَطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَعَمَلْتُ بَرَّةً ، وَاحْتَمَلْتُ فَجَارًا

اسمه الذي يُدعى به، إذ الاسم العلم ألزم لاسم من اسم مشتق من فعل فله، لأن الفعل لا يثبت، والاسم العلم يثبت، فهذا هو مغزاهم في هذه الأسماء التي هي على صيغ الأعلام في هذه المواطن، فتأملها، وقد بسطنا هذا الفرض بسطاً شافياً في أسرار ما ينصرف، وما لا ينصرف، فلتنظر هنالك، فم ترى سراً بناها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله، وألفت في حاشية الشيخ رحمه الله على قوله: فشكوا بالرماح فشلوا^(١) باللام الرواية الصحيحة، وخبقة للمعنى، ووقع في الأصلين: فشكوا بالكاف كما في هذا الأصل. إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ، والشل باللام: الطرد، والشك بالكاف: الطعن كما قال:

شَكَ الْفَرِيصَةَ بِالْمَدْرِ فَأَخَذَهَا^(٢) [شَكَ الْمَبْطِرَ إِذْ شَفَى مِنْ الْقَصْدِ]

عرد إلى شرح شعره:

وقوله: رهوا أي: مشياً بسكون، ويقال لسنننم الماء أيضاً رهو، والرهو أسماء الكركي، والرهو المرأة الواسعة.

(١) أنظر مادة بدد وفجر وفسق في اللسان. وشلوا هي رواية للسان. وضبط لجبا بضم اللام والجيم.

(٢) البيت للناطقة وتماه: شك المبطر إذ شفى من القصد. والمدري والمدرأة شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المخط، والفريصة: لحة عن نفخ الكعب في وسط الخشب عند منبض القلب.

وقوله : روادى ، أى تَرْدِي بفرسانها ، أى : تسرع^(١) .

قصيدة أخرى لحسان :

وقول حسان فى خيل عُمَيْيَّة :

قَوْلُوا سِرَاعًا كَشَدُّ النَّعْمِ لم يَكْتَفُوا عن مُلْطِ حَصِيرِ

أى : لم يَغْنَمُوا بغيراً ، ولا كَتَفُوا عنه حَصِيرًا ، يعنى : بالحصير ما يَكُونُ به حَوْلَ الإبل من عِيدَانِ الحَظِيرَةِ ، وَالْمُلْطُ من قولهم : أَلَّتِ النَّاقَةُ ، وَأَلَّتْ بِذَنبِهَا إِذَا أَدَخَلَتْهُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا^(٢) .

غزوة بنى المصطلق

وهم بَنُو جَذِيمَةَ بن كَنْسٍ من خَزَاعَةَ ، فَجَذِيمَةُ هو الْمُصْطَلِقُ وهو مُفْتَعِلٌ من الصَّلَاقِ ، وهو رَفَعُ الصَّوْتِ^(٣) .

وذكر المُرْسِيْعَ ، وهو ماءُ خَزَاعَةَ ، وهو من قولهم : رَسَمَتْ عَيْنُ الرَّجُلِ : إِذَا دَمَعَتْ من فَسَادٍ .

(١) يقول الحُشْنَى : ومن رَوَاهُ بِكسر الراء . فهو من المَشَى الزَوِيدُ ، وهو الذى فيه فَتور ص ٣٢١

(٢) يقول أبو ذَرٍّ : المُلْطُ بالطاء المِهْمَلَةِ اللاصِقُ بِالْأَرْضِ هنا . والحَصِيرُ : وجه الأرض هنا ص ٣٢٢

(٣) يقول ابن دريد فى الاشتقاق : سَمِيَ الْمُصْطَلِقُ لِحَسَنِ صَوْتِهِ كَأَنَّهُ مُفْتَعِلٌ من الصَّلَاقِ ، وَالصَّلَاقُ شِدَّةُ الصَّوْتِ وَحِدَّتُهُ ، ص ٤٧٦ وقد ضبط الزرقانى جَذِيمَةَ بضم الجيم وفتح الدال . والقاموس يضبطها بالاضطين .

وذكر سِفْكَانُ بْنُ وَرْزَةَ^(١) وقال غيره : هو سِفْكَانُ بْنُ تَمِيمٍ من جُهَيْنَةَ بْنِ سَوْدِ بْنِ أَسْلَمَ حليف الأنصار .

تحريم دعوى الجاهلية :

وذكر أنه نادى : يَا لِلْأَنْصَارِ ، ونادى جَهَنجَاهُ الْفَقَارِيُّ يَا لِلْمَاجِرِينَ ، ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ، وفي الصحيح^(٢) أنه عليه السلام حين سمعهما منهما ، قال : دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَفَنَةٌ ، يعني : إنها كَلِمَةٌ خبيثة ، لأنها من دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وجعل الله المؤمنين إِخْوَةً وَحِزْبًا وَاحِدًا ، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة يَا لِلْمُسْلِمِينَ ، فمن دعا في الإسلام بدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يُجْلَدَ من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطًا اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطًا ، حين سمع : يَا لَمَامِرٍ ، فأقبل يشتدُّ بِمُصْبِيَةٍ له . والقول الثاني : إن فيها الجَلْدَ دون العشرة لهنبيه عليه السلام أن يُجْلَدَ أحدٌ فوق العشرة إلا في حَدٍّ ، والقول الثالث : اجتهد الإمام في ذلك على حَسَبِ ما يراه من سَدِّ الدَّرَبَةِ وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعاقِبْ الرجلين حين دَعَوَا بها قلنا : قد قال : دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مُنْتَفَنَةٌ ، فقد أكَّدَ النهي ، فمن عاد إليها بعد هذا النهي ، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنتانِ وَجَبَ أن يؤدَّبَ ،

(١) في السيرة : وير

(٢) هو في صحيح البخاري .

حتى يشم نَفْسَهَا ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجفدي ، فلا معنى لَنَفْسِهَا
إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

مهرجاء :

وأما جَهْجَاهُ فهو ابن مَسْمُودٍ ^(١) بن سَعْدِ بْنِ حَرَامٍ ، وهو الذي روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل في مِئَةِ وَاحِدٍ ، والكافر يأكل
في سَبْعَةِ أُمَمَاءَ ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبي شَيْبَةَ والبرار ،
وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذي قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثُمَامَةُ بْنُ
أَهْلٍ الْحَنْفِيّ ، ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو بَصْرَةَ [جميل بن بَصْرَةَ] ^(٢)
الغفاري ، قاله أبو عبيد ، ومات جَهْجَاهُ هذا بعد قتل عُثْمَانَ رحمه الله ، أخذته
الْأَكِلَةُ في ركبته فمات منها ، وكان قد كسر برُكْبَتِهِ عَصَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله
عليه وسلم - التي كان يخطُبُ بها ، وذلك أنه انتزعها من عُثْمَانَ حين أُخْرِجَ
من المسجد ، ومُنِعَ من الصلاة فيه ، فكان هو أحد المعينين عليه ، حتى كسر
المصاعلي رُكْبَتَهُ ، فيما ذكروا ، فابْتُلِيَ بما ابتلى به من الْأَكِلَةِ : نموذجاً بالله من
عُقُوبَتِهِ ، ونستجير به من الأهواء الْمُضِلَّةِ ^(٣) .

موقف عبر الله الصالح من أيّ المنافق ودلالته :

وذكر مقالة عبد الله بن أبي ، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن

(١) في الإصابة : ابن سعيد ، وقيل : ابن قيس .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة .

النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه من أجل تلك المقالة ، وفي هذا العلم العظيم
والبرهان الثَّبر من أعلام النبوة ، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية
وتمسكاً ، فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل
منهم في قتل أبيه وولده ، تَقَرُّباً إلى الله ، وتَزَلُّفاً إلى رسوله ، مع أن الرسول
- عليه السلام - أبعد الناس نسباً منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق
إلى الإيمان به الأبعد إلا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان
به ، لقليل : قوم أرادوا النخرَ برجل منهم ، وتمصّبوا له ، فلما بادر إليه
الأبعد ، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم ، عُلِمَ أن ذلك
عن بصيرة صادقة وبقين قد تفلّتل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزلت صفة ،
قد كانت سدّكت^(١) في نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذي
فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عبد الله بن عبد الله ،
فكان من كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه حَبَاب ، وبه كان
يُكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً بالجماعة
رضي الله عنه ، وروى الدارقطني مُسْنَداً أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
مرّ على جماعة فيهم عبد الله بن أبيّ فسلم عليهم ، ثم ولي ، فقال عبد الله : لقد
عُتّا ابنُ أبي كَبْشَة في هذه البلاد ، فسمعها ابنه عبد الله ، فاستأذن النبي
صلى الله عليه وسلم في أن يأتيه برأس أبيه ، فقال : لا ، ولكن برّ أباك .
وذكر ابن إسحاق في هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة

عبد الله بن أبي: مَنْ النَّاسُ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، وَيُرْوَى مَشَى، فَأَمَّا مَنْ، فَقَالَ
صَاحِبُ الْعَيْنِ: قَالَ: سَارُوا سَيْرًا مُتَنَفِّيًا، أَيْ: يَمِيدًا.

قوله «ميتة» مؤنثة: «ميتة» و«ميتة»:

فصل: وذكر جَوْرِ بَنَاتِ الْخَارِثِ، ووقوعها في السَّهْمِ ثَلَاثِينَ بَن
قَيْسٍ، أَوْ لَابْنِ عَمٍّ لَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ ثَلَاثِينَ فِي كِتَابِهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَتْ
أَمْرَاءُ حُلُوةٍ مَلَاخَةٍ. الْمَلَاخُ أُنْبِغُ مِنَ اللَّيْلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَكَذَلِكَ الْوَضَاءُ
أُنْبِغُ مِنَ الْوَضْيِ، وَالْكِبَارُ كَذَلِكَ أُنْبِغُ مِنَ الْكَبِيرِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَوْصَفُ الْبَارِي
سُبْحَانَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، فَيَقَالُ فِيهِ كِبَارٌ بِمَعْنَى كَبِيرٍ، لِأَنَّهُ عَلَى بَنِيَّةِ الْجَمْعِ، نَحْوُ
خُرَابٍ وَشَهَادٍ، فَكَانَ لَفْظُ الْكَبِيرِ وَنَحْوُهُ أَبْعَدَ مِنَ الْإِشْرَافِ، وَأَدْلَى عَلَى
الْوَحْدَانِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأما معنى: الْمَلَاخَةُ، فذهب قومٌ إلى أنها من الْمُلْحَةِ وَهِيَ الْبَيَاضُ،
يَقُولُ الْعَرَبُ: عَنَبَ مَلَاخِي ^(١) وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْمَلِيحِ، أَنَّهُ مُسْتَعَارٌ مِنْ قَوْلِهِمْ:
طَعَامٌ مَلِيحٌ إِذَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْمَلِيحِ بِقَدَرٍ مَا يَصْلُحُ بِهِ، وَلِذَلِكَ إِذَا بَالَعُوا فِي الْمَدْحِ
قَالُوا: مَلِيحٌ قَزِيحٌ، فَمَلِيحٌ مَنْ مَلَحَتْ الْقِدَرُ، وَقَزِيحٌ مَنْ قَزَحَتْهَا إِذَا
طَلَبَتْ نَكْتَهَا بِالْأَقَاوِيهِ، وَهِيَ الْأَقْزَاحُ، وَبِذَلِكَ عَلَى بُعْدِ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ
الْبَيَاضِ قَوْلُهُمْ: فِي الْأَسْوَدِ: مَلِيحٌ، وَفِي الْعَيْنَيْنِ إِذَا اشْتَدَّ سَوَادُهُمَا وَحُسْنُهُمَا
كَأَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ نَحْبَةَ مِثْنَى﴾ طه: ٢٩. أَنَّهَا

(١) وقد تشدد اللام

مَلَاخَةَ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَقَالَ الْأَخْمَعِيُّ : الْحُسْنُ فِي الْعَيْنَيْنِ ، وَاجْتِمَاعُ فِي الْأَنْفِ ،
وَالْمَلَاخَةُ فِي النَّمْرِ . وَقَالَتْ امْرَأَةُ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ لِبُعْلَاهَا : إِنَّكَ لَجَمِيلٌ
يَا أَبَا صَفْوَانَ ، فَقَالَ : وَكَيْفَ وَابْنُ عَنَسٍ رَدَّاهُ الْجَمَالَ وَلَا بُرْنُسُهُ
وَلَا عَمُودُهُ ؟ نِمَ قَالَ : عَمُودُهُ الطَّلُوعُ ، وَأَنَا رِبْقَةٌ ، وَبُرْنُسُهُ سَوَادُ الشَّعْرِ ،
وَأَنَا أَتَمَطُّ ، وَرَدَاؤُهُ الْبَيَاضُ ، وَأَنَا آدَمُ ، وَلَكِنْ قَوْلِي : إِنَّكَ مَلِيحٌ ظَلَرِيْفٌ .
فَعَلَّمَهَا أَنَّ الْمَلَاخَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ صِفَةِ لَادَمَ ، فَهِيَ إِذَا لَيْسَتْ مِنْ مَعْنَى
الْبَيَاضِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ ضِدُّ الْمَسَاةِ .

فَبَرَّةُ نَسَاءِ النَّبِيِّ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَرْأَةِ :

وَقَوْلُ عَائِشَةَ فِي جُوزِيْرِيَّةَ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي
فَكُرِّمَتْهَا . فِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ الْغَيْبَةِ
عَلَيْهِ ، وَالْعِلْمُ بِمَوْقِعِ الْجَمَالِ مِنْهُ ، كَمَا قَدْ رَوَى أَنَّهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّهُ حَظَبَ
امْرَأَةً فَأَرْسَلَ عَائِشَةَ لِتَنْتَظِرَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَيْهِ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ طَائِلًا ،
فَقَالَ : بَلَى لَقَدْ رَأَيْتُ : خَالًا فِي خَدَّيْهَا اقْتَضَعَتْ مِنْهُ كُلَّ شَعْرَةٍ فِي جَنْبِكَ .
وَأَمَّا نَظَرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لْجُوزِيْرِيَّةَ حَتَّى عَرَفَ مِنْ حُسْنِهَا مَا عَرَفَ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ
لَأَنَّهَا كَانَتْ امْرَأَةً مَمْلُوكَةً ، وَلَوْ كَانَتْ حُرَّةً مَامَلَأَتْ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَى
الْإِمَاءِ ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ نَظَرُ إِلَيْهَا ، لِأَنَّهُ نَوَى نِكَاحَهَا ، كَمَا نَظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ
الَّتِي قَالَتْ لَهُ : إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَصَدَّقَ فِيهَا النَّظَرَ
ثُمَّ صَوَّبَ ، ثُمَّ أَنْكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرُّخْصَةُ فِي النَّظَرِ
إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا ، وَقَالَ لِلْمُغِيرَةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ :

(٢٨٨ - الرُّوْحُ الْأَقْبَرُ ج ٢)

لو نظرت إليها، فإن ذلك آخرى أن يؤدَمَ بينكما ، وقال مثل ذلك لـ محمد بن
مسعدة حين أراد نكاح مكيته بنت الضحاك ، وقد أجازته ماله في إحدى
الرواجين عنه ، ذكرها ابن أبي زيد . وفي مُستند البزار من طريق أبي بكر
لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزويجها ، وهي لا تشهر . وفي تراجم
البخاري : النظر إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام
لعائشة أريتك في المنام يحى بك الملك في سرقة من حرير ، فكشفت عن
وجهك ، قال : هذه امرأتك ، قلت : إن يكن من عند الله يمضيه . وهذا
استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال ، لأن رؤياه وحى ،
فكيف يشك في أنها من عند الله .

والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على
ظاهرها ، وقد تكون إن هو نظير المرء أو سيموه ، فإن هاهنا تطرق الشك
ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لما تلوم كذلك ، وسمعت شيخنا يقول
في معنى هذا الحديث ، ولغيره فيه قول لا أراضاه ، فلا يحل نظره عليه السلام
إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرَبَ الحجاب ، والإقيد
قال الله تعالى له : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ ﴾ وهو إمام المتقين
وقُدوة الورعين ^(١) صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا هو الحق ، ولا يلتفت أبداً إلى سواء . والاستاذ العقاد فصل ممتاز
عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم مختار منه ما يأتي : لا حجة للمسلم على
صديق محمد عليه السلام في رسالته أصلي من سيرته في زواجه . وفي اختيار زوجته ،
وليس النبوة من آية أشرف من آياتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته =

جويرية :

وأما جويرية فهي بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد بن مالك
ابن جذيمة ، وجذيمة هو المصطابق من خزاعة ، كان اسمها برة ، فسموها

= إلى يوم وفاته . ما الذي يفعله الرجل الشهوان الفاسق في لذات الجسد إذا بلغ
من المسكنة والسultan ما يلفه محمد بين قومه ؟

لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجل بنات العرب ، وأفتن جوارى
الفرس والروم .

ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ، ولأهله من الطعام والكساء والزينة
ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه .

فهل فعل محمد ، ص ، ذلك بعد نجاحه ؟ هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته ؟
كلام يفعله قط ، بل فعل نقيضه ، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شغل
العيش في داره .

ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة ، لأنها مليحة أو وسيمة ، ولم يكن
بمغزاة قط إلا المغزاة التي علم قومه جميعاً أنه اختارها ، لأنها بنت صديقه
وصفيه وخليفته من بعده أبي بكر الصديق رضي الله عنه . . . وما بنى عليه
السلام — بواحدة من أهبات المسلمين ، لما وصفت به عنده من جمال واختارة ،
وإنما كانت صلة الرحم ، والعين بها على المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه
الشريفة على التفكير في الزواج حينئذ . . . ثم يتحدث عن كل زوجة من أزواجه
صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه
كانت بين السبايا في غزوة بني المصطلق ، فأكرمها النبي — عليه السلام —
أن تذلل ذلة السبا ، فتزوجها ، وأعتقها ، وحض المسلمين على إعتاق سباياهم ،
فأسلبوا جميعاً ، وحسن إسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة إليه ، والبقاء
عند رسول الله ، فاختارت البقاء في حرم رسول الله ، ص ١٩٠ وما بعدها
حقائق الإسلام ط ١

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جَوْرِيَّةٌ^(١) ، وقد روى مثل هذا في حديث حَيْمَوْنَةَ بنتِ الحارثِ . وكذلك زَيْنَب بنت جَعْفَرٍ ، كان اسمها بَرَّةً أيضاً ، وزَيْنَب بنت أبي سَلَمَةَ ربيبته عليه السلام ، كان اسمها بَرَّةً فسمَّاهنَّ جَمْعَ بغير ذلك الاسم ، توفيت جَوْرِيَّة في شهر ربيع الأول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة ، وكانت قبل أن تُسَمَّى عند مُسَافِع بن صَفْوان الخُرَاعِي .

حديث الإفك

فيه من الغريب قول عائشة : والنساء يَوْمَنَ بِمَا يَهْجُنُ^(٢) اللحم فَيَتَقَلْنَ .

(١) في حديث رواه مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء أن زينب سألت : ما سميت بنتك ؟ فقال : سميتها : برة ، فقالت زينب : كان اسم جويرية برة ، فغيره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باسم جويرية ، وفي حديث رواه أبو داود . نهى رسول الله أن يسمى بهذا الاسم ، فقال : لا تركوا أنفسكم ، والله أعلم بأهل البر منكم ،

(٢) في جميع النسخ المطبوعة : يهجن أو يهجن . على حين ينقل المحققون السيرة في كل طبعة شرح الكلمة عن أبي ذر وعن الروض . وهي في الروض يهجن أيضاً ، والسبيل يشرحها بقوله : التهيج : انتفاخ في الجسم ، أما أبو ذر فيقول : والتهيج كالورم في الجسد ، وفي الجملة : التهيج : انتفاخ الوجه وتقبضه . وما قاله أبو ذر هو الصواب ولعله خطأ من الناسخ في الروض ومن الطابع في السيرة . وفي اللسان : هيج بالباء تهيجاً تهيج ، أي ورمه فتورم . . . والتهيج : شبه الورم في الجسد . والكلمة عدة روايات : لم يتقبلن اللحم ، أو لم يتجنن اللحم ، وفي رواية : لم يهلن اللحم . وجهه اللحم وأمله إذا ألقه وأصبح فلان مهلاً أي كثر اللحم أو زاد الوجه ، وفلان مهبل أي مهيج ، كان به ورماً .

التَّهْيِيجُ: انتفاخٌ في الجسم قد يكون من سَمَنِ ، وقد يكون من آفَةٍ ، قال الأَصْمَعِيُّ
أو غيره: هَجَمْتُ عَلَى حَيٍّ من العرب بَوَادٍ خَصِيبٍ ، وإذا ألوانُهُم مُصْفَرَّةٌ
ووجوهُهُم مُهَيَّجَةٌ ، فقلت لهم : ما بَالُكُمْ ؟ وادبِكُمْ أَخْصَبُ وادٍ ، وأنتم
لَا تُشَبِّهُونَ الخَاصِبَ ، فقال لي شيخٌ منهم : إن بلدنا ليست له رِيحٌ ، يريد : أن
الجلال أحاطت به فلا تُذهِبُ الرِّيحُ وَبَاءَهُ وَلَا رُمْدَهُ .

صفوان بن المفضل :

وفيه ذكر صفوان بن المفضل بن رُبَيْضَةَ بن خُزَاعِي بن مُحَارِبِ بن
مُرَّةَ بن قَالِحِ بن ذَكْوَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن بَهْثَةَ بن سُلَيْمِ الشَّلَاسِيِّ ، ثم الذَّكْوَانِيُّ
يُكْنَى أَبَا عَمْرٍو ، وكان يكون على سَاقَةِ الْمَسْكِرِ يلتقط ما يَسْقُطُ من مَتَاعِ
المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تَخَلَّفَ في هذا الحديث الذي قل فيه
أهلُ الْإِفْكِ ما قالوا ، وقد رَوَى في تخلفه سببٌ آخر ، وهو أنه كان ثَقِيلَ النَّوْمِ
لَا يَسْتَيْقِظُ حَتَّى يَرْتَحِلَ النَّاسُ . وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا حَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ أَنَّ امْرَأَةً
صَفْوَانَ اشْتَكَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرَتْ أَشْيَاءَ مِنْهَا أَنَّهُ
لَا يُصَلِّي الصَّبْحَ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِيَّيْ امْرَأَتِي ثَقِيلُ الرَّأْسِ لَا اسْتَيْقِظُ
حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَإِذَا اسْتَيْقِظْتَ فَصَلِّ .
وَقَدْ ضَعَّفَ الْبَزَارُ حَدِيثَ أَبِي دَاوُدَ ^(١) هَذَا فِي مُسْنَدِهِ . وَقَتِلَ صَفْوَانُ

(١) يرويه أبو ذر في سننه والبخاري وابن سعد وابن حبان والحاكم من
طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد . وقد قال البزار : هذا الحديث كلامه
منكر ، ولعل الأعمش أخذه من غير ثقة ، فدلسه فصار ظاهر سنده الصحة ،
وليس للحديث عندي أصل وقد رد الحافظ في الفتح على البزار رداً مطولاً فانظره
ص ٢٧٢ ط ٨ ط ١٣٤٨١ عبد الرحمن محمد .

ابن المَعْتَل شهيداً في خلافة معاوية ، واندقت رِجْلُهُ يوم قُتِل ، فطاعن بها ، وهي مُنكسرة ، حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع له شِمطَاط .

تفسير أسقطوا :

وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دَعَوْا الجارية ، فسألوها حتى أسقطوا لها به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونَقَرُوا عنه ، يقال : ساقطته الحديث مُسَاقَطَةً وأسقطوا به ، في هذا المعنى قال أبو حَيَّة [النُّمَيْرِي] :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ كَأَنَّهُ سِقَاطُ حَصَا الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَاطِمٍ ^(١)

كذا فسرهُ أبو الحسن بن بطلال ، وفيما ذكر ابنُ إسحاق من رواية الشَّيْبَانِيِّ عَنْهُ ، أَنَّهُمْ أَدَارُوا الْجَارِيَةَ عَلَى الْحَدِيثِ ، وَلَمْ يَصْرَحُوا لَهَا حَتَّى قَطِنَتْ بِمَا أَرَادُوا ، قَالَتْ : مَا أَعْلَمُ عَلَيْهَا غَيْبًا ، الْحَدِيثُ . وَأَمَّا ضَرْبُ عَلِيٍّ لِلْجَارِيَةِ بِوَهْيِ حُرَّةٍ ، وَلَمْ تَسْتَوْجِبْ ضَرْبًا ، وَلَا اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي ضَرْبِهَا ، فَأَرَى مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَغْلَظَ لَهَا بِالْقَوْلِ ، وَتَوَعَّدَهَا بِالضَّرْبِ ، وَأَنَّهُمْ أَنْ تَكُونَ خَانَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَكَتَمَتْ مِنَ الْحَدِيثِ مَا لَا يَسْمَعُ كَتْمُهُ مَعَ إِدْلَالِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَفِي غَيْرِ حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ

(١) البيت من قصيدة طويلة ذكر منها الغالي ثمانية أبيات منها هذا البيت ورواية الشطر الأولى هكذا :

إذا من ساقط الأحاديث للفتى

كما ذكرها البكري في السمع وزاد فيها ، وبين روايته ورواية الغالي اختلاف يسير . من ٢٨٠ ط ٢ - ٢ الامالي ، ص ٩٢٥ سبط اللالي .

قالت الجارية: والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر.

بربرة:

وأما بربرة فهي مولاة عائشة - رضي الله عنها - التي اشتراها من بني كاهل فاعتقها، وخيرت في زوجها، وكان عبداً لبني جحش. هذه رواية أهل المدينة، وفي رواية أهل العراق أنه كان حرّاً، وهي رواية الأسود بن يزيد عن عائشة، والأولى رواية عروة والقاسم بن محمد عن عائشة، وكذلك يقولون بتخيير الأمة إذا عتقت، وإن كان بعلمها حرّاً، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم، فلا يرون تخييرها، إلا إذا كان زوجها عبداً، وعاشت بربرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين. قال عبد الملك بن مروان: كنت أجالس بربرة قبل أن ألي هذا الأمر، فتقول لي: يا أبا عبد الملك، إن فيك خصالاً خليقة بهذا الأمر، فإن وليت هذا الأمر فأتى الله في الدماء، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إن الرجل ليُحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر إليها، حجامة دم أراقها من مسلم في غير حق. والبربرة واحدة البير وهو ثمر الأراك.

أمر رومان:

وأما أم رومان، وهي أم عائشة فقد مر ذكرها في هذا الحديث، وهي زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد قيس بن دهمان، وهي من كنانة، واختلّف في عمود نسبها، ولدت لأبي بكر عائشة وعبد الرحمن، وكانت قبل

أبي بكر عند عبد الله بن الحارث بن سَخْبَرَةَ ، فولدت له الطُّمَيْلَ ، وتوفيت أم رومان سنة سِتٍّ من الهجرة ، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبرها ، وقال « اللهم إنه لم يخفَ عليك ما لقيتُ أم رومان فيك ، وفي رسولك » . وقال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْخُورِ الْمَسِينِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى أُمِّ رُومَانَ ^(١) .

وهم للبخاري :

وروى البخاري حديثاً عن مَسْرُوقٍ ، وقال فيه : « سألت أم رومان وهي أم عائشة عما قيل فيها » ومَسْرُوقٌ زُلْدٌ بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلا خلافٍ ، فلم ير أم رومان قط ^(٢) ، فقيل إنه وهم في الحديث ، وقيل : بل الحديث صحيح ، وهو مُقَدَّمٌ على ما ذكره أهل السيرة من موتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكلم شيخنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث ، واعتنى به لإشكاليه ، فأوردَه من طُرُقٍ ، ففي بعضها : حدثني أم رومان ، وفي بعضها عن مَسْرُوقٍ عن أم رومان مُعْتَمِناً ، قال رحمه الله : وَالصَّغْنَةُ أَصَحُّ فِيهِ ، وَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ مُعْتَمَناً كَانَ مُحْتَمِلاً ، وَلَمْ يَلْزَمْ فِيهِ مَا يَلْزَمُ فِي حَدَّثِنَا ،

- (١) الأول رواه أبو عمر ، والآخر رواه ابن سعد . وانظر الإصابة .
(٢) أنكر سماع مَسْرُوقٍ من أم رومان جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي ، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي « ص » ، قال الخطيب : وقد كان مَسْرُوقٌ يرسله ، فيقول : سألت أم رومان ، ويسوقه ، فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سألت ، فظنه متصلاً

وفي سألت ، لأن للراوى أن يقول : عن فلان ، وإن لم يُدركهُ وهو كثير
في الحديث .

تناصبى أو تناصبى :

وقول عائشة : لم تكن امرأة تُنَاصِبُنِي في المنزلةِ عندها غيرها ، هكذا
في الأصل تُنَاصِبُنِي^(١) ، والمعروفُ في الحديث : تُنَاصِبُنِي من المُنَاصَاةِ ،
وهي المساواة ، وأصله من النَّاصِيَةِ .

سَمَر مَسَامَةٍ في التعريض بابن المفضل :

وذكر قول حسان :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وابنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

يعنى بالجلابيب العُربَاءَ ، وببَيْضَةَ الْبَلَدِ ، يعنى : منفرداً ، وهي كلمة
يُتَكَلَّمُ بها في اللدح تارة وفي معنى القُلِّ أُخْرَى ، يقال : فلانٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ،
أى : أنه واحدٌ في قومه ، عظيمٌ فيهم ، وفلانٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ، يريد : أنه ذليلٌ
ليس معه أحد .

وأما قوله :

قَدْ تَسَكَّلْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ

فقد يجوز أن يكون قوله : مَنْ مَبْتَدَأُ ، وقد تَسَكَّلْتُ أُمَّهُ في موضع الخبرِ

(١) لعلها كانت كذلك في نسخته ، أما هي في السيرة : تناصبني بالياء لا بالباء .

للقدم عليه ، ويجوز أن يكونَ مَنْ مفعولاً بشِكلتَ ، وأشهر قبل
الذكر مع اتصال الضمير بالفاعل ، فيكون مثل قوله :

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ

ومثل قوله :

أَبْقَى الْيَوْمَ نَجْدَهُ مُطْعِمًا

وقد تقدم القول فيه ^(١) .

وقوله : فَيَنْطَلِ ، يريد : البجر أي ، يَهْجُجُ وَيَنْتَلِمُ ، وأصل هذه
الكلمة من الْفَيْطَلَةِ ، وهي الظلمة ، وأصلها يَنْطَالُ مثل يَسْوَأُ ، لكنه هو
الألف لثلاث يجمع ساكنان ، وإن كان اجتماعهما في مثل هذا الموضع حسناً
كقوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٢) ، ولكهما في الشعر لا يجتمعان
إلا في عروض واحدة ، وهي التثاقب ، ومع هذا فقد قرأ أيوب بن
أبي نَمِيْمَةَ [كيسان] السَّخْتِيَانِيَّ وَلَا الضَّالِّينَ بهجرة مفتوحة ^(٣) وقرأ عمرو

(١) هو كما قال قد سبق القول في هذا . والشطرة الأولى بقيتها : جزاء السكلاب
العاوبات ، وقد فعل . والبيت كما زعم ابن جني وغيره للناطقة . وقيل لأبي الأسود
الدبلي بهجو به عدي بن حاتم الطائي .

وأبقى مجده مطعماً . هي من بيت شعر لحسان يرثى به جبير بن مطعم هو :
ولو أن مجداً أخذ الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً

(٢) أصلها : الضالين فحذفت حركة اللام الأولى ، فم ادغمت اللام في اللام ،
فاجتمع ساكنان : مدة الألف واللام المدغمة .

(٣) وغير ممدودة كأنه فر من التفاء الساكنين ، وهي لغة .

ابن عبيد : (إِنْ سَقَيْتَهُمْ وَلَا جَانَ)^(١) الرحمن : ٥٦ وأنشد الخطابي :

سَقَى مُطَفِّيَاتِ الْمَخْلِ سَكْبًا وَدِيمَةً عِظَامُ ابْنِ لَيْلَى حَيْثُ كَانَ رَمِيمُهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ وَادٍ وَتَلْعَةٍ حَدَائِقِ خُضْرًا مُزْهِرًا عَيْمُهَا
أَشْدَأ :

خَاطَمَهَا زَأْمَهَا أَنْ تَهْرَبَا^(٢)

فإن قيل : الهمزة في هذا كله مفتوحة ، وفي قوله يَفْطِنُ مَكْسُورَةٌ ،

(١) حكى أبو زيد قال : سمعت همرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إانس ، ولا جان) فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبة ، وشأبة . قال أبو المتح : وعلى هذه اللفظة قول كثير :

إذا ما الفوال بالعيط أحارت

وانظر ص ٤٢٨ - ٤٢٩ من شرح الشافعية للرضي وص ١٠٥ ، وما بعدها ، ص ١٤٩ - ١٥٠ وما بعدها شرح تصريف المازني لابن جنى وقد أفاض ابن جنى في الكلام على هذا في قراءة من قرأ ولا الضالين بهمز الألف في ص ٢٢ وما بعدها من كتابه المختص .

(٢) استعار بعض الرجاز الخطام في الحشرات ، فقال :

بَاعِجِبَا لَقَدْ رَأَيْتُ عَجِيبَا حَارَ قَبَانِ يَسُوقُ أَرْبَا
عَاقَلَهَا خَاطَمُهَا أَنْ تَذْهَبَا فَقُلْتُ : أَرْدَفْنِي ، فَقَالَ
أَرَادَ : ثَلَاثًا تَذْهَبُ ، أَوْ عَاقَا أَنْ تَذْهَبَ . ورواه ابن جنى كما روى السهيلي :
خَاطَمَهَا زَأْمَهَا أَنْ تَذْهَبَا . أَرَادَ : زَأْمَهَا . وَزَيْمَتِ الْبَعِيرَ : خَطَمَتْهُ ، وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ
حَرَكَ الهمزة ضرورة لا اجتماع الساكنين كما جاء في الشعر : اسودت بمعنى :
اسودت . أنظر مادة خطم وزم في اللسان . وزأما في الأصل : رامها .

وكذلك في الحديث الصحيح : أسود مُرَبَّدٌ في رواية .
 قلنا : إنما كسرت الميم في مُرْهَبٍ ومُرَبَّدٍ وَبَنَطِيلٍ ، بعد أن
 قُتِبَتْ في الماضي ، قيل : اغطال ، وأزهأز ، فصار على وزن اطمأن ،
 فجاء اسمُ الفاعل والمستقبلُ على ذلك القياسِ مكسوراً كما يُكْتَسَرُ في مُطْمَئِنٍّ ..
 تفسير العجيب :

وقول ثابت لمبد الله بن رواحة : أما أعجبك ضربَ حسانٍ بالسيفِ ،
 معناه : أما جعلك تعجب ، نقول : عجبتُ من الشيء وأعجبنى الشيء ، إذا كان ذلك
 المحبُّ من مكرُوهٍ أو محبوبٍ ، وهو عند الناس معنى سرَّني لا غير ، وفي الحديث ،
 وكلام العربِ شواهدٌ كثيرةٌ على هذا المعنى منها في الكامل قَلَّا عَجَبْنِي أَنْ
 أعجبه بكاء أبيه ، وفي حديثٍ ذكره عن عبد الرحمن بن حسان ^(١) ، وكذلك
 أنشد :

(١) في اللسان : ذكر أبو زيد خارجة بن زيد أن حسان بن ثابت
 أنشد قوله :

انظر خليلي بطن جلق هل قونس دون اللقاء من أحد
 نبكى حسان بذكر ما كان فيه من حجة البصر والشباب بعد ما كف بصره ،
 وكان ابنه عبد الرحمن حاضراً ، فربكاه أبيه ، قال خارجة : يقول : عجبت
 من سرورده بركاء أبيه . قال ومثله قوله :

فقال لي ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها
 وفي مكان آخر من نفس المادة أنشد اللسان لابن قيس الرقيات :

رأت في الرأس من شبيبة لست أغيبها

فقال لي : ابن قيس ذا وبعض الشيء يعجبها

أي يكسبها التعجب ، أو تعجب من وأراد : أي قيس فترك الألف الأولى ..

الَاهُرْتُ بِنَا قَرَشِيَّةً يَهْتَرُ مَنَسِكُهَا
 قَوْلِي : ابْنُ قَيْسٍ ذَاوِ بَعْضِ الشَّيْبِ يُفَجِّبُهَا
 وَقَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ :

لَوْ كُنْتُ أُعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأُعْجِبَنِي سَفَى الْفَتَى ، وَهُوَ يُحِبُّوهُ الْقَدَرُ ^(١) لَهُ
 وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنْشَوْتُ عَلَى قَوْمِي أَنْ هَدِمَ اللَّهُ ، مَعْنَاهُ : أَفْجَتْ
 ذَلِكَ مِنْ فِقْلِهِمْ حِينَ سَمِعْتَهُمْ بِالْجَلَايِبِ مِنْ أَجْلِ هِجْرَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ
 هَوَالِي رَسُولِهِ ؟

بِرَحَاء :

وَقَوْلُهُ : فَأَعْطَاهُ عِوَضًا مِنْهَا بَيْرَحَاءَ ، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْبَيْرُ سُمِّيَتْ
 بَيْرَحَاءَ بِرَجْرِ الْإِبْلِ عَنْهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِبِلَ يُقَالُ لَهَا إِذَا زُجِرَتْ عَنْ الْمَاءِ ،
 وَقَدْ رَوَيْتُ حَاحَا ، وَهَكَذَا كَانَ الْأَصِيلِيُّ يَقِيدُهُ بَرْفَعِ الرَّاءِ إِذَا كَانَ الْأَسْمُ
 مَرْفُوعًا ، وَبَالِدٌ ، وَغَيْرُ الْأَصِيلِيِّ يَقُولُ : بَيْرَحَاءَ بِالْفَتْحِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَبِالْقَصْرِ

(١) وَبَعْدَهُ :

يَسْمَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ بِدَرْكِهَا فَالْتَفَتَ وَاحِدَةً ، وَالْهَمْ مِنْشَرٌ
 وَالْمَرْءُ - مَا عَاشَ - بِمَدَدِهِ أَمَلٌ لَاتَنْتَهَى الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ
 أَنْظِرِ الْأَسْعِيَابَ لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْإِصَابَةَ لِابْنِ حَبْرٍ . وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ :
 كَانَ كَعْبٌ شَاعِرًا مَجْرُودًا كَثِيرَ الشَّرِّ مُقَدِّمًا فِي طَبَقَتِهِ وَهُوَ وَأَخُوهُ بِحَيْرٍ ، وَكَعْبُ
 الشَّامِرِ هُمَا ، وَأَبُوهُ زُهَيْرٌ فَوْقَهُمَا

يجعله اسماً واحداً ، وقد حكى عن بعضهم فيه يترحاء بفتح الباء مع القصر ،
وفى الصحيح أن أبا طلحة دَفَعَ يَرْحَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -
وجعلها صَدَقَةً ، فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعلها في الأقربين ،
فقسمها بين أبيٍّ وحَسَّانَ ، وفسر البخاري وأبو داود القرابة التي بين أبي طلحة
وبينهما قالوا : فأما حسانُ فهو ابن اللندِرِ بن ثابتِ بن حَرَامٍ ، وأبو طلحة هو
زَيْدُ بن سَهْلٍ بن حَرَامٍ (١) ، فهذه قرابةٌ قريبةٌ ، وأما أبيٌّ ، فيجتمع معه في
الأب السادس ، وهو عَمْرُو بن مَالِكِ بن النَجَّارِ ، وقد كان أبي غنياً ، فكيف
ترك مَنْ هو أقربُ منه ، وخصّه ؟

والوجهُ في ذلك أن أبا كان ابن عمّة أبي طلحة ، وهي صبيحة بنت
الأسودِ بن حرام ، وهو معروف عند أهل النسب ، فمن أجل ذلك النسب
خصّه بها ، لا من أجل النسب الذي ذكرناه فإنه بعيد ، وإما قال له النبي
صلى الله عليه وسلم : اجعلها في الأقربين .

مول برائة عائشة :

وفى السند من حديث عائشة أنه لما أنزل الله برأتها قام إليها أبو بكر ،
فقبل رأسها ، فقالت له : هَلَّا كُنْتَ عَذَرْتَنِي ، فقال : أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي ، وأى

(١) في المجهرة لابن حزم : ابن سهل بن الأسود بن حرام ص ٢٢٧ فلعل
الأسود سقط من النسخ ، وقد استوفى السهوي القول في يرحاء فانظره
ص ١٣٣ ٢٠٠ وفاء الوفاء ، وانظر معاجم أسماء الأماكن كمعجم البكري
ويافوت ومراصد الإطلاع .

أَرْضٍ يُقْلَى ، إِنْ قَلَّتْ بِمَالٍ أَعْلَمَ ، وَكَانَ نَزُولُ بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -
بَعْدَ قُدُومِهِمُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لَيْلَةً فِي قَوْلِ بَعْضِ الْفُسْرِيِّينَ .

سَمِعَ مَسَاهِدَهُ فِي مَرْحِ عَائِشَةَ :

وَقَوْلِ حَصَانٍ فِي عَائِشَةَ :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا زَنْتُ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ

حَصَانٌ : فَحَالٌ يَفْتَحُ الْجَاءُ يَكْثُرُ فِي أَوْصَافِ الْمُؤَنِّثِ ، وَفِي الْأَعْلَامِ مِنْهَا ،
كَأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِتَوَالِي التَّفَتُّحَاتِ مُشَابَهَةَ خَفِيفَةِ الْإِفْطِ خَفِيفَةُ الْمَعْنَى ، أَيْ السَّمِيِّ
بِهَذِهِ الصِّفَاتِ خَفِيفٌ عَلَى النَّفْسِ ، وَحَصَانٌ مِنَ الْحَصَنِ وَالتَّحَصُّنِ ، وَهُوَ
الْإِمْتِنَاعُ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ نَظَرِهَا إِلَيْهَا ، وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ لِأُمِّهَا :

يَا أُمُّمَا أَتُصْبِرِينَ رَاكِبَةً بَسِيرَةً فِي مُسْتَحْفِرٍ لِاحِبٍ (١)

حَوَّلَتْ أَحْمَى التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ حَصْنًا وَأَتَمَّتْ حَوْزَةَ الْغَائِبِ (٢)

قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا :

الْحَصْنُ أَذْنِي لَوْ تَابَيْتِهِ مِنْ حَتِّكَ التَّرَبَّ عَلَى الرَّائِبِ

ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ السَّمَرَقَانِيُّ فِي شَرْحِ آيَاتِ الْإِبْرَاحِ

(١) الْمُسْتَحْفِرُ : الْمَتَدُّ . وَالْإِحَابُ : الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ الْمُنْقَادُ .

(٢) رَوَاهُ فِي السَّانِ مَكْنً :

مَظَلَّتْ أَحْمَى التَّرَابَ فِي وَجْهِهِ عَنِ وَاحِي حَوْزَةِ الْغَائِبِ

والرَّزَانُ وَالنَّقَالُ بمعنى واحد، وهى القليلةُ الحركة .

وقوله : وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ ، أى خَمِيصَةُ الْبَطْنِ مِنْ لُحُومِ النَّاسِ ، أى اغْتِيَابِهِمْ وَضَرْبَ الْفَرْثِ مَثَلًا ، وهو عدم الطَّعْمِ وَخُلُوُ الْجُوفِ ، حوى التَّنْزِيلِ : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ المجرات : ١٢ ضرب المثل لِأَخْذِهِ فِي الْمِرْضِ بِأَكْلِ اللَّحْمِ ، لِأَنَّ اللَّحْمَ سَيَّرَ عَلَى الْعَظْمِ ، وَالشَّامُ لِأَخِيهِ كَأَنَّهُ يَفْشِرُ وَيَكْثُرُ مَا عَلَيْهِ مِنْ سَيَرٍ .

وقال : مَيْتًا لِأَنَّ الْمَيْتَ لَا يُحْسَى ، وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يَسْتَعْمَلُونَ مَا يَجُولُ فِيهِ الْمَقْتَبُ ، ثُمَّ هُوَ فِي الْحَرَمِ كَمَا كُلُّ لَحْمِ الْمَيْتِ .

وقوله : مِنْ لُحُومِ النَّوَافِلِ ، يريد : اللَّحَائِفَ الْغَافِلَةَ قُلُوبُهُنَّ عَنِ الشَّرِّ ، كَمَا قَالَ سُبْعَانُهُ : ﴿ إِنَّ الدِّينَ بِرُءُومِ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ النور : ٢٣ جَمَلُهُنَّ غَافِلَاتٍ ، لِأَنَّ الدِّينَ رُءُومٌ بِهِ مِنَ الشَّرِّ لَمْ يَهْتَمُّنَ بِهِ قَطُّ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قُلُوبُهُنَّ ، فَهِنَّ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ ، وَهَذَا أَبَاحَ مَا يَكُونُ مِنَ الْوَصْفِ بِالْمَغَافِ .

وقوله :

لَهُ رَتَبٌ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

الرَّتَبُ : مَا رَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَعَلَا ، وَالرَّتَبُ أَيْضًا : قُوَّةٌ فِي الشَّيْءِ ، وَغِلَظٌ فِيهِ ، وَالسُّورَةُ رُتْبَةٌ رَفِيعَةٌ مِنَ الشَّرَفِ مَأْخُوذَةٌ اللَّفْظُ مِنْ سُورِ الْبِنَاءِ .

وقوله : فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَاظٍ ، أى : بِلَاصِقٍ ، يَقَالُ : مَا يَلِيطُ

ذلك بفلان ، أى : ما يلقى به ، ومنه سُمِّيَ الرَّبَّاءُ : لِيَاطًا ، لأنه أُلصِقُ بِالْبَيْعِ ،
وَلَيْسَ بِبَيْعٍ . وفي الكتاب الذى كَتَبَ لثَقِيفٍ : وما كان من دَبْنٍ لَيْسَ فِيهِ
رَهْنٌ ، فإنه لِيَاطٌ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ . وَسَيَأْتِي حَدِيثُهُ مَفْسَرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وقوله فى الشَّعر :

فَلَا رَقَعْتَ سَوْطِي إِلَى أَنَا مَلِي

دَعَا عَلَى نَفْسِهِ ، وفيه تصديقٌ لِمَنْ قَالَ : إِنْ حَسَّانٌ لَمْ يُجْلَدْ فِي الْإِفْكِ ،
وَلَا خَاضَ فِيهِ ، وَأَنشَدُوا الْبَيْتَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :
لَقَدْ ذَاقَ حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلَهُ

على خلاف هذا اللفظ :

لَقَدْ ذَاقَ عَبْدُ اللَّهِ مَا كَانَ أَهْلَهُ وَحَمْنُهُ إِذْ قَالُوا : هَجِيرًا وَمِنْطَحٌ

ما نزل فى مَوَاصِيحِ الْأَرْفَاقِ :

وَذَكَرَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْبَيْتِ ﴾ النور : ١٥ وكانت عائشة - رضى الله عنها تقرؤها : إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالْبَيْتِ مِنْ الْوَلَقِ ، وهو استمرارُ اللسان بِالْكَذِبِ . وأما إقامَةُ الْحَدِّ
عليهم ففيهِ التَّنْوِيهُ بَيْنَ أَفْضَلِ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وَأَدْنَى
النَّاسِ دَرَجَةً فِي الْإِيمَانِ ، لَا يُزَادُ الْقَافِزُ عَلَى الثَّمَانِينَ ، وَإِنْ شَمَّ خَيْرُ
النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا ، فَإِنْ قَذَفَ قَافِزٌ
الْيَوْمَ إِحْدَى أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ سِوَى عَائِشَةَ ، فَيَتَوَجَّهَ فِيهِ لِلْفَقْهَاءِ قَوْلَانِ :
أَحَدُهُمَا : أَنْ يُجْلَدَ ثَمَانِينَ كَمَا يَقْتَضِيهِ عَمُومُ التَّنْزِيلِ ، وَكَأَمَلِ النَّبِيِّ - صلى الله
(م ٢٩ - الروض الألف - ج ٦)

عليه وسلم - بالذين قَذَفُوا أَهْلَهُ قَبْلَ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِرَأْسِهَا ، وَأَمَّا بَعْدُ نَزُولِ الْقُرْآنِ بِرَأْسِهَا فَيُقْتَلُ قَاذِفُهَا قَتْلَ كُفْرٍ ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلَا يُورَثُ ، لِأَنَّهُ كَذَبَ اللَّهُ تَعَالَى .

والقولُ الثاني في قاذفِ أمهاتِ المؤمنين غير عائشة - رضى الله عنهن - أن يُقْتَلَ أَيْضًا ، وبه كان يأخذ شيخنا - رحمه الله تعالى - ويحتج بقوله تعالى : ﴿ إِن الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ الأحزاب : ٥٧ الآية ، وإذا قذف أزواجَ النبي عليه السلام ، فقد سبَّه . فمن أعظم الإذابة ، أن يُقَالَ عن الرَّجُلِ : قَرْنَانٌ ^(١) وإذا سبَّ نبيًّا بمثل هذا فهو كُفْرٌ صَرَّاحٌ وقد قال المفسرون في قوله تعالى (فَخَانَتْهُمَا) أى: خانتا في الطاعة لهما ، والإيمان ، وما بفت امرأة نبيٍّ قطُّ ، أى : ما زنت .

إهداء سبرين إلى صاه :

وذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطى حَسَّانَ جَارِيَتَهُ بِضَرْبِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعْطَّلِ لَهُ ، وهذه الجاريةُ اسمها سبرين بنت شمعون أخت مارية مُرِّيَّةُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وهى أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر ، وكان عبدُ الرحمن يَفْخَرُ بأنه ابن خالة إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم -

(١) القرنان هو الذى يشارك فى امراته كأنه يقرب به غيره أو هو نعت سوء فى الرجل الذى لا غيره له . قال الأزهري : هذا من كلام الحاضرة ، ولم أر له ادعى ، لفظاً له ولا غيره .

وقد روت سيرين هذمه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاً في قبر إبراهيم ابنه فأصلحه ، وقال : أن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يصلحَه ^(١).

(١) أخرج البخاري ومسلم حديث قصة الإفك في صحيحيهما من حديث الزهري : وفي روايتهما أن أمها قالت لها عقب تبشير الرسول ، ص ، أم عائشة براءتها . « قومي إليه ، فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحد إلا الله عز وجل هو الذي أنزل براءتي . » وفي رواية للبخاري قالت : « لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحداً ، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي ، لقد سمعته ، فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه ، ويقول ابن كثير عن الذي تولى كبره : « قيل : المراد به حسان ، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصعابة الذين لهم فضائل ومناقب وآثر ، وأحسن مآثره أنه كان يذب عن رسول الله ، ص ، بشعره ، وهو الذي قال له رسول الله ، ص : « ما جهم ، وجبريل معك ، هذا وفي رواية البخاري أن الرسول ، ص ، لبث شهراً لا يوحى إليه في شأن عائشة ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك ، وأما التقيد بالشهر فهو المدة التي أولها إيمان عائشة ببيت أبيها حين بلغها الخبر .

ويقول الزمخشري : لم يقع في القرآن من التغليظ في مصيبة ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة ، وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد والعقاب البالغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول في ذلك واستقصاءه بطريق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك ، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانظر للقول في المصيبة الذين جاءوا بالإفك في ص ٢٧٣ ٨٠ ط عبد الرحمن محمد فتح الباري . هذا وقد زاد الحاكم في شعر حسان اللامي بيتين من غير رواية ابن اسحاق

أمر الحديبية في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان
والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين سبيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان
وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة معبراً ، لا يريد حرباً .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ثُمَيْلَةُ بن عبد الله الأبيشي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومن حوله من أهل البوادي من
الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُرَيْشٍ الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب
لو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ،
وساق معه الهدي ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه
إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن
الزبير عن مسروق بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قال : خرج

= حيلة خير الخلق ديناً ومنصباً نبي الهدى والمكرمات الفواضل
رأيتك ولينفردك الله حرة من المحصنات غير ذات النوائل
وقد روى من طريق صالح بن كيسان عن الزهري . قال عروة : كانت عائشة
تكره أن يسب عندها حسان ويقول : إنه الذي قال
فإن أد . ووالله وعبد الله لعبد محمد منك . قال .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيْبِيَّة يريد زيارة البيت ، لا يريد قتلا ،
وساقَ معه الهُدَى سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وكان الناس سَمِعَ مائة رجل ، فكانت
كلَّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنَّا أصحابَ الحُدَيْبِيَّة أربع
عشرة مائة .

قال الزهري : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان
بُغْتَان لَقِيَهُ بَشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَلْبِيُّ - قال ابن هشام : ويقال بُشْر - فقال :
يا رسول الله هذه قُرَيْش ، قد سَمِعَتْ بِمَسِيرِكَ ، فخرجوا معهم المَوْدُ الطَّافِيلُ ،
قد لَبَسُوا جُلُودَ النَّمُورِ ، وقد نَزَلُوا بِذِي طَوًى ، يُمَاهِدُونَ الله لا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ
أَبَدًا ، وهذا خالد بن الوليد في خَيْلِهِمْ قد قَدَّمُوها إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ ، قال :
فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَا وَبَيْحَ قُرَيْش ! لقد أَكَلْتُمُ الحَرْبُ ،
ماذا عَلَيْهِمْ لو خَاؤُوا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ العَرَبِ ، فإن هم أَصَابُونِي كانَ الَّذِي أَرَادُوا ،
وإن أَظْهَرَ نِيَّ الله عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ وَافِرِينَ ، وإن لم يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ
قُوَّةٌ ، فَا تَنْظُنْ قُرَيْشُ ، فوالله لا أَزالُ أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللهُ بِهِ حَتَّى
يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ تَنْفَرَدَ هَذِهِ السَّالْفَةُ .

الرسول صلى الله عليه وسلم يسلك طريقاً غير طريق قريش

ثم قال : مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمْ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟

قال ابن إسحاق : خَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ قُرَيْشٍ قَالَ :

.....

أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وُغراً أُجْرَل بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند مُنْقَطع الوادي ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا : نَسْتَغْفِرُ اللهَ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ؛ فقالوا ذلك ، فقال : والله إنه ساءَ للخطَّة التي عُرِضت على بني إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهري الخُمس ، في طريقٍ تُخرجُه على نَبِيَّةِ المَرَار مَهْبِطُ الحُدَيْبِيَّة من أسفل مكة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَرَّةَ الجيش قد خالَفوا عن طريقهم ، رَجَعُوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، في نَبِيَّةِ المَرَار بَرَكَتِ ناقته ، فقالت الناس : خَلَّتِ الناقة ، قال : ما خَلَّتْ وما هُوَ لها بِخُلُقٍ ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش اليومَ إلى خُطَّةِ بِأَلُونَنِي فيها صَلَةُ الرَّحْمِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا . ثم قال للناس : انزِلُوا ، قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي مالا نزل عليه ، فأخرج سهماً من كِنَانَتِهِ ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به في قَلِيبٍ من تلك القُلُب . ففرزه في جَوْفِهِ ، فجاش بالرياء حتى ضَرَبَ الناس عنه بَعَطَان .

قال ابنُ إسحاق : فحدثني بعضُ أهل العلم عن رجال من أسام : أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُنْدَب بن عُمَيْر ابن يَغْمَر بن دارم بن عمرو بن إِثْبَالَةَ بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفضى

ابن أبي حارثة ، وهو سائقُ بُذْنِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أُنْفِىَ بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعضُ أهل العلم : أن البراء بن عازبٍ كان يقول : أنا الذى نزلت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجيةٌ ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالناسم ، فرغت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجيةً في القليب يُمِيج على الناس ، فقالت :

يا أيها المأمع دُلّوى دُونَكَا إني رأيتُ الناسَ يَمُحِدُونَكَا
يُتَنُونُ خيراً وَيُمَجِّدُونَكَا

قال ابن هشام : ويروى :

إني رأيتُ الناسَ يَمْدَحُونَكَا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القليب يُمِيج على الناس :

قد علمت جاريةً يمانيةً أني أنا المأمع واسمي ناجيةً
وطعنة ذات رَشاشٍ واهيةً طعنتها عند صدور العادية

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنَاهُ بِدَيْلِ بن وَرْقَاءِ الْخُزَاعِيِّ ، في رجال من خُزَاعَةٍ ، فَكَلَّمُوهُ وَسَأَلُوهُ : مَا الَّذِ

.....

جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سُفْيَان ، فَرَجَعُوا إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالُوا : يامعشر قُرَيْش ، إنكم تَمَجِّلونَ على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، قَاتَهُمُومٌ وَجَبَّهُومُ وَقَالُوا : وإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يَرِيدُ قِتَالاً ، فَوَاللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنُودٌ أَبَدًا ، وَلَا تَحْدُثُ بِذَلِكَ عِنَّا الْعَرَبُ .

قال الزهري : وكانت خَزَاعَةُ عَيْبَةَ نُصَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُسَلِّمًا وَمُشْرِكًا ، لَا يَخْفَوْنَ عَنْهُ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّةَ .

قال : ثم بعثوا إليه مِكَرَزُ بْنُ حَفْصِ بْنِ الْأَخِيْفِ ، أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقْبِلًا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّمَهُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لُبْدَيْلٍ وَأَصْحَابِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثم بعثوا إليه الْحَلْبِيسُ بْنُ عَلَقْمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَّانٍ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيشِ ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كِنَانَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي فِي قِلَائِهِ ، وَقَدْ أَكَلَ أَوْ بَارَهُ مِنْ طَوْلِ الْجُبْسِ عَنْ تَحْلِهِ ، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِإِعْظَامِ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ . قَالَ : فَقَالُوا لَهُ : اجْلِسْ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَغْرَابِي لَا عِلْمَ لَكَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالنا كم ، ولا على هذا عاقبتنا كم . أبصده عن بيت الله من جاء مُعْظَمًا له ، والذي نفس الحليس بيده ، لئُخْلِنَ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحاييش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كف عنا يا حليس حتى نأخذَ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ؛ فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بئسهم إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والله وإن ولد - وكان عروة لسُبَيْمَةَ بنت عبد شمس - وقد سمعتُ بالذي نابكم ، فجئتُ من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . ففرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أو شاب الناس ، ثم جئت بهم إلى يمينك لتفرضها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد أيسوا جلود الثمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عتوة أبدًا . وإني والله ، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : انصص بظر اللات ، أئمن نكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه قال : والمغيرة بن شعبة واقف على

رَأْسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيدِ . قَالَ : فَجَعَلَ يَمْرَعُ يَدَهُ إِذَا تَنَاوَلَ إِخِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ : اكَفُفْ يَدَكَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَيْكَ ، قَالَ : فِيهِ قَوْلُ عُرْوَةَ : وَنَحَكَ ! مَا أَقْظَكَ وَأَغْلَظَكَ ! قَالَ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : مَنْ هَذَا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُ أَخِيكَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، قَالَ : أَيْ غَدَرٌ ، وَهَلْ غَسَلْتُ سَوْءَتَكَ إِلَّا بِالْأَمْسِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : أَرَادَ عُرْوَةُ بِقَوْلِهِ هَذَا أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَبْلَ إِسْلَامِهِ قَتَلَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَالِكٍ ، مِنْ ثَقِيفٍ ، فَتَهَايَجَ الْحَيَّانُ مِنْ ثَقِيفٍ : بَنُو مَالِكٍ رَهَطُ الْمُقْتُولِينَ ، وَالْأَحْلَافُ رَهَطُ الْمُغِيرَةِ ، فَوَدَّى عُرْوَةُ الْمُقْتُولِينَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ دِيَّةً ، وَأَصْلَحَ ذَلِكَ الْأَمْرَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْحَوِي مِمَّا كَلَّمَهُ بِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِرِيدٍ حَرْبًا .

فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ ، لَا يَتَوَضَّأُ إِلَّا ابْتَدَرُوا وَضُوهُ ، وَلَا يَنْبِصِقُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ . وَلَا يَسْتَقِطُ مِنْ شَعْرَةٍ شَيْءٍ إِلَّا أَخَذُوهُ . فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ كَيْسَرِي فِي مُلْكِكُمْ ، وَقَيْصَرِي فِي مُلْكِكُمْ . وَالنَّجَاشِيُّ فِي مُلْكِكُمْ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِلَكًا فِي قَوْمٍ قَطَّ مِثْلَ عَمْدٍ فِي أَصْحَابِهِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسَلِّمُونَهُ لَشَيْءٍ أَبَدًا ، فَارَوْا رَأْيَكُمْ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العالم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خِرَاشَ بنَ أُمَيَّةَ الخُزَاعِي ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ يَقَالُ لَهُ التَّمْلَبُ ، لِيَبْلُغَ أَشْرَافَهُمْ عَنْهُ مَا جَاءَ لَهُ ، فَعَقَرُوا بِهِ جِلَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ ، فَمَنَعَتْهُ الْأَحَابِيشُ ، نَحَلُوا سَبِيلَهُ ، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ من لا آتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قُرَيْشًا كَانُوا يَبْعَثُونَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَوْ خَمْسِينَ رَجُلًا ، وَأَسْرُومَ أَنْ يُطِيفُوا بِمَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيُصِيبُوا لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا ، فَأَخَذُوا أَخْذًا ، فَأَتَى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَقَا عَنْهُمْ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَقَدْ كَانُوا رَمَوْا فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثنه إلى مكة ، فيبْلُغَ عَنْهُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مَا جَاءَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنُ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي ، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا ، وَغِلَظَتِي عَلَيْهَا ، وَلَسَكُنِي أَدْلُكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي ، عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ ، وَإِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، وَمَعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ الْعَاصِ

حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ؛ فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتسبته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل : لا تبرح حتى نُنَاجِزَ القوم ، فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخاف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجدة بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكانني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قد ضاً إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

.....

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن
أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .
قال ابن هشام : وحدثني من أنق به عن حديثه بإسناد له ، عن ابن
أبي مليكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ،
فقترب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني
عمر بن لوئى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : أنت محمد
فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا علمه هذا ، فوالله لا تحدث
العرب عنا أنه دخلنا علينا عتوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ؛ فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا
هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسكّم
فأطال الكلام ، وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما العام الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى
أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى : قال أولسنا بالمسلمين ؟
قال : بلى ؛ قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام تعطى الدنيّة
في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله ؛ قال
عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ؛ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ألت بر رسول الله؟ قال : بلى ، قال : أو آتينا بالمسلمين ؟ قال :
بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نُعطى الدَّيْنِيَّةُ
في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، وإن بُضِعَ عني ! قال :
فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأُعتق ، من الذي صنعتُ
يومئذ ! مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

على يكتب شروط الصلح

قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب رضوان
الله عليه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سُهَيْل :
لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا
ما صالح عليه محمد رسولُ الله سُهَيْل بن عمرو ، قال : فقال سُهَيْل : لو شهدت أنك
رسولُ الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سُهَيْل بن عمرو ، اصطلحا على وَضْع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمَن
فيهنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيْشٍ
بغير إذن وليِّه ردَّه عليهم ، ومن جاء قريشاً عن محمد لم يردَّوه عليه ،
وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحبَّ أن
يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد
قُرَيْشٍ وعهدهم دخل فيه .

خزاعة في عهد محمد، وبنو بكر في عهد قريش

فتوَّأبَت خَزَاعَةُ قَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ ، وَتَوَأبَتِ بَنُو بَكْرٍ .
قَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ ، وَأَنْتَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَكَ هَذَا ، فَلَا تَدْخُلْ
عَلَيْنَا مَكَّةَ ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامَ قَابِلٍ ، خَرَجْنَا عَنْكَ فَدَخَلْتَهَا بِأَصْحَابِكَ ، فَأَقْتِ
بِهَا ثَلَاثًا ، مَعَكَ سِلَاحُ الرَّكْبِ ، السُّيُوفُ فِي الْقُرْبِ ، لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِهَا .

جندل بن سهيل

فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو .
إِذَا جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الْحَدِيدِ ، قَدْ انْقَلَتَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشْكُونُ فِي الْفَتْحِ ، لِرُؤْيَا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصَّلَاحِ وَالرُّجُوعِ ، وَمَا تَحْمِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ ؛
فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلُ بْنُ أَبِي جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضْرَبَ وَجْهَهُ ، وَأَخَذَ بِتَلْبِيئِهِ ؛ ثُمَّ قَالَ :
يَا مُحَمَّدُ ؛ قَدْ لَجَّتِ الْقَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيكَ هَذَا ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ،
فَجَعَلَ يَنْتَرُهُ بِتَلْبِيئِهِ ، وَيَجْرُهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَنْصُرُخُ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أُرَدُّ إِلَى الْمَشْرِكِينَ يَفْتَنُونِي فِي دِينِي ؟ فَزَادَ ذَلِكَ
النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؛ اصْبِرْ
وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِنَ مَعَكَ مِنَ الْمُسْتَضْعِفِينَ قَرَجًا وَخُرَجًا ،
إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا ، وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ .

.....

«وإنما لا تغدر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم للمشركون وإنما دم أحدكم دم كلب . قال : ويذني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباة ، قال : فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

الذين شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، وميكرز بن حنص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً في الحِلِّ ، وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هذبه فنحره ، ثم جلس لتخلق رأسه ، وكان الذي حلقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق نوابهوا ينتحرون ويحلقون .

المحلقون والمقصرون

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن

.....

عبّاس ، قال : خلق رجال يوم الحديبية ، وقصّر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : يَرْحَمُ اللهُ الْخَلْقَيْنِ ، قالوا : والمُقَصِّرِينَ يا رسول الله ؟ قال : والمُقَصِّرِينَ ، فقالوا : يا رسول الله : فلم : ظهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاً لأبي جهل ، في رأسه بُرّة من فضة ، يفيض بذلك للشركيين .

نزول سورة الفتح

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا . لِيَفْهَرَّ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَيُؤْتِيَ نِعْمَةً عَلَىكَ ، وَبَهْدِكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ ﴾ .

ذكر البيعة

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ، فَمُسَوِّغٌ لَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ ﴾ .

ذكر من تخلف

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرغتم للخروج معه فأبطئوا عليه : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لَتَأْخُذُواهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ﴾
ثم القصة عن خبرهم ومعارض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا آتهم ، عن الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَمَقَّامَ مَافِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَائِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَمَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ .

ذكر كف الرسول عن القتال

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَنكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض العرب

قال ابن هشام : للمكوف : الحبوس ، قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
وَكَانَ السَّمُوطُ عَكَفَهُ السُّلُوكُ بِعَطْفِ جَيْدَاءِ أُمِّ غَزَالٍ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَافُوكُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ ﴾ ، والمرأة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا ديتة ، فلما إثم فام يخشيه عليهم .
قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعفّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جندل بن سهيل . وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا جَمَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ ، حَيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) يَفْضِي سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ سَمِعَ أَنْ يَكْتُبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَأَنْ عَمَدًا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَبْكَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَالزَّمَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) : أَيْ التَّوْحِيدَ ، شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ عَمَدًا حَبْدَهُ وَرَسُولَهُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا) : أَيْ لَرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَأَى ، أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ ؛ يَقُولُ : مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ، وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ لَا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ، لِجَعْلِهِ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ، صَلَاحَ الْحَدِيثِ .

يَقُولُ الزُّهْرِيُّ : فَمَا فَتَحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحَ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ ، إِنَّمَا كَانَ لِقِتَالِ حَيْثُ التَّقَى النَّاسَ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدَنَةُ ، وَوُضِعَتِ الْحَرْبُ ، وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، وَالتَّقْوَى ، فَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ ، فَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَغْفُلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ ، وَاقْدَ دَخَلَ فِي تَيْنِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَالِدِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْحَدَيْبِيَّةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ ، فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتَحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

بحي أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وكان من حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب التقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمثا رجلا من بني لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء التوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا القدر ، وإن الله جاعل لك ولبن مملك من المستضعفين قرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولبن مملك من المستضعفين قرجا ومخرجا .

قتل أبي بصير للناصري ، ومقالة الرسول في ذلك

فانطلق معهم ، حتى إذا كان بذي الحليفة ، جالس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم دلاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريما حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما ، قال : إن هذا الرجل قد رأى قرعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّعاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وَفَتَ ذِمَّتْكَ ، وَأَدَى الله عنك ، أَسَلْتَنِي يَدَ الْقَوْمِ وَقَدِ امْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أَقْتَنَ فِيهِ ، أَوْ يُعْتَبَثَ بِي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مِحْشٌ حَرْبٌ لو كان معه رجال !

أبو بصير وزملاؤه في العيص

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عابها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « وَيْلُ أُمِّهِ مِحْشٌ حَرْبٌ لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آوام ، فلا حاجة لهم بهم . فأوام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم

العامريّ ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى يؤدّي هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لمو السّفه ، والله لا يؤدّي ثلاثاً . فقال في ذلك مَوْهَب بن رباح أبو أنيس ، حليف بني زهرة :

قال ابن هشام : أبو أنيس أشعريّ .

شعر موهب في ودّي أبي بصير

أَتَانِي عَنْ سُهَيْلِ ذَرَاهُ قَوْلٍ فَأَيْقَظُنِي وَمَا بِي مِنْ رُقَادٍ
فَإِنْ تَسَكَّنَ الْعِتَابَ تُرِيدُ مِنِّي فَمَا تَنْبِي فَمَا بَكَ مِنْ بَعَادِي
أَتُوَعِدُنِي وَعَبْدَ مَنْافَ حَوْلِي بِمَخْزُومِ أَلْتَهَا مَنْ تُعَادِي
فَإِنْ تَفْمِزْ قَنَانِي لَا تَجِدُنِي ضَعِيفُ الْمُودِ فِي الْكُرْبِ الشَّدَادِ
أَسَامِي الْأَكْرَمِينَ أَبَا بَقْوَمِي إِذَا وَطِئَ الضَّعِيفُ بِهِمْ أَرَادِي
هُمْ مَقَمُوا الظَّوَاهِرَ غَيْرَ شَكٍّ إِلَى حَيْثُ الْجَوَاطِينُ فَالْعَوَادِي
بِكُلِّ طَيْرَةٍ وَبِكُلِّ نَهْدٍ سَوَاهِمَ قَدْ طُوِينِ مِنَ الطَّرَادِ
لَهُمْ بِالْخَلِيفِ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدَ رِوَاقِ الدَّجْدِ رُفِعَ بِالْمَادِ

ابن الزبيري يرد على موهب

فأجابه عبد الله بن الزبيري ، فقال :

وَأَمْسَى مَوْهَبٌ كَحِمَارِ سَوَاءٍ أَجَازَ بَيْلَدَةٍ فِيهَا يُنَادِي

.....

فَإِنَّ الْعَبْدَ مِثْلَكَ لَا يُنَاوِي سُهَيْلًا ضَلَّ سَعْيِكَ مِنْ تُعَادِيهِ
فَأَقْصِرْ يَا بَنَ قَيْنِ السُّوءِ عَنْهُ وَعَدَّ عَنِ الْمَقَالَةِ فِي الْبِلَادِ
وَلَا تَذْكُرْ عِتَابَ أَبِي يَزِيدٍ قَهَبَاتِ الْبُحُورِ مِنَ الثَّمَادِ

أمر المهاجرات بعد الهدنة

الرسول صلى الله عليه وسلم يأبى رد أم كلثوم

(قال ابن إسحاق) : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخاها عمارة والوليد
ابنا عتبة ، حتى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدَّهَا
عَلَيْهِمَا بِالْمَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدُوبِ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ .

حول آية المهاجرات المؤمنات

قال ابن إسحاق : فحدثني الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي هَنِيْدَةَ ، صَاحِبِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،
وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ
الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَآهُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ،
وَأَتَوْهُنَّ مَا نَفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَفَكِّحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ .

— قال ابن هشام : واحدة العصم : عِصْمَةٌ ، وهى الحبل والسَّبَب . قال .
أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المرء قيس نطيلُ الشرى وتأخذ من كلِّ حَىٍّ عِصْمٍ

وهذا البيت فى قصيدة له .

﴿ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ ، وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ،
فله هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أتى الله أن
يردذن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فقرفوا أنهن إنما
جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن
هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله
يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من
من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ،
ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم
الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردن لمن صدقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه
من الملقات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْبَلُكُمْ ، فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ فقال : يقول : إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فموضوع من قبيح وإن أصبتموه ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ... ﴾ إلى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ ﴾ ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أَبِي أُمَيَّةَ بن المُنْظَرِ ، فزوجهها بعده مُعَاوِيَةُ بن أَبِي سَفْيَانَ وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جَرْوَلٍ أُمَ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عمر الخُزَاعِيَّةِ ، فزوجهها أَبُو جَهْم بن حُدَيْفَةَ بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتح مكة وتسهيل بعض المسلمين

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أَنَّ بَعْضَ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ : أَلَمْ تَقُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا ؟ قَالَ : بَلَى ، أَقْلَتُ لَكُمْ مِنْ عَامِي هَذَا قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَهُوَ كَمَا قَالَ لِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

غزوة الحديبية

يقال فيها : الحُدَيْبِيَّةُ بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحُدَيْبِيَّةُ بالتشديد ، والجُمُعَةُ أَنَّهُ كَذَلِكَ ، وأهل العربية يقولونها : بالتخفيف ، وقال البكري : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجُمُعَةِ والحُدَيْبِيَّةِ ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من آتيت من أثق بمله عن الحُدَيْبِيَّةِ ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف (١) .

المقات والبرسار :

فصل : وذكر خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - مُقْتَمِرًا إلى مكة ، ولم يذكر في حديثه : من أين أحرم ، وفي الصحيح من رواية الزهري أنه أحرم من ذى الحليفة ، وهو خلاف ما يروى عن علي - رحمه الله - من قوله : إن تمام للعمرة أن تُحْرَمَ بها من دُوَيْرَةِ أَهْلِكَ ، وهذا من قول علي - مُتَّوَلٍ فِيمَنْ كَانَ مَنْزِلُهُ مِنْ وَرَاءِ الْمِقَاتِ ، فهو الذي يُحْرَمُ من دُوَيْرَةِ أَهْلِهِ ، كما يُحْرَمُ أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ فِي الْحَجِّ .

وفيه : أنه أَشَقَرُ النَّهْدَى ، وهو خلاف قول النخعي وأهل الكوفة في قولهم إن الإشارَةَ منسوخةٌ بنبيه عن الْمُثَلَّةِ ، ويقال لهم : إن

(١) وأهل الحديث يكسرون العين وأهل الادب يخففون الراء .

النهي عن المثلة كان بإثر غزوة أحد ، فلا يكون الناسخ متقدماً على النسخ.

مدرج حديث الحميري:

وفيه أنهم مَرُّوا بطريق أُجْرَدَ ، ومعناه: كثير الحجارة ^(١) ، والجرد: الخجَرُ .
وفيه أنه بَثَّ عَيْنَاهُ مِنْ خُرَاعَةٍ إِلَى مَكَا ، فدل على أنه يجوز للرجل أن
يسافر وحده إذا مَشَتْ الحاجة إلى ذلك ، أو كان في ذلك صلاح للمسلمين .
وفي البخاري والنسوي أن عَيْتَهُ الذي أرسل جَاءَهُ بِبَدِيرِ الْأَشْطَاطِ ،
والأَشْطَاطُ : جَمْعُ شَطَا ، وهو السَّامُ ، قال الرازي ^(٢) :

شَطَا رَمَيْتَ فَوْقَهُ بِشَطَا

وشَطَا الوادي : أيضاً جَانِبُهُ ، وبمضهم يقول فيه الْأَشْطَاطُ بِالظَّامِ الْمُجْمَعِ ،
واسم عينه ذَلِكَ بُسْرُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَرَ الْخَزَاعِي ^(٣) ، وهو الذي

(١) في السيرة أجْرَل . والجِرْل : بالتحريك : الحجارة أو مع الشجر أو المكان
الصلب القليظ ، والجرد من الأرض مالا يثبت ، والفضاء لا نبت فيه وهذا
الإسم للفضاء ، ومن هذا يتبين أن السهيل وضع الجرد معنى الجِرْل ، أو لعله
خطأ من الناسخ ، إذ جعل اللام دالا .

(٢) الرجز لأبي النجم ، وهو الفضل بن قدامة بن عبيد الله عجلي من بني عجل
ابن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، والرجز هكذا .

علقت خوداً من بنات الرط ذات جهاز مضطط ملط
كان تحت درعها المنعط شطا رهيت فوقه بشط

لم ينز في الرفع ولم ينط

(٣) أوعو بمر الخزاعي .

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بُدَيْلِ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ^(١) وهو بُدَيْلُ
ابن سَلَمَةَ^(٢) إلى خزاعة يَسْتَنْفِرُهُمْ إلى قتالِ أَهْلِ مَكَّةَ عامَ الْفَتْحِ .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعها الْعُوْذُ الْمَطَافِيلُ . الْعُوْذُ : جمع عَائِذٍ ، وهي
الغائقة التي معها ولدها ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِذَوَاتِ الْأَلْبَانِ مِنَ الْإِبِلِ ،
لِيَتَزَوَّدُوا أَلْبَانَهَا ، وَلَا يَرْتَجِعُوا ، حَتَّى يُبَاجِرُوا أَحْمَدًا وَأَصْحَابَهُ فِي زَعْمِهِمْ ، وَإِنَّمَا
قِيلَ لِلنَّاقَةِ : عَائِذٌ ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ هُوَ الَّذِي يَمُودُ بِهَا ، لِأَنَّهَا عَاطَفٌ عَلَيْهِ ،
كَأَقَالُوا نَجَارَةً رَاجِحَةً ، وَإِنْ كَانَتْ مَرْبُوحًا فِيهَا ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى نَأْمِيَةٍ
وَزَاكِيَةٍ ، وَكَذَلِكَ عَيْشَةُ رَاضِيَةٌ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى صَالِحَةٍ ، وَمِنْ نَحْوِ هَذَا قَوْلُهُ :
(وَالْتَمَذَى مَفْكُوفًا) الْفَتْحُ : ٢٥ وَإِنْ كَانَ عَائِظًا ، لِأَنَّهُ مَجْبُوسٌ فِي الْمَعْنَى ،
فَصَحُولُ وَزْنُهُ فِي اللَّفْظِ إِلَى وَزْنِ عَاهُو فِي مَعْنَاهُ ، كَمَا قَالُوا فِي الرَّأَةِ : تَهْرَاقُ
الدِّمَاءَ ، وَقِيَاسُهُ : تَهْرَبِقُ الدِّمَاءَ ، وَلَكِنَّهُ فِي مَعْنَى : تُسْتَحَاضُ ، فَحَوَّلَ
إِلَى وَزْنِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ وَبَقِيَتِ الدِّمَاءُ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْفِعُولِ كَمَا كَانَتْ^(٣) .

(١) فِي الْأَصْلِ : أَصُوم .

(٢) فِي الْقَامُوسِ : بِدِيلُ بْنُ مَيْسَرَةَ بْنِ أُمِّ أَصْرَمَ ، وَبَدِيلُ بْنُ سَلَمَةَ . وَفِي
الْإِسْتِقْنَاءِ : بِدِيلُ بْنُ أُمِّ أَصْرَمَ .

(٣) قَدْ يَكُونُ مَنْصُوبًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، وَإِنْ كَانَ مَعْرِفَةً ، وَلَهُ نَظَائِرُ ، أَوْ يَكُونُ
قَدْ أَجْرَى تَهْرَاقَ يَجْرِي : نَفَسَتِ الْمَرْأَةُ غَلَامًا ، وَنَتَجَ الْفَرَسُ مَهْرًا ، وَيَجُوزُ دَفْعُ
الدَّمِ عَلَى تَقْدِيرِ : تَهْرَاقَ دِمَاؤَهَا ، وَتَكُونُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ بَدَلًا مِنَ الْإِضَافَةِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْ يَغْفُو الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النَّكَاحِ) أَيْ عَقْدَةُ نِكَاحِهِ أَوْ نِكَاحِهَا
وَالْإِسَانُ مَادَّةُ مَرْقٍ . .

وقوله في بئر الحذبيّة : إنما يتبرّض ماؤها تبرّضاً من البرّض ، وهو الماء الذي يقطر قليلاً قليلاً ، والبارض من النبات الذي كأنه يقطر من الرّميّ والنعمة . قال الشاعر :

رَعَى بَارِضَ الْبُهْمَى بِجِيا وَبُسْرَةَ وَصَمَاءَ حَتَّى آتَفَتْهُ نِصَالُهَا^(١)

يقال لكل شيء في أوله : بُسْرَة حتى للشمس عند طلوعها ، وصمماء : مُتَّحِدَة قد شوّكت ، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رجلاً من أسلم سلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل يقال : إن ذلك الرجل هو ناجية الأسلى ، وهو سائق بُدْنِه ، وهو ناجية بن جندب ، ويقال فيه ابن مُخَمَّر ، وكان اسمه : ذَكْوَان ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم : ناجية حين نجى من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاوية ، وأما صاحب بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكور في حديث آخر في الموطأ وغيره ، فاسمه : ذُو بَبْنِ حَلْحَلَة بن عمرو بن كليب بن أضرَم بن عبد الله بن قُيَير بن حُبَشِيَة بن سُلُول بن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو حلي بن

(١) البيت في اللسان وروايته : رعت . وفي الأصل : حميا وآفته والتصويب من اللسان . وآفته : جعلتها تشتكى — أوفها بسقاما . ويرى حتى أنصاتها . والبهمى : نبات تحبه الغنم جداً شديداً مادام أخضر . قال الأزهري : البهمى أول ما يبدو منها البارض ، فإذا تحرك قليلاً فهو جسيم ، فإذا ارتفع وتم قبل أن يتفقا ، فهو الصمماء . والبسرة : الغض من البهمى ، انظر اللسان في مادة يسر . وصم ، وبهم .

حَارِثَةُ جَدُّ خُرَاعَةَ ، وَذُوَيْبٌ هَذَا هُوَ وَالِدُ قَبِيصَةَ بْنِ ذُوَيْبٍ الْقَاضِي صَاحِبِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَعَاشَ ذُوَيْبٌ إِلَى خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا .

وَذَكَرَ فِي نَسَبِ أَسْلَمَ بْنِ أَقْصَى بْنِ أَبِي حَارِثَةَ ، وَهُوَ وَمَنْ ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ
ابْنُ هِشَامٍ ، فَقَالَ : هُوَ حَارِثَةُ يَعْنِي بِنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ طَامِرٍ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ
ابْنِ حَارِثَةَ الْفَطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَازِنَ بْنِ الْأَسَدِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ إِسْحَاقَ لَمْ يَهْمُ فِيهِ ، وَلَكِنَّهُ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي حَارِثَةَ بْنِ
عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ ، وَهُوَ عَمُّ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَحَارِثَةُ هُوَ أَبُو الْأَوْسِ
وَالْخَزَرَجِ ^(١) .

وَذَكَرَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ الْيَوْمَ إِلَى خَطَةِ ، الْحَدِيثِ ،
وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،
لَا تَدْعُونِي قَرِيشَ ، وَلَمْ يَقُلْ فِي الْحَدِيثِ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ
فَقِيلَ : إِنَّمَا أُسْقِطَ الْإِسْتِثْنَاءُ ، لِأَنَّهُ أَمْرٌ وَاجِبٌ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، الْأَنْتَاهُ يَقُولُ
فِي الْحَدِيثِ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ لَنْ أَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي ^(٢) ،
وَقِيلَ إِنْ إِسْقَاطُ الْإِسْتِثْنَاءِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الرَّاوِي إِنَّمَا نَسَبَهُ وَإِنَّمَا يَحْفَظُهُ .
وَفِي الْحَدِيثِ : أَوْ تَنْفِرُ هَذِهِ السَّالِفَةُ . السَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْمُتَقَرِّبِ ، وَانْفِرَادُهَا .

(١) هَذَا لِأَنَّ حَارِثَةَ وَلَدَ رَيْبَةَ ، وَوَلَدَ رَيْبَةَ عَمْرًا ، وَهُوَ أَبُو خُرَاعَةَ .

(٢) رَأَى غَيْرَ جَيِّدٍ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ : (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) مَعَ تَحْقِيقِ وَقُوعِ ذَلِكَ تَعْلِيمًا وَإِرْشَادًا ، هُنَا فَتَحَ
الْبَارِي . .

عبارة عن القتل أو الذبح ، وفي الرجز الذي أنشده :

يَا أَيُّهَا السَّامِيُّ دَلَوِي دُونَكَ

لو قال دُونَكَ دَلَوِي لكان الدَلَوِي موضع نصيب على الإغراء ، فلما قدّمها على دُونَكَ ، لم يَجْزْ نصيبها بدُونَكَ ، ولكنه بفعل آخر ، كأنه قال : امْلَأْ دَلَوِي ، فقوله : دُونَكَ أَمْرٌ بعد أمرٍ .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فِي الْحُلَيْسِ : إِنْ هَذَا مِنْ حَوْمِ بَنَاتِهِمْ ، أَيْ : يُعْظَمُونَ أَمْرَ الْإِلَهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ رُؤْبَةِ :

سَبَّحْنَ ، وَاسْتَرْجَمْنَ مِنْ تَأْلِهِ (١)

أَيْ : مِنْ تَأْلِكَ وَتَعْظِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

وصف الجمع بالفردي :

وقول عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ لِقُرَيْشٍ : قَدْ عَزَّزْتُكُمْ أَنْكُمْ وَاللَّهُ : أَيْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ كَأَنَّهُ إِدٍ ، وَقَبْلَ مَعْنَاهُ : أَنْتُمْ حَيٌّ قَدْ وَلَدْتُمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ لِسُبَيْعَةَ (٢) بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ (٣) ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الْجَمَاعَةِ : هُمْ لِي صَدِيقٌ وَعَدُوٌّ . وَفِي

(١) القصيدة في ديوان ربيعة والبيت هكذا :

فه در الغايات المده سبحن واسترجمن من تأله
(٢) في الأصل : سفيحة ، وموخطا .

التنزيل : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء : ٦٩ فيُزَادُ لَهَا صِفَةُ قَرِيبٍ وَحَزْبٍ وَتَقْبَحُ أَنْ تَقُولَ : قَوْمُكَ ضَاحِكٌ أَوْ بَاكٍ ، وَلِئِنْما يَحْسُنُ هَذَا إِذَا وَصَفْتَ بِصَدِيقٍ وَرَفِيقٍ وَعَدُوٍّ لِأَنَّهَا صِفَةٌ تَصْلُحُ لِلْفَرِيقِ وَالْحَزْبِ ، لِأَنَّ التَّدَاوَةَ وَالصَّدَاقَةَ صِفَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ ، إِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِهِمَا الْفَرِيقُ الْوَاحِدُ ، كَانَ الْآخَرُ عَلَى ضِدِّهَا ، وَكَانَتْ قُلُوبُ أَحَدِ الْقَرِيبَيْنِ فِي تِلْكَ الصِّفَةِ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي عُرْفِ الْعَادَةِ ، لِحَسَنِ الْإِفْرَادِ ، وَلَيْسَ يَلْزَمُ مِثْلُ هَذَا فِي الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَنَحْوِهِ ، حَتَّى يَقَالَ : هُمْ قَاءٌ — ذَا أَوْ قَائِمٌ كَمَا يَقَالُ : هُمْ صَدِيقٌ لِمَا قَدِمْنَا مِنْ الْإِتِّفَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر : ٦٧ ، بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ النور : ٥٩ فَلَا أَحْسَنَ فِي حُكْمِ الْبَلَاغَةِ أَنْ يُعَبَّرَ عَنِ الْأَطْفَالِ الرُّضْعِ بِالطِّفْلِ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، لِأَنَّهُمْ مَعَ حَدِّ ثَمَنِ الْوِلَادَةِ كَالْجِنْسِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا تَرَى أَنَّ بَدْءَ الْخَلْقِ طَيْنٌ . ثُمَّ سَمِيُّ ، وَالْعَمِيٌّ جِنْسٌ لَا يُتَمَيَّزُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ ، فَلِذَلِكَ لَا يُجْمَعُ ، وَكَذَلِكَ الطَّيْنُ ، ثُمَّ يَكُونُ الْخَلْقُ عِلْقًا ، وَهُوَ الدَّمُ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ جِنْسًا ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمُ اللَّهُ طِفْلًا ، أَيْ : جِنْسًا تَائِلًا لِلْعَمَى وَالْعَمِيٌّ لَا يَكْدُ يُقْتَبَرُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَّا عِنْدَ آبَائِهِمْ ، فَإِذَا كَبُرُوا وَخَالَطُوا النَّاسَ ، وَعَرَفَ النَّاسُ صُورَهُمْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَصَارُوا كَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، قِيلَ فِيهِمْ : حِينَئِذٍ أَطْفَالٌ ، كَمَا يَقَالُ : رِجَالٌ وَنِسَاءٌ ، وَلَا يُقَرَّرُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ بِالْأَجْنَةِ أَنَّهُمْ مُغَيَّبُونَ فِي الْبُطُونِ ، فَلَمْ يَكُونُوا كَالْجِنْسِ الظَّاهِرِ لِلْمِيرِ كَالنِّسَاءِ وَالطَّيْنِ وَالْعَمَى ، وَلِئِنْ جُمِعَ الْجَنِينُ عَلَى أَجْنَةٍ ، وَحَسُنَ ذَلِكَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ تَتَّبَعُ اللَّجْطَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، وَيَقْوَى هَذَا الْغَرَضُ الَّذِي صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي الطَّلِ (٣١٠ - الرواية الثانية ج ٦)

قول رجل من بني بجاعة لعمَرَ بن عبد العزيز ، وقد سأله : هل بقي من كهول
بني بجاعة أحد ؟ قال : نعم ، وشكبير كثير ، فانظر كيف قال : الكهول
وجمع ، وقال في الصغار : شكبير كما تقول : حشيش ، ونبات ، فتفرد ، لأنه
جنس واحد ، والطفل في معنى الشكبير ماداموا رضعاً ، حتى يتميزوا بالأسماء
والصور عند الناس ، فهذا حكم البلاغة ، ومساق الفصاحة فافهمه .

وأما قول عروة : جمعت أو شاب الناس ، يرد : أخلاطاً ، وكذلك
الأوباش .

وقوله في حديث المغيرة : أما المال فلست منه^(١) في شيء فيه من الفقه
أن أموال المشركين حرام إذا أمئوك وأمنتهم ، وإنما يحل بالمعاصرة
والمقابلة لا عند طمأنينتهم إليك وأمنتهم منك ، فإن ذلك هو القدر ،

(١) كان المغيرة قبل إسلامه صاحب قوماً في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف
من بني مالك لما خرجوا للمقوقس بمصر بهدايا ، فأحسن إليهم ، وأعطاهم ،
وقصر بالمغيرة ، لأنه ليس من القوم ، بل من أحلافهم ، فغار منهم ولم يواسه
أحد منهم ، فلما كان ببعض الطريق شربوا الخمر ، وناموا ، قوب المغيرة ،
فقتلهم كلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء إلى المدينة ، فأسلم فقال أبو بكر : ما فعل
المالكيون الذين كانوا معك ؟ قال : قتلهم ، وجئت بأسلامهم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ليحسن ، أو ليرى رأيه فيها ، فقال النبي صلى الله عليه
وسلم : أما الإسلام — بالنصب على المفعولية — فأقبل ، وأما المال فلست
منه في شيء . المواهب ص ١٩١ ، ورواية البخاري ومسلم . صاحب قوماً
في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أما

وفي هذا المعنى آثار قد مضى بعضها ، وسيأتي بعضها في غزوة خيبر وغيرها .
وفيه : أنهم كانوا يتدللون بنخامة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا تنخم .
وفي ذلك دليل على طهارة النخامة خلافاً للنخمي ، وما برز في ذلك عن
سلمان الفارسي . وحديث : إذا تنخم أحدكم في الصلاة أبين في الحجبة ، لأن
حديث السيرة يحتمل الخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

محل الصالحه :

فصل : وذكر مصالحة النبي - صلى الله عليه وسلم - لقريش وشريطين أن
لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه إلا رده عليهم ، وفي هذا الحديث معالحة

(١) لا يعتبر عمل الصحابة من أهدأ به أو أسوة يقتدى بها ، أو عملاً يمكن
أن يضاف إلى الإسلام كشجرة أو سنة ، فإنه غير إرصاد الحديث مرتبط بما فعل
من أجله ، لا يتعداه ، ولا يختص قاعة . دليل أن أحداً من الصحابة لم
يفعله بعد ذلك ، وهي لمحة رتبة من تحت صاحب القميص أن يقول : هـ ولعل
الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة . بالفراغ إشارة إلى الرد على ما حشيه
من قراهم ، فتكلمهم قالوا بلسان الحال : من نجبه هذه المحبة ، ونهضه هذا
التمظيم ، كيف يظن به أن نفعه ونسلمه له . و ، بل هم أشد اعتباراً به بدنه
ونصره من هذه القبائل التي تاعى بعضها بمجرد أرحم ، ص ١٩٢ المراءب .
ولعل من دلس القهم وقذارته أن تنصور في الإسلام أنه يجد ، ثم هذا أن يفتح
له باباً يدخل منه إلى شريعته ، أو يحث الناس على التذلل بنخامة شيوخهم كما
يقرون ! هذا وقد روى عن أبي هريرة وأبي سعيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة . فحتمها . وقال : إذا تنخم أحدكم فلا
يتنخم قبل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره . أو تحت قدمه اليسرى
و متفق عليه ، وفي رواية البخاري : فيدها .

للشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضعف ، وقد تقدم مصالحهم على مال يقطعونه غزوة الخندق ، واختلف : هل يجوز صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمام ، وقالت طائفة : لا يجاوز في صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجهم أن حظر الصلح هو الأصل بدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بالشر في حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحة في هذا المقدار متحققة ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر ، وفيه الصلح على أن يرد المسلم إلى دار الكفر ، وهذا منسوخ عند أبي حنيفة بحديث سريّة خالد حين وجهه النبي - صلى الله عليه وسلم إلى خثعم ، وفيهم ناس مسلمون فاعتصموا بالشجود فقتلهم خالد ، قودأهم النبي - صلى الله عليه وسلم - نصف الدية ، وقال : أنا بريء من مسلم بين مشركين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن للخليفة الأكبر لا لمن دونه ، وفيه : نسخ الشقة بالقرآن على أحد القولين ، فإن هذا العهد كان يقتضي أن لا يأتيه مسلم إلا رده ، فتنسخ الله تعالى ذلك في النساء خاصة ، فقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ المتحفه : ١٠ هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهري ، فإنه قال في الحديث : أن لا يأتيه أحد ، وأحد يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال في مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ ، على أن بعض حذاق الأصوليين قد قال في العموم : إذا عمّل بمقتضاه في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - واعتقد فيه العموم ، ثم ورد التخصيص فهو نسخ ، وهذا اللفظ لا يقال

النساء . وقالت طائفة : إنما استَجَازَ النبي - صلى الله عليه وسلم - ردَّ المسلمين إليهم في هذا الصلح لقوله عليه السلام : لا تَدْعُونِي قُرَيْشٌ إِلَى خُطَّةٍ يَعْظُمُونَ فِيهَا الْحَرَّمَ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا ، وفي ردِّ المسلم إلى مكة عِمَارَةَ الْبَيْتِ ، وزيادة خَيْرُهُ فِي الصَّلَاةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ ، فكان هذا من تعظيم حُرُمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، فعلى هذا القول يكون حُكْمًا مَخْصُوصًا بِمَكَّةَ ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات :

فصل : وذَكَرَ قول الله سبحانه : ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ، فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ المتحنة : ١ . هذا عند أهل العلم مخصوصٌ بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أن يَسْتَحْلِفَ الرَّأْيَةُ الْمُهَاجِرَةَ أَنَّهُمَا مَا خَرَجَتْ نَاشِرًا وَلَا هَاجِرَتِ إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ^(١) ، فإذا حلفت لم تَرُدَّ وَرَدَّ صَدَاقُهَا إِلَى بَيْعِلِهَا ، وإن كانت من غير أهل العهد لم تُسْتَحْلَفْ ، ولم يَرُدَّ صَدَاقُهَا .

وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم محاسمه ، وهو رسولُ اللَّهِ ، وكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، لأنه قولُ حَقِّ كُلِّهِ ، وظن بعض الناس أنه كتب يده ، وفي البخاري أنه كتب ، وهو لا يُجْنِسُ الْكِتَابَةَ ، فتروم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة ، وقال : هي آيةٌ ، فيقال له : كانت نكون آيةً لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ ،

(١) اقرأ تفسير ابن كثير للآية فقد برى غير هذا .

وبكونه أمياً في أمة أممية قامت الحجّة ، وأفصح الجاحد ، وانحسرت الشبهة ، فكيف يُطلق الله يده ، لتسكون آية ؟ وإنما الآية أن لا يكتب للمعجزات (١) يستحيل أن يدفع بعضها بضعاً ، وإنما معنى : كتب أى : أمر أن يكتب (٢) وكان الكاتب في ذلك اليوم علي بن أبي طالب ، وقد كتب له عدة

- (١) أذكر هنا بأن الله سبحانه سمي ما أعطاه لرسله آيات ، لا معجزات .
- (٢) نص رواية البخارى والنسائى وأحمد ، فأخذ الكتاب ، وليس يحسن أن يكتب ، فكتب مكان رسول الله محمد بن عبد الله ، ولهذا يتبين لنا أن تأويل السبيل غير جيد . ولأن هذه الرواية مخالفة لكل الروايات الصحيحة أنكر بعض المتأخرين على أبي موسى المدينى نسبتها للبخارى فقال : ليست في البخارى ولا في مسلم . وهو كما قال عن مسلم ، ولكنها ثابتة في البخارى .
- وقد تمسك بظاهر رواية البخارى أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أبوب المتوفى سنة ٤٧٤ هـ ، فزعم أن النبي دس ، كتب بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب ، فشنع عليه علماء الأندلس ، وهبتوه بالزندقة ، وشنعوا عليه من على المنابر في الجمع ، فجمعهم به الأمير ، فاستظهر الباجي بما كان يعرف من فنون القول والمجادلة ، وزعم أن رأيه غير مخالف للقرآن ، بل إنه يؤخذ من مفهوم القرآن ، لأنه قيد نفي الكتابة عنه بما قبل ورود القرآن : (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه يمينك إذأ لارتاب الميطلون) وبعد أن تحققت أمنيته ، وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك ، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم ، فيكون معجزة أخرى وقد وافقه جماعة ، وأنكر عليه آخرون كثيرون . أنظر فتح البارى في شرح الحديث والمواهب اللآنية ص ١٩٦ وما بعدها ٢ . أقول : وما استنبطه الباجي مخالف لما تواتر والروايات الصحيحة .

من أصحابه، منهم عبدُ الله بن الأرقم، وخالِدُ بن سعيد، وأخوه أبان، وزَيْدُ ابن ثابت، وعبدُ الله بن عبد الله بن أبي بن سلُول، وأبي بن كَنْب القاري، وقد كتب له أيضاً في بعض الأوقات أبو بكر وعمر وعُثمان رضى الله عنهم، وكتب له كثيراً معاوية بن أبي سفيان بعد عام الفتح، وكتب له أيضاً الزبيرُ ابن العوّام، ومُعَيْقِبُ بن أبي فاطمة، والمغيرة بن شُعْبَة، وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَة، وخالِدُ بن الوليد، وعمر بن العاصي، وجُهَيْمُ بن الصلت، وعبدُ الله ابن رَوَاحَة، ومحمد بن مَسْلَمَة، وعبدُ الله بن سعد بن أبي سرح، وحَنْظَلَة الأسيدي، وهو حَنْظَلَة بن الربيع، وفيه بقول الشاعر بعد موته :

إِن سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنٌ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ
وَالْعَمَاءِ بِنِ الْخَضِرِيِّ، ذَكَرَهُمْ عُمَرُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابِ الْكُتُبِ لَهُ (١).

باسمك اللهم :

وأما قولُ سُهِيلِ بن عمرو له : وَلَكِنْ أَكْتُبُ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فإنها كلمة كانت قريش تقولها ولقولهم لها حُبٌّ قد ذكرناه في كتاب التعريف والإعلام ، وأول من قالها أُمَيَّةُ بن أبي الصلت ، ومنه تعلموها وتعلمها هو من رَجُلٍ من الجَنِّ في خَبَرٍ طويلٍ ذكره المَسْعُودِي (٢) وهو الخبر الذي نلصناه في الكتاب المذكور .

(١) ذكر ابن القيم في زاد المعاد منهم عامر بن فهيرة ، وثابت بن قيس ابن شماس .

(٢) ينسب الدمشقي أن يصدق الرجل الكثير مثل هذا الحرف الصغير .

عبيّة مكفوفة :

فصل : وذكر في الكتاب : وإنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ ^(١)
أى : صُدُورُ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى مَا فِيهَا لَا تُبْدَى عِدَاوَةٌ ، وَضَرْبُ الْعَيْبَةِ مَثَلًا ،
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَكَاذَتْ عِيَابُ الْوُدِّ مِثْلًا مِنْهُمْ وَإِنْ قِيلَ أَبْنَاءُ الْعُمَرَةِ تَصْنَرُ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي ^(٢) فَضَرْبَ الْعَيْبَةِ
مَثَلًا لِمَوْضِعِ الْكَرِشِ ، وَمَا يُفَعِّلُهُ مِنْ وَدْمٍ . وَالْكَرِشُ وَغَلَا يُصْنَعُ مِنْ كَرِشِ
الْبَعِيرِ ، يَجْعَلُ فِيهِ مَا يُطْبَخُ مِنَ اللَّحْمِ ، يَقَالُ : مَا وَجَدْتُ لِهَذِهِ الْبِضْعَةِ فَأَكْرِشُ ،
أى : إِنَّ الْكَرِشَ قَدْ امْتَلَأَ ، فَلَمْ يَسَعَهَا فَهُوَ . وَيُضْرَبُ أَيْضًا هَذَا مَثَلًا ^(٣) ،

(١) لَيْسَ فِي السِّيرَةِ : وَبَيْنَكُمْ .

(٢) أَرَادَ هُنا ، أَنَّهُمْ بَطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ وَأَسَاتِئِهِ ، وَالَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ
فِي أُمُورِهِ . وَاسْتِعَارَ الْكَرِشَ وَتَعْبِئَهُ لِدَلَالَتِهِ ، لِأَنَّ الْمُجْتَمِعَ يَجْمَعُ لِحَفَظِهِ فِي كَرِشِهِ ،
وَالرَّجُلُ يَضَعُ ثِيَابَهُ فِي نِيْبَتِهِ . وَقِيلَ : أَرَادَ بِالْكَرِشِ : الْجَمَاعَةَ أَيْ : جَمَاعَتِي وَمُحَابَّتِي ،
يَقَالُ : عَلَيْهِ كَرِشٌ ، أَيْ جَمَاعَةٌ وَانْتِهَاءُ لَابِنِ الْإِثْمِ ، وَالحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ :
« أَوْسِيَكُمْ بِالْأَنْصَارِ ، فَاهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي » ، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ
الَّذِي لَهُمْ فَأَقْبَلُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مَسِيئَتِهِمْ .

(٣) أَيْ لَمْ أَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَعَنِ اللَّحْيَانِ : لَوْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ فَأَكْرِشُ ،
وَبَابُ كَرِشٍ . وَإِنْ كَرِشَ لَأَقْبَتَهُ ، يَعْنِي قَدَرَ ذَلِكَ مِنَ السَّبِيلِ ، وَثَلَّثَهُ قَوْلُهُمْ
لَوْ وَجَدْتُ إِلَيْهِ : فَاسْبِيلٌ . وَأَصْلُ الْمَثَلِ أَنَّ رَجُلًا فَضَّلَ شَاةً ، فَأَدْخَلَهَا فِي كَرِشَتِهَا ،
لِيُطْبَخَ ، فَقِيلَ لَهُ : أَدْخِلِ الرَّأْسَ ، فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ فَأَكْرِشُ يَعْنِي :
إِنْ جَدْتُ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا .

كما قال الحجاج : ما وَجَدْتُ إلى دَمِ فُلَانٍ فَاكْرِشِ .

وقوله : ولا إغلال ، هي الحَيَاةُ ، يقول : فُلَانٌ مفل الأَصْبَح ، أى خائن
اليد. قال الشاعر :

حَدَّثْتُ نَفْسَكَ بِالْوَقَاءِ ، وَلَمْ تَكُنْ بِالْعَذْرِ خَائِنَةً مِثْلَ الْأَصْبَحِ

والإِسْتِلَالُ : السرقة ، والخُلْسَةُ ونحوها ، وهى السلة . قالوا فى المثل :
الْخُلَّةُ تَدْعُو إِلَى السَّنَةِ .

أبو جنبد وصاحبه فى النحر :

فصل : وذكر خُرُوجِ أَبِي جَنْدَلٍ يَرْسُفُ فى الحديد . أبو جنبد ، هو
العامى بن سَهْلٍ ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل ، فكان قد فر يوم بدر
إلى المُسْلِمِينَ ، فلحق بهم ، وشهد بدرًا ، والمشاهد كلها ، وقتل يوم الْيَآمَةِ
شهيدًا ، وأما أبو جَنْدَلٍ ، فاستشهد مع أبيه بالشام فى خلافة عُمرَ ، وهو الذى
شَرِبَ الخمرَ مُتَأَوِّلًا لقوله تَبَارَكَ وتعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ
اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ؛ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] المائدة : ٩٣
فجلده أبو عُبَيْدَةَ بأمر عُمرَ وجلد صاحبه ، وهو ضِرَار ، ثم إن أبا جَنْدَلٍ
أشفق من الذَّنْبِ حتى قال : لقد هَلَسْتُ ، فبلغ ذلك عمرَ رضى الله عنه ،
فكتب إليه : إن الذى زَيَّنْ لك الخطيئة هو الذى حَفَرَ عليك التوبة :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(١) نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴿ الْآيَةُ ﴾ . وَكَانَ شَرِبَهَا مَعَ خِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَأَبُو الْأَزْوَريِّ ، فَلَمَّا أَسْرَعُوا أَنْ يُجْلَدُوا ، قَالُوا : دَعْنَا نَأْكُلَ الْعَدُوَّ ، فَإِنْ قُتِلْنَا فَبِذَلِكَ ، وَإِلَّا حَدَدْتُمُونَا ، فُقْتِلَ أَبُو الْأَزْوَريِّ ، وَحُدَّ الْآخَرَانِ .

الدِّينَةُ الَّتِي رَفَضَهَا عُمَرُ :

فصل : وَذَكَرَ قَوْلَ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَلَّامَ نِعْمَتِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا ، هِيَ فَعِيلَةٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ ، وَأَصْلُهَا التَّهْمُزُ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُمَرَ : إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَاسْتُأْغِصِيهِ ، وَهُوَ نَاصِرِي ، وَأَنَّهُ أَتَى أَبَا بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فجاوبه أَبُو بَكْرٍ بِمِثْلِ مَا جَاوبَهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرْفًا يَحْزَنُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا عُمَرُ الزَّمْ غَرْزَهُ^(٢) ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ عُمَرُ : وَمَا شَكَّكْتُ مِنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةَ ، وَفِي هَذَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَشْكُ ، ثُمَّ يُجَدِّدُ النَّظَرَ فِي دَلَائِلِ الْحَقِّ فَيَذْهَبُ شَكُّهُ ، وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : هُوَ شَيْءٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي) وَلَوْلَا الْخُرُوجُ حَاصِمًا لَنَا إِلَيْهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ

(١) تَقْرَأُ هَكَذَا : حَامِيمٌ ، وَكُلُّ أَخَوَاتِهَا

(٢) أَيْ اعْتَلَقَ بِهِ ، وَأَمْسَكَ . وَاتَّبَعَ قَوْلَهُ وَفَعَلَهُ وَلَا خَالَفَهُ ، فَاسْتَعَارَ لَهُ الْغَرْزَ كَالَّذِي يُمْسِكُ بَرَكَابَ الرَّكَّابِ وَيُسِيرُ بِسِيرِهِ . وَالْغَرْزُ هُوَ رَكَابُ كَوْرِ الْجَلِّ ، وَقَالَ : هَذَا الْكَلِمَةُ ، وَطَلَقَ بِهَا الْكِتَابَ لِمَا يَخْتَصُّ بِهِ الْخَاتَمُ .

لذكرنا ما للعلماء في قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم (ولكن ليطمئن قلمي) ، وذكرنا الثكنة العظمى في ذلك ، ولعلنا أن تلقى لها موضعاً ، فنذكرها . والشك الذي ذكره محمد وابن عباس مالا يصبر عليه صاحبه ، وإنما هو من باب الوسوسة التي قال فيها عليه السلام تحيراً عن إبليس : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة .

موقف أم سلمة في الحربية :

وفي غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أم سلمة ، وشكا إليها ما تلقى من الناس حين أمرهم أن يحملوا وينحروا ، فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ ، فقالت : يا رسول الله اخرج إليهم . فلا تسكاهم ، حتى تحلق وتنحر ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك ، لم يخلفوك . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناس ، وكان الذي حاق رأس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك اليوم خراش بن أمية [بن ربيعة بن الفضل بن منقر بن عفيف بن كليب بن حنيفة بن سلول] الخزاعي [ثم السكبي] ^(١) وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فماتوا بجملة ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ففي تركيهم للبدار دليل على أن الأمر ليس على الفور ، كما ذهب إليه بعض الأصواتين ، وفيه أنهم تحلوا الأمر على غير الوجوب لقربته ، وهي أنهم رأوه لم يحلق ولم ينحر ،

(١) الزيادة من الإضافة .

ولم يُقَصِّر ، فلما رآوه قد فعل اعتقدوا وجوب الأمر وامتنلوه . وفيه أيضاً إباحة مشاورة النساء ، وذلك أن النهي عن مُشَاوَرَتِهِنَّ إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصة ، كذلك قال أبو جعفر النعمان في شرح هذا الحديث .

المقصود :

فصل : وذكر ابن إسحاق استغفار النبي - صلى الله عليه وسلم - للمُحَلِّقِينَ ثلاثاً وللمُقَصِّرِينَ مرة واحدة . ولم يكن المُقَصِّرُ يومئذٍ من أصحابه إلا رَجُلَيْنِ ، أحدهما عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، والآخر أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، كذلك جاء في مُسْنَدِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أبو بصير :

وذكر حديثَ أَبِي بَصِيرٍ واختلف في اسمه ، فقيل : عُثَيْدُ بْنُ أُسَيْدِ بْنِ جَارِيَّةَ ، وقيل عُتْبَةُ .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له حين قَتَلَ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ : وَيْلُ أُمِّهِ مِحْشُ حَرْبٍ . وفي الصحيح : وَيْلُ أُمِّهِ مِسْقَرُ حَرْبٍ ، يقال : حَشَشْتُ النَّارَ ، وَأَرَشْتُهَا ، وَأَذْكَيْتُهَا ، وَأَتَقَبَّطْتُهَا وَسَعَّرْتُهَا بمعنى واحد ، ومضى الأسمَرُ الْجَنْفِيُّ أَسْمَرَ بقوله :

فلا يَدْعُنِي قَوْمِي لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَئِنْ أَكَا لَمْ أُسْعِرْ عَلَيْهِمْ وَأَتَقَبَّرِ
وكان اسمه مَرْتَدُ بْنُ حُمْرَانَ^(١) ، ومالك في هذا البيت : هو مَذْحِجٌ ،

(١) في المؤلف للامدي ص ٨٠ ابن أبي حمران وكذلك في الاشتقاق ص ٤٠٨ =

وأما لُحُوقُ أَبِي بَصِيرٍ بِسَيْفِ الْبَحْرِ ، ففي رواية مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ هُنَاكَ ، حَتَّى لَحِقَ بِهِمْ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ فَقَدَمُوهُ ، لِأَنَّهُ هَرِثِيٌّ ، فَلَمْ يَزَلْ أَصْحَابُهُ يَكْثُرُونَ ، حَتَّى بَلَغُوا ثَلَاثِمِائَةً ، وَكَانَ أَبُو بَصِيرٍ كَثِيرًا مَا يَقُولُ هُنَاكَ : اللَّهُ الْعَلِيُّ الْأَكْبَرُ ، مَنْ يَنْصُرَ اللَّهَ فَسَوْفَ يُنْصَرَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْفَرَجُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَلَّمَ قُرَيْشَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُؤْوِيَهُمْ إِلَيْهِ لَمَّا ضَيَّقُوا عَلَيْهِمْ ، وَرَدَّ كِتَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَصِيرٍ فِي الْمَوْتِ ، يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَأُعْطِيَ الْكِتَابَ فَعَمِلَ يَقْرَأُهُ وَيُسْرِبُهُ ، حَتَّى قُبِضَ وَالْكِتَابُ عَلَى صَدْرِهِ ، فُبْنِيَ عَلَيْهِ هُنَاكَ مَسْجِدٌ ، يَرْجُوهُ اللَّهُ ^(١).

عمرة :

وفي الحديث من غير السيرة أن للسليمن حين حلقوا في ذلك اليوم ، وهم بالحلِّ قَدْ مُنِمُوا أَنْ يَدْخُلُوا الْحَرَّمَ جَاءَتْ الرِّبْعُ ، فَاحْتَمَلَتْ شُؤْرَهُمْ حَتَّى

== وَلَكِنَّهُ فِي سَمَطِ الْبَكْرِى ص ٩٤ كَمَا هُنَا ، وَالْكَفْلُ عَلَى أَنْ كُنْتُمْ : أَبُو حَمْرَانَ ، وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ .

(١) لاَ وَبِ فِي أَنَّهُ بَنِيَ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ ، فَلَيْسَ مِنْ هُدَى الْإِسْلَامِ إِقَامَةُ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ . فَقَدْ وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ ، - كَمَا جَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ - الَّذِينَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَعَنَ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَمُصَاحِبِهِمْ مَسَاجِدَ ، أَمَّا إِقَامَةُ مَسْجِدٍ عَلَى كَهْفِ أَهْلِ الْكَهْفِ فَكَانَ مِنْ عَمَلِ الَّذِينَ عَلَبُوا عَلَى الْأَمْرِ ، أَمَّا الَّذِينَ قَالُوا : رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ - وَهَذِهِ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ الْعَظِيمِ - فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بِنْيَانًا . أَيْ سَدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَهْفِ .

أَلْتَمَهَا فِي الْحَرَمِ ، فَاسْتَبَشَرُوا بِقَبُولِ اللَّهِ مُحَرِّمَهُمْ ، ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ .
وَالْمُنْزَعَةُ مُشَقَّةٌ مِنْ عِمَارَةِ لِلسَّجْدِ الْحَرَامِ وَبُقِيَّتْ عَلَى فُتْلَةٍ ، لِأَنَّهَا
فِي مَعْنَى قُرْبَةٍ وَوُضْعَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَيْسَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهَا الزَّيَارَةُ
فِي الْكَلْبَةِ بَيِّنٌ ، وَلَا فِي قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ حُجَّةٌ لَهُمْ لِأَنَّهُ مُحْتَمَلُ التَّأْوِيلِ وَهُوَ قَوْلُهُ :
وَجَاسَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ قَتْلُهُمْ وَرَأَى كَبْرَ جَاءِ مِنْ تَثْلِيثِ مُنْتَمِرٍ

قتل أبي بصير للسَّافِر :

فصل : ومما يُسألُ عنه في حديث أبي بصير قتل الرجل الكافِر ، وهو
في العهد : أَكَانَ ذَلِكَ حَرَامًا أَمْ مُبَاحًا لَهُ ، وَظَاهَرُ الْحَدِيثِ رَفْعُ الْخُرُوجِ عَنْهُ ،
لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَثْرِبْ ، بَلْ مَدَحَهُ ، وَقَالَ : وَبِئْسَ أَمَةٌ
مِخْشُ حَرْبٍ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ جَائِزًا لَهُ ، وَقَدْ حَقَّنَ الصَّلَاحُ
الدَّمَاءَ ؟ قُلْنَا : إِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَقِّ أَبِي بَصِيرٍ عَلَى الْخُصُوصِ ، لِأَنَّهُ دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ
وَدِينِهِ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَإِنَّمَا لَمْ يُطَالَبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِيَّةٍ ، لِأَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمَقْتُولِ لَمْ يُطَالَبُوا ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ أَشْلَمُوا ،
وَإِنَّمَا لِأَنَّ اللَّهَ شَفَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، حَتَّى انْتَسَكَتَ الْعَهْدُ ، وَجَاءَ الْفَتْحُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدِي مَنْ قُتِلَ خَطَأً مِنْ
أَهْلِ الصَّلَاحِ كَأَوْدَى الْعَامِرِيِّينَ ^(١) وَغَيْرَهُمَا قُلْنَا : عَنْ هَذَا جَوَابَانِ ، أَحَدُهُمَا :

(١) هَذَا بِنَصِّ الْقُرْآنِ (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَبْتَغِيكُمْ وَيَبْتَغِيكُمْ مِيثَاقَ فِدْيَةٍ مَسْلُومَةٍ
إِلَى أَهْلِهَا وَتَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)

أن أبا بصير كان قد رده إلى المشركين ، فصار في حُكْمِهِمْ ، ولم يكن في فِتْنَةِ
المُسْلِمِينَ وحِزْبِهِمْ ، فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثاني : أنه إن كان قَتَلَ عَمْدًا ، ولم يكن قَتَلَ خطأ ، كما كان
قَتَلَ العاصرين ، وقد قال عُمر بن الخطاب لا تَقْلُ العاقلةُ عَمْدًا ولا عَبْدًا
[ولا صُلْحًا ولا اعتِرافًا] ^(١)

من مواقف عمر في الحربية :

فصل : وقولُ عُمر للنبيِّ - صلى الله عليه وسلم : أَلَمْ تَعِدْنَا أَنَا تَأْتِي
الْبَيْتَ ، ونطوفُ به ؟ فقال : نعم ، وذكر الحديث . كان النبيُّ - صلى الله عليه
وسلم - قد أَرَى ذلك في مَنَامِهِ ، ورؤيا الأنبياء وَحْيٌ ، ثم أنزل الله تعالى :
{ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ } الآية الفتح : ٢٧ ويُسألُ عن قوله :
إن شاء الله آمينين : ما فائدة هذا الاستثناء ، وهو خبرٌ واجبٌ ؟ وفي الجواب
أقوال : أحدها : أنه راجعٌ إلى قوله : آمينين ، لا إلى نفس الدُخُولِ ، وهذا
ضعيفٌ ، لأن الوعدَ بالأمان قد اندرجَ في الوعدِ بالدخول .

(١) سبق الحديث عن العقل والعاقلة وهي العصبية والأقارب من قبل الأب
الذين يعطون دية قتيل الخطأ . والمعنى أن كل جنائية عمد ، فإنها من مال الجاني
خاصة ، ولا يلزم العاقلة منها شيء ، وكذلك ما اصطاحوا عليه من الجنائيات
في الخطأ ، وكذلك إذا اعترف الجاني بالجنائية من غير بينة تقوم عليه ، وإن
ادعى أنها خطأ لا يقبل منه ، ولا يلزم بها العاقلة ، وأما العبد ، فهو أن يجنى حر
على عبد ، فليس على عاقلة الجاني شيء ، إنما جنائيت في ماله خاصة . أنظر مادة عقل
في النهاية لابن الأثير .

الثاني أنه وَعَدَ عَلَى الْجَلَّةِ ، والاستثناء راجع إلى التَّنْصِيلِ ، إذ لا يَذَرِي كلُّ إنسانٍ منهم : هل يبش إلى ذلك ، أم لا ، فرجع الشكُّ إلى هذا المعنى ، لا إلى الأمرِ الموعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ، ويستعملونها في كل فعل مُسْتَقْبَلٍ أعني : إن شاء الله ^(١) .

بيعة الشجرة وأول من باع :

فصل : وذكر بَيْعَةَ الشَّجَرَةِ ، وسببها ، ولم يذكر أول من باع ، وذكر الواقدي أن أول من باع بَيْعَةَ الرضوان سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ الْأَسَدِيُّ . وقال موسى ابن عُقْبَةَ : أول من باع أبو سِنَانٍ ، واسمه ، وَهْبُ بْنُ مِحْصَنٍ أَخِي عُسْكَاشَةَ ابن مِحْصَنٍ الْأَسَدِيِّ ، وقال الواقدي : كان أبو سِنَانٍ أَسْنً من أخيه عُسْكَاشَةَ بعشر ^(٢) سنين ، شهيد بدرأ ، وتوفي يوم بني قُرَيْظَةَ ، ويروى أنه حين قال

(١) يقول البيضاوي : هي تعليق للعدة بالمشيئة تعليمًا للعباد أو إشعاراً بأن بعضهم لا يدخل لموت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا ، أو النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه . .

(٢) في رواية : بعشرين .

تعليق عام على الحديثية

الحديثية : بر سمي المكان بها ، وقيل شجرة سمي بها المكان ، أو هي قرية ليست كبيرة بعضها في الحل وبعضها في الحرم ، وهي على تسعة أميال من مكة عدد أبطالها : في الصحيحين من جابر أنهم كانوا خمسمائة والفاء . وفيها عن جابر نفسه أنهم كانوا أربعمائة والفاء . ويقول ابن القيم : والقلب إلى هذا أميل . وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن أبي أنهم كانوا ثلاثمائة والفاء .

المبايعة : كانت على ألا يفروا كما في الصحيحين .

أول من باع : هو أبو سنان الأسدي ، وبإيه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات =

لنبي صلى الله عليه وسلم أبسط يدك أبايكم ، قال : لآلام نبي يعنى أقال : على
ماني نفسك يا رسول الله ، وأما سنانُ أبنة ، فهو أيضاً بذري ، مات سنة ثلاث
وثلاثين ، وأما مبايعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، وكانوا
ألفاً وأربعمائة في إحدى الروايتين عن جابر ، وألفاً وخمسمائة في الرواية الأخرى
عنه ، فبايعوه في قول جابر على أن لا يقرؤا . قال : ولم يبايعوه على الموت . وقال
سليمان بن الأكوع : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثوث ، قال

= في أول الناس وأوسطهم وآخرهم من كلام عروة لقرش عن النبي صلى الله عليه وسلم :
إذا أمرهم فامضوا أمره ، وإذا تكلم فخفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون
إليه فعضوا له ، وقد مر من عليكم خطبة رستم فاقبلوها ، الصحيحان .
كلام عمر : في رواية الصحيحين أنه قال : والله ما شككت منذ أسلمت
إلا يومئذ ، وقالوا : حق يحيى بن جندب ورفض سليل بن عمر تركه ، وصرخة
أبي جندب الحزينة ثم قوله : وقد بشت مسلماً ، الاترون ما لقيت ، ويقول للراوى
في الصحيحين : وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً ، وكان مما قاله عمر للنبي
صلى الله عليه وسلم : السنا على الحق وعدونا على الباطل ، فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم : مثل
ما ورد في السيرة ، فقال عمر : أو لست كنت تحدثنا أنا سنانى البيت ونطوف
به ؟ قال : بلى ، فأخبرتك أنك تأنيه العام ؟ قلت : القاتل عمر — لا ، قال :
فانك آتية ونطوف به .

مشورة أم سلمة : فعل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول الراوى في الصحيحين :
فلما رأى الناس ذلك قاموا فخرجوا ، وجعل بعضهم يحمل بعضهم حتى كاد
بعضهم يقتل بعضهم غماً ، ويقول ابن القيم : وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال
بأنهم كانوا يرجون النسخ ، فأخروا متأولين لذلك ، وهذا الاعتذار أول أن
يعتذر عنه ، وهو باطل ، فانه صلى الله عليه وسلم لو فهم حديث ذلك لم يشتد عليه تأخيرهم
لتأخير أمره ، ويقول : مالى لا أغضب . وأنا أمر بالامر ولا أتبع ، ولما =

الترمذى : وكلا الحديثين صحيح ، لأن بعضهم بائع على أن لا يفروا ، ولم يذكر الموت ، وبعضهم قال : أبابك على الموت .

= كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور ، وقد رضى الله عنهم ، وغفر لهم وأوجب لهم الجنة ، ص ٢١٦ ح ٢ زاد المعاد .

الماء في الحديثية : في الصحيح ، أن النبي ﷺ ، توضأ ، ومج في برء الحديثية من فقه ، فحاشا بالماء ، كذلك قال البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع في الصحيحين .

وفي الصحيحين أيضاً في حديث جابر ، عطش الناس يوم الحديثية ، وبين يدي رسول الله ﷺ ، ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ منه ، ولا نشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ، وقد أخرج أحمد حديث جابر ، وفيه : فجاءه رجل يداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره ، فصبه ﷺ ، في قدح ، ثم توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم انصرف ، وترك القدح ، فتواحم الناس عليه ، فقال : على رسلكم فوضع كفه في القدح ، ثم قال : أسبغوا الوضوء . قال : فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه ، وفي حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديثة ، فلما صلى الصبح قال : أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ، هذا وقد استنبط الإمام ابن القيم من قصة الحديثية ستاً وثلاثين فائدة فقهية تشهد له بالبراعة والالمانية ، كما استنبط منها عدة حكم ، فانظر كل هذا في كتابه القيم زاد المعاد ، ص ٢١١ ط السنة الحمدية .

ذكر المسير إلى خير

في المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم - بالمدينة حين رجع من الحُدَيْبِيَّةِ ، ذا الحجة وبعض الحرم ، وولى تلك الحِجَّةَ المشركون ، ثم خرج في بَقِيَّةِ الحرم إلى خير .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة مُمَيْلَةَ بن عبد الله اللثمي ، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .

ما فاته أبو جندل :

فصل : وما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبي بصير
سيف البحر :

أَبْنَعُ قُرَيْشًا عَنْ أَبِي جَنْدَلٍ	أَنَا بِذِي النَّمْرَةِ فَالسَّاحِلِ
فِي مَعْشَرٍ تَخَفُّقُ أَيْمَانُهُمْ	بِالْبَيْضِ فِيهَا وَالْقَنَا الذَّائِلِ
يَأْيُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُقَّةٌ	مِنْ بَسَدِ إِسْلَامِهِمُ الْوَاصِلِ
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ تَخَرُّجًا	وَالْحَقُّ لَا يُقَلَّبُ بِالْبَاطِلِ
فَيَسْلَمَ الْمَرْءُ بِإِسْلَامِهِ	أَوْ يُقْتَلَ الْمَرْءُ وَلَمْ يَأْتِلِ

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي عن أبي الهيثم
ابن نصر بن دهر الأسلمي أن أبا له حدته : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم - يقول في مسيره إلى خيبر لما مر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو
ابن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يا ابن الأكوع ، يُفخذ لنا من
من هنا بك ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بئونا علينا ولما أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب :
وَجِبْتَ والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به أقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ،
فيما بلغني ، أن سيفه رجع عليه وهو يُقاتل ، فكلّمه كلماً شديداً ، فمات منه ؛
فكان المسلمون قد شكّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه
سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره
بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلى عليه ،
فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مَرْوان الأسلمي ،
عن أبيه ، عن أبي مُعْتَب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهم ربَّ

السموات وما أفلن ورب الأرضين وما أفلن ، ورب الشياطين وما أضلن ،
ورب الرياح وما أذرين ، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير
ما فيها ، وننوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله .
قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يُغز عليهم حتى يُصبح ، فإن
سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار . فزلنا خير ليلا ، فبات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب ودكنا معه ،
فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدني لمس قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، واستقبلنا بمحال خير غادين ، قد خرجوا بمساحيمهم ومكاتيلهم ، فلما
رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه !
فأذبروا هرا بآ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ،
خربت خير ، إنا إذا تركنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من
المدينة إلى خير سلك على عصر فبنى له فيها مسجداً ، ثم على الصبهاء ، ثم أقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له : الرجيع ،
فزل بينهم وبين غطمان ، فيحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خير ، وكانوا
لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمَنَزَلِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جَمَعُوا له ثم خرجوا لِيُظَاهِرُوا يَهُودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً سَمِعُوا خَلْفَهُمْ في أموالهم وأهليهم حَسًّا ظَنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فَرَجَعُوا على أعقابهم ، فَأَقَامُوا في أهليهم وأموالهم ، وَخَلُّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتَدَنَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال بأخذها مَالًا مَالًا ، وَفَتَحَهَا حِصْنًا حِصْنًا ، فَكَانَ أَوَّلُ حُصُونِهِمُ افْتُتِحَ حِصْنُ نَاعِمَ ، وَعِنْدَهُ قُتِلَ مُحَمَّدُ ابْنُ مَسْلَمَةَ ، أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ مِنْ رَحَا قَتَلَتْهُ ، ثُمَّ الْقَمُوصُ ، حِصْنُ بَنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، وَأَصَابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِنْهُمْ سَبَايَا ، مِنْهُمْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حِمْيَرَ بْنِ أَخْطَبَ ، وَكَانَتْ عِنْدَ كِنَانَةَ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَبَنَتْ عَمَّ لَهَا ، فَاصْطَفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ لِنَفْسِهِ .

وَكَانَ دِخْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ قَدْ سَأَلَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفِيَّةَ ، فَلَمَّا أَصْفَاهَا لِنَفْسِهِ أَعْطَاهُ ابْنَتِي عَمِّهَا ، وَفَتَشَتِ السَّبَايَا مِنْ خَيْبَرَ فِي الْمُسْلِمِينَ .

مَانَهِيَ عَنْهُ الرِّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْبَرَ

وَأَكَلَ الْمُسْلِمُونَ لُحُومَ الْحُرِّ الْأَهْلِيَّةِ مِنْ مَحْرَمِهَا ، فَقَامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فَهَيَّى النَّاسَ مِنْ أُمُورِ سَبَايَاهُمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَخَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ ضَمْرَةَ النَّزَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

ابن أبي سَلَيْط ، عن أبيه ، قال : أتنانا نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكلِ لُحومِ الحُمُرِ الإنسيَّةِ ، والقُدُورِ تُفُورِ بها ، فكفَّناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مَكْحُول : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهام يومئذٍ عن أربع : عن إتيانِ الحَبَالَى من السَّبايا ، وعن أكلِ الحِيارِ الأهلَى ، وعن أكلِ كلِّ ذى نابٍ من السباع ، وعن بيعِ اللقائمِ حتى تُقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثني سَلَامٌ بنِ كِرْكِرَة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، ولم يشهد جابر خَيْر : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكلِ لُحومِ الحُمُرِ ، أذن لهم في أكلِ لحومِ الخِثَلِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى نَجِيب ، عن حنّس الضنماني ، قال : غزونا مع رُوَيْعِ بنِ ثابت الأنصاري المغرب ، فانفتح قرية من قرى المغرب يقال لها جَرْبَةُ ، فقام فينا خطيباً ، فقال : يا أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يحل لامرأة يؤمن بالله واليوم الآخر أن تستقي ماؤه زرع غيره ، يعني إتيانَ الحَبَالَى من السَّبايا ، ولا يحل لامرأة يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ، ولا يحل لامرأة يؤمن بالله واليوم

لآخر أن يبيع مَنَّا حتى يُقسم ، ولا يحمل لأمريء يؤمن بالله واليوم الآخر أنه
ركب دابة من قِء المسلمين حتى إذا أعجزها ردّها فيه ، ولا يحمل لأمريء يؤمن
الله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من قِء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن
عبادة بن الصامت ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن
عن أن يبيع أو يتباع تبر الذهب بالذهب العَيْن ، وتبر الفضة بالورق
العَيْن ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العَيْن ، وتبر الفضة بالذهب
العَيْن .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون
والأموال .

شأن بني سهم

حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بني سهم من أسلم
أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جاهدنا
وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
يعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إني قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن
ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ،
وأكثرها طعاماً وودكاً ، ففتح الله عز وجل حصن الصَّغْب بن
معاذ ، وما بخير حصن كان أ. أكثر طعاماً وودكاً منه .

مقتل مرحب اليهودي

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انهبوا إلى حصنهم الوطيج والسلايم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شمار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أتى مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطمن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليث أقبلت تحرب
إن حاي للحمي لا يقرب

وهو يقول : من يبارز ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبر أتى كعب مفرج النغي جرى صلب
إذ شبت الحرب تلها الحرب معي حسام كالمعيق عصب
نطوكم حتى بذل الصمب نعطى الجزاء أو بقاء النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري :

تَدَّ عَلِمْتُ خَيْرٌ أَنِّي كَفْتُ وَأَنِّي مَتَى تَشَبَّ الْحَرْبُ
ماضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِي صُلْبٌ مَعِيَ حُسامٌ كَالْتَقِيقِ عَضْبُ
بَكْفٌ ماضٍ لَيْسَ فِيهِ عَقْبُ نَدُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّغْبُ

قال ابن هشام : ومَرَّحِب من خَيْر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لَهَذَا ؟ قال محمد بن مسَلَمَة : أنا له يارسول الله ، أنا والله التوتور الثَّار ، قُتِل أَخِي بِالْأَمْس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمرية من شجر المُشَر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، مافيها قَتَن ، ثم حمل مَرَّحِب على محمد بن مسَلَمَة ، فضربه ، فأتقاه بالذَّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسَلَمَة حتى قتله .

مقتل ياسر أخى مرحب

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : مَنْ

يهارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى يأسر ، قالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابنتك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقى ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً غضباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكن أكرهته .

شأن علي يوم خيبر

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيه ، وكانت بيضاء ، فبما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ ثم بعث الفدحمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتنفل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يابح ، يهزول هزوة ، ولما خلفه نثبج أثره ، حتى ركز راجه في رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه

يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال :
يقول اليهودى : علّوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فارجع حتى فتح
الله على يدي .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن
أبي رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع على بن
أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ،
فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فصر به رجل من يهود ، فطاح ترسه
من يده ، فتناول على عليه السلام باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ،
فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ،
فلقد رأيتني في نفر سبعة معي ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقرب ذلك الباب ،
فما قلبه .

أمر أبى اليسر

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن شريك الأسدي ، عن بعض رجال
بنى سامة عن أبى اليسر كعب بن عمرو ، قال : والله إنا لمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخير ذات عشيّة ، إذ أقبلت غمّ لرجل من يهود تريد
حصنهم ، ونحن مُحاصرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رجل
يُطعننا من هذه الغم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يا رسول الله ؛ قال : فافعل ،
قال : فخرجت أشدّ مثل الظلم ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

مَوْلِيًّا قَالَ : اللَّهُمَّ أَمْتِعْنَا بِهِ ؛ قَالَ : فَأَدْرَكْتُ الْغَنَمَ وَقَدْ دَخَلَتْ أَوْلَاهَا الْحِصْنَ
فَأَخَذْتُ شَاتِنَيْنِ مِنْ أَخْرَاهُمَا ، فَاحْتَضَنْتُهُمَا تَحْتَ يَدَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِمَا أَسْتَبِدَّ ،
كَأَنَّهُ لَيْسَ مَعِيَ شَيْءٌ ، حَتَّى أَتَقَيَّتَهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَخَذَ بَحْجُومَا فَأَكَلُوهُمَا ، فَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ مِنْ آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلَاكًا ، فَكَانَ إِذَا حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ بَكَى ، ثُمَّ قَالَ : أَمْتِعُوا بَنِي
أَمْعَرِي ، حَتَّى كُنْتُ مِنْ آخِرِهِمْ هُلُكًا .

صفية أم المؤمنين

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القموصَ ،
حصنَ بنى أبي الحقيق ، أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفيَّة بنتِ حُيٍّ
ابنِ أخطبَ ، وبأخرى معها ، فمرَّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قتلى
من قتلى يهود ، فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكَّت وجهها وحنَّت
الترابَ على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزِّبوا
عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفيَّة فخيرت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف
المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهودية
ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمرَّ بأمر أنين على قتلى رجالهما ؟
وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكدانة بن الربيع بن أبي الحقيق ،
أن قرأ وقع فى حجرها ، فمرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك

تَمَنَّيْنِ مَلِكَ الْحِجَازِ مُحَمَّدًا ، فَلَطَمَ وَجْهَهَا لَطْمَةً خَضِرَ عَيْنَاهَا مِنْهَا . فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِهَا أَثَرُ مَنَّهُ ، فَسَأَلَهَا مَا هُوَ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ هَذَا الْخَبِيرَ .

بقية أمر خيبر

وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابَتِهِ بْنِ الرَّيْعِ ، وَكَانَ عِنْدَهُ كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ ، فَسَأَلَهُ عَنْهُ ، فَجَدَّ أَنْ يَكُونَ يَمْرُوفَ مَكَانِهِ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي رَأَيْتُ كِتَابَةً يَطِيفُ بِهَذِهِ الْخَرْبَةِ كُلِّ غَدَاةٍ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكِتَابَتِهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عِنْدَكَ ، أَتَقْتُلُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْخَرْبَةِ تُخْفَرَتْ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ كَنْزِهِمْ ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَمَّا بَقِيَ ، فَأَبَى أَنْ يُؤَدِّيَهُ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّيْبِرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، فَقَالَ : عَذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ مَا عِنْدَهُ ، فَكَانَ الزَّيْبِرُ يَقْدَحُ بِزَنْدٍ فِي صَدْرِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ دَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ بِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ .

صلح خيبر

وَحَاصِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَهْلَ خَيْبَرَ فِي حِصْنَتِهِمُ الْوَطِيحِ وَالسَّلَامِ ، حَتَّى إِذَا أَيقَنُوا بِالْهَلَاكِ ، سَأَلُوهُ أَنْ يُسِيرَ لَهُمْ وَأَنْ يُحَقِّنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ ، فَقَعَلَ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَازَ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا : الشَّقُّ

وَنَظَافَةً وَالسَّكِينَةَ وَجَمِيعَ حَقُونِهِمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ ذَيْنِكَ الْحِصْنَيْنِ . فَلَمَّا تَمَّعَ بِهِمْ أَهْلُ فَدَكٍ قَدْ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا ، بَشَرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُسَيِّرَهُمْ ، وَأَنْ يَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ ، وَيَحْتُلُوا لَهُ الْأَمْوَالَ ، فَقَالَ : وَكَانَ فِيمَنْ مَشَى بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مُحْيِصَةٌ ابْنُ مَسْعُودٍ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ، فَلَمَّا نَزَلَ أَهْلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَامِلَهُمْ فِي الْأَمْوَالَ عَلَى النِّصْفِ ، وَقَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ ، وَأَعْمَرُ لَهَا ؛ فَصَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النِّصْفِ ، عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ ؛ فَصَالَحَهُ أَهْلُ فَدَكٍ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَكَانَتْ خَيْبَرَ قَتِينًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَتْ فَدَكٌ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْجُبُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رُكَابٍ .

الشاة المسمومة

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ ، امْرَأَةُ سَلَامٍ بْنِ مِشْكَمٍ ، شَاةً مَصْلِيَّةً ، وَكَانَتْ أَيْ عَضُوٍّ مِنَ الشَاةِ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقِيلَ لَهَا : الذَّرَاعُ ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنَ السَّمِّ ، ثُمَّ سَمَتْ سَائِرَ الشَاةِ ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا ؛ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ ، فَلَاكٌ مِنْهَا مُضْفَةٌ ، فَلَمْ يُسِفْهَا ، وَمَعَهُ بَشَرٌ مِنَ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَمَّا بَشَرٌ فَاسَاغَهَا ؛ وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَنَفَظَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ، ثُمَّ دَعَا بِهَا ، فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ : مَا حَلَكَ عَلَى

ذلك ؟ قالت : بلغت من قوِي مالم يخف عليك ، قلت : إن كان مَلِكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبياً فسيُخبرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وماتَ بشر من أكلته إلى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المَعْلَى ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال في مرضه الذي توفي فيه ، ودخلت أمُ بَشْر بنت البراء بن معرور تَعُوذه : يا أمَّ بَشْر ، إن هذا الأَوَّانَ وجدتُ فيه انقطاعَ أنْهَرِي من الأَكَلَةِ إلى أَكَلَتِ مع أخيك بخَيْر . قال : فإن كان للمسلمون كَيُروْنَ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

رجوع الرسول إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القُرى ، فحاصرَ أهلَه ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

مقتل غلام للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطِيع ، عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القُرى نزلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهده له رِفَاعَةُ بن زيد الجُدَامِي ، ثم الضَّيْنِي .

قال ابن هشام : جُذام ، أخو ظلم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سَنَمٌ
غَرَبَ فأصابه فقتله ، قتلنا : هنيئًا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : كلا ، والذي نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار ،
كان غَلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر . قال : فسمها رجل من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِرًا كَين
لنعملين لي ، قال : فقال : يُقَدِّ لك مثلهما من النار .

أمر ابن مفضل والجرب

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُفَلِّ المُرَني ،
قال : أصبتُ من فيء خيبر جَرَابَ شَحْمٍ ، فاحتلمته على عاتقي إلى رَحْلي
وأصحابي . قال : فلقيني صاحبُ المغامم الذي جُمِلَ عليها ، فأخذ بناحية
وقال : هلمَّ هذا نفسه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيك ، قال :
فجعل يُجاذبني الجرب . قال : فرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع
ذلك . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب
المغامم : لا أبالك ، خلَّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلي
وأصحابي ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم

ليلة بناءه بصفية

قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفية ،
بَحْثِيرٍ أو ببعض الطريق ، وكانت التي بَجَلَّتْها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
وَسَطَّتْها وأصلحت من أمرها أُمُّ سُلَيْمِ بنتُ مِلْحَانَ ، أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ . فبات
بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في قُبَّةٍ له ، وبات أبو أيُّوبَ خالدُ بنُ زيدٍ ،
أخو بني الدَّجَّارِ متوشِّحاً سيفه ، يحرس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطِيفُ
بالقُبَّةِ ، حتى أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال :
مَالِكُ يَا أَبَا أَيُّوبَ ؟ قال : يا رسولَ الله ، خَفْتُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ ، وَكَانَتْ
امْرَأَةً قَدْ قَتَلَتْ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا وَقَوْمَهَا ، وَكَانَتْ حَدِيثَةً عَمْدٍ بِكُفْرٍ ، نَخِفْتُهَا
عَلَيْكَ . فَرَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : اللَّهُمَّ احْفَظْ
أَبَا أَيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزُّهْرِيُّ ، عن سعيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قال :
لَمَّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبَرَ ، فَكَانَ بِيَعُضِ الطَّرِيقِ ،
قال من آخر الليل : مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا النَّجْرَ لَمَلْنَا نَنَامُ ؟ قال بلال : أَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْفَظُهُ عَلَيْكَ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَنَزَلَ النَّاسُ
فَنَامُوا ، وَقَامَ بِلَالٌ يَصَلِّي ، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَصَلِّي . ثُمَّ اسْتَدْنَدَ إِلَى

بعيره، واستقبل الفَجْرَ يَرْمُقُهُ ، فَنَلَبَّته عينه ، فَنَامَ ، فلم يُوقظهم إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ،
وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هَبَّ ، فقال : ماذا صنعتَ .
بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت .
ثم اقتاد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ،
وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم
بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إنا نسيتم الصلاة فصَلُّوها ،
إذا ذَكَرْتُمُوهَا » ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ .

شعر ابن لُقَيْم في فتح خيبر

قال ابنُ إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى
ابنَ لُقَيْمِ العَبْسِيَّ ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دَاجِجَةٍ أو داجن ، وكان فتح
خيبر في صَفَرٍ ، فقال ابنُ لُقَيْمِ العَبْسِيَّ في خيبر :

رُمِيتْ نَفَاةٌ مِنَ الرَّسُولِ بِفَيْلَاقٍ	شَهَبَاءُ ذَاتِ مَنَاقِبٍ وَفَقَارٍ
وَأَسْتَيْقِنَتْ بِالذَّلِّ لِمَا شِيعَتْ	وَرَجَالُ أَسْلَمٍ وَسَطَهَا وَغِفَارٍ
صَبَحَتْ بَنِي عَمْرٍو بِنِ زُرْعَةٍ غُدُوءَةٍ	وَالشَّقُّ أَظْلَمَ أَمَّهُ بَنَاهُ
جَرَتْ بِأَبْطَحِهَا الدُّبُولُ فَلَمْ تَدْعِ	إِلَّا الدَّجَاجُ تَصْبِيحُ فِي الْأَسْهَارِ
وَلِكُلِّ حِصْنٍ شَاغِلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ	مِنْ عَبْدٍ أَشْهَلَ أَوْ بَنَى النِّجَارِ
وَمُهَاجِرِينَ قَدْ أَعْلَوْا سِمَاهُمْ	فَوْقَ التَّمَاغِرِ لَمْ يَبْنُوا لِفِرَارِ
وَأَقْدَ عَلِمْتُ لَيْثَانَيْنِ مُحَمَّدٍ	وَلَيْثُونَيْنِ بَهَا إِلَى أَصْفَارِ

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعْيِ نَحْتِ الْعَجَاجِ غَمَامِ الْأَبْصَارِ
قال ابن هشام : فَرَّتْ : كَشَفَتْ ، كَمَا تُفَرِّ الدَّابَّةُ بِالْكَشَفِ عَنْ أَسْفَانِهَا ،
يُرِيدُ كَشَفَتْ عَنْ جُفُونِ الْعُمَيُّونِ غَمَامِ الْأَبْصَارِ ، يُرِيدُ الْأَنْصَارَ .

حديث المرأة النفارية

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء
من نساء المسلمين ، قَرَضَحَ لهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من النَّقْدِ ،
ولم يضرب لهنَّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سُهَيْمٍ ، عن أُمِّيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ ،
عن امرأة من بني غِفَارٍ ، قَدَسَمَّاها لِي ، قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قُلْنَا : يَا رَسولَ اللهِ ، قَدِ أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى
وَجْهِكَ هَذَا ، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبَرَ ، فَنُتَدَاوِي الْجَرْحَى ، وَنُعِينُ الْمُسْلِمِينَ
يَمَا اسْتَطَعْنَا ، فَقَالَ : عَلَى بَرَكََةِ اللهِ . قَالَتْ : فَخَرَجْنَا مَعَهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً
حَدَّثَةً ، فَأَزْدَفَنِي رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَقِيبَةٍ رَحْلِهِ . قَالَتْ :
خَوَّلَهُ اللهُ لِنَزْلِ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَاخَ ، وَنَزَلَتْ عَنْ حَقِيبَةٍ
رَحْلِهِ ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي ، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتُهَا ، قَالَتْ : فَتَقَبَّضْتُ
إِلَى الْعَاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ ، فَلَمَّا رَأَى رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بِي وَرَأَى
الدَّمَ ، قَالَ : مَا لَكَ ؟ لِمَا لَكَ نَفْسُتِ ، قَالَتْ : قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَصْلَحِي مِنْ
نَفْسِكَ ، ثُمَّ خُذِي إِيَّاءَ مِنْ مَاءٍ ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا ، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ مَا أَصَابَ
الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ ، ثُمَّ هَوْدِي لِرَأْسِكَ .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رَضَخَ لنا من
النبي ، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَبَّين في عنقِ فأعطانيها ، وعلَّقها بيده في عنقِ ،
فوالله لأُفارقني أبداً .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدفن معها . قالت :
وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل
في غسلها حين ماتت .

شهداء خيبر

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من
قُرَيش ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكرم بن
سَخْبَرَةَ بن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غنم بن دُودان بن أسد ، وَثَقِيف بن
عمرو ، وِرَاعة بن مَسْرُوح .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهُبَيْب ،
فما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سُحَيْم بن غَيْرَةَ ، من بنى سعد بن ليث ،
حليف لبني أسد ، وابن أخهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشْر بن البراء بن معزور ، مات من
الشيء الذي سُمِّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وفُضَيْل بن العُصَيْن . رجلان .

ومن بنى زُرَيْق : مسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَةَ بن عامر
ابن زُرَيْق .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي
ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضيَّاح بن ثابت بن الثعلب بن أمية بن
المرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ؛ وعروة
ابن مرة بن سُرَّاقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن
أُمْلَة ، وطلحة .

ومن بني غفار : مُحارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان اسمه أسلم .
قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خَيْبَر .

ومن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة :
مسمود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

أمر الأسود الراعي في حديث خيبر

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما بلغني : أنه أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ،
كان فيها أجيراً رجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض علي الإسلام ،
هترضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتحقر أحداً أن

يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَام ، وَيَرْضَاهُ عَلَيْهِ - فَلَمَّا أَسْلَمَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُفْتُ أَجِيرًا لَصَاحِبِ هَذِهِ النِّفَمِ ، وَهِيَ أَمَانَةٌ عِنْدِي ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا ؟ قَالَ : اضْرِبْ فِي وُجُوهِهَا فَإِنَّهَا سَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّهَا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنَ الْحَصَى قَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِهَا ، وَقَالَ : ارْجِعِي إِلَى صَاحِبِكِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكَ أَبَدًا ، فَخَرَجَتْ بِجِثْمَةٍ كَأَنَّ سَاقًا يَسُوقُهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ الْحِصْنَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ لِيُقَاتِلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَصَابَهُ حَجَرٌ فَقَتَلَهُ ، وَمَا صَلَّى اللَّهُ صَلَاةً نَظًّا ، فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوُضِعَ خَلْفُهُ ، وَسُجِّيَ بِشِمْلَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : إِنْ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِي مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ : أَنَّ الشَّهِيدَ إِذَا مَا أُصِيبَ تَدَلَّتْ (لَهُ) زَوْجَتَاهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ ، عَلَيْهِ تَنْفُضَانِ الْتَرَابِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَتَقُولَانِ : تَرَبَّ اللَّهُ وَجَهَ مِنْ تَرَبِّكَ ، وَقَتْلَ مَنْ قَتَلَكَ .

أَمْرُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَلَاطِ السُّلَمِيِّ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا قُتِلَتْ خَيْبَرُ ، كُلَّمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْحِجَّاجُ بْنُ عَلَاطِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الْبَهْزِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ لِي بِمَكَّةَ مَالًا عِنْدَ صَاحِبَتِي أُمِّ شَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَتْ عِنْدَهُ ، لَهُ مِنْهَا حُمْرُ بْنُ الْحِجَّاجِ وَمَالٌ مَتَفَرِّقٌ فِي تِجَارِ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأُذِنَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ،

فأذن له ، قال : إنه لابد لي بإرسال الله من أن أقول ، قال : قل . قال الحجاج :
نفرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بَنَيْنِيَّةَ البيضاء رجلا من قريش يتسَّمعونهُ
الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه
قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم
يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن عَلاط -
قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه
قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال :
قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبَّطوا بمنجى
ناقى يقولون : إليه يا حجاج ، قال : قلت : هُزِمَ هزيمة لم يسموا بمثلها قط ،
وُقِلَ أصحابه قتلا لم تسموا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا تقتله حتى
تنبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم .
قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون
أن يُقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعيونى على جمع مالى
بمكة وعلى غُرْمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من قتل محمد وأصحابه
قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فى محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كَأَحَثِّ جَمْعٍ سمعت به .
قال : وجئت صاحبتى فقلت ، مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ،
لملى الحق بخيبر ، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال :
فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف لى

جَنَّبِي وَأَنَا فِي خِيَمَةِ مِنْ خِيَامِ التَّجَارِ ، فَقَالَ : يَا حَجَّاجَ ، مَا هَذَا الْخَبْرُ الَّذِي
جِئْتُ بِهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَهَلْ عِنْدَكَ حِفْظٌ لِمَا وَضَعْتُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
قُلْتُ : فَاسْتَأْخِرْ عَنِّي حَقَّ أَلْقَاكَ عَلَى خَلَاءٍ ، فَإِنِّي فِي تَجَمُّعٍ مَالِي كَمَا تَرَى ، فَاَنْصِرْفُ
عَنِّي حَتَّى أَفْرُغَ : قَالَ : حَتَّى إِذَا فَرِغْتُ مِنْ جَمْعِ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ لِي بِمَكَّةَ ، وَأَجَعْتُ
الْمَخْرُوجَ ، لَقِيتُ الْعَبَّاسَ ، فَقُلْتُ : احْفَظْ عَلَيَّ حَدِيثِي . يَا أَبَا الْفَضْلِ ، فَإِنِّي أَخْشَى
الطَّلَبَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قُلْ مَا شِئْتُ ، قَالَ : أَفْعَلْ . قُلْتُ : فَإِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْتُ ابْنَ
أَخِيكَ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ بِعَنِي صَهْبِيَّةَ بِنْتِ حُبَيٍّ ، وَلَقَدْ افْتَتَحَ خَيْبِرَ ،
وَانْتَقَلَ مَا فِيهَا ، وَصَارَتْ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : مَا تَقُولُ يَا حَجَّاجَ ؟ قَالَ : قُلْتُ :
إِنِّي وَاللَّهِ فَارَكْتُمُ عَنِّي ، وَلَقَدْ أَسْلَمْتُ وَمَا جِئْتُ إِلَّا لِأَخْذِ مَالِي ، قَرَقًا مِنْ أَنْ
أُغْلِبَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَضَتْ ثَلَاثُ فَأَظْهَرَ أَمْرَكَ ، فَهُوَ وَاللَّهِ عَلَى مَا نَحْبُ ، قَالَ :
حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ لَبِسَ الْعَبَّاسُ حِلَّةَ لَهُ ، وَتَحَلَّقَ ، وَأَخَذَ عَصَاهُ ، ثُمَّ
خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَكْمَةَ ، فَطَافَ بِهَا ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : يَا أَبَا الْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهِ
التَّجَلُّدُ لِحَرِّ الْمَصِيبَةِ ، قَالَ : كَلَّا ، وَاللَّهِ الَّذِي حَلَقْتُمْ بِهِ ، لَقَدْ افْتَتَحَ مُحَمَّدُ خَيْبَرَ
وَتَرَكَ عُرُوسًا عَلَى بِنْتِ مَلِكِهِمْ ، وَأَحْرَزَ أَمْوَالَهُمْ وَمَا فِيهَا فَأَصْبَحَتْ لَهُ
وَلِأَصْحَابِهِ ، قَالُوا : مَنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْخَبْرِ ؟ قَالَ : الَّذِي جَاءَكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ ،
وَأَقْدَمَ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مُسْلِمًا ، فَأَخَذَ مَالَهُ ، فَانْطَلَقَ لِيَأْخُذَ بِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ،
فَيَكُونُ مَعَهُ . قَالُوا : يَا لِمَبَادِ اللَّهِ ! انْقَلَبْتَ عَدُوَّ اللَّهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْنَا لَكَ
لَنَا وَلَهُ شَأْنٌ ، قَالَ : وَلَمْ يَنْشَبُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبْرُ بِذَلِكَ .

شعر حسان عن خيبر

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان
ابن ثابت :

بِئْسَمَا قَاتَلَتْ خَوَابِرَ عَمَّا جَمَعُوا مِنْ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
كَرِهُوا الْمَوْتَ فَاسْتَنْبِجَ حِائِمْ وَأَقْرَوا فَقَلَ الْأَنْثِمُ الدَّلِيلُ
أَمِنْ الْمَوْتِ يَهْرَبُونَ فَإِنَّ السُّمُوتَ مَوْتَ الْهَزَالِ غَيْرُ جَمِيلٍ

حسان يعتذر عن أيمن

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يمدح أيمن بن أم أيمن بن عبيد ،
وكان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بني عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم
أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم أسامة بن زيد ، فكان
أخا أسامة لأمه :

عَلَى حِينٍ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنْ أُمُّهُ جَبِئْتَ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبِرٍ
وَأَيْمَنْ لَمْ يَجِبْ وَلَكِنْ مُهْرَهُ أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ التَّمِيدِ الْحَمْرِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ أَقَاتِلْ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أُعْسِرِ
وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّ فَعَلَ مُهْرَهُ وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرَ أُبْسِرِ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ،
وأنشدني :

ولكنه قد صدّه شأنٌ مُهَرِّدٌ وما كانَ لولا ذاكُمُ بِمُقَصِّرٍ

شعر ناجية في يوم خير

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جندب الأسدي :

يا لِعِبَادِ اللَّهِ فِيمَ يُرْغَبُ ما هُوَ إِلَّا مَأْكَلٌ وَمَشْرَبٌ

وجَنَّةٌ فيها نَعِيمٌ مُفْجِبٌ

وقال ناجية بن جندب الأسدي أيضاً :

أنا لَمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ جُنْدَبٍ ياربُّ قَرْنٍ فِي مَكْرَمِي أَنْكَبِ

طاحَ بِمَقْدِي أَنْسُرٍ وَتَغْلِبِ

قال ابن هشام : وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله : « في مَكْرَمِي » ،
و« طاحَ بِمَقْدِي » .

شعر كعب في يوم خير

وقال كعب بن مالك في يوم خير ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبي زيد

الأنصاري :

وَمَنْ وَرَدَنَا خَيْبَرًا وَفُرُوضَةً بِكُلِّ فِتْيَ عَارِي الْأَشْجَعِ مَذْودِ

جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَا وَاهِنِ الْهُوَى جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

عَظِيمِ رَمَادِ الْقِدْرِ فِي كُلِّ شَعْوَةٍ ضَرُوبٍ بِنَصْلِ الْمَشْرِفِ فِي الْمَهْدِ

بَرَى الْقَتْلَ مَذْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفَوْزًا بِأَحَدٍ
يَذُودُ وَيَنْحَى عَنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمِيرٍ يَرْيَبُهُ يَجُودُ بِنَفْسٍ دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
يَصْدَقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخِصًّا يَرِيدُ بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدٍ

ذِكْرُ مَقَاسِمِ خَيْرٍ وَأَمْوَالِهَا

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خير ، على الشَّقِّ ونِظَاةٍ
والكُتَيْبَةِ، فكانت الشَّقُّ ونِظَاةٌ فِي سُهُمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وكانت الكُتَيْبَةُ خُمُسَ
الله ، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ،
وَطُعْمَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَطُعْمَ رِجَالٍ مَشَاوِينَ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم وبين أهل فُذَيْكٍ بِالصَّلَحِ ؛ مِنْهُمْ مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، أَعْطَاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ شَعِيرٍ ، وَثَلَاثِينَ وَسَقًا مِنْ تَمْرٍ ،
وَقُسِمَتْ خَيْرٌ عَلَى أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، مَنْ شَهِدَ خَيْرٍ ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَلَمْ يَغِبْ
عَنْهَا إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ ، فَقَسِمَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَنُهُمْ مَنْ حَضَرَهَا ، وَكَانَ وَاذِيهَا ، وَادِي الشَّرْبَةِ ، وَوَادِي
خَاصٍ ، وَهِيَ اللَّذَانِ قُسِمَتْ عَلَيْهِمَا خَيْرٌ ، وَكَانَتْ نِظَاةٌ وَالشَّقُّ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ
سَهْمًا ، نِظَاةٌ مِنْ ذَلِكَ خَمْسَةُ أَسْهُمٍ ، وَالشَّقُّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَهْمًا ، وَقُسِمَتْ الشَّقُّ
وَنِظَاةٌ عَلَى أَلْفِ سَهْمٍ ، وَثَمَانِيَةَ سَهْمٍ .

من قسمت عليهم خير

وكانت عِدَّةُ الذين قُسمت عليهم خير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مائة والخيول مائتا فارس ، فكان لكل فارس سهمان ، ولقارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جميع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً مجع .

قال ابن هشام : وفي يوم خير عَرَّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العربي من الخليل ، وهَجَّنَ المهجين .

قال ابن إسحاق : فكان علي بن أبي طالب رأساً ، والزَّيْر بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن حدي ، أخو بني العجلان ، وأسيْدُ بن حُصَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بني بياضة ، وسهم بني عُبَيْد ، وسهم بني حرام من بني سلمة وعُبَيْد السَّهَام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عُبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خير ، وهو عُبيدُ بن أَوْس ، أحدُ بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غنار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أَوْس . فكان أول سهم خرج من خير بنطاة سهم الزبير

ابن العوام ، وهو الخنوع وتابعة الشرير ، ثم كان الثاني سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسند ، ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قَتِيل محمود بن مسلة ، فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى المجلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم حلى بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد بنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللقيف ، جمعت إليه جُهينة ومن حضر خير من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وسق ، ولعللى بن أبى طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتى وسق ، وخسین وسقا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مائتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا ، ولريمعة بن الحارث مائة وسق ، ولصلت بن مخزومة وابنيه مائة وسق ، ولصلت منها

أربعون وسقاً ، ولأبي نَبِيقَةَ خمسين وسقاً ولرُكَّانَةَ بن عبد يزيد خمسين
وسقاً ، ولقَيْس بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وسقاً ، ولأبي القاسم بن نَحْرَمَةَ أربعين
وسقاً ، ولبنات عُبَيْدَةَ بن الحارث وابنة الحَصِين بن الحارث مائة وسقاً ، ولبنى
عُبَيْد بن عبد يزيد ستين وسقاً ، ولابن أَوْس بن نَحْرَمَةَ ثلاثين وسقاً . ولمِسْطَح بن
أُمَّانَةَ وابن إلياس خمسين وسقاً ، ولأُمَّ رُمَيْثَةَ أربعين وسقاً ، ولنُعَيْم بن هِنْد
ثلاثين وسقاً ، ولُبْحَيْنَةَ بنت الحارث ثلاثين وسقاً ، ولعُجَيْر بن عبد يزيد
ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ الحَكَم ثلاثين وسقاً ، ولجُمَّانَةَ بنت أبي طالب ثلاثين
وسقاً ، ولابن الأَرْقَم خمسين وسقاً ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً ،
ولحُمَّانَةَ بنت جَحْش ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ الزُّبَيْر أربعين وسقاً ، ولضُبَاعَةَ بنت
الزُّبَيْر أربعين وسقاً ، ولابن أبي خَفِيس ثلاثين وسقاً ، ولأُمَّ طَالِب أربعين
وسقاً ، ولأبي بَصْرَةَ عشرين وسقاً ، ولنُعَيْلَةَ الكَلْبِي خمسين وسقاً ،
ولعبد الله بن وَهَب وابنتيه تسمين وسقاً ، لابنيه منها أربعين وسقاً ،
ولأُمَّ حَبِيب بنت جَحْش ثلاثين وسقاً ، ولَمَلَكُو بن عُبَيْدَةَ ثلاثين وسقاً ،
ولنُسائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعُ مِائَةِ وَسَقٍ .

قال ابن هشام : قحّ وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر
حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه من قبح خير
قسم لمن مائة وسق وثمانين وسقاً ، ولقاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقاً ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً ،
وللقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً ، ولأم ربيعة خمسة أسواق .
شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

وصاة الرسول عند موته

قال ابن إسحاق : وحديث صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ،
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يؤص رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرعاة بمائة وسق
من خير ، وللداريين بمائة وسق من خير ، وللسبائين ، وللأشعرين
بمائة وسق من خير ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ،
والأبتر بكجزيرة العرب دينان .

أمر فذك في خبر خير

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير
قذف الله الرعب في قلوب أهل قذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل
خير ، فبعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على النصف من قذك ،
فقدمت عليه رؤسهم بخير ، أو بالطائف ، أو بعد ما قديم المدينة ، فقبل ذلك
منهم ، فكانت قذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النفر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير

وهم بنو الدار بن هاني بن حبيب بن ثُمارة بن نحم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : نعيم بن أوس و نعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماء رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مُرَّان بن مالك .

قال ابن هشام : مروان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن ثُمَّان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بَرٍّ ، وأخوه الطَّيِّب بن بَرٍّ ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رَوَاحَةَ خَارِصًا بين المسلمين ويهود ، فيخْرِصُ عليهم ، فإذا قالوا : تمدَّيت علينا ؛ قال : إن شئتم فلکم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السماوات والأرض .

وإنما خَرَصَ عليهم عبد الله بن رَوَاحَةَ عامًا واحدًا ، ثم أصيب بمؤنة برحه الله ، فكان جبَّار بن صخر بن أمية بن خُذَّساء ، أخو بني سلمة ، هو الذي يخرِّص عليهم بعد عبد الله بن رَوَاحَةَ .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم للمسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدّوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ،
فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة ؛ وحدثني
أيضاً بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبي حثمة قال : أصيب
عبد الله بن سهل بجريح ، وكان خرج إليها في أصحاب له يبتار منها تمرأ ، فوجد
في عين قد كسرت عظمه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذه فقيّبه ، ثم قدّموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه
عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسمود ، وكان
عبد الرحمن من أحدثهم سنأ ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم في القوم ،
فلما تسكّم قبل ابني عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكبّر الكبّر .

قال ابن هشام : ويقال : كبّر كبّر - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ؛
فتسكّم حويصة ومحيصة ، ثم تسكّم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل صاحبهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمون قاتلكم ،
ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فأنسلّمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف
على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا
ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فيهم
من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حراء ضربتني وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن مجاهد بن قيس ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وإيم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسن منه ؛ وإنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أو تم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه قد وجد قتيل بين أيديكم قدوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يملكون له قاتلا . فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن مجاهد ، إلا أنه قال في حديثه : دوه أو انذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يملكون له قاتلا ؛ فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر مجلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلمهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبت ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر عما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقرئكم ما أقرئكم الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رَوَاحَةَ ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي ؛ ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدراً من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن جزيرة العرب دينان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم ، قد باغى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن جزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر فتماعدها ، فلما قدمنا نفرتنا في أموالنا ، قال : فمدى علي تحت الليل ، وأنا

نَأْتُم عَلَى فَرَاثِي ، فَقَدِ عَتَّ بِدَايَ مِنْ مِرْفَقِي ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتَعْمَرَخَ عَلَى صَاحِبَايَ ، فَأَتَيْتَانِي فَسَأَلَانِي : مَنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي ؛ قَالَ : فَأَصْلَحَا مِنْ يَدَيَّ ، ثُمَّ قَدِمَا بِي عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : هَذَا عَمَلُ يَهُودَ ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيئًا فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَامِلَ يَهُودَ خَيْرٌ عَلَى أَنَا نَخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا ، وَقَدْ عَدَّوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِ ، فَقَدِّعُوا يَدَيْهِ ، كَمَا قَدْ بَغَلَكُمْ ، مَعَ عَدُوِّهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَهُ ، لَا نَشْكُ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُ ، لَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْرٍ فَلْيَلْحَقْ بِهِ ، فَإِنِّي مُخْرِجُ يَهُودَ ، فَأَخْرَجَهُمْ .

قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَكْنَفٍ ، أَخِي بَنِي حَارِثَةَ ، قَالَ : لَمَّا أُخْرِجَ عَمْرُ يَهُودَ مِنْ خَيْبَرَ رَكِبَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَخَرَجَ مَعَ جَبَّارِ بْنِ صَخْرَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَنْسَاءَ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَكَانَ خَارِصَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَحَاسِبَهُمْ - وَيَزِيدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَهَلْ قَسَمَا خَيْبَرَ بَيْنَ أَهْلِهَا ، عَلَى أَصْلِ جَمَاعَةِ الشُّهُمَانِ ، الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا .

وَكَانَ مَا قَسَمَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ وَادِي الْقُرَى ؛ لِمَنْ بَنَ بْنَ عَمَّانَ خَطَرٌ ، وَلِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ خَطَرٌ ، وَلِلْعَمْرِؤِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ خَطَرٌ ، وَلِعَمْرِ بْنِ أَبِي رَيْمَةَ خَطَرٌ ، وَلِلْعَمْرِؤِ بْنِ سُرَاقَةَ خَطَرٌ ، وَلِأَشْجَمَ خَطَرٌ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ : وَلِأَسْمَ وَلِإِنِّي جَمْفَرُ خَطَرٌ ، وَلِثُمَيْقِيبَ خَطَرٌ ،

ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله
ابن جحش خطر ، ولابن البكير خطر ، ولعمتر خطر ، ولزيد بن ثابت
خطر ، ولأبي بن كعب خطر ، ولعماذ بن عفراء خطر ، ولأبي طلحة وحسن
خطر ، ولجابر بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن رثاب خطر ، ولمالك
ابن صقصة وجابر بن عبد الله بن حمزو خطر ، ولابن حنظل خطر ، ولابن
سعد بن معاذ خطر ، ولإسلامة بن سلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت
وإلى شريك خطر ، ولأبي عتب بن جبر خطر ، ولحميد بن مسلمة خطر ،
ولعبادة بن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابن الحارث بن
قيس نصف خطر ، ولابن حزيمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خير
بوادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : النسب يقال : أخطر لي فلان خطراً .

ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيينة عن الأجلح ، عن الشعبي : أن
جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

ففتح خَيْبَرَ ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنَيْهِ ، والتزمه وقال :
ما أدرى بأيهما أنا أَسْرُ : بفتح خَيْبَرَ ، أم بقدوم جعفر ؟

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أَلَامَ بَارِضَ الحبشة من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي
عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه ، وهو يتخير
بعد الحديبية .

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه
نساءه أمه بنت عُمَيْسِ الْخَثَمِيَّةِ ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولادته
بَارِضَ الحبشة . قُتِلَ جعفر بمؤنة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، رَجُلٌ .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية
ابن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خاف بن أسعد - قال ابن هشام :
هو يقال : هَمَيْقَةُ بنت خلف - وابناه سعيد بن خالد ومواقه بنت خالد ، ولدتها
بَارِضَ الحبشة ، قُتِلَ خالد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر الصديق بَارِضَ
الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان
ابن أمية بن مخرث السكناني ، هلك بَارِضَ الحبشة . قُتِلَ عمرو بأجنادين
من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيمحة :

ألا ليتَ شعري عنك يا عمرو سائلا إذا شبَّ واشتدَّتْ يَدَاهُ وَسُلْحَاهُ
 أنتَ تركَ أمرَ القومِ فيه بلابل تكشف غيظا كان في الصدر موجهَا
 ولعمرو وخالده يقول أخوها أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ،
 وكان أبوم سعيد بن العاص هلك بالطَّريفة ، من ناحية الطائف ، هلك في مال
 له بها :

ألا ليتَ ميتًا بالطَّريفة شاهدُ لما يفتري في الدين عمرو وخالده
 أطاعا بنا أَمْرَ النساءِ فأصبحا يُعيثان من أعدائنا من نكايده
 فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخي ما أخى لا شاتم أنا عِرْضَه ولا هو من سوء المقالة مُقْصِي
 يقول إذا اشتدَّتْ عليه أمورُه ألا ليتَ ميتًا بالطَّريفة يُنْشَرُ
 فدعَ عنك ميتًا قد مَشَى لسبيلِه وأقبل على الأدنى الذي هو أفقر

ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة ، خازن عمرو بن الخطاب على بيت مال المسلمين
 وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ،
 حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بني أسد بن عبد المزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد .
 رجل .

ومن بني عبد الدار بن قصى : جهنم بن قيس بن عبد شراحيل ، معه

ابناء عمرو بن جَهْم وخزيمه بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت
عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناء لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود ،
حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت
معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبيعة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى مجع بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن
أهبان . رجل .

ومن بنى ستم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، تخميمية بن الجزء ،
حليف لهم من بنى زبيد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جملة على
خمس المسلمين . رجل .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤمي : مفر بن عبد الله بن نضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤمي بن غالب : أبو خاطب بن عمرو بن عبد شمس ؛
ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته حمزة بنت السعدي
ابن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن قهران بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط .
رجل . وقد كان يحمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من
المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري في السقيتين ،
فجميع من قدم في السقيتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
عشر رجلاً .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بمد بدر ، ولم يحمل
النجاشي في السقيتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ،
ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رثاب
الأسدي ، أسد خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، معه امرأته
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى
أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رَمْلَة .

خرج مع المسلمين مهاجراً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق
الإسلام ، ومات هنالك نصرانياً ، تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
امراته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال
خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلماً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ،
قال فكان إذا أمر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
فتعنا وصاأنا ، أي قد أبصرنا وأنتم تلتصقون البصر ولم تبصروا بمد .
وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاأاً قبل ذلك

فَضْرَبَ ذَلِكَ لَهُ وَلَهُمْ مِثْلًا : أَيْ أَنَا قَدْ فَتَحْنَا أَعْيُنَنَا فَأَبْصَرْنَا ، وَلَمْ تَفْتَحُوا
أَعْيُنَكُمْ فَتُبْصِرُوا ، وَأَنْتُمْ تَلْتَمِسُونَ ذَلِكَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَهُوَ
أَبُو أُمَيَّةَ بِنْتُ قَيْسٍ الَّتِي كَانَتْ مَعَ أُمِّ حَبِيبَةَ ؛ وَامْرَأَتُهُ بَرَكَةُ بِنْتُ يَسَارَ ،
مَوْلَاةٌ ، أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، كَانَتْ تَظُنُّ أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ ، وَأُمَّ حَبِيبَةَ
بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ، نَفَرَا بِهِمَا مَعَهُمَا حِينَ هَاجَرَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ : يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ
الْمُطَّلَبِ بْنِ أَسَدَ ، قُتِلَ يَوْمَ حُتَيْنٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا ؛
وَعُمَرُو بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدَ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ : أَبُو الزُّرُومِ بْنُ عُمَيْرٍ بْنُ هَاشِمٍ بْنِ
عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ؛ وَفِرَاسُ بْنُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عُلْفَةَ
ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ . رَجُلَانِ .

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مَرْثَةَ : الْمُطَّلَبُ بْنُ أَزْهَرَ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ
ابْنِ عَبْدِ (بْنِ) الْحَارِثِ بْنِ زُهْرَةَ ، مِمَّنْ امْرَأَتُهُ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي عَوْفٍ بْنِ خُضَيْمَةَ
ابْنِ سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَلَدَتْ لَهُ هُنَاكَ عَبْدَ اللَّهِ
ابْنَ الْمُطَّلَبِ فَكَانَ يُقَالُ : إِنْ كَانَ لَأَوَّلُ رَجُلٍ وَرِثَ أَبَاهُ فِي الْإِسْلَامِ رَجُلًا .

وَمِنْ بَنِي تَيْمٍ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ : عُمَرُو بْنُ عُمَانَ بْنِ عُمَرُو بْنِ
كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ ، قُتِلَ بِالْقَادِسِيَّةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . رَجُلٌ .

ومن بنى محزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة بن كعب : هَبَّار بن سُفْيَان بن عبد الأسد ، قُتِلَ بأَجْنَادٍ من أرض الشام ، في خلافة أَبِي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وأخوه عبد الله بن سُفْيَان ، قُتِلَ عام الْبَرَمُوكَ بالشَّام ، في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بِشَكِّ فِيهِ أَقْتُلَ نَمَّ أَم لَا ؛ وهشام بن أَبِي حُدَيْفَةَ بن الْمُخَيْرَةِ ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جُجَج بن عمرو بن مُصَيِّص بن كعب : حاطب بن الحارث بن مَعْمَر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُدَافَةَ بن جُجَج ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت الْمُجَلَّل هَلَكَ حاطب هَنَالِكَ مُسْلِمًا ، فَقَدِمَتْ امرأته وابناه ، وهى أمهما ، في إحدى السَّيِّئَتَيْنِ ؛ وأخوه حَطَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُسَكَيْمَةُ بنت بَسَار هَلَكَ هَنَالِكَ مُسْلِمًا ، فَقَدِمَتْ امرأته فُسَكَيْمَةُ في إحدى السَّيِّئَتَيْنِ ؛ وسُفْيَان بن مَعْمَر بن حَبِيب ، وابناه جُنَادَةُ وجابر ، وأمهما معه حَسَنَةُ ، وأخوهما لأمهما شَرَحْبِيل بن حَسَنَةَ ؛ وَهَلَكَ سُفْيَان وهَلَكَ ابناه جُنَادَةُ وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . ستة نفر .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن مُصَيِّص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم الشاعر ، هَلَكَ بأَرْضِ الْخَبَشَةِ ، وَقَيْس بن حُدَافَةَ بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ، قُتِلَ يوم الْبَيْمَةِ في خلافة أَبِي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وعبد الله بن حُدَافَةَ بن قَيْس بن عَدِي بن سعد بن سَهْم ، وهو رَسُولُ (رَسُولِ) اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كَسْرَى ، والحارث بن الحارث

ابن قيس بن عدي ، ومعمربن الحارث بن قيس بن عدي ، وبشر بن الحارث
ابن قيس بن عدي ، وأخ له من أمه ، من بني تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِلَ
بأجنادين في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قيس ،
قُتِلَ عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن
الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتِلَ
يوم فحل في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتِلَ يوم خيبر ،
يُسَلِّتُ فيه ، وعُمير بن رثاب بن حذيفة بن مِثْشَم بن سعد بن سهم ، قُتِلَ
بهمين التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفَهُ من اليمامة ، في خلافة أبي بكر
رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي : عروة بن عبد العزى بن حرمّان بن
عوف بن عُميد بن عُوَيْج بن عدي بن كعب ، هَلَكَ بأرض الحبشة ، وعدي
ابن نضلة بن عبد العزى بن حرمّان ، هَلَكَ بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدي ابنه النعمان بن عدي ، فَقَدِمَ النعمان مع من قَدِمَ من
المسلمين من أرض الحبشة ، فَبَقِيَ حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله
على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبياتا من شعر ، وهي :

ألا هَلْ أُنَى الحِمْيَاءُ أَنَّ حَلِيلَهَا	بمِيسان يُسَقَى في زُجاجٍ وَحَنَمٍ
إِذَا شِئْتُ غَنَمَتِي دَهَاقِينَ قَرْيَةٍ	ورَقَاصَةً تَجْدُو على كُلِّ مَنْسِمٍ
فَإِنْ كُنْتُ نَدَمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي	وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَمَسِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُووُهُ	تَنَادُمُنَا في الجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءني ، فمن لقيته
فليخبره أني قد عزَلته ، وعزَله . فلما قَدِم عليه اعتذر إليه وقال : والله
يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً مما باخك أني قُلته قط ، ولكني كنت امرأ
شاعراً ، وجدت فضلاً من قول ، فقلت فيما تقول الشمراء ، فقال له عمر : وإيمُ
الله ، لا تفعلُ لي على عمل ما بقيتُ ، وقد قلت ما قلت .

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر : سَلِيط بن عمرو بن عبد شمس
ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِثْل بن عامر ، وهو كان رسولَ رسولِ الله
صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَةَ بن علي الحنفي باليمامة . رجل .

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غنم بن زهير بن
أبي شَداد ، وسعد بن عبد قيس بن قَطيع بن عامر بن أمية بن ظَرَب بن الحارث .
ابن فهر ، وعياض بن زهير بن أبي شَداد . ثلاثة نفر .

جميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
مكة ، ومن قَدِم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشي في السقيتين ، أربعة
وثلاثون رجلاً .

وهذه تسمية جملة من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بني عبد شمس بن عبد مناف : عبِيد الله بن جَحْش بن رثاب ، حليف
بنِي أمية ، مات بها نصرانياً .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث .
ابن أسد .

ومن بنى مجع : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث
ابن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان
ابن عوف ، وعدى بن فضلة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تميم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن
صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قديم منهن ومن هلك
هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي ولدن هنالك ، من قديم منهن
ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن .

من قرش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت
بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أبي أمية ، قدمت معها بزئيب ابنتها
من أبي سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تميم بن مرة : ربيعة بنت الحارث بن جبيعة ، هلكت بالطريق ،
وبنتان لها كانت ولدتها هنالك عائشة بنت الحارث وزئيب بنت الحارث
هلكن جميعاً ، وأخوه موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ،
وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .
ومن بنى سهم بن عمرو : رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة .

ومن بنى عدي بن كعب : ليلي بنت أبي حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤي : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسهلة بنت
سُهَيْل بن عمرو ، وابنة الجَلَل ، وعمرة بنت السُّعْدَى بن وقدان ،
وأم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُثَيْس بن النُّعْمَان الخثعمية ، وفاطمة
بنت صَفْوَان بن أمية بن مُحَرَّث السِّكَنَانِيَّة ، وفُكَيْهَة بنت يسار ، وبركة بنت
يسار ، وحَسَنَة ، أم شُرَحْبِيل بن حَسَنَة .

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ،
وأختة أمة بنت خالد .

هَنَاتِكَ. الهَنَةُ: كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو يَمُرُّه، فتسكني هنه،
وأصل الهَنَةُ: هَنَةٌ وَهْنَةٌ. قال الشاعر:

[أَرَى ابْنَ نَزَارٍ قَدْ جَفَانِي وَقَلْبِي] عَلَى هَنَوَاتٍ شَأْنُهَا مُتَقَابِسٌ -

وفي البخاري: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِابْنِ الْأَكْوَعِ: أَلَا تَنْزِلُ فَتُسَمِّعُنَا مِنْ
هُنَيْهَاتِكَ، صَفَرَهُ بِالْمَاءِ، وَلَوْ صَفَرَهُ عَلَى لَفَةٍ مِنْ قَالِ هَنَوَاتٍ، لَقَالَ هُنَيْهَاتِكَ،
وإِنَّمَا أَرَادَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَحْذُو بِهِمْ، وَالْإِبِلُ تُسْتَنْحَثُ بِالْحُدَاءِ،
وَلَا يَكُونُ الْحُدَاءُ إِلَّا بِشِعْرِ أَوْ رَجَزٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَوَّلَ مَنْ سَنَّ حُدَاءَ الْإِبِلِ،
وَهُوَ مُصَرُّ بْنُ نَزَارٍ، وَالرَّجَزُ شِعْرٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَرِيضًا، وَقَدْ قِيلَ لَيْسَ
بشعر، وَإِنَّمَا هِيَ أَشْطَارُ آيَاتٍ، وَإِنَّمَا الرَّجَزُ الَّذِي هُوَ شِعْرٌ سُدَائِي الْأَجْزَاءِ،
نَحْوُ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ^(١) أَوْ رِبَاعِي الْأَجْزَاءِ نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَا مَرَّ يَا خَمِيرَ أَيْحَ فَكَزَعْتَ دَرَّةَ الْحَلَمَةِ

(١) من جيد شعر ابن دريد المقصورة التي يمدح بها الشاه ميكائيل وولديه
وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل رئيس نيسابور، أحاط
فيها بأكثر المقصورة: وأولها:

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنِهِ طَرَةً صَبَحَ نَحْتِ أَذْيَالِ الدَّجَى
وَقَدْ اعْتَنَى بِشَرْحِهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ بْنُ خَالَوَيْهِ.
وَلَكِنْ أَوَّلُهَا فِي الْمَطْبُوعَةِ:

بَاطِلِيَّةٌ أَشْبَهَ شَيْءٌ بِالْمَاءِ تَرَعَى الْخَزَامَى بَيْنَ أَشْجَارِ النِّقَا

واحتج من قال في مشطور الرجز أنه ليس بشعر أنه قد جرى على لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان لا يجري على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أشد هذا الرجز الذي قاله ابن الأكوع في هذا الحديث ، وقال أيضاً :
إِنَّمَا مُتَمَنَّدٌ وَإِنَّمَا مُنْشَأٌ :

هل أنت إلا إصميج دميم وفي سبيل الله ما لقيت

وفي هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق بما وقع في البخاري وغيره :

فاغفر فداء لك^(١) ما أبقينا

ويروى ما اقتفينا أي^(٢) : ما تنبئنا من الخطايا ، من قفوت الأثر ، واقتفينا ، وفي التنزيل : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ، وأما قوله : ما أبقينا أي : ما خلفنا مما اكتسبنا ، أو يكون معناه : ما أبقينا من الذنوب ، فلم تحقق التوبة منه كما ينبغي .

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - أي : اغفر لنا تقهيرا ما في حقك وطاعتك ، إذ لا يتصور أن يقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم : فداء لك أي : فداء لك أنفسنا وأهلوانا ، وحذف الاسم للبنداء كثرة دَوْرِهِ في الكلام مع العلم به ، وإنما

(١) قد تكون فداء مفعولة على أنها مبتدأ .

(٢) هذه رواية مسلم والبخاري في الأدب ، وللقاضي : ما أبقينا ، وفي رواية

ما أبقينا ، أي ما تركنا من الأوامر . وما ظرفية .

يُجَدِّى الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْفَنَاءُ .

استعمال الكلمة في غير موضعها :

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمة يترجم بها عن محبة
وتعظيم ، فجاز أن يخاطب بها مَنْ لا يجوز في حقّه الفناء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً
لإظهار المحبة والتعظيم ^(١) له ، وإن كان أصل الكلمة ما ذكرنا ، فربّ كلمة
ترك أصلها ، واستعملت كالمثل في غير ما وضعت له أوّل ، كما جاءوا بلفظ
القسم في غير موضع القسم ، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر ، كقوله عليه السلام
في حديث الأعرابي من رواية إسماعيل بن جعفر . أفلح وأيّيه إن صدق ،
ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى ، لا سيما برجل
مات هل الكفر ، وإنما هو تعجب من قول الأعرابي ، والمُعجَّب منه هو
مُسْتَفْظَمٌ ، ولفظ القسم في أصل وضعه لما يُعْظَم ، فأتسع في اللفظ حتى قيل على
ذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن تك لئلي استودعني أمانة فلا وأبى أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يُقَسِّم بأبى أعدائها ، ولكنه ضرب من التعجب ، وقد ذهب
أكثرُ شراح الحديث إلى النسخ في قوله أفلح وأيّيه ، قالوا نسخته قوله
عليه السلام : لا تخلفوا بأبائكم ، وهذا قول لا يصح ، لأنه لم يثبت أن النبي
صلى الله عليه وسلم - كان يخلف قبل النسخ بغير الله ، ويُقَسِّم بقوم كفّار ،
وما أبعد هذا من شيمته - صلى الله عليه وسلم - تالله ما فعل هذا قط ^(٢) ، ولا كان

(١) هذا كلام محمد بن علي بن عمر التميمي المازري

(٢) هذا كلامه : تالله ما فعل هذا قط

له بخلق . وقال قوم : رواية إسماعيل بن جعفر ، صحفه ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً مُسَكَّرٌ من القول ، واعتراض على الأنبياء المذكورين فيها حفظوا^(١) ، وقد خرج مسلم في كتاب الزكاة قوله عليه السلام لرجل سأل : أي الصدقة أفضل ؟ فقال : وأبيك لأتبتك أو قال لأخبرتك ، وذكر الحديث ، وخرج في كتاب البر والصلة قوله لرجل سأل : من أحق الناس بأن أبره ، أو قال : أصله ؟ فقال : وأبيك لأتبتك ، صل أمك ، ثم أباك ثم أذكاك فأذكاك ، فقال في هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل ابن جعفر إذا في روايته بشيء إمري ، ولا بقول بدع ، وقد حمل عليه في روايته رجلاً من علماء بلادنا وعظماء محدثيها ، وغفل - عفا الله عنه - عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خرجهما مسلم بن الحجاج . وفي تراجم أبي داود في كتاب الأيمان في مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ ، وأن القسم بالآباء كان جائزاً ، والذي ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء ، كما قدمنا ، ولا قال في الحديث : وأبي ، وإنما قال : وأبيه ، أو وأبيك بالإضافة إلى ضمير المخاطب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف إلى معنى التعجب الذي ذكرناه^(٢) .

(١) ولم لا يكون الأمر أنه قد تعياها على النسخ حروف أبيه بحروف الله ؟ وليس في هذا أي ظمن على العذر .

(٢) وأكثر هذا الرجز الذي جر كل هذا بسبه البخاري في الجهاد إلى عبد الله بن رواحة . ولكن هناك زيادات مما نسب إلى ابن رواحة . والبخاري في صفة خبر رواية فيها اختلاف مما روى ابن إسحاق هنا من هذا الرجز فراجعه

الإِسْنَادُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ :

وذكر ابنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى خَيْبَرَ ، وَقَالَ :
فِي إِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ [أَبِي] مَرْوَانَ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ ،
لَأَنَّ عَطَاءَ بْنَ أَبِي مَرْوَانَ الْأَسَدِيَّ مَعْرُوفٌ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِكُنْيَةِ أَبِي مُصْعَبٍ ، قَالَ
الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ ، وَبَعْضُ مَنْ يَرْوِي السِّيْرَةَ يَقُولُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَطَاءِ
ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، عَنْ مَرْوَانَ الْأَسَدِيِّ وَالصَّحِيحُ مَا قَدَّمْنَاهُ .

الْمُطْلَقُ :

فصل : وذكر حديث أنسٍ حين استقبلتهم عمالُ خَيْبَرَ بِمَسَاحِيهِمْ
وَمَكَائِلِهِمُ الْمَسْكَاتِلَ : جَمْعُ مَكْتَلٍ وَهِيَ الْقُفَّةُ الْعَظِيمَةُ ، تُسَمَّى بِذَلِكَ لِتَكْثُلِ
الشَّيْءِ فِيهَا ، وَهُوَ تِلَاصُقُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ ، وَالْمَكْتَلَةُ مِنَ التَّمْرِ وَنَحْوِهِ نَصِيحَةٌ ،
وَإِنْ انْبَقَذَتْهَا الْعَامَّةُ .

فَرَبَتْ مَيْبَرُ :

وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين رآهم : اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ . فِيهِ
إِبَاحَةُ التَّفَاوُلِ وَقُوَّةٌ لِمَنْ اسْتَجَازَ الرَّجْزَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا مُقْنِعًا ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى الْمَسَاحِيَّ وَالْمَسْكَاتِلَ وَهِيَ مِنْ آلَةِ الْهَذْمِ وَالْحَفْرِ مَعَ أَنَّ لَفْظَ
الْمَسْحَاةِ مِنْ سَحَوْتُ الْأَرْضِ إِذَا قَشَرْتُمُهَا ، فَذَلِكَ عَلَى خَرَابِ الْبَلَدَةِ الَّتِي
أَشْرَفَ عَلَيْهَا ^(١) ، وَفِي غَيْرِ رَوَايَةٍ ابْنُ هِشَامٍ قَالَ : حِينَ ذَكَرَ الْمَسَاحِيَّ : كَانُوا

(١) وَأَشْرَفَ مِنْ هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَالَ :
خَرِبَتْ خَيْبَرَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ
قَوْمٍ لَمَّا صَبَّاحَ الْمُتَذَرِّينَ ، وَقَدْ اقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كَلَامِهِ .

يُؤْتُونَ الْمَاءَ إِلَى زَرْعِهِمْ مَعْنَاهُ : يَسُقُونَ . وَالْأُنْثَى هِيَ الصَّافِيَةُ (١) .

الخميس :

وقول اليهود : محمدٌ والخميس ، سمي الجيشُ العظيمُ خَمِيسًا ، لأنَّ له سَاقَةً ومُقَدَّمَةً ، وجناحين (٢) وَقَلْبَاءَ لَامِنَ أَجْلِ خَمِيسِ الْغَنِيمةِ ، فَإِنَّ الْخَمِيسَ مِنْ سَفَةِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ كَانَ الْجَيْشُ يُسَمَّى خَمِيسًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَقَدْ ذَكَرْنَا الشَّاهِدَ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا تَقَدَّمَ .

تروى الحصور :

وقوله : يَتَقَدَّتْنِي الْحَصُونُ ، أَيْ يَأْخُذُ الْأَدْنَى فَيُؤَدِّي .

مَكَّمُ أَكْلِ لَحْمِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْخَيْلِ :

وَذَا كَرْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَحَدِيثُ جَابِرٍ أَنَّهُ نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَأَرْخَصَ لَهُمْ فِي لَحْمِ الْخَيْلِ ، أَمَّا الْحُمْرُ الْأَهْلِيَّةُ فَجُمِعَتْ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا شَيْئًا يَرُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ ، وَطَائِفَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ . وَحُجَّةٌ مِنْ أَبَا حَا قَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) فِي الْلسَانِ : الْآتَى بوزن غنى : النَّهْرُ يَسُوقُهُ الرَّجُلُ إِلَى أَرْضِهِ ، وَكُلُّ مَسِيلٍ سَهْلَتُهُ لِمَاءٍ آتَى ، وَكُلُّ جَدُولٍ مَاءٍ آتَى . وَأَتَى الْمَاءَ — بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ التَّاءِ مَعَ فَتْحِ — وَجْهٌ لَهُ يَجْرِي .

(٢) وَكَانَا يَسْمَيَانِ : الْمِجْمَعَةَ وَالْمِيسِرَةَ .

﴿ قل : لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا على طَاعِمٍ ﴾ الآية وهي مَكِّيَّة ،
وحديثُ النهي عن الحُمُرِ كان يُخْبِرُ فهو للبين الآية ، والنَّاسِخُ الإِبَاحَةُ ^(١) ،
ومن حُجَّتِهِمْ أيضًا قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه في أكل الحمار

(١) حُجِيبٌ والله أمر هؤلاء الذين يرمعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحرم ما أحله
الله . وقد أخرج البخاري عن عمرو بن دينار قال : « قلت لجابر بن زيد :
يرمعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الحمر الإهلية ، قال : قد كان يقول ذلك
الحكم بن عمر الغفاري عندنا بالبصرة ، ولكن أبي ذلك البحر ابن عباس ،
وقرأ : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا ﴾ وفهم ابن عباس دقيق . ففي الآية
حصر لا يأذن لك . أن يطيف بقدره ، ولا أن يضاف إلى المحصور ، ومن
يتدبر الآية يهدي الإيمان في قلبه ، والتفديس لما يقول القرآن يجد فهم ابن عباس
رضي الله عنه . أو يمكن أن نظن بالقرآن الكريم أن بيانه الحكم القوي تنهات
حكمت ونهى قوته بهذه السهولة ؟ (قل : لا أجد فيما أوحى إلىَّ مُحَرَّمًا على طاعم
يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقاً ،
أهل الخير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد ، فإن ربك غفور رحيم) الأنعام :
١٤٥ . وقد ورد بعدها ما حرم الله على الذين هادوا . فتدبر النفي السابق للفعل
أجد ، ثم كلمة إلا ليتبين أن الآية تؤكد بهذا البيان المحكم أن الله سبحانه لم
يحرم شيئاً غير ما ورد في الآية القرآنية . ثم إذا تبين بالدليل القطعي الذي تؤيده
التجربة أو الواقع أن شيئاً ما يطر الناس تناوله ، فإنه يكون محرماً بنص آية
أخرى حيث وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف بأن « يحل
الطيبات ويحرم الخبائث ، فكل طيب حلال ، وكل خبيث حرام بهذا النص .

هذا ولا يصح تردد أن الحديث ينسخ القرآن ، وإلا بهتاه صلى الله عليه وسلم
بأنه كان يقول على الله بعض الأقاويل . وأضرع إلى الله أن يفتح القلوب
لكلمة الحق هذه ، فلا يرجعنا بسببها قوم لا نكن لهم إلا ما نكن للصفاة
والحبيب والخير .

الأهلي ، يقال في اسمه : غالب بن أنجر المزني : أطعم أهلك من سمين مالك^(١) ، وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهي مع أنه مُحْتَمِلٌ لنا وبين ، أحدهما : أن يكون الرجل ممن أصابته مَسْفِيَةٌ شديدة ، فأرخص له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم ، على أن بعض رُوَاة الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القَرْيَةِ أو حوالى^(٢) القرية على اختلاف في الرواية ، وأما حديث جابر في إباحة لحوم الخيل ، فصحيح ويُعَضِّدُهُ حديث أسماء أنها قالت : ضَحَّيْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِفَرَسٍ^(٣) . وقال بإباحة لحوم الخيل الشافعي والليث وأبو يوسف وذهب مالك والأوزاعي إلى كَرَاهَةِ ذلك ، وقد رَوَى من طريق خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أَشْلِ لُحُومِ الْخُمَيْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْبَغَالِ وَالْخَيْلِ ، وقد خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وحديث لإباحة أصبح غير أن مالكاً رحمه الله نَزَعَ بَابَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، وهى أن الله جلَّ ذِكْرُهُ ذكر الأنعام ، فقال : (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : (لَتَرَكُبُوهَا وَزِينَةً) وهذا نَزَاعٌ حَسَنٌ . ووجه الدليل من الآية أنه قال : (وَالْأَنْعَامَ

- (١) أخرجه أبو داود وفيه : أطعم أهلك من سمين حرك ، ولست أدري كيف يحرم الحمار الأهلي ، ويقال يحمل أكل الحمار الوحشي ١٤
(٢) هى جوال بفتح الجيم والوار وتشديد اللام جمع جالة مثل دواب وسوام وهوام جمع دابة وسامة وهامة . والجوال هى التى تأكل العذرة .
(٣) عن أسماء بنت أبي بكر قالت : ذبحنا على عهد رسول الله ص فرساً ، ونحن بالمدينة ، فأكلناه ، متفق عليه .

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ۚ ثُمَّ لَكُمْ فِيهَا لُحُومٌ مِّمَّا كَفَلْنَا لَكُمْ ۚ فَذَكَرَ الدِّفْءَ وَالْمَنَافِعَ وَالْأَكْلَ ،
ثم أفرد الخيلَ والبغالَ والحِمْيَرَ بالذِّكْرِ ، ثم جاء بِلَامِ الْعِلَّةِ وَالنَّسَبِ ، فقال :
لَتَرْكَبُوهَا ، أَيْ لَهَذَا سَخَّرْتُهَا لَكُمْ ، فوجب أَنْ لَا يَتَقَدَّى مَا سَخَّرَتْ ^(١) لَهُ ،
وَأَمَّا نَهْيُهُ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْجِلَالَةِ وَعَنْ رُكُوبِهَا ^(٢) ، فَهِيَ الَّتِي تَأْكُلُ الْجِلَالََةَ
وهو الرُّوثُ وَالْبَغَرُ ، وَفِي الشَّيْءِ لِلدَّارِ قُطْنٌ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَى عَنْ أَكْلِ
الْجِلَالَةِ ، حَتَّى تُتَلَفَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَهَذَا نَحْوُ مَا رَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ
كَانَ لَا يَأْكُلُ الدَّجَاجَ الْمَخْلَاةَ ، حَتَّى تُقْصَرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ذَكَرَهُ التَّهَرُّوِيُّ .

الورق :

وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ نَهْيُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ بَيْعِ الْفِضَّةِ بِالْفِضَّةِ ،
وَبِإِبَاحَةِ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرَقِ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَرَقَ وَالْفِضَّةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ ،
وَقَدْ فُرِقَ بَيْنَهُمَا أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ الْأَمْوَالِ ، فَقَالَ : الرَّقَّةُ وَالْوَرَقُ مَا كَانَ
سَكَّةً مَضْرُوبَةً ، فَإِنْ كَانَ حُلِيًّا أَوْ حَلِيَّةً ، أَوْ نُقِرًا ^(٣) ، لَمْ يُسَمَّ وَرَقًا ، يَرِيدُ
بِهَذِهِ التَّفْرِقَةَ أَنَّ لَازِمَ كَا فِي حُلِيِّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) وَإِنْ كَانَتْ اللَّامُ لِلْعِلَّةِ ، فَانْهَى لَا تَفِيدُ الْحَصْرَ فِي الرُّكُوبِ وَالزَّيْنَةِ ،
فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِالْحَيْلِ فِي غَيْرِهَا ، وَفِي غَيْرِ الْأَكْلِ اتِّفَاقًا .

(٢) عَنْ ابْنِ مَرْقٍ قَالَ : دَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ أَكْلِ الْجِلَالَةِ وَأَلْبَانِهَا ،
رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ . وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، نَهَى عَنْ الْجِلَالَةِ فِي
الْإِبِلِ أَنْ يَرْكَبَ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ مِنْ أَلْبَانِهَا . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

(٣) جَمْعُ نَقْرَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمَذَابَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقِيلَ : هُوَ مَا سَبَكَ
مَجْتَمِعًا مِنْهَا .

وسلم - حين ذكر الزكاة قال : في الرقعة الخمس^(١) ، وحين ذكر الربا قال
الفضة بالفضة .

قال المؤلف : وفي هذا الحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفي أحاديث
سواه قد تتبعنا ما يدل على خلاف ما قال ، منها قوله عليه السلام في صفة
الحوض : يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا [مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ] مِنْ
وَرَقٍ^(٢) ، وفي حديث عرفة حين أصيب أنفه يوم الكلاب قال : فاتخذتُ
أنفاً من ورقٍ^(٣) الحديث ، في شواهد كثيرة تدل على أن الفضة تسمى ورقاً
على أي حال كانت .

(١) زكاة الفضة من ربع الفضة ، ففي حديث رواه أحمد وأبو داود
والترمذي ، ماتوا صدقة الزكاة من كل أربعين درهما درهما ، وفي حديث آخر
رواه البخاري في الزكاة - بكر الرأء وتخفيف القاف - وهي الفضة الخالصة -
في مائتي درم ربع العشر وهذا حر .

(٢) من حديث رواه مسلم .
(٣) لما اتخذ أنفاً من ورقٍ أنفن ، فاتخذ أنفاً من ذهب ، وقد ظنت الأهمى
ورقاً بفتح الراء ، ظناً منه أن الفضة لا تنفن ، وخطأه القتيبي . والكلاب بضم
القاف وفتح اللام اسم ماء كان به يوم من أيام العرب بين البصرة والكوفة .
قال أبو عبيد : كلاب الأول وكلاب الثاني يومان كانا بين ملوك كندة ، وبني تميم
وفيه أسرت بنو تميم عبد يغوث بن أبي وقاص الحارثي فقال قصيدته الياثية
التي أولها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مايبا فالكماني اللوم خير ولا لبا
ومنها
جزى الله قومي بالكلاب ملامة حرهم والآخريين الموالبات =

وقوله: بِالذَّهَبِ الْمَيْنُ وَالورق الْمَيْنُ يريد الذهب، لأنَّ الغائب تسمى خماراً، كما قال، وعَيْنُهُ كَالْكَالِ الضَّامِرُ^(١)، وسمى الحاضر: عَيْنًا لِمَوْضِعِ الْمُعَايَنَةِ، فالقَيْنِ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ عِنْتَهُ أَعْيُنُهُ إِذَا أَبْصَرْتَهُ بِمِثْلِكَ، وَتُسَمَّى الْمَفْعُولُ بِالْمَصْدَرِ، وَنَحْوُهُ مِنَ الصَّيْدِ، لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ صَدَتْ أَصِيدُ، وَقَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ لِلْأَمَّةِ: ٩٥ قَسَمَهُ بِالْمَصْدَرِ، وَلَمَّا كَانَ أَنْ تُلْحِظَ مِنْ هَذَا الْمَطْلَعِ مَعْنَى الْقَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصْنَعُ عَلَى عَيْنِي﴾ طه: ٣٩ فَقَدْ أَكْمَلْنَا فِيهَا، وَفِي مَسْأَلَةِ الْيَدِ مَسْأَلَتَيْنِ لَا يُبَدَّلُ بَقِيَّتُهُمَا إِلَّا بِمَا يَجْزِيهَا^(٢)

= ويقول ابن دريد عن الكلاب: والكلاب موضع بالدعاء بين الجامة والبصرة كانت فيه وقتان إحداهما بين ملوك كندة الإخوة، والأخرى بين بني الحارث وبين بني تميم يذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الأيام، أنظر ص ٤٥، ص ٢٦٧، البيان الجاحظ، واللسان، وابن الأثير في مادة كلب وورق وص ٢١ الاشتقاق لابن دريد.

(١) المال الضمار: الغائب الذي لا يرجى. والكالي في حديث أنه نهي عن الكالي بالكالي، أي النسبة بالنسبة، وذلك أن يشتري الرجل شيئاً إلى أجل، فإذا حل الأجل لم يجد ما يقضى به، فيقول بعينه إلى أجل آخر بزيادة شيء فيبيعه منه، ولا يجرى بينهما تقاضى، يقال: كلاً الدين كلوه، فهو كالي إذا تأخر.

(٢) من غير من كتب عن هذا الإمام ابن القيم في كتابه «الصواعق المرسلة»، فراجع، وقد سبق القول بأنه يجب الإيمان بكل ما نسب إلى نفسه من مثل اليد والعين وغيرهما إيماناً مطلقاً بأن الله سبحانه له كل هذا الذي نسب إلى نفسه، فله يدان وله عينان، ولكن لا تشبه يده يد، ولا عينه عين، لأنه جل شأنه ليس كمثله شيء..

منى مرم نظم المتعة؟

فصل : ومِمَّا بَقِيَ بِمَحْدِثِ النَّبِيِّ عَنْ أَكْلِ الْحُمْرِ تَنْبِيهُ عَلَى إِشْكَالٍ فِي رِوَايَةِ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِيهَا : نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِكَاحِ الْمُتَمَتَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَرِوَاةُ الْأَثَرِ ، أَنَّ الْمُتَمَتَّةَ حُرِّمَتْ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ فِيهِ : إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ أَكْلِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ الْمُتَمَتَّةِ ، فَمَنْعَاهُ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ : وَنَهَى عَنْ الْمُتَمَتَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، أَوْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَهِيَ إِذَا تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ ، وَقَعَ فِي لَفْظِ ابْنِ شِهَابٍ ، لَا فِي لَفْظِ مَالِكٍ ، لِأَنَّ مَالِكًا قَدْ وَاقَعَهُ عَلَى لَفْظِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رِوَاةِ ابْنِ شِهَابٍ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُتَمَتَّةِ فَأَغْرَبُ مَا رَوَى فِي ذَلِكَ رِوَايَةُ مَنْ قَالَ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، ثُمَّ رِوَايَةُ الْحَسَنِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي غَزْوَةِ الْقَصَاءِ ، وَلِلشَّهْرِ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُتَمَتَّةِ رِوَايَةُ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ ^(١) عَنْ أَبِيهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَوْمَ النَّتَجِ . وَقَدْ خَرَجَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَ بِعَلُولِهِ ^(٢) وَفِي هَذَا أَيْضًا حَدِيثٌ آخَرُ خَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ أَنَّ تَحْرِيمَ

(١) نص للتودي في التهذيب على ضبطها بفتح السين وسكون الياء ، وضبطت في نيل الأوطار بضمها .

(٢) ورواه أيضاً أحمد . هذا وقد روى عن ابن مسعود أنه قال : د كُنا نغزو مع رسول الله د ص ، ليس معنا لساء ، فقلنا : ألا تختصي ، فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ، ثم قرأ عبد الله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ) الْآيَةُ . مَتَّقَى عَلَيْهِ . وَعَنْ =

نِكَاحِ الْمُتَمَتِّعَةِ كَانَ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَمَنْ قَالَ مِنَ الرَّوَاةِ كَانَ فِي غَزْوَةِ

أَبِي جَمْرَةَ قَالَ : « سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ مَتَمَتِّعَةِ النَّسَاءِ ، فَرَخَّصَ ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ :
إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ فِي النَّسَاءِ قَلَّةً أَوْ نَحْوَهُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَعَمْ ،
رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ حَزْمٍ فِي الْمَحَلِّ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ غَيْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ :
وَقَدْ ثَبَتَ عَلَى تَحْلِيلِهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ :
أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، وَجَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَمُطَاوِيَةُ
وَعُمَرُ بْنُ حَرْثٍ وَأَبُو سَعِيدٍ وَسَلْمَةُ ابْنَةُ أُمِّهِ بْنِ خَلْفٍ ، وَرَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ
الصَّحَابَةِ مَدَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَدَّةَ أَبِي بَكْرٍ وَمَدَّةَ عُمَرَ إِلَى قَرَبِ آخِرِ خِلَافَتِهِ ، وَرَوَى
عَنْهُ أَنَّهُ إِنَّمَا أُنْكَرَهَا إِذَا لَمْ يَشْهَدْ عَلَيْهَا عَدْلَانِ فَقَطْ ، وَقَالَ بَها مِنْ التَّابِعِينَ :
طَاوُسٌ وَعَطَاءٌ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَسَائِرُ فَقَهَاءِ مَكَّةَ . وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : جَاءَ عَنْ
الْأَوَائِلِ الرِّخْصَةُ فِيهَا ، وَلَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ أَحَدًا يَجْزِمُهَا إِلَّا بَعْضُ الرَّافِضَةِ .

وَقَالَ عِيَّاضٌ : « ثُمَّ وَقَعَ الْإِجْمَاعُ مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ إِلَّا الرُّوَافِضُ ، وَقَالَ ابْنُ
بَطَّالٍ : « رَوَى أَهْلُ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِبَاحَةَ الْمُتَمَتِّعَةِ ، وَرَوَى عَنْهُ الرَّجُوعُ
بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ ، وَإِجَازَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ عَنْهُ أَصَحُّ ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّيْعَةِ . وَنَقَلَ الْيَهْيَى
عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ الْمُتَمَتِّعَةِ فَقَالَ : هِيَ الزَّوْنَا بَعِينَةُ ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ
وَالرَّوَايَاتُ كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ عَلَى أَنَّ زَمَنَ إِبَاحَةِ الْمُتَمَتِّعَةِ لَمْ يَبْطُلْ ، وَأَنَّهُ حَرَمٌ ، ثُمَّ
أَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِلَّا مَنْ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مِنَ الرُّوَافِضِ ، انْظُرْ
ص ١٣٥ > ٦ نِيلَ الْأَوْتَاطَارِ . أَقُولُ : وَقَدْ أَسْرَفْتُ فَنَاتٍ مِنَ الْآخِذِينَ بِحُلِّهَا
فَأَحَالُوهَا زِنًا بِأَجْرٍ ، وَبِفَاءِ فَاجِرِ الْفُسُوقِ ، ابْتِغَاءً وَقَدَاسَةً الْإِسْلَامِ . وَجَلَّالُ
هِدْيِهِ ، وَسَمُو الصَّفَاءِ فِي رُوحَانِيَّتِهِ ، أَرِ يَتَصَلَّ رَجُلٌ بِأَمْرَأَةٍ أَبَامًا أَوْ أَشْهَرًا
ثُمَّ يَتْرُكُهَا بِمَا حَمَلَتْ ؟ أَرَى لِمَنْ يَنْتَسِبُ هَذَا الْجَنِينُ ؟ وَكَيْفَ يَعْشِشُ وَيَتَبَشَّشُ أُمُّهُ ،
وَهِيَ لَا تَعْرِفُ لَابْنِهَا أَبًا ، وَهِيَ لَا يَدْرِي لَهُ أَبٌ ؟ وَأَيَّةُ عِلَاقَةٍ بَالِغَةُ السُّوءِ
تَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُمِّهِ . وَمَنْ سِيرَتْ بِأَتَرِي ؟ تِلْكَ هِيَ نَكْبَةُ الزَّوْنَا بَعِينَةُ .

وَلِإِذَا قَنَانُ وَجُوهُنَا وَأَفْكَارُنَا وَفُلُورُنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ . فَإِنَّا لَا نَجِدُ فِي الذِّكْرِ =

أوطاس ، فهو موافق لمن قال عام الفتح ، فتأمله والله المستعان .
وذكر قوله - عليه السلام - : لَا عِطِينَ الرَّايَةَ غَدَاً رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

= الحكم شيئاً بما يروج له دعاة المتعة ، أو دعاة الفسوق . فقوله سبحانه في سورة النساء (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ ، فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً) هذا القول ليس نصاً لامن بعيد ، ولا من قريب يدل على إباحة المتعة ولا بإثارة من فهم إلا فهم المدين يبتغون البغاء اليوم في إباحة المتعة ، فانه سبحانه قد بين في الآية ما محل من نكاح النساء في مقابلة ما حرم فيما قبلها . وفي صدرها . وبين أنه إذا استمتع الإنسان بامرأة أحلها الله فيمن أحل أى تزوجها فعليه الأجر ، وهو المهر . ولو تدبرنا قوله جل شأنه في صفات المؤمنين (والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم ، أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك ، فأولئك هم العادون) المؤمنون ٦٥ . لو تدبرنا هذا لعلمنا أن هذه المتعة بالمعنى الذى فسروه بها أمر باطل . فقام في الآية إلا نوعان : زوجات وملك يمين ، فأين تضع صاحبة المتعة بين هذين النوعين ؟ لا يمكن اعتبارها زوجة لأن الزوج شرطه المبينة في القرآن وهذه الشروط لا تنطبق على صاحبة المتعة ، ولا يمكن اعتبارها أمة ، فمن ابتغى وراء هذين فهو من العادين . ويقول الإمام ابن القيم : ولم يحرم المتعة يوم خيبر ، وإنما كثر تحريمها عام الفتح ، هذا هو الصواب ، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر ، واحتجوا بما فى الصحيحين ، ثم ذكر ما ورد فى الصحيحين ، ثم ضعف رأى القائلين بأنها حُرمت ، ثم أباحت ثم حُرمت ثم قال : وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات ، ولا استأذنوا فى ذلك رسول الله ص ، ولا نقله أحد قط فى هذه الفزوة ، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة ، لا فعلاً ولا تحريماً بخلاف غزاة الفتح . فإن قصة المتعة كانت فيها فعلاً وتحريماً مشهورة ، وهذه الطريقة أصح الطريقتين ، ص ٢٤٦ ح ٢ زاد المعاد .

وَيَفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُنَّ أَيْهِمْ
يُعْطَاهَا^(١) وَمَعْنَاهُ مِنَ الدُّوَكَةِ ، وَاللُّوَكَةِ ، وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ .

عَلَى وَدَعَاءِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

وَذَكَرَ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - انْطَلَقَ بِالرَّابَةِ بِأَنْسِجَ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ
ابْنُ إِسْحَاقَ يَوْجُ ، فَمِنْ رِوَاةِ أَنْسِجَ ، فَهُوَ مِنَ الْأَنْسِجِ وَهُوَ عُلُوُّ النَّفْسِ ، يُقَالُ
فَرَسٌ أَنْوَجُ مِنْ هَذَا ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا بِأَنْسِجَ
يُطْنِيه ، قَالُ : مَا هَذَا ؟ قَالُ : بَرَكَةٌ مِنَ اللَّهِ ، قَالُ : بَلْ هُوَ عَذَابٌ عَذَّبَكَ
بِهِ وَمِنْ رِوَاةِ يَوْجُ ، فَمَعْنَاهُ : يُسْرِعُ ، يُقَالُ : أَجَبْتُ النَّاقَةَ تَوْجُ إِذَا أَسْرَعَتْ
فِي مَشْيِهَا ، وَزَادَ الشَّيْكَانِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حِينَ ذَكَرَ أَنَّ
عَلِيًّا كَانَ أَرْمَدَ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ قَبْرًا ،
قَالُ : فَمَا وَجِعَتْ عَيْنُهُ حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ^(٢) ، قَالُ : وَكَانَ عَلِيٌّ يَلْبَسُ الْقَبَاءَ
الْمَحْشُورَ الثَّخِينِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَلَا يُبَالِي بِالْحَرِّ ، وَيَلْبَسُ الثَّوْبَ الْخَفِيفَ
فِي شِدَّةِ الْبَرْدِ ، فَلَا يُبَالِي بِالْبَرْدِ ، وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَعَا لَهُ يَوْمَ خَيْبَرَ حِينَ رَمِدَتْ عَيْنُهُ أَنْ يَشْفِيَهُ اللَّهُ ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ
الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَكَانَ ذَلِكَ .

صَاحِبُ الْقَانِمِ وَابْنُ مَقْفَلٍ :

فَصَلُ : وَذَكَرَ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَقْفَلٍ حِينَ احْتَمَلَ جِرَابَ الشَّحْمِ ،

(١) فِي حَدِيثِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الْبُخَارِيِّ .

(٢) فِي الدَّلَالَةِ الْقِسْمَةِ : فَأَوْجَعَهَا حَتَّى مَضَى سَبِيلُهُ ، أَيْ : مَاتَ .

وأراد صاحب المغام أخذَه منه ، ولم يذكر اسم صاحب المغام ، وروى عن ابن وهب أنه قال : كان على المغام يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مروياً عن ابن وهب ، ولم يتصل لي به إسناد .

الصفى والمرباع :

فصل : وذكر صفية بنت حيي ، وأُمها بُرْدَةُ بنت سَمُؤَال ، أخت رِفَاعَةَ ابن سَمُؤَال المذكور في الموطأ ، وأنه اصطفاها لنفسه ، وفي حديث آخر عن عائشة قالت : كانت صفية من الصفى ، والصفى ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر [عبد الله بن غنم الصفى يُطاطب بسطام بن قيس] :

لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا [وحكمك والنشيطه والفضول^(١)]

فالمرْبَاعُ رُبْعُ النَّعِيمَةِ . والصفى ما يُصْطَفَى للرئيس ، وكان هذا في الجاهلية ، فُلِّحَ الْمِرْبَاعُ بِالْخُمْسِ وبقي أمرُ الصفى .

مصدر أموال النبي صلى الله عليه وسلم ، وزواجه من صفية ، وكانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه : من الصفى ، والهدية تُهْدَى^(٢) إليه ، وهو في بيته لافي القزو من بلاد الحرب ، ومن

(١) الزيادة التي بين قوسين من اللسان مادة . نشط وصى .

(٢) روى أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان والحاكم من طريق أبي أحمد =

(٣٦٢ - الروض الأوفى - ٦٠)

خُمْسِ الْخُمْسِ ، وَرَوَى يُونُسُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُجَمِّعِ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي فِي رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّصِيرِ ، كَانَ فِي حَبْرٍ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ مِنْ رَهْطِهَا قَالَ لَهُ : رُبَّيْعٌ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَكَبَ بَنِي خَيْبَرَ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى نَاقَتِهِ لَيْلًا فَجَعَلَتْ أَنْفُسُ فَيَضْرِبُ رَأْسِي مُؤَخَّرَةً الرِّحْلِ ، فَيَمْشِي بِيَدِهِ ، وَيَقُولُ : يَا هَذِهِ مَنَلَا يَا ابْنَةَ حَيٍّ ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الصَّبَاءُ ^(١) ، قَالَ : أَمَّا إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا صَفِيَّةُ بِمَا صَنَعْتُ بِقَوْمِكَ ، إِنْهُمْ قَالُوا لِي : كَذَا ، وَقَالُوا لِي : كَذَا . وَحَدَّثَ إِصْطِفَائِهِ صَفِيَّةَ بِعَارِضِهِ فِي الظَّاهِرِ الْحَدِيثُ الْآخَرُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهَا صَارَتْ لِدُخْيَةٍ فَأَخَذَهَا مِنْهُ ، وَأَعْطَاهُ سَبْعَةَ أَرْزُسٍ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ أَعْطَاهُ بِنْتِي تَمَّتْهَا عَوَاضًا مِنْهَا ، وَيُرْوَى أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ لَهُ : خُذْ رَأْسًا آخَرَ مَكَانَهَا ^(٢) ، وَلَا مُعَارَضَةَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، فَإِنَّمَا أَخَذَهَا مِنْ دُخْيَةٍ

الزبيدي عن سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن مائدة قالت : كانت صفيه من الصني ، وقد فسرہ ابن سيرين فيما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح عنه قال : كان يضرب للنبي د ص ، بسهم مع المسلمين ، والصني يؤخذ له رأس من الخنس قبل كل شيء . ومن طريق الشعبي قال : كان للنبي د ص ، سهم يدعى الصني إن شاء ، عبداً ، وإن شاء أمة ، وإن شاء فرساً يختاره من الخنس . ومن طريق قتادة : كان النبي د ص ، إذا غزا كان له سهم صاف يأخذه من حيث شاء ، وكانت صفيه من ذلك السهم .

(١) الصبأ موضع بينه وبين خيبر يريد كما ذكر ابن سعد ، وهي التي بنى فيها رسول الله د ص ، بصفية كما جاء في البخاري وفي رواية عند سد الروحاء .

(٢) قد ذكر البخاري في رواية له أن صفيه كانت في السبي ، فصارت إلى

قبل القسم : وما عوّضه منها ليس على جهة التبع ، ولكن على جهة النفل واليهبة ، والله أعلم . غير أن بعض رُواة الحديث في المسند الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صفيّة من دحية ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القسم ، قاله أعلم أى ذلك كان .

وكان أمر الصفيّة أنه كان عليه السلام إذا غزا في الجيش اختار من الغنيمة قبل القسم رأساً وضرب له بسهم مع المسلمين ، فإذا قعد ، ولم يخرج مع

دحية ، وفي رواية أن دحية جاء إلى رسول الله ص ، فقال : أعطني يا رسول الله جارية من السبي ، قال اذهب ، فخذ جارية ، فأخذ صفيّة ، فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله : أعطيت دحية صفيّة سيدة قريظة والنضير ، لا يصلح إلا لك ، قال : ادعوه بها ، فجاء بها ، فلما نظر إليها ص ، قال : خذ جارية من السبي غيرها ، ثم صارت إلى النبي ص ، فتزوجها ، فجعل عتقها صداقها ، ورواية نسخة أروس رواية مسلم عن أنس نفسه الذي روى عنه البخاري أنه أعطاه جارية ١١ ولا شك في أن تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم فوق ما قيل نبلا وحكمة وسموا فالرجل العظيم الذي اصطفاه الله للنبيين خاتماً ، واستطاع - بتوفيق الله - تطبيق القرآن كما أمر الله ، وأنشأ به خير أمة أخرجت للناس . هذا الإنسان العظيم لا يجوز أن يقال عنه إن جمال صفيّة هو الذي دعاه إلى هذا التصرف .

إن هذا التصرف قد يترفع عنه قائد عسكري ممتاز الخلق . فإياك بني هو خاتم النبيين بصفه الله بأنه على خلق عظيم ؟ ومن خير ما يقلل هنا ما ذكر الحافظ في الفتح لو أن رسول الله ص ، خص بها دحية - وهي كما روى ابن سعد من أضواء ما يكون من الذناء - لا يمكن تنفير خاطر بعض الصحابة ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاصه عليه الصلاة والسلام ، فإن في ذلك رضا الجميع ص ٢٣٢ - ٢ المواهب وانظر ما كتب العقاد عنها ص ١٩٣ حقائق الإسلام ط ١ .

الجيش ضرب له بسنهم ، ولم يكن له صفى ، ذكره أبو داود ، وأمر الصفى بعد الرسول عليه السلام لإمام المسلمين في قول أبي توبز ، وخالفه جمهور الفقهاء ، وقالوا : كان خصوصاً للنبي عليه السلام (١) .

صدان صفيه :

وقوله : أعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، هو صحيح في النقل ، وقال به كثير من العلماء ، ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو متزوجاً ، ومن لم يقل به مالك بن أنس ، وجماعة سواه لا يرون مجرد العتق يفتى عن صداق (٢) .

حنس الصنعاني :

وذكر حديث حنس الصنعاني عن ربيعة بن ثابت . هو حنس بن

(١) سبق الكلام عن الصفى في الشرح

(٢) في حديث منفق عليه عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعتق صفيه وجعل عتقها صداقها .

وقد ذهب الأكثر إل عدم صحة جعل العتق مهرأ متاولين بأنه د ص ، أعتقها بشرط أن يتزوجها ، فوجب له عليها قيمتها ، وكانت معلومة ، فتزوجها بها . والذي يرد هذا التأويل أنه ورد في مسلم بلفظ : ثم تزوجها . وجعل عتقها صداقها ، والحق مع القائلين بعدم صحة جعل العتق صداقاً ، لأن الله يقول : (وأتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) . فالصداق فرض ، ولا يجوز للمرأة أن تنازل عنه كله ، بل عن بعضه

عَبْدُ اللَّهِ السَّبَّائِي^(١) جاء إلى الأندلس مع موسى بن نصير ، وهو الذي ابْتَدَى
جامعَ سَرَقِيسَةَ ، وَأَسَّسَ جَامِعَ قُرْطُبَةَ أَيْضًا ، فَمَا ذَكَرُوا ، وَتَوَمَّ الْبُخَارِيُّ
أَنَّهُ حَفْشُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي اسْمِ أَبِيهِ ، وَقَدْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا عَلِيُّ بْنُ
الْمَدِينِيِّ فَقَالَ : حَفْشُ بْنُ عَلِيٍّ السَّبَّائِيُّ مِنْ صَنَعَاءِ الشَّامِ ، وَمِنْهَا أَبُو الْأَسْمَثِ
الصَّنَعَائِي ، وَحَفْشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّبَّائِيُّ مِنْ صَنَعَاءِ الْيَمَنِ ، وَكِلَاهُمَا يَرَوِي
عَنْ عَلِيٍّ ، فَنُهِمْنَا دَخَلَ الْوَهْمُ عَلَى الْبُخَارِيِّ ، هَكَذَا ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ،
وَيَرْوَى عَنْ عَلِيٍّ أَيْضًا حَفْشُ بْنُ رَيْمَةَ ، وَحَفْشُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ وَهَذَا غَيْرُ
هَذَيْنِ^(٢) .

ولأمنه عنه :

وفيه : أَنَّهُ لَا تُؤْطَأُ حَامِلٌ مِنَ السَّبَايَا حَتَّى تَضَعَّ ، وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ ،
وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى أُمِّهِ مُجِئَةً
أَيَّ مُقَرَّبٍ^(٣) ، فَسَأَلَ عَنْ صَاحِبِهَا ، فَقِيلَ : إِنَّهُ يُبَلِّغُهَا ، فَقَالَ : لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ
أَتَقَنَّهُ لَعَنَةً تَدْخُلُ مَعَهُ فِي قَبْرِهِ . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

(١) ضبطها الحزرجي في خلاصة تهذيب الكمال بدون ألف ، وهي في
تهذيب الباب السبائي . وقال عنه الحزرجي ابن عبيد الله أو ابن علي ، وفي
التهذيب : وابن الملقن عبد الله يروي عن علي وابن عباس وفضالة بن عبيد مات
سنة ١٠٠ .

(٢) في تهذيب الكمال : حفش بن المعتمر أو ابن ربيعة بن المعتمر الكنانى
أبو المعتمر الكنانى .

(٣) هي الحامل التي دنا ولادها . وفي الأصل : مغرب .

فهذا وجه في معنى قوله : لَا يَحْمِلُ لِأَمْرِىءَ يَوْمَئِذٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يَسْتَفِي مَاؤُهُ زَرْعَ غَيْرِهِ ، يعنى إِنْ بَيَّنَّ الْحَبَّاءُ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، فَإِنْ فَعَلَ فَالْوَلَدُ مُخْتَلَفٌ
فِي إِحْلَاقِهِ بِهِ ، قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ : لَا يُدْحَقُ بِهِ ، وَقَالَ اللَّيْثُ : يُدْحَقُ بِهِ
لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ يَسْتَفِيدُهُ ، وَقَدْ غَذَاهُ فِي تَمِيمِهِ وَبَعَثَهُ .

عَلَى قَتْلِ مَرْجَأٍ :

فصل : ومما يتصل بقصة مَرْجَأِ الْيَهُودِيِّ مع عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - من غير رواية الكتاب قول على :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ

أَضْرِبَ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْكُفَرَةِ

أَكِيلَهُمُ بِالصَّاعِ كَيْسَلُ السُّنْدَرَةِ (١)

(١) هي من رواية يونس عن ابن إسحاق ، وفيها : كَيْسَلُ غَابَاتٍ شَدِيدِ
الْقُصُورَةِ . بدلا من الشطرة الثانية . وفيها أيضا : أَكِيلَهُمْ . وفي رواية
الْبَزَارِ : كَيْسَلُ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرِ ، أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْسَلُ السُّنْدَرَةِ . أنظر ص ١٨٧
وما بعدها ، البداية والنهاية لابن كثير . وهي في صحيح مسلم أيضا . ويقول
الحافظ : وخالف أهل السير في هذا ، فجزم ابن إسحاق وابن عتبة والواقدي
بأن الذي قتل مرجأ هو محمد بن مسلمة ، وكذا روى أحمد بإسناد حسن عن جابر .
وقيل : إن ابن مسلمة كان بارزه فقطع رجله . فأجهز على عليه ، وقيل : قاتله
هو الحارث أخو مرجب . ولكن الحافظ يميل إلى أن ما في الصحيح مقدم على
ما سواه ، ولا سيما وقد جاء عن بريدة أيضا عند أحمد والنسائي وابن حبان
والحاكم . يقصد أن علياً هو قاتل مرجب .

أَيُّ أَجْزِهِمْ بِالْوَفَاءِ . وَالسَّنْدَرَةُ : شَجَرَةٌ يُصْنَعُ مِنْهَا مَكَايِيلُ عِظَامٍ

مِهْبَرَةٌ :

وَفِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَمَنَّى أُمِّي حَيْدَرَةَ ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ ، ذَكَرَهَا
قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَحَدُهَا : أَنَّ اسْمَهُ فِي السَّكْتِ لِلتَّقْدِيمَةِ أَسَدٌ ، وَالْأَسَدُ : هُوَ
الْحَيْدَرَةُ . الثَّانِي : أَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ حِينَ وَلَدَتْهُ كَانَ أَبُوهُ غَائِبًا ،
فَسَمَّاهُ بِاسْمِ أَبِيهَا أَسَدٍ ، فَقَدِّمِ أَبُوهُ قَبْلَهُ عَلِيًّا . الثَّلَاثُ : أَنَّهُ لَقِبُ فِي صِفَرِهِ
بِحَيْدَرَةٍ ، لِأَنَّ الْحَيْدَرَةَ الْمُقْتَلِي أَحْمًا مَعَ عِظَمِ بَطْنِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ
عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الصُّوَصِ حِينَ قُرِّ مِنْ سَجْنِهِ الْقِي
كَانَ بِسْمِي نَافِعًا ، وَقِيلَ فِيهِ : يَافِعُ أَيْضًا بِالْيَاءِ :

وَلَوْ أَنِّي مَكَثْتُ لَهُمْ قَلِيلًا لَجَزَّوْنِي إِلَى شَيْخٍ يَطِينُ

مِنْ مَصْرُودٍ فَبِيرٍ :

وَذَكَرَ شَقَاوَةَ النَّعَاةِ وَشَقَّ بِالْفَتْحِ أَعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الْأُمَّةِ كَذَلِكَ قَيْدَ الْبَكْرَى .
وَذَكَرَ وَادِي خَاصٍ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ . وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ : إِنَّمَا هُوَ وَادِي
خَلَصٍ بِاللَّامِ ، وَالْأَوَّلُ تَصْغِيفٌ . وَقَالَ الْبَكْرِيُّ : هُوَ خَلَصٌ بِاللَّامِ وَأَنْشَدَ
الْبَكْرِيُّ لِمَالِكِ بْنِ عَامِرٍ :

وَإِنِّي بَخْلَصٍ خَلَصٍ آرَةً بُدْنًا نَوَاعِمَ كَالْفَزِّ لِأَنَّ مَرْضَى عِيُونَهَا

الْحَالِ الْمَعْرُوفَةُ لَفْظًا :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ فِي أَشْعَارِ خَيْبَرَ قَوْلَ الْعَبْسِيِّ ، وَفِي آخِرِهِ :

فَرَّتْ يَهُودُ يَوْمَ ذَلِكَ فِي الْوَعَا نَحْتِ الْمَجَاجِ غَمَّامِ الْأَبْصَارِ

وهو بيت مُشَكَّلٌ غير أن في بعض النسخ ، وهي قليلة عن ابن هشام أنه قال: فَرَّتْ فَتَحَتْ ، من قولك : فَرَرْتُ ^(١) الدَّابَّةُ ، إِذَا فَتَحَتْ فَاهَا . وَغَمَّامِ الْأَبْصَارِ ، هي مفعول فَرَّتْ ، وهي جُمُوعُ أَعْيُنِهِمْ ، هذا قول ، وقد يصح أن يكون فَرَّتْ من الْفِرَارِ ، وَغَمَّامِ الْأَبْصَارِ من صِفَةِ الْمَجَاجِ ، وهو الْغُبَارُ وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْمَجَاجِ ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ الْمَعْرِفَةُ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِشَاكِرٍ فِي النُّحُو ، وَلَا مَاهِرٍ فِي الرِّبِّيَّةِ ، وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ، فهو نَكْرَةٌ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْغَمَّامُ حَقِيقَةً وَإِنَّمَا أَرَادَ مِثْلَ الْغَمَّامِ ، فهو مثل قول امرئ القيس :

مُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ ^(٢)

قَيْدُهَا هُنَا نَكْرَةٌ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ مِثْلَ الْقَيْدِ ، وَلِذَلِكَ نَعَتْ بِهِ مُنْجَرِدًا ، أَوْ جَلَّهْ فِي مَعْنَى مُقَيَّدٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ ^(٣) :

تَحِيَّةٌ مِنْ غَادِرَتِهِ غَرَضُ الرَّدَى

فَنُصِبَ غَرَضًا عَلَى الْحَالِ : وَأَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ زَهْرَةٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : فَرَّتْ . وَفِي الْلسَانِ : فَرَّ الدَّابَّةُ يَفْرَاهَا كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا .

(٢) مِنْ مَعْلَقَتِهِ ، وَأَوَّلُهُ : وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : الطَّيِّبُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَمَالِيِّ لِلْقَالِي وَالسَّيْطِ الْبَكْرِيِّ وَالْبَيَانُ الْجَاهِظُ .

الحياة الدنيا^(١) طه : ١٣١ أنه حال من المضمر المخفوض ، لأنه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ، ومن هذا النحو قولهم : جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال ، وفيه الألف واللام ، وهو من باب ما قدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجماء هي بيضة الحديد تُعرف بالجماء والصلعاء ، فإذا جُمِلَ معها المغفر ، فهي غفير ، فإذا قلت : جاءوا الجماء الغفير ، فإنما أردت العموم والإحاطة بجميعهم ، أي جاءوا جيئة قسولهم وتشتوعبهم ، كما تحيط البيضة الغفير بالرأس ، فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام للكثير كما تقدم ، وكذلك قولهم : تفرقوا أيدي سبأ ، وأيدي سبأ ، أي : مثل أيدي سبأ ، فصلت فيه الخلل لذلك ، والذي قلناه في معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وكان علامة بكلام العرب ، ولم يقع سيديونة على هذا الغرض في معنى الجماء ، فجاء كلمة مشافة عن القياس ، واعتقد فيها التعريف وقربها بباب وحده ، وفي باب وحده^(٢) أسرار قد أمليناها في غير هذا الكتاب ،

(١) في إعرابها أقوال : أولها أن تكون منصوباً بفعل محذوف أي جعلنا لهم زهرة ، ثانيها أن تكون بدلا من موضع به ، ثالثها : أن تكون بدلا من أزواج والتقدير : ذوى زهرة فحذف المضاف . رابعها : أن يكون النصب على الذم ، أي أذم أو أعنى ، خامسها : أن يكون بدلا من ما . ، ولكن يلزم من هذا الفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي . سادسها : أن يكون حالا من الهاء . أو من ما ، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين ، وجر الحياة على البدل من ماء ، سابعها : أنه تمييز لما أولها في به ، حكى عن القراء وهو غلط وإملاء ما من به الرحمن للعكس .

(٢) قال أبو بكر : وحده منصوب في جميع كلام العرب إلا في ثلاثة مواضع نقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ومررت بزيد وحده ، وبالقوم =

بِمَثَالِهِ وَخَذَهُ نَحْصَ بَابٍ وَحْدَهُ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنَ التَّنْكِيرِ بِسَبَبِ
التَّشْبِيهِ ، إِنْ مَا يَكُونُ إِذَا شَبَّهْتَ الْأَوَّلَ بِاسْمٍ مُضَافٍ ، وَكَانَ التَّشْبِيهُ بِصِفَةٍ
مُتَعَدِّيَةٍ إِلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، كَقَوْلِهِ : قَيْدِ الْأَوَائِدِ ، أَيْ مُقَيِّدِ الْأَوَائِدِ ، وَلَوْ قُلْتَ :
سَهَرْتُ بِأَمْرَاءِ الْقَمَرِ عَلَى التَّشْبِيهِ لَمْ يَجُزْ ، لِأَنَّ الصِّفَةَ الَّتِي وَقَعَ بِهَا التَّشْبِيهُ غَيْرُ
غَيْرِ مُتَعَدِّيَةٍ إِلَى الْقَمَرِ ، فَهَذَا شَرْطٌ فِي هَذِهِ السَّأَلَةِ ، وَمَا يَجُزُّ فِيهِ التَّنْكِيرُ
وَهُوَ مُضَافٌ إِلَى مَعْرِقَةٍ اتَّفَقَ اللَّفْظَيْنِ كَقَوْلِهِ : لَهُ صَوْتٌ صَوْتِ الْحِمَارِ وَزَيْتٌ
زَيْتِ الْأَمْدِ ، فَلَنْ قُلْتَ : فَمَا بَالُ الْجَمَاءِ الْغَفِيرِ ، جَازَ فِيهَا الْحَالُ ، وَلَيْسَتْ
بِمُضَافَةٍ ، قُلْنَا : لَمْ تَقُلِ الْمَرْبُ جَاءَ الْقَوْمُ الْبَيْضَةَ ، فَيَكُونُ مِثْلُ مَا قَدِمْنَا مِنْ
قَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِهَذَا الْقَمَرِ ، وَإِنَّمَا قَالُوا : الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ بِالصِّفَةِ الْجَامِعَةِ بَيْنَهَا ،
وَبَيْنَ مَا هِيَ حَالٌ مِنْهُ ، وَتِلْكَ الصِّفَةُ الْجَمْعُ ، وَهُوَ الْاِخْتِرَاءُ وَالْفَقْرُ ، وَهِيَ التَّنْظِيطُ
فَعَنَى الْكَلَامُ : جَاءُوا بَجِيئَةٍ مُسْتَوْبَةٍ لَمْ ، مُوَعِبَةً لْجَمْعِهِمْ ، فَقَوِي مَعْنَى
التَّشْبِيهِ بِهَذَا الْوَصْفِ ، فَدَخَلَ التَّنْكِيرُ لِقَوْلِكَ ، وَحَسُنَ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ وَهِيَ
حَالٌ مِنَ الْحَيَاءِ .

الشاة السُمُومَةُ :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ الشَّاةِ السَّمُومَةِ ، وَأَكَلَ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ مِنْهَا ،

وَحَدَّثَ ، قَالَ : وَفِي نَصَبِ وَحْدِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ . قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْبَصَرِيِّينَ : هُوَ
مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ ، وَقَالَ يُونُسُ : وَحْدَهُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ عِنْدِهِ ، وَقَالَ هِشَامُ : وَحْدَهُ
مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْمَرْبُ نَصَبَ وَحْدَهُ ، فِي الْكَلَامِ كُلِّهِ
لَا تَرْفَعُهُ وَلَا تَخْفِضُهُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفَ : لَسِيْجٍ وَحْدَهُ ، وَعَبِيرٍ وَحْدَهُ ، وَجَمِيشٍ

وفيه : أن الدراع كانت تُعْجِبُهُ ، لأنها هادِي الشاةِ ، وأبعدُها من الأذى ،
فذلك جاء مُفسِّراً في هذا اللفظ .

فأما المرأةُ التي سَمَّتهُ ، فقال ابن إسحاق : صنع عنها ، وقد روى أبو داود
أنه قتلها ، ووقع في كتاب شَرَفِ المُسْطَفَى ، أنه قتلها وصلبها ، وهي زينب
بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهي أختُ مُرَحَّبِ اليهودي ،
وروى أيضاً مثل ذلك ابن إسحاق . ووجهُ الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام
صنع عنها ، أولُ لأنه كان - صلى الله عليه وسلم - لا يَنْتَقِمُ لنفسه ، فلما مات
بشْرُ بن البراء من تلك الأكلة ، قتلها ، وذلك أن بشراً لم يزل مُقتلاً من
تلك الأكلة حتى مات منها بعدَ حَوْلٍ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند
موته : « ما زالت أكلةُ خَيْبَرَ تُمَادُّني ، فهذا أَوَانُ قَطَعْتُ أَبْهَرِي » وكان
يَنْفُثُ منها مثلُ عَجَمِ الرِّيبِ . وتُمَادُّني ، أي تَمْتَادُّني المرأةُ بعدَ المَرَّةِ ،
قال الشاعر :

أَلَا نِي مِنْ تَذَكُّرِ آلِ كَيْلٍ كَمَا يَلْقَى السَّلَامُ مِنَ الْعِدَادِ

والأبْهَرُ : عِرْقٌ مُسْتَنْبِطٌ مِنَ الْقَلْبِ ، قال ابن مُقْبِل :

هَلْ لِفُؤَادٍ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهَرِهِ لَدَمَ الْوَلِيدِ وَرَاءَ الْغَيْبِ بِالْخَجَرِ

وقد روى مَعْمَرُ بن راشدٍ في جامعِهِ عن الزُّهْرِيِّ أنه قال : أَسَلَّتْ
فَتَرَكَهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال معمر : هَكَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ :

أسلمت ، والناس يقولون : قتلها ، وأنها لم تُسَلِّمْ^(١) ، وفي جامع مَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ
أَيْضًا أَنَّ أُمَّ بَشِيرِ بْنِ الْبَرَاءِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَرْضِ الَّذِي
مَاتَ مِنْهُ مَا تَنْهَيْهُمْ يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنِّي لَا أَتُهُمْ بِبَشِيرٍ إِلَّا الْأَكْلَةَ الَّتِي أَكَلَهَا
مَعَكَ بِخَيْرٍ ، قَالَتْ : وَأَنَا لَا أَتُهُمْ بِغُضَى إِلَّا ذَلِكَ ، فَبُذِلَ أَوَّانُ قَطَمَتْ أَبْهَرِي .

مول حديث المرأة الفقارية :

فصل : وذكر حديث الفقارية التي شهدت خَبَرَ ، ولم يُسَمَّها ،
وقد يقال : اسمها لَيْسَى ، ويقال : هي امرأة أَبِي ذَرٍّ الْفِقَارِي ، وقولها
رَضَخَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَصْلُ الرَضَخِ أَنْ تَكْسِرَ مِنْ
الشَّيْءِ الرُّطْبَ كَسْرَةً فَتُمِطُّهَا ، وأما الرَضَخُ : الخاء للهامة ، فَكَسَرَ اللَّيَاسَ ،
التَّصْلُبَ . قال الشاعر :

كَمَا تَطَايَرُ عَنْ مِرْضَاحِهِ الْعَجَمُ

(١) يقول الحافظ ، ولم ينفرد الزهري بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك
سليمان التيمي في منازبه . وجعلها في الإصاغة في القسم الأول من الصحايات ،
هذا وقد روى البخاري قصة الشاة المسمومة ، وفي الصحيحين من حديث شعبة
عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم - بشاة مسمومة ، فأكل منها . فجئ بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فألها عن ذلك ، قالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله
ليسلطك علي ، أو قال : على ذلك . قالوا : ألا تقتلها ؟ قال : لا . قال أنس ،
فأزلت أعرفها في لحوات رسول الله ، ص ، واللهوات جمع لحاة ، وهي
الجدات في سبقت أقصى الفم .

صه أعظم الماء :

وقولها : أمرني أن اجعلَ في طهورِي مِلْعًا ، فيه رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ مِنْ
الْفُقَهَاءِ أَنَّ الْمِلْحَ فِي الْمَاءِ إِذَا غَيَّرَ طَعْمَهُ صَيَّرَهُ مُضَافًا طَاهِرًا غَيْرَ مُطَهَّرٍ ، وفي هذا
الحديث ما يدفع قوله ، ومن طريق النظر أن الخَالِطَ للماء إِذَا غَلَبَ عَلَى أَحَدِ أَوْصَافِهِ
الثَّلَاثَةِ : الطَّعْمُ ، أَوِ اللَّوْنُ ، أَوِ الرَّائِحَةُ ، كَانَ حُكْمُ الْمَاءِ كَحُكْمِ الْخَالِطِ لَهُ ، فَإِنْ
كَانَ طَاهِرًا غَيْرَ مُطَهَّرٍ كَانَ الْمَاءُ بِهِ كَذَلِكَ ، وَإِذَا كَانَ لَاطِهَرًا أَوْ لَاطَهَّرًا كَالْبَتُولِ
كَانَ الْمَاءُ لَخَالِطَتِهِ كَذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ الْخَالِطُ لَهُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا كَالْتَرَابِ كَانَ
لِلْمَاءِ طَاهِرًا مُطَهَّرًا ، وَالْمِلْحُ إِنْ كَانَ مَاءً جَامِدًا ، فَهُوَ فِي الْأَصْلِ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ ،
وَإِنْ كَانَ مَعْدِنِيًّا تَرَابِيًّا ، فَهُوَ كَالْتَرَابِ فِي مَخَالِطَةِ الْمَاءِ ، فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ جَعَلَهُ
نَاقِلًا لِلْمَاءِ عَنْ حُكْمِ الطَّهَارَةِ وَالتَّطْهِيرِ ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ فِي السَّيْرَةِ أَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اغْتَسَلَ عَامَ الْفَتْحِ مِنْ جَفْنَةٍ فِيهَا مَاءٌ وَكَافُورٌ ، وَتَحَمَّلُ
هَذِهِ الرِّوَايَةُ عَدَدِي إِنْ صَحَّحْتُ عَلَى أَنَّهُ قَصَدَ بِهَا التَّطْيِيبَ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُحَدِّثُكَ ،
وَلَأَبِي حَنِيفَةَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ مُتَمَطِّلٌ لَتَرْخِيصِهِ .

من شهراء خبير :

وذكر فيمن استشهد بخبير : أبا الضَّيَّاحِ بْنِ ثَابِتٍ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ، وَقَالَ
الطَّبْرِيُّ : اسْمُهُ الثُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الثُّعْمَانِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : اسْمُهُ عُمَيْرٌ .

وذكر فيمن استشهد : عَامِرُ بْنُ الْأَسْوَجِ ، وَهُوَ الَّذِي رَجَعَ عَلَيْهِ سَيْفُهُ

فقتله ، فشك الناس فيه ، فقالوا : قتله سلاحه ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهدٌ مجاهدٌ ، وقلَّ عَرَبِيٌّ ، مُشَابِهًا مثله ، وفي رواية : مَشَى بها مثله ، ويروى أيضاً : نَشَأَ بها مثله ، كل هذا يروى في الجامع الصحيح ، وهذا اضطرابٌ من رِوَاةِ الكتاب ، فمن قال : مشى بها مثله فالهاء عائدة على المدينة ، كما تقول : ليس بين لابتيها مثلُ فلان ، يقال هذا في المدينة ، وفي الكوفة ، ولا يقال في بلد ليس حوله لَابَتَانِ ، أي حَرَّتَانِ ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الأرض ، كما قال سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن : ٢٦ .

الحال من النكرة :

ومن رَوَاهُ مُشَابِهًا مُفَاعِلًا من الشَّبه ، فهو حالٌ من عَرَبِيٍّ ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دَلَّتْ على تَصْحِيحِ مَعْنَى كَمَا جَاءَ في الحديث : فَصَلَّى خَلْفَهُ رَجُلًا تِيَامًا . الحال هاهنا مُصَحِّحَةٌ لِفَقْهِ الحديث ، أي : صَلَّوْا في هذه الحال ، ومن احتج في الحال من النكرة بقولهم : وقع أمرٌ فجأةً ، فلم يصنع شيئاً ، لأن فجأةً ، ليس حالاً من أمرٍ ، إنما هو حالٌ من الوقوع ، كما تقول : جاءني رجلٌ مشياً ، فليس مشياً حالٌ من رجل ، كما توهموا ، وإنما هي حالٌ من الحياء لأن الحال هي صاحبُ الحال ، وتنقسم أقساماً : حالٌ من فاعلٍ كقولك : جاء زيدٌ ماشياً ، وحالٌ من الفعل ، كقولك : جاء زيدٌ مشياً ورَكُضًا ، وحالٌ من المفعول ، كقولك : جاءني القومُ جالياً ، فهي صفة المفعول في وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفة الفاعل في وقت وقوع الفعل منه ، أو صفة الفعل في وقت وقوعه ونمى بالفعل : المصدر .

حديث الحجاج بن عمار :

فصل : وذكر حديث الحجاج بن عمار السلمي : وقد ذكرنا في حديث إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجن ، وهو والد نصر بن حجاج الذي خلق عمر رأسه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

أَلَا سَيْبِلَ إِلَى خَمْرٍ فَأُشْرِبَهَا أُمَ لَا سَيْبِلَ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ

وهذه المرأة هي القريضة بنت همام ، ويقال : إنها أم الحجاج بن يوسف ، ولذلك قال له عمرو بن الزبير : يا ابن المتمنية ^(١) ، وكان من أحسن الناس لمةً ووجهًا ، فأثى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلمي ، فتهوَّته امرأته ، وهواها ^(٢) ، وقطن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذكره ، فابتغى له قبلة في أقصى الحى ، فساكن بها ، فاشتد ضناه بالمرأة ، حتى مات كلفاً بها ، وسمى المصطفى وضربت به الأمثال . وذكر الأصبهاني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ^(٣) .

(١) زعموا أنهما كانا بحضرة عبد الملك بن مروان ، فذكر عروة أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال له الحجاج : أعند أمير المؤمنين تكفى أخاك المناق لا أم لك ، فقال له عروة : يا ابن المتمنية !! إلى تقول هذا لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة .

(٢) المعرف في اللغة أن هوى كرضى ، وهو ولاشك خطأ في الطبع أو النقل . وقد ذكرها البغدادى وهو بها ، نقلا عن الروض .

(٣) سبق الحديث عن قصتهما وذكرنا بعض مراجع قصتهما .

وقوله : الحجاجُ بن عِلَاطٍ ، والعِلَاطُ وَسَمٌ في العنق ، ويقال له : العُلَاطَةُ
أيضاً ، وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم : لا بُدَّ لي أن أُقُولَ ، فقال له : قل ،
يعني التَّكْذُوبُ^(١) ، فأباحه له ، لأنه من خُدَعِ الحرب ، وقال : المُبَرَّد : إنما
صوابه : أُتَقُولُ إذا أردت معنى التَّكْذُوبِ ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :
بحسبِ أمرِي ، أننى عليك بأنه يقول ، وإن أُرَبِّي فلا يَتَقُولُ
أى : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إنراطاً يَتَقُولُ .

تفسير أولى لك :
وذكر غير ابن إسحاق في حديث حجاج أن قُرَيْشاً قالت : حين أفلتْهُمْ :
أولى له ، وهى كلمة معناها : الوعيد ، وفي التنزيل : ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾
القيامة : ٣٤ ، فهى على وزن أَقْتَل ، من وَلَّى أى : قد وَلَّيَ الشَّرُّ ، وقال
الفارسي : هى اسمٌ علم ولذلك لم ينصرف ، وجدت هذا في بعض مسائله ،
ولا تتَّضِحُ لى الْعَلَمِيَّةُ في هذه الكلمة ، وإنما هو عندى كلامٌ حُذِفَ منه ،
والتقدير : الذى تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أى أَلِزَمَ لك ، أى
إنه يَبْلِيكَ ، وهو أولى لك ، كما قَرَرْتُ منه ، فهو في موضع رفع ، ولم ينصرف
لأنه وَصَفٌ على وزن أَقْتَل^(٢) ، وقول الفارسي : هو في موضع نصبٍ جعله من

(١) في قصة الحجاج عند أحمد أنه قال للرسول (ص) : أنا في حل إن أنا
نلت منك ، أو قلت شيئاً ، فأذن له (ص) ، أن يقول ما شاء .
(٢) ما في اللسان عنها أنها اسم لدنوت وقاربت . وقال ثعلب : لم يقل
أحد في أول لك أحسن مما قال الأصمى . وقد قال الأصمى عنها : أولى لك :
قارئك ما تذكره . وانظر مادة أول ففيها الكثير عنها .

يُنَابُ تَبَاهُ^(١)، غير أنه جعله علماً لما رآه غير مُؤَوَّن .

أُمُّ أَيْمَنَ :

فصل : وذكر شِعْرُ حَسَّانَ فِي ابْنِ أُمِّ أَيْمَنَ ، واسم أبيه عُبَيْدٌ ، واسم أمه أُمُّ أَيْمَنَ بَرَكَةٌ ، وهي أمُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، يقال لها : أمُ الطَّلَبِ ، قال الواقدي : اسمها بَرَكَةٌ بنتُ ثَمَلَةَ [بن عمرو بن حصن بن مالك بن مسلة بن عمرو بن النعمان]^(٢) وكانت أُمَّةً لعبدِ الله بن عبدِ المطلب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي^(٣) ، ويقال : كانت لَامِنَةً بنتَ وَهَبِ أُمِّ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - وهي التي هاجرت على قَدَمَيْهَا من مَكَّةَ إلى المدينة ، وليس معها أحدٌ ، وذلك في حَرِّ شَدِيدٍ ، فَمَطِشَتْ ، فجمعت حَفِيفاً فوق رأسها ، فالتفتت ، فإذا دُلُوقٌ قد أَذْلَيْتَ لها من السَّمَاءِ فَشَرِبَتْ مِنْهَا ، فلم تَظْمَأْ أبداً^(٤) ، وكانت تَتَمَهَّدُ الصُّيُومَ فِي حَمَازَةِ الْقَيْظِ ، لَتَمَطِشَ فَلَا تَغَطِشُ

(١) تَبَاهُ له دعاء ، نصب ، لأنه مصدر محمول على فعله كما تقول شقياً فلان ، معناه : شقي فلان شقياً ، ولم يجعل اسماً مستنداً إلى ما قبله .

(٢) الزيادة في نسب أم أيمن من الإصابة من أول ابن عمرو بن حصن الخ .

(٣) ذكره ابن أبي خيثمة وانظر ترجمتها في الإصابة في الجزء الثامن .

(٤) أخرجه ابن سعد بسنده إلى عثمان بن القاسم يقول : لما هاجرت . . الحديث ، وأخرجه ابن السكن عن طريق هشام بن حسان عن عثمان بنحوه . وقد أخرج البخاري في تاريخه ومسلم وابن السكن أن أم أيمن كانت وصيفة لعبد الله ابن عبد المطلب .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزورها ، وكان الخليفةان يزورانها بعده ، وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية^(١) أنها عطشت في سفر فلم تجد ماءً إلا عند يهودي ، وأبى أن يسقيها إلا أن تدين بدينه ، فأبت إلا أن تموت عطشا ، فدلت لها دلو من السماء فشربت ، ثم رقت الدلو ، وهي تنظر ذكرها ابن إسحاق في السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرناه وقول حسن :

وَأَيْمَنُ لَمْ يَحْنَنْ ، وَلَكِنْ مُهْرَهُ أَصْرٌ بِهِ شَرِبُ الْمَدِيدِ الْمَخْمَرِ^(٢)

المديد : وقع في الأصل ، وهو معروف ، ولكن ألفت في حاشية الشيخ عن ابن دريد : المرید براء ، والمريس أيضا ، وهو تمر ينقع ثم يمرس وأنشد :

مُسْتَنْقَاتٌ تُسْقَى ضَبَايَحَ الْمَرِيدِ

أبو أيوب في ممراته النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب حين بات بحرسه : حَرَسَكَ اللَّهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ ، كَأَيْتَ تَحْرَسُ نَبِيَّ .

(١) قصتها وقصة طش أم أيمن لم يخرجهما غير أصحاب السير ، وأما المحدثون أصحاب الصحيح والمسانيد والسنن : فلم يخرجوا شيئا من ذلك .
(٢) شرحه أبو ذر الحسني : بقوله ، هو الدقيق يخالط مع الماء فتشربه الخيل .

قال المؤلف : فخرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة ، حتى إن الروم كَتَحَرُّسَ قَبْرَهُ ، وَيَسْتَسْقُونَ بِهِ ، وَيَسْتَصِيحُونَ ^(١) ، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سَمَةَ حَسِين ، فلما بلغوا القُسْطَنْطِينَةَ مات أبو أيوب هناك ، وأوصى يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومشَوْا به حتى إذا لم يجدوا مداغاً ، دفنوه ، فسألهم الروم عن شأنهم ، فأخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة ، فقالت الروم ليزيد ما أَحَقَّكَ وَأَحَقَّ مَنْ أَرْسَلَكَ أُمَيْمْتُ أَنْ تَنْدِيَسَهُ بِعَدِّكَ ، فَتَحْرِقْ عِظَامَهُ ، فأقسم لهم يزيد لئن قَمَلُوا ذَلِكَ لَأَتَّهِدَ مِنْ كُلِّ كَنِيسَةٍ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ، وَلَذَنِيثَنْ قُبُورَهُمْ ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم لَيَكْرَهُنَّ قَبْرَهُ ، وَلَيَحْرِسُنَّهُ مَا اسْتَطَاعُوا ، فروى ابن القاسم عن مالك ، قال : بلغني أن الروم يَسْتَسْقُونَ بِهَبْرِ أَبِي أَيُوبَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَيُسْقُونَ ^(٢) .

قسم أموال خيبر وأراضبها

أما قسم غنائمها ، فلاخِلَافَ فيه وفي كل مَغْنَمٍ بَنَصَّ الْقُرْآنُ كما تقدم في غزاة بدر ، وأما أَرْضُهَا ، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين من حَضَرَها من أَهْلِ الْمُدَيَّنِيَّةِ ، وأخرج الخُمُسَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، وقد تقدم الكلام في معنى : لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ، وما معنى سَنَهُمُ اللَّهُ ، وسَنَهُمُ الرَّسُولُ ، ولولا الخُرُوجُ عَا صَمَدُنَا إِلَيْهِ لَذَكَرْنَا سِرًّا بَدِيحاً وَفَقْهًا عَجِيباً في قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ بِاللَّامِ ، ولم يقل ذلك في

(١) حمل جهال قلوبهم في أكنة .

(٢) ليس هذا من هدى الإِسلام في شيء ، هذا وكان غزو القسطنطينية سنة ٥٥ هـ .

اليتامى والمساكين ، وقال : وللا رسول ، وقال فى أول السورة ﴿ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ وقال فى آية الفء ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَأَنَّ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ولم يقل : رسوله ، وكل هذا الحكمة ، وحاشا لله أن يكون حرف من التنزيل خالياً من حكمة . وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : قسم النبي صلى الله عليه وسلم أرض خيبر أنلأماً أنلأماً ، السلايم والنوطيح والسكيتية ، فإنه تركها لغوائب المسلمين وما يعمروهم ، وفى هذا ما يقوى أن الإمام مخير فى أرض الفتوة إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه : ﴿ واعلموا أنما غنيمتكم من شئء ﴾ الآية فيجربها تجرى الغنيمة ، وإن شاء وقفها كما فعل عمر - رضى الله عنه - أخذاً بقول الله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ إلى قوله : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ فاستوعبت آية الفء جميع المسلمين ، ومن يأتى بعدهم ، فسمى آية القرى قيثاً وسئى الأخرى غنيمة ، فذل على افتراقهما فى الحكم ، كما افترقا فى الذميمة ، وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على أقوال منهم : من يرى قسم الأرض كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بتخيبر ، وهو قول الشافعى ، ومنهم من يراها وقفاً على المسلمين لبئيت ما لهم ، ومنهم من يقول بتخيير الإمام فى ذلك ، فكذلك افترق رأى الصحابة عند افتتاح البلاد ، فكان رأى الزبير القسم ، فكلم عمر بن العاصى حين افتتح مصر فى قسمها فكاتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكاتب إليه عمر : أن دعها ، ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حبل الحبلة ^(١) ، وقد شرحنا هذه الكلمة فى

(١) يريد : حتى يغزو منها أولاد الأولاد ، ويكون عامان فى الناس والدواب ، أى يكثر =

فِي الْمَبْعَثِ قَبْلَ هَذَا بِأَجْزَاءٍ ، وَكَذَلِكَ اسْتَأْمَرَ عُمرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الصَّحَابَةَ فِي قَسَمِ أَرْضِ السَّوَادِ حِينَ افْتُتِحَتْ ، فَكَانَ رَأْيُ عَلِيٍّ مَعَ رَأْيِ عُمرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يَقِفَ ، وَلَا يَقْسِمَ ، وَأَرْضُ السَّوَادِ أَوْلَاهَا مِنْ نُحُومِ الْمُوصِلِ مَدَامِغُ لُلاءٍ إِلَى عِبَادَانٍ مِنَ السَّاحِلِ عَنْ يَسَارِ دِجْلَةٍ ، وَفِي الْعَرَضِ مِنْ جِبَالِ حُلْوَانَ إِلَى الْقَادِسِيَّةِ مُتَّصِلًا بِالْمُذَيَّبِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، كَذَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ : دَلَعَ الْبَرُّ إِسَانَهُ فِي السَّوَادِ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْقَادِسِيَّةِ كِيسَانٍ مِنَ الْبَرِّيَّةِ دَاخِلٍ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ ، حَكَاهَا الطَّابِرِيُّ .

وَلَمَّا سَارَ عُمرُ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ بِالْجَلَابِيَّةِ شَاوِرًا فِيمَا افْتَتَحَ مِنَ الشَّامِ : أَبْقَسِمُهَا ؟ فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ : إِنْ قَسَمْتَهَا لَمْ يَكُنْ لِي بَأْسٌ بِأَيِّ بَعْدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ ، أَوْ نَحْوُ هَذَا ، فَأَخَذَ يَقُولُ مُعَاذُ ، فَالْجَحَّ عَلَيْهِ بِلَالٌ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَطَلَبُوا الْقَسَمَ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا ، قَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِإِلَآءٍ وَذَوْبِهِ ، فَلَمْ يَأْتِ الْحَوْلُ ، وَمِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرَفُ ، وَكَانَتِ أَرْضُ الشَّامِ كُلُّهَا عَنُودَ إِلَّا مَدَائِنَهَا ، فَإِنَّ أَهْلَهَا صَالِحُوا عَلَيْهَا ، وَكَذَلِكَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَتَجَمَعُوا عُمرَ صَلَاحًا بَعْدَ أَنْ وَجَّهَ إِلَيْهَا خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ الْقَنْمِيُّ فَطَلَبُوا مِنْهُ الصَّالِحَ ، فَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمرَ ، وَهُوَ بِالْجَلَابِيَّةِ ، فَقَدَّمَهَا ، وَقَبِلَ صَالِحَ أَهْلِهَا . وَأَرْضُ السَّوَادِ كُلُّهَا عَنُودَ إِلَّا الْخَبِيرَةَ فَإِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ صَالِحَ أَهْلِهَا ، وَكَذَلِكَ أَرْضُ بَاقِيَا (١)

==المسلمون فيها بالتوالد ، فإذا قسمت لم يكن قد انفرد بها الآباء دون الأولاد ، أو يكون : أرد المنع من القسمة حيث علقه على أمر مجهول النهاية لابن الأثير - (١) هي أرض بالنجف دون الكوفة .

أَيْضاً صُلُحٌ ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا : الْيَسْ (١) . وَأَرْضُ خُرَّاسَانَ عَنُودَةٌ إِلَّا زَرَمِدًا ، فَالْأَرْضُ قَلْعَةٌ مَنِيْعَةٌ وَقِلَاعٌ سِوَاهَا ، وَأَمَّا أَرْضُ مِصْرَ ، فَكَانَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ قَدْ اقْتَنَى بِهَا مَالًا وَعَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ أَبِي بَرٍّ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، لِأَنَّ أَرْضَ الْعَنُودَةِ لَا تُشْتَرَى ، وَكَانَ اللَّيْثُ يُرَوِّى عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ ، أَنَّهَا فُتِحَتْ صُلُحًا ، وَكَلَّا الظَّهْرَيْنِ حَتَّى لَأَنَّهُمَا فُتِحَتْ صُلُحًا أَوَّلُ ، ثُمَّ انْتَفِكَثَتْ بَعْدُ ، فَأُخِذَتْ عَنُودَةٌ ، فَمِنْ هُنَا نَشَأَ الْخِلَافُ فِي أَسْرِهَا ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَقَدْ احْتِجَّ مَنْ قَالَ بِالنَّهْمِ فِي أَرْضِ الْعَنُودَةِ بِأَنَّهُ عُمَرُ لَمْ يَقِفْ أَرْضَ السَّوَادِ وَغَيْرَهَا حَتَّى اسْتَطَابَ نَفْسَ الْمُفْتَتِحِينَ لَهَا ، وَأَعْطَاهُمْ حَتَّى أَرْضَاهُمْ ، وَرَوَوْا أَنَّ أُمَّ كُرْزٍ الْبَجَلِيَّةَ سَأَلَتْ سَهْمَ أَبِيهَا فِي أَرْضِ السَّوَادِ ، وَأَبَتْ أَنْ تَتْرَكَهُ فَيُنْكَأَ ، حَتَّى أَعْطَاهَا عُمَرُ رَاحِلَةً وَقَطِيفَةَ نَحْرَاءَ وَثَمَانِينَ دِينَارًا ، وَكَذَلِكَ رَوَوْا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَهْمِهِ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ نَحْوًا مِنْ هَذَا ، وَقَالَ مَنْ يَحْتَجُّ لِلرَّبِيقِ الْآخِرِ : إِنَّمَا تَرْضَى عُمَرُ جَرِيرًا ، لِأَنَّهُ كَانَ نَقَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ ، فَكَانَتْ مِلْكًا لَهُ ، حَتَّى مَاتَ ، وَكَذَلِكَ أُمُّ كُرْزٍ كَانَتْ سَهْمَ أَبِيهَا نَقْلًا أَيْضًا ، جَاءَتْ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْآمَارُ الثَّمَانِيَّةُ وَاللَّهُ السَّمِيعُ (٢) .

(١) فِي مَعْجَمِ الْبَكْرِى : أَلَيْسَ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتَقْدِيدِ اللَّامِ مَعَ فَتْحِهَا ، وَهِيَ بِلَدَةٌ بِالْجَزِيرَةِ وَكَذَلِكَ ضَطَبْتُ فِي الْمُرَاصِدِ ، وَقَالَ : الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ الرُّقْمَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرَسِ فِي أَوَّلِ أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَادِيَةِ ، وَقِيلَ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْأَنْبَارِ .

(٢) يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ : وَمَنْ قَامَلَ السَّيْرَ وَالْمَغَازِي حَقَّ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ خَيْرَ مَا فُتِحَتْ عَنْهُ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — اسْتَوْلَى عَلَى أَرْضِهَا كُلِّهَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَ الْأَدِلَّةَ عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : « قَالُوا : »

أبُونَيْفَر :

وذكر فيمن قسم له يوم خَيْرُ أبا نَيْفَةَ قسم له خَمْسِينَ وَسَقًا ، واسمه :

== الذى لا شك فيه أنها فتحت عنوة ، والإمام عَظِيمٌ فى أرض العنوة بين قسمها ووقفها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله ﷺ ، الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة ، وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها ، وإنما قسمت — أى أرض خيبر — على ألف وثمانمائة سهم ، لأنها كانت طعمة من الله لأهل الحديبية من شهد منهم ، ومن غاب ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ . زاد المعاد .

ويقول — رحمه الله — فى مكان آخر : « وقد اختلف الفقهاء فى النية . هل كان ملكاً لرسول الله ﷺ ، يتصرف فيه كيف يشاء أو لم يكن ملكاً له ؟ على قولين فى مذهب أحد وغيره . والذى تدل عليه سنته وهديه أنه كان يتصرف فيه بالامر ، فيضعه حيث أمره الله ، ويقسمه على من أمر يقسمه عليهم ، فلم يكن يتصرف فيه تصرف المالك بشهوته وإرادته ، يعطى من أحب ، ويمنع من أحب ، وإنما كان يتصرف فيه تصرف العبد المأمور بنفذ ما أمره به سيده ، ومولاه ، فيعطى من أمر باعطائه ، ويمنع من أمر بمنعه ، وقد صرح ، فقال : والله إنى لا أعطى أحداً ، ولا أمنعه إنما أنا قاسم أضع حيث أمرت . فكان عطاؤه ومنعه وقسمته بمجرد الأمر ، فإن الله سبحانه خير من أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، والفرق بينهما أن العبد الرسول لا يتصرف إلا بأمر سيده ومرسله ، والملك الرسول له أن يعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء كما قال تعالى للملك الرسول سليمان (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) ص : ٣٩ ، أى : أعط من شئت ، وامنع من شئت ، لا نحاسبك ، وهذه المرتبة هى التى عرضت على نبينا ﷺ ، فرغب عنها إلى ما هو أعلى منها ، وهى رتبة العبودية المحضة التى يكون تصرف صاحبها فيها مقصوراً على أمر السيد فى كل دقيق وجليل ، ص ٦٧ - ٦٨ . زاد المعاد .

عَلَمَّةُ بْنُ الْمُطَلِّبِ ، ويقال : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَمَةَ ، وقال أبو عُمر : هو مجهول ، وقال ابن الفَرَضِيِّ : أَبُو نَبِيقَةَ بْنُ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنْأَفٍ ، واسم أبي نَبِيقَةَ : عَبْدُ اللَّهِ ، ومن ولده : محمد بن العلاء بن الحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَبِيقَةَ ، ومن ولده : أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُطَلِّبِيُّ إِمَامُ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدِ اللَّهِ بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبي نَبِيقَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنْأَفٍ .

أُمُّ الْحَكَمِ :

وذكر فيهم أم الحكم ، وهي بنت الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ أخت ضَبَاعَةَ ، هكذا قال : أم الحكم ، والمعروف فيها أنها أم حَكِيمٍ ، وكانت تحت رَبِيعَةَ ابْنِ الْحَارِثِ ، وأما أمُ حَكَمٍ فهي بنتُ أَبِي شَفِيانٍ ، وهي من مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ ، ولولا ذلك لقلت : إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خَيْبَرَ ، ولا كانت أسلمت بعد .

أُمُّ رَمْثَةَ وَغَيْرُهَا :

وذكر فيمن قسم له أم رَمْثَةَ ^(١) ، ولا تُعرف إلا بهذا الخبر ، وشهودها فَتْحُ خَيْبَرَ .

(١) ذكرها ابن سعد ، وزاد مع التمر خمسة أوسق من الشعير ، ونسبها ، فقال : أم رَمْثَةَ بنت عمرو بن هاشم بن المطلب : بن عبد مناف ، ويقال أم رَمِثَةَ بالتصغير أسلمت وبابعت . وهي والدة حَكِيمٍ والدة الْقَمْعَاقِ ، وذكرها فيمن بايع النبي دس ، من المهاجرات . الإصابة .

وذكر بُحَيِّنَةَ بنت الحارث . وُبُحَيِّنَةُ تصغير: بُحْنَة ، وهي نخلة معروفة ، قاله أبو حنيفة ، ولفظها من البَحْوَنَةِ ، وهي جَلَّةُ التَّمَرِ ، وهي أمُّ عَبْدِ اللَّهِ بن بُحَيِّنَةَ الفقيه ، وهو ابنُ مالك بن القُشْبِ الأزدِي .

القسم للنساء من المغنم :

وفي قسمه لهؤلاء النساء حُجَّةُ الأوزاعي لقوله : إن النساء يُقَسَّمُ لهنَّ مع الرجال في الغزى ، وأكثرُ الفقهاء لا يرون للنساء مع الرجال قسماً ، ولكن يُرَضَّخُ لهن من المَنَّمِ أخذاً بحديث أمِّ عَطِيَّةَ قالت : كنا نغزو مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فنداوى الجرحى ، ونمرض المرضى ويرضخُ لنا من المَنَّمِ (١) .

المناخنة والمغانق :

فصل : وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة ، وفيهم جعفر بن أبي طالب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم التزمه وقَبِلَ بين عينيهِ (٢) ، وقد

(١) الرضخ : العطية القليلة ، وفي حديث عن ابن عباس : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يغزو بالنساء ، فيداوين الجرحى ، ويحذين من الغنيمَةِ ؛ وأما بهن فلم يضرب لهن ، أحدٌ وهن لم وأبو داود والترمذي وصححه . ويحذين : يعطين ولذا قال الترمذي : إنه لا يسهن لهن عند أكثر أهل العلم ، وهو قول سفيان الثوري والشافعي . وقال الخطابي عن قول الأوزاعي : أحسنه ذهب إلى حديث - شرج ابن زياد ، وإسناده ضعيف لا تقوم به حجة .

(٢) روى قصة أصحاب السفينة البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي مع اختلاف يسير وليس في روايته الالتزام والتقبيل ولكنهما في رواية البيهقي .

أحتج بهذا الحديث الثوري على مالك بن أنس في جواز الممانعة ، وذهب مالك إلى أنه خصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه مسفيان من تحلي الحديث على عمومهم أظهر ، وقد اتزم النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحييتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة ، ثم ندب إليها بلفظ لا أذكره الآن غير أن معناه : تنزل عليها مائة رحمة تسمون منها للبادي^(١) ، وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكراهة ، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك .

(١) روى الطبراني بإسناد فيه نظر إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ، إن المسلمين إذا التميا ، فصافحا ؛ وتساءلا أنزل الله بينهما مائة رحمة تسعة وتسعين لأبشهما وأظلفهما وجهاً ، وأبرهما ، وأحسنهما مسألة بأخيه ، وروى البزار بسنده عن عمر بن الخطاب إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه ، فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه ، فإذا صافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادي منها تسعون ، وللصانع عشرة . وفي المصافحة روى البخاري والترمذي عن قتادة قال : « قال لانس بن مالك رضي الله عنه : أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ » قال : نعم ، وروى الطبراني بسنده إلى أنس قال : « كان أصحاب النبي ﷺ ، إذا تلاقوا تصافحوا ، وإذا قدموا من سفر تطافقوا ،

ولد جعفر والنجاشي :

وكان جعفر قد وُلِدَ له بَارِضُ الْحَبَشَةِ مُحَمَّدٌ وَعَوْنٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ، وكان النُّجَاشِيُّ قد وُلِدَ له مولودٌ يوم وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى جَعْفَرٍ يَسْأَلُهُ : كَيْفَ اسْمُ ابْنِكَ ؟ فَقَالَ : اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَسَمِيَ النُّجَاشِيُّ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَرْضَعَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُثْمَانَ امْرَأَةُ جَعْفَرٍ مَعَ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَانَا يَقْوَا صِلَانِ بَنَاتِكَ الْأَخَوَاتِ .

ضبط ابننارين :

وذكر عمرو بن سميد ، وأنه استشهد بأجنادين ، هكذا تقيد في الأصل بكسر الهمزة وفتح أوله ، وكذا سمعت الشيخ الحافظ أبا بكر ينطق به ، وقيدناه عن أبي بكر بن طاهر عن أبي علي النعماني : إجنادين بكسر أوله وفتح الدال . وقال أبو عبيد البكري في كتاب مُعْجَم مَا اسْتَعْجَم : أجنادين بفتح أوله ، وفتح الدال ، وقال كأنه تننية أجناد .

الفارسية ويوم الهرير :

وذكر عمرو بن عثمان القتيبي ، وأنه قُتِلَ بِالْقَادِسِيَّةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَالْقَادِسِيَّةُ آخِرُ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَأَوَّلُ أَرْضِ السَّوَادِ ، وَفِي أَيَّامِهَا قُتِلَ رُسُومُ مَلِكِ الْفُرْسِ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهَا يُسَمَّى يَوْمَ الْهَرِيرِ ، وَكَانَ قَدْ أَقْبَلَ بِالْفِيلَةِ ، وَجَمْعٌ لَمْ يُسَمَّ بِمَثَلِهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي عَدَدِ دُونَ الْعُشْرِ مِنْ عَدَدِ الْحُجُوسِ ،

فكان الظفرُ للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سَمَدَ بن أبي وقَّاص ، وخَبرُها طویلٌ -
يشتمل على أعاجيبٍ من فَتَحَ اللهُ تعالى على هذه الأمة استقصاها سيفُ بنِ عمرٍ
في كتاب الفتوح ، ثم الطبری بعلمه ، وسمَّيت القادِسيَّةُ برجلٍ من الهَرَاقِ ،
وكان كِسْرَى قد أسكنه بها اسمُه : قادس ، وقيل : سميت بقومٍ نزلوها من
قَادِس ، وقَادِسٌ بجزْأَسَانٍ ، وأما القادِسُ في لغة العرب ، فمن أسماء السفينة ^(١) .

عن بعض القارمين من الحبشة :

فصل : وذكر فين قدم من أرض الحبشة هشام بن أبي حذيفة بن
المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسم أبي حذيفة مُهْشَمٌ ، وذكر

(١) ما ذكره عن قادس أخذه عن البكري ، وقد بدأ أمر القادسية - كما
روى الطبري - في السنة الرابعة عشرة من الهجرة وقيل سنة ١٦ ، في عهد عمر
وقد زحف فيها رستم القائد بستين ألفاً وقيل ١٢٠ ألفاً ، وكان المسلمون اثنتي
عشر ألفاً أو عشرة آلاف ، وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلاً وقيل : ثلاثون .
وسميت ليلة الهرير باسمها هذا ؛ لأن المقاتلين اجتلدوا في تلك الليلة من أوطا
حتى الصباح لا ينطقون كلامهم الهرير . وقد قتل فيها من المسلمين قرابة نصفهم ،
وحطم جيش كسرى وقتل رستم ، واقتحم المسلمون القادسية صدر النهار - الذي
أعقب ليلة الهرير ، وقد أتت الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس في الأذان
حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأفرع سعد بينهم . فخرج سهم رجل . فأذن ،
وقيل - كما روى الواقدي - كان قتال القادسية الخميس والجمعة وليلة السبت ، وهي
ليلة الهرير . أنظر الطبري ج ٣ ص ٤٨٠ إلى ص ٥٩٧ وانظر فتوح البلدان
ص ٢٦٨ . إن قوماً يكادون يجتلدون بالسيوف من أجل الأذان . ولا يفسون
الصلاة لا بد أن ينتصروا لهم .

لَوَاقِدِي هِشَامًا. هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره
مُوسَى بن عُمَيْقَةَ ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن حُذَافَةَ ، وأنه الذي أرسله النبي
صلى الله عليه وسلم إلى كِنَسْرَى .

وذكر أيضاً سَلِيطُ بن عمرو ، وأنه كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم إلى هَوَذَةَ بن علي الحَذَنِيِّ صاحبِ اليمامة .

فأما كِنَسْرَى فهو أَبْرَوَيْزُ بن هُرْمُزَ بن أنوشَرَوَان ، وَمَعْنَى أَبْرَوَيْزَ
المظفر فيما ذكر السمودي ، وهو الذي كان غلب الروم ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ فِي قِصَّتِهِمْ :
﴿ أَلَمْ نَغْلِبِ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ وَأَدْنَى الْأَرْضِ هِيَ بُصْرَى وَفِلَسْطِينُ ،
وَأَذْرَعَاتُ^(١) مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، قَالَه الطَّبْرِيُّ .

منه رسل النبي إلى الملوك والرؤساء :

وذكر أبو رِفَاعَةَ وَثِيئَةُ بن موسى بن القُرَاطِ ، قال : قَدِمَ عَبْدُ اللهِ بن
حُذَافَةَ عَلَى كِنَسْرَى قال : يَا مَعْشَرَ الْقُرَاسِ إِنَّكُمْ عِشْتُمْ بِأَحْلَامِكُمْ لَمُدَّةٍ يَأْتِيَكُمْ بِغَيْرِ
نَبِيٍّ ، وَلَا كِتَابٍ ، وَلَا تَمْلِكُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي يَدَيْكُمْ ، وَمَا لَا تَمْلِكُ مِنْهَا
أَكْثَرُ ، وَقَدْ مَلَكَ قَبْلَكُمْ مُلُوكُ أَهْلِ دُنْيَا وَأَهْلُ آخِرَةٍ ، فَأَخَذَ أَهْلُ الْآخِرَةِ

(١) تقرأ هكذا : ألف لام ميم .

(٢) قال الخليل : هي منسوبة إلى أذرع مكان أيضاً . قال : ومن كسر الالف

لم يصرحها ، ومن فتحها صرّحها .

بخطهم من الدنيا ، وضَيِّعَ أَهْلُ الدُّنْيَا حَظَّهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ، فَاخْتَلَفُوا فِي سَمِيِّ الدُّنْيَا ، وَاسْتَقْوُوا فِي عَدْلِ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ صَفَّرَ هَذَا الْأَمْرَ عِنْدَكَ أَنَا أَتَيْنَاكَ بِهِ ، وَقَدْ وَاللَّهِ جَاءَكَ مِنْ حَيْثُ خِفْتَ ، وَمَا تَصْنَعُ بِكَ إِيَّاهُ بِالَّذِي يَدْفَعُهُ عَنْكَ ، وَلَا تَكْذِيبُكَ بِهِ بِالَّذِي يُخْرِجُكَ مِنْهُ ، وَفِي وَقْعَةٍ ذِي قَارٍ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ ، فَاخْذِ الْكِتَابَ فَمَرِّقْهُ ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ مُلْكٍ هَئِي ، لَا أَخْشَى أَنْ أُغْلِبَ عَلَيْهِ ، وَلَا أُشَارَكَ فِيهِ ، وَقَدْ مَلَكَ فِرْعَوْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَسْتُ بِمُخْرِجٍ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا يَنْتَهِي أَنْ أُمْلِكَكُمْ ، وَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، فَأَمَّا هَذَا الْمَلِكُ ، فَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى الْكَلَابِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى أَنْ تَشْبَعَ بِطَوْنِكُمْ ، وَتَأْتِي عِيُونُكُمْ ، فَأَمَّا وَقْعَةُ ذِي قَارٍ ، فَهِيَ بِوَقْعَةِ الشَّامِ . فَانْصَرَفَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ . وَإِنَّمَا خَصَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ بِإِسْرَافِهِ إِلَى كَسْرِي ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا وَيَخْتَلِفُ إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَكَذَلِكَ سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَكَّانٍ يَخْتَلِفُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، قَالَ وَثَيْمَةُ : لَمَّا قَدِمَ سَلِيطُ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَكَّانٍ عَلَى هَوْذَةَ ، وَكَانَ كَسْرِي قَدْ تَوَجَّهَ ، قَالَ : يَا هَوْذَةُ إِنَّكَ سَوْدَتُكَ ^(١) أَكْظَمُ حَائِلَةً ، وَأَرْوَاحُ فِي النَّارِ ، وَلَمَّا السَّيِّدُ مَنْ مَنَعَ بِالْإِيمَانِ ثُمَّ زُوِّدَ التَّقْوَى ، وَإِنْ قَوْمًا سَعِدُوا بِرَأْيِكَ فَلَا تَشَقَّ بِهِ ، وَإِنِّي أَمْرُكَ بِمُخْرِجٍ مَأْمُورٍ بِهِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ ضَرْمٍ مَنَهِىٍّ عَنْهُ ، أَمْرُكَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَأَنْهَاكَ عَنْ عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ ، فَإِنْ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الْجَنَّةَ وَفِي عِبَادَةِ الشَّيْطَانِ النَّارَ ، فَإِنْ قَبِلْتَ نَاتَ مَارَجَوْتَ ، وَأَمِنْتَ مَا خِفْتَ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَشْفُ الْخِطَاءِ ، وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ ^(٢) ، فَقَالَ هَوْذَةُ : يَا سَلِيطُ سَوَّدَنِي مَنْ لَوْ سَوَّدَكَ شَرُفْتَ بِهِ ، وَقَدْ

(١) فِي الْأَصْلِ : لِأَنَّهُ سَوْدَتْ : وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَوَاقِبِ ص ٣٥٥ - ٣٠

(٢) فِي الْأَصْلِ : وَهُوَ الْمَطْلَعُ ، وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْمَرْجِعِ السَّابِقِ .

كان لي رأي أخبر به الأمور ، فقدتته فوضعه من قلبي هواء ، فاجعل لي
فُسْحَةً يرجع إلى رأيي ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شِعْرِ عبدِ الله .
ابن حُدَافَةَ في رسالته إلى كسرى وقدمه عليه :

أبى الله إلا أن كَيْسَرِي فريسةً لأوّلِ دايحٍ بالعراق مُحَمَّدَا
تقاذف في فُحْشِ الجواب مُصَفِّراً لأمرِ العربِ الخائِضين له الرَدَى
فقلت له : أُرِودُ ، فإنك داخل من اليوم في البَلَوَى ومُنْهَبٌ غَدَا
فأَقْبِلْ وأدِرْ حيث شِئْتَ ، فإننا لنا المُلْكُ فابْسُطِ المُسَالِمَةَ اليَدَا
وإلا فأَمْسِكْ قَارِعاً سِنٌّ نَادِمٍ أقرَّ يَذُلُّ الخُرُجَ أوُمْتُ مَوْحِدَا
سَفِهَتْ بِتَعَمُّزِ بَقِي السِّكِّابِ ، وهذه بِتَعَمُّزِ بَقِي المُلْكِ الفُرْسِ يَكْفِي مَبْدَا

وقال هُوَذَةُ بن علي في شأن سَلِيْطَ :

أناي سَلِيْطٌ والحوادثُ جَمَّةٌ فقلت لهم : ماذا يقول سَلِيْطُ ؟
فقال التي فيها على غَضَاضَةٍ وفيها رجاءٌ مُطْمَئِنٌّ وَقُنُوطُ
فقلت له : غاب الذي كنت أجتلي به الأمر عني فالصُّمُودُ هُبُوطُ
وقد كان لي والله بالغ أمره أبا النُّضْرِ جَأَشٌ في الأمورِ رَبيطُ
فأَذْهَبَ خَوْفُ النِّبِيِّ مُحَمَّدٍ فهُوَذَةُ فَهْ في الرجالِ سَقِيْطُ
فأجمع أمرى من يَمِينٍ وَشِمَالٍ كَأني رَدُودٌ لِلنِّبَالِ أَقِيْطُ
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل أنك رسولٌ لِلنَّسَبِ خَيْيْطُ
رسولُ رسولِ الله راكِبٌ ناصِح عليه من أوْبَارِ الحِجَارِ غَيْيْطُ

سَكَرَتْ وَدَبَّتْ فِي الْمَفَارِقِ وَسَنَّةٌ لَهَا نَفْسٌ عَلَى الْفَوَادِ غَطِيطٌ
أَحَازِرُ مِنْهُ سَوْرَةٌ هَاشِمِيَّةٌ فَوَارِسُهَا وَسَطُ الرُّجَالِ عَيْيَطٌ
فَلَا تَعْجَلْنِي يَا سَلِيطُ فَإِنَّا نَبَادِرُ أَمْرًا وَالْقَضَاءُ مُحِيطٌ

وسند ذكر بقية إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ،
بوما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة :

وذكر حديث نوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة مَقْفَلَةً مِنْ
خَيْرٍ ، وهذه الرواية أَصَحُّ مِنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ : كَانَ ذَلِكَ فِي غَزَاةِ حُصَيْنٍ ، وَمَنْ
قَالَ فِي رَوَايَتِهِ لِلْحَدِيثِ كَانَ ذَلِكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُخَالَفٍ لِلرَّوَايَةِ
الْأُولَى ، وَأَمَّا رَوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ
مُرْسَلًا ، فَهَكَذَا رَوَاهُ مَالِكٌ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ ، وَرَوَاهُ عَنْهُ صَالِحُ
ابْنِ أَبِي الْأَخْضَرِ ، وَقَالَ فِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : قَالَ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ :
قَدْ رَوَاهُ أَيْضًا عَنِ الزُّهْرِيِّ مُسْنَدًا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ وَمَعْمَرٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَانَ
الْعَطَّارِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْهُ ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ مُسْنَدًا أَيْضًا ، وَذَكَرَ فِيهِ
هُوَ وَأَبَانُ الْعَطَّارِ أَنَّهُ أُذِّنَ ، وَأَقَامَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْوَادِي ^(١) ،
وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَذَانَ مِنْ رَوَاةِ الْحَدِيثِ إِلَّا قَلِيلٌ .

(١) حديث تركيل بلال بالفجر رواه مسلم أيضاً وابن ماجه . وقد روى
قصة النوم عن صلاة الصبح عمران بن حصين ولم يذكر في أى غزوة كانت ، ولم
يومت منها . وروى مالك عن زيد بن أسلم أن ذلك كان بطريق مكة وهذا مرسل ،
وقيل إنها كانت في غزوة تبوك . وقيل إن الحارس في قصة النوم كان ابن مسعود .

تتم بعبود الله
الجزء السادس، ويليه الجزء السابع
ان شاء الله تعالى
وأوله : (عمرة القضاء)

تصحيح الكتاب

انتُدِبتُ للتدريس في قسم الدراسات الإسلامية للملّيا بكلية الشريعة بمكة
للكرمة ، فتولى تصحيح الكتاب الأخ الفاضل محمود غانم غيث ، فله جزيل
شكري على مجهوده السخي الكريم ؟

عبد الرحمن الوكيل

الجزء السادس من الروض الأنف

ص	ص
٥	مقدمة الجزء السادس
٧	قتل الرسول لأبي بن خلف دس، (١)
٨	شعر حسان في مقتل أبي بن خلف دس،
٨	اتهاء الرسول إلى الشعب دس،
٩	حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة دس،
٩	صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم دس،
٩	ضد الرسول عن النهوض ومعارضة طلحة له دس،
١٠	صلاة الرسول قاعداً دس،
١٠	مقتل اليمان وابن وقش دس،
١١	مقتل حاطب ومقالة أبيه دس،
١٢	مقتل قزمان منافقاً كما حدث الرسول بذلك دس،
١٢	قتل تخمير دس،
١٢	أمر الحارث بن سويد دس،
١٣	تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجنر دس،
١٤	أمر أصيرم دس،
١٤	مقتل عمرو بن الجوح دس،
١٥	هند وتمثيلها بحمزة دس،
١٦	شعر هند بنت أناة في الرد على هند بنت عتبة دس،
١٦	شعر لهند بنت عتبة أيضاً دس،
١٦	نحر يض عمر لحسان على حجر هند بنت عتبة دس،
١٧	استنكار الحليس على أبي سفيان تمثيله بحمزة دس،
١٧	شجاعة أبي سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر دس،
١٨	توعد أبي سفيان المسلمين دس،
١٨	خروج علي في آثار المشركين دس،
١٩	أمر القتل بأحد دس،
٢٠	حزن الرسول على حمزة وتوعد المشركين بالمثل دس،
٢١	ما نزل في النهي عن المثلة دس،
٢١	صلاة الرسول على حمزة والقتل دس،
٢١	صفية وحزنها على حمزة دس،
٢٢	دفن عبد الله بن جحش مع حمزة دس،

(١) دس « رمز عن السيرة . و ن . ل » رمز عن النع والفة . و « ش » رمز عن الفرح . أما الروض فبدون رمز .

٢٢	دفن الشهداء « د س »	٣٦	حول بعض رجال أحد
٢٣	حزن حنة على حمزة « د س »	٣٦	ابن الجحوح
٢٤	بكاء نساء الأنصار على	٣٧	حكم (من) والساكن بعدها
	حمزة « د س »		« د س »
٢٤	شأن المرأة الدينية « د س »		
٢٥	غسل السبوق « د س »	٣٧	لكاع ولكر « د س »
٢٦	خروج الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٠	الرسول يسأل عن ابن الربيع
	ليرجعه « د س »	٤٠	حميد الطويل وطلحة الطلحات
٢٧	مثل استمالة مع المسلمين في نصرة	٤١	أحاديث المئة والنهي عنها « د س »
	رسول الله صلى الله عليه وسلم « د س »	٤٢	الصلاة على الشهداء
٢٧	استماله ابن أم مكتوم على المدينة	٤٤	عبد الله بن جهمس المدعي
	« د س »	٤٦	حديث عمر وأبي سفيان
٢٨	شأن معبد الخزاعي « د س »	٤٧	حديث مخزوم وأول وقف
٢٩	رسالة أبي سفيان إلى الرسول		في الإسلام « د س »
	« د س »	٤٨	غزوة حراء الأندلس
٢٩	كف صفوان لابن سفيان عن	٥٠	أبو عزة الجهمي
	معاودة الكربة « د س »	٥١	قول لعبد الله بن أبي
٣٠	مقتل أبي عزة ومعاوية	٥٢	ذكر ما أنزل الله في أحد من
	ابن المغيرة « د س »		القرآن « د س »
٣٠	مقتل معاوية بن المغيرة « د س »	٥٣	تفسير ابن هشام لبعض
٣١	شأن عبد الله بن أبي بعد		الغريب « د س »
	ذلك « د س »	٥٥	النهي عن الربا « د س »
٣١	كان يوم أحد محنة « د س »	٥٦	الحض على الطاعة « د س »
٣٢	قتل الرسول لابن بن خلف	٥٧	ذكر ما أصابهم وتميزهم
٣٢	حول عين قتادة		« د س »
٣٤	حول نسب حذيفة اليماني	٥٨	دعوة الجنة للجهاديين « د س »
٣٥	الهامة والظما	٥٩	ذكره أن الموت بأذن الله

ص	ص
٧٣ من رائج «س»	٥٩ ذكر شجاعة المجاهدين من قبل
٧٤ من بنى ظفر «س»	مع الانبياء «س» .
٧٤ من بنى ضبيعة «س»	٦٠ تفسير ابن هشام لبعض
٧٤ من بنى عبيد «س»	الغريب «س» .
٧٤ من بنى السلم «س»	٦١ تحذيره لإمام من إطاعة
٧٥ من بنى العجلان «س»	الكفار «س» .
٧٥ من بنى معاوية «س»	٦٣ تأنيبه لإمام لفرارهم عن
٧٥ من بنى النجار «س»	نبيهم «س» .
٧٥ من بنى مبذول «س»	٦٤ تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون
٧٥ من بنى عمرو «س»	الموت في الله «س» .
٧٦ من بنى عدى «س»	٦٥ ذكره رحمة الرسول عليهم «س»
٧٦ من بنى مازن «س»	٦٦ ما نزل في الغلول «س»
٧٦ من بنى دينار «س»	٦٦ فضل الله على الناس ببعث
٧٦ من بنى الحارث «س»	الرسول «س» .
٧٦ من بنى الأبحر «س»	٦٧ ذكره المصيبة التي أصابتهم «س»
٧٧ من بنى ساعدة «س»	٦٨ الترغيب في الجهاد «س»
٧٧ من بنى طريف «س»	٦٩ مصير قتلى أحد «س»
٧٧ من بنى عوف «س»	٧١ ذكر من خرجوا على الرسول
٧٨ من بنى الحبلى «س»	إلى حرام الأسد «س» .
٧٨ من بنى سلة «س»	٧٢ ذكر من استشهد بأحد من
٧٨ من بنى سواد «س»	المهاجرين «س» .
٧٨ من بنى زريق «س»	٧٣ من بنى هاشم «س»
٧٩ عدد الشهداء «س»	٧٣ من بنى أمية «س»
٧٩ من بنى معاوية «س»	٧٣ من بنى عبد الدار «س»
٧٩ من بنى خطمة «س»	٧٢ من بنى غزوم «س»
٧٩ من بنى الخزرج «س»	٧٣ من الانصار «س»

ص	ص
١٠١ شعر كعب في الرد على هبيرة «س»	٧٩ من بني عمرو «س»
١٠٤ شعر لابن الزبيري «س»	٧٩ من بني سالم «س»
١٠٥ رد حسان على ابن الزبيري «س»	٨٠ ذكر من قتل من المشركين يوم
١٠٦ شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى	أحد «س»
أحد «س»	٨٠ من بني عبد الدار «س»
١٠٧ شعر ضرار في الرد على كعب	٨١ من بني أسد «س»
«س»	٨١ من بني زهرة «س»
١٠٨ شعر ابن الزبيري في يوم أحد «س»	٨١ من بني مخزوم «س»
١٠٩ شعر حسان في الرد على ابن	٨١ من بني جميع «س»
الزبيري «س»	٨٢ من بني عامر «س»
١١١ شعر عمرو بن العاص في يوم	٨٢ عدد قتلى المشركين «س»
أحد «س»	٨٢ تفسير ما نزل من القرآن في أحد
١١١ شعر كعب في الرد على ابن العاص	٨٣ معنى اتخذ «ن. ل.»
١١٢ شعر ضرار في يوم أحد «س»	٨٤ أدلة على صحة خلافة أبي بكر
١١٣ شعر عمرو في يوم أحد «س»	٨٥ ديتون ورفعها في الآية «ن. ل.»
١١٤ شعر كعب في الرد على عمير بن	٨٦ من تفسير آيات أحد
العاصي «س»	٨٧ حكم القتل
١١٥ شعر حسان في أصحاب اللواء «س»	٨٩ الشهادة والشهداء
١١٧ شعر حسان في قتلى يوم أحد «س»	٩٣ أرواح الشهداء «س»
١٢٠ شعر حسان في بكاء حمزة «س»	٩٧ إغفال ابن إسحاق نسب عبيد
١٢١ شعر كعب في بكاء حمزة «س»	ابن النسيان
١٢٣ شعر كعب في أحد «س»	٩٨ أبو حنيفة أو حبة
١٢٥ شعر ابن رواحة في بكاء حمزة	٩٩ ذكر ما قيل من الشعر يوم
«س»	أحد «س»
١٢٦ شعر كعب في أحد «س»	٩٩ شعر هبيرة «س»
١٢٧ شعر ضرار في أحد «س»	١٠٠ شعر حسان في الرد على هبيرة «س»

ص	ص
١٥١ شعر حسان اللامى	١٢٨ رجز أبى زعنة يوم أحد «س»
١٥١ ترك تنوين العلم للضرورة	١٢٨ رجز ينسب لعللى فى يوم أحد «س»
«ن. ل.»	١٢٩ رجز عكرمة فى يوم أحد «س»
١٥٢ شعر كعب	١٢٩ شعر الأعمش التميمى فى بكاء
١٥٢ قصيدة كعب الزائية	قتلى بنى عبد النار يوم أحد «س»
١٥٣ نونية كعب	١٣٠ شعر صفية فى بكاء حمزة «س»
٢٥٩ شعر ضمير	١٣١ شعر نعم فى بكاء شماس «س»
١٦٠ رجز عكرمة	١٣١ شعر أبى الحكم فى تمزية نعم «س»
١٦٠ شعر نعم	١٢٢ شعر هند بعد عوفتها من أحد «س»
١٦٠ شعر كعب اللامى	١٢٢ شرح ما وقع فى هذه الفزوة من
١٦٢ ذكر يوم الرجيع «س»	الأشعار
١٦٢ فى سنة ثلاث مقتل خبيب	١٣٣ حول جمع ندى وأسماء الشهور
وأصحابه «س»	«ن. ل.»
١٦٣ نسب عضل والقلوة «س»	١٢٥ شرح شعر كعب
١٦٤ مقتسل حرثا وابن البكير	١٣٧ إقرار الجاهلية بالتقدم
وخاصم «س»	١٣٨ شعر حسان يرد به على ابن الزبير
١٦٤ حاية الذبر لعاصم «س»	١٣٩ متى يضر حذف حرف الجر ؟
١٦٥ مصرع خبيب وابن طارق وابن	«ن. ل.»
الدثنة «س»	١٤٠ عود إلى شعر حسان
١٦٦ مثل من وفاء ابن الدثنة	١٤٠ شعر كعب بن مالك
الرسول «س»	١٤٢ من شعر حسان
١٦٦ مقتل خبيب وحديث	١٤٠ شعر كعب بن مالك
دعوت «س»	١٤٣ فى شعر عمرو بن العاص
١٦٨ ما نزل فى سرية الرجيع من	١٤٤ شعر كعب
القرآن «س»	١٤٥ أجود ما قال حسان
	١٤٧ شعر ابن عطاء
	١٤٨ شعر حسان الحاقى

ص	ص
١٨١ مقتل ابن ورقاء وورثاء ابن رواحة له «دس»	١٦٩ تفسير ابن هشام لبعض القريب «دس»
١٨٢ شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة «دس»	١٧٠ تفسير ابن هشام لبعض القريب «دس»
١٨٢ شعر كعب في يوم بئر معونة «دس»	١٧٠ شعر خبيب حين أريد صلبه «دس»
١٨٢ نسب القرطاء «دس»	١٧١ شعر حسان في بكاء خبيب «دس»
١٨٢ مقتل خبيب وأصحابه	١٧٢ من اجتمعوا لقتل خبيب «دس»
١٨٩ ذكر قصة عاصم	١٧٢ شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيلاً «دس»
١٩٠ مقتل حجر بن عدى	١٧٦ شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه «دس»
١٩١ لقاء عائشة ومعاوية «دس»	١٧٧ حديث بئر معونة «دس»
١٩٢ لم صارت صلاة خبيب سنة ؟	١٧٧ سبب لإرسال بعث بئر معونة «دس»
١٩٣ ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه	١٧٧ رجال البعث «دس»
١٩٧ عدس في شعر حسان في خبيب	١٧٨ عامر يقتل صحابياً «دس»
١٩٧ دعوة خبيب على قاتليه	١٧٩ قتل العامريين «دس»
١٩٨ ابن كريمة في شعر حسان	١٨٠ كراهية الرسول عمل أبي براء «دس»
١٩٩ حول العلم ومنعه من التثوين مع الخفض «دس»	١٨٠ ابن فهيرة والسماء «دس»
٢٠٠ اشتقاق اسم خبيب وهذيل «دس»	١٨٠ سبب لإسلام ابن سلمى «دس»
٢٠١ سالت بدون همزة «دس»	١٨١ شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر «دس»
٢٠١ خبر بئر معونة	١٨٢ نسب حكم وأم البنين «دس»
٢٠٢ ملاعب الأسنة وإخواته ومعوذ الحكام	١٨٢ طعن ربيعة لعامر «دس»
٢٠٣ شعر ليد عن ملاعب وإخواته أمام النعمان	

ص
 ٢١٩ شعر ابن مرداس في امتداح
 رجال بني النضير «س»
 ٢١٩ شعر خوات في الرد على ابن
 مرداس «س»
 ٢٢٠ شعر ابن مرداس في الرد على
 خوات «س»
 ٢٢١ شعر لكعب أو ابن رواحة في
 الرد على ابن مرداس «س»
 ٢٢١ غزوة ذات الرقاع في سنة أربع
 «س»
 ٢٢٢ لم سميت بذات الرقاع ؟ «س»
 ٢٢٢ صلاة الخوف
 ٢٢٣ هم غوز بن الحارث بقتل
 الرسول «س»
 ٢٢٤ قصة جبل جبار «س»
 ٢٢٦ ابن يامر و ابن بشر، وقيامهما
 على حراسة جيش الرسول، وما أصاباه
 «س»
 ٢٢٧ رجوع الرسول «س»
 ٢٢٨ غزوة بدر الآخرة في شعبان
 سنة أربع «س»
 ٢٢٨ خروج الرسول «س»
 ٢٢٨ استعماله ابن أبي على المدينة
 «س»
 ٢٢٨ رجوع أبي سفيان في رجاله «س»
 ٢٢٨ الرسول ومخشي الضمري «س»

ص
 ٢٠٥ مصير ابن فبيعة
 ٢٠٥ أم البنين الأربعة
 ٢٠٦ الزمان أو الريان
 ٢٠٦ القرطاء
 ٢٠٦ شي. منسوخ
 ٢٠٨ أمر إجلال بني النضير في سنة
 أربع «س»
 ٢٠٨ بنو النضير ياتمرون بالرسول
 صلى الله عليه وسلم «س»
 ٢٠٩ الله يعلم نية بما دبروا «س»
 ٢١٠ حصار الرسول النبي النضير «س»
 ٢١٠ تحريض الرهط لهم ثم عاوتهم
 الصالح «س»
 ٢١٠ من هاجر منهم إلى خيبر «س»
 ٢١١ تقسيم الرسول أموالهم بين
 المهاجرين «س»
 ٢١١ من أسلم من بني النضير «س»
 ٢١١ تحريض يامسين على قتل ابن
 جحاش «س»
 ٢١٢ ما نزل في بني النضير من القرآن
 «س»
 ٢١٣ تفسير بن هشام لبعض الغريب «س»
 ٢١٤ ما قيل في بني النضير من الشعر «س»
 ٢١٧ شعر كعب في إجلال بني النضير
 وقتل ابن الأشرف «س»
 ٢١٨ شعر ممالك في الرد على كعب «س»

ص	ص
٢٥٦ معنى الرينة . ن . ل .	٢٢٩ معبد وشعره في ناقة للرسول
٢٥٧ فقه الحديث	هوت . س .
٢٥٧ حول رجز معبد وشعر حسان	٢٢٩ شعر لابن ربيعة أو كعب
وأي سفیان	في بدر . س .
٢٦٠ غزوة دومة الجندل . س .	٢٢٠ شعر حسان في بدر . س .
٢٦٠ غزوة الخندق . س .	٢٢٠ شعر أبي سفیان في الرد على
٢٦١ اليهود تمريض قريشاً . س .	حسان . س .
٢٦٢ اليهود تمريض غطفان . س .	٢٢٢ غزوة بني النضير وما نزل فيها
٢٦٢ خسروج الأحزاب من	٢٢٢ قطع البينة وتأويله .
المشركين . س .	٢٢٣ حول أول سورة الحشر
٢٦٢ حفر الخندق وتحاذل المنافقين	٢٢٦ الكاهنان
وجد المؤمنين . س .	٢٢٦ خروج بني النضير إلى خيبر
٢٦٣ ما نزل في حق العاملين	٢٢٧ صاحبة عروة بن الورد
في الخندق . س .	٢٤١ غزوة ذات الرقاع
٢٦٤ تفسير بعض الغريب . س .	٢٤٢ صلاة الخوف
٢٦٤ المداومون يرتجزون في الحفر . س .	٢٤٤ رفع المنسوب . ن . ل .
٢٦٥ الآيات التي ظهرت في حفر	٢٤٦ مساومة جابر في جملة وما فيه
الخندق . س .	من الفقه
٢٦٨ تحريض حي بن أخطب لكعب	٢٤٧ شعيب لا يروى عن أبيه وإنما
ابن أسد . س .	عن جده
٢٦٩ التحري عن نقض كعب	٢٤٨ الحكمة من مساومة النبي لجابر
لعمد . س .	٢٤٩ سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد
٢٧٠ ظهور ففاق المنافقين واشتداد	٢٥٠ عمرو بن عبيد
خوف المسلمين . س .	١٥١ تعريف ابن تيمية للقدرة . س .
٢٧٠ أكان معتب منافقاً؟ . س .	٢٥٣ وقعة الحرة وموقف الصحابة
٢٧١ المهم بمقد الصلح مع غطفان . س .	منها

س
٢٨٨ تحكيم سعد في أمر بني قريظة
ورضاء الرسول به «س»
٢٩٠ تنفيذ الحكم في بني قريظة س
٢٩٠ مقتل حيي بن أخطب س
٢٩١ المرأة القليل من بني قريظة س
٢٩٢ شأن الزبير بن باطل س
٢٩٣ عطية القرظي ورفاعة س
٢٩٤ الرسول صلى الله عليه وسلم
يقسم في بني قريظة س
٢٩٥ شأن ربيعة س
٢٩٥ ما نزل من القرآن في الخندق
وبني قريظة «س»
٢٩٦ تفسير ابن هشام لبعض
القريب «س»
٣٠١ إكرام سعد في موته «س»
٣٠٣ شهداء الغزوة «س»
٣٠٤ قتل المشركين «س»
٣٠٥ شهداء المسلمين يوم بني
قريظة «س»
٣٠٥ البشارة بغزو قريش «س»
٣٠٦ غزوة دومة الجندل
٣٠٦ غزوة الخندق
٣٠٧ عينة بن حصن
٣٠٩ البرقات التي لامت
٣١٠ ما قيل من الرجز يوم
الخندق «س»
٣١١ تحقيق اسم زغبة
٣١١ يقتل في الذروة والغارب

س
٢٧٢ عبسور نفر من المشركين
الخندق «س»
٢٧٢ سلمان وإشارته بحفر الخندق «س»
٢٧٣ مبارزة علي لعمر بن عبد ود
«س»
٢٧٤ شعر حسان في عكرمة «س»
٢٧٤ شعار المسلمين يوم الخندق «س»
٢٧٤ حديث سعد بن معاذ «س»
٢٧٥ من قاتل سعد ؟ «س»
٢٧٦ الحديث عن جبن حسان «س»
٢٧٧ نعم يخذل المشركين «س»
٢٨٠ تعريف ما حل بالمشركين «س»
٢٨١ أبو سفيان ينادي بالرحيل «س»
٢٨٢ الانصراف عن الخندق «س»
٢٨٢ غزوة بني قريظة «س»
٢٨٢ الأمر الإلهي بحرب بني
قريظة «س»
٢٨٢ على يبلغ الرسول ما سمعه من
بني قريظة «س»
٢٨٣ جبريل في صورة دحية «س»
٢٨٣ تلاحق الناس بالرسول «س»
٢٨٤ الحصار «س»
٢٨٤ نصيحة كعب بن أسد لقومه «س»
٢٨٥ قصة أبي لبابة «س»
٢٨٦ توبة الله على أبي لبابة «س»
٢٨٧ إسلام بعض بني هذيل «س»
٢٨٧ عمر بن سعد «س»

ص
٣٤١ مقل من الشعر في أمر الخندق
ونقي قريظة دس.
٣٤١ شعر ضرار دس.
٣٤٢ كعب يرد على ضرار دس.
٣٤٣ شعر ابن الزبير دس.
٣٤٤ حسان يرد على ابن
الزبير دس.
٣٤٥ كعب يرد على ابن الزبير دس.
٣٥١ ملاحع يكي همراً في
شعره دس.
٣٥٢ ملاحع يوثب للفرسان الذين
كانوا مع عمرو دس.
٣٥٢ هيرة يكي همراً ويعتذر من
فراده دس.
٣٥٢ هيرة يكي همراً في شعره دس.
٣٥٣ حسان يفخر بقتل عمرو دس.
٣٥٥ شعر حسان في يوم بني
قريظة وبكاه ابن معاذ دس.
٣٥٥ شعر حسان في بكاه ابن معاذ
وغيره دس.
٣٥٦ شعر آخر لحسان في يوم بني
قريظة دس.
٣٥٧ شعر أبي سفيان في الرد على
حسان دس.
٣٥٨ شعر ابن جوال في الرد على
حسان دس.

ص
٣١٢ اللعن
٣١٥ مصالحة الأحزاب
٣١٦ سلطان منا
٣١٦ حول مبارزة ابن أد لعل
٣١٩ القهر لعل
٣٢٠ ابن العرقه وأم سعد
٣٢١ حول اختراق العرش
٣٢٤ أكان حسان جباناً ؟
٣٢٤ الحديث عن الصوريين ودحية
٣٢٥ فقه لا يسلين أحدكم النصر إلا في
بني قريظة .
٣٢٨ حول قصة أبي لبابة
٣٢٨ لعل وعسى وليت
٣٣٠ من أسلمه السماء
٣٣١ فوقية الله سبحانه
٣٣٣ كية
٣٣٤ ربيعة
٣٣٤ غزوة الخندق
٣٣٥ قتل المرتدة
٣٣٥ الزبير بن باطا
٣٣٧ حلة حي
٣٣٨ سلى بنت أيوب
٣٣٨ سلى بنت قيس
٣٣٨ تفسير آيات قرآنية
٣٤٠ اختراق العرش

ص	ص
٢٧٧ قيس عيلان وقيس كبة .	٣٥٨ مقتل سلام بن أبي الحقيق «س» .
٣٧٨ شعر كعب في الخندق	٣٥٨ الخزرج يستأذنون في قتل ابن
٣٨٢ مقتل ابن أبي الحقيق	أبي الحقيق «س» .
٣٨٦ إسلام عمرو بن العاصي ، وخالد	٣٥٩ التنافس بين الأوس والخزرج
بن الوليد .	في عمل الخير «س» .
٣٨٧ ما قاله الضمري النجاشي .	٣٦٠ قصة الذين خرجوا لمقتل ابن
٣٨٧ الرسل إلى الملوك	أبي الحقيق «س» .
٣٨٨ السهرية	٣٦١ شعر حسان في قتل ابن الأشرف
٣٨٩ غزوة بني لحيان	وابن أبي الحقيق «س» .
٣٩١ غزوة ذي قرد «س» .	٣٦٢ إسلام عمرو بن العاص وخالد
٣٩٢ نصيحة الرسول لأبي عياش «س» .	ابن الوليد «س» .
٣٩٣ مقتل محرز بن نضلة «س» .	٣٦٢ عمرو وضجبه عند النجاشي «س» .
٣٩٤ أسماء أفراس المسلمين «س» .	٣٦٣ اجتماع عمرو مع خالد في
٣٩٤ قتل المشركين «س» .	الطريق «س» .
٣٩٥ استعمال ابن أم مكتوم على	٣٦٤ إسلام ابن طلحة «س» .
المدينة «س» .	٣٦٤ شعر ابن الزبير في إسلام
٣٩٥ تقسيم الفئ بين المسلمين «س» .	ابن طلحة وخالد «س» .
٣٩٦ امرأة الغفاري وما قدرت مع	٣٦٥ غزوة بني لحيان «س» .
الرسول «س» .	٣٦٦ فصل في أشعار يوم الخندق
٣٩٦ شعر حسان في ذي قرد «س» .	٣٦٦ شعر ضرار
٣٩٧ غضب سعد على حسان ومحاولة	٣٦٧ شعر كعب
حسان استرضاء «س» .	٣٦٧ من شعر حسان حول أسماء الله
٣٩٧ شعر آخر لحسان في يوم ذي	٣٦٩ من شعر كعب
قرد «س» .	٣٧٣ شعر آخر لكعب
٣٩٨ شعر كعب في يوم ذي قرد «س» .	٣٧٦ حكم به وما بعدها (ن.ل)
٣٩٩ شعر شداد لمينة «س» .	٣٧٧ قصيدة كعب العينية

ص	ص
٤٢٣ جول النذر والطلاق والمتق	٣٩٩ غزوة بني المصطلق «س»
٤٢٤ من شرح شعر حسان أعضاء	٤٠٠ سبب الغزوة «س»
الخييل .	٤٠٠ مقتل ابن صباية خطأ «س»
٤٢٦ بناد و لمار	٤٠٠ فتنة «س»
٤٢٧ عود إلى شرح شعر حسان	٤٠١ حول فتنة ابن أبي و نفاقة «س»
٤٢٨ قصيدة أخرى لحسان	٤٠٣ مازول في ابن أبي من القرآن «س»
٤٢٨ غزوة بني المصطلق	٤٠٣ موقف عبدالله من أبيه «س»
٤٢٩ تهميم دعوى الجاهلية	٤٠٤ قدوم مقيس مطاً وشعره «س»
٤٣٠ جهجاه	٤٠٥ شعار المسلمين «س»
٤٣٠ موقف عبدالله لصحابي من	٤٠٥ قتل بني المصطلق «س»
أبيه المنافق ودلائله .	٤٠٥ أمر جويرية بذك الحارث «س»
٤٣٢ حول حديث جويرية (ملاحه	٤٠٧ مازول من القرآن في حق الوليد
ومليح) (ن. ل)	بن عتبة «س» .
٤٣٣ غيرة نساء النبي ، والنظر	٤٠٨ خيم الإفك في غزوة بني
إلى المرأة .	المصطلق «س» .
٤٣٦ حديث الإفك	٤٠٨ الهدى في السفر مع الزوجات «س»
٤٣٧ صفوان بن المفضل	٤٠٩ حديث الإفك «س»
٤٣٨ تفسير أسقطوا	٤١٣ القرآن وبراءة عائشة «س»
٤٣٩ بريرة	٤١٦ تفسير ابن هشام لبعض
٤٣٩ أم رومان	الغريب «س» .
٤٤٠ وم البخاري	٤١٧ ابن المفضل بهم بقتل حسان «س»
٤٤١ تناصبي أو تناصيني	٤٢٠ شعر في جهجاه حسان ومسطح «س»
٤٤١ شعر حسان في التمرريض بابن	٤٢٠ غزوة ذي قرد
المفضل	٤٢٠ أسماء أفراس المسلمين
٤٤٤ تفسير العجب	٤٢١ سلمة بن الأكوع
٤٤٥ يبرحاء	٤٢٣ شرح اليوم يوم الرضع

- ٤٤٦ حول براءة عائشة
 ٤٤٧ شعر حسان في مدح عائشة
 ٤٤٩ ما نزل في حق أصحاب الإفك
 ٤٥٠ إهداء سيرة إلى حسان
 ٤٥٢ أمر الحديبية في آخر سنة ست ،
 وذكر بيعة الرضوان ، والصلح
 بين رسول الله (ص) وبين
 سهيل بن عمرو ، د س ،
 ٤٥٣ الرسول (ص) يسلك طريقاً
 غير طريق قريش ، د س ،
 ٤٥٥ ذكر من بعثهم قريش
 إلى الرسول (ص) ،
 ٤٥٩ عثمان بن عفان في مكة
 ٤٦٠ بيعة الرضوان
 ٤٦١ أمر الهدنة
 ٤٦٢ على يكتب شروط الصلح
 ٤٦٣ خزاعة في عهد محمد ، وبنو
 بكر في عهد قريش
 ٤٦٣ جندل بن سهيل
 ٤٦٤ الذين شهدوا على الصلح
 ٤٦٤ للإحلال
 ٤٦٤ الملقون والمقصرون
 ٤٦٥ نزول حورة الفتح
- ٦٥ ذكر البيعة
 ٤٦٦ ذكر من تخلف
 ٤٦٧ ذكر كف الرسول عن
 القتال
 ٤٦٧ تفسير ابن هشام لبعض
 الغريب
 ٤٦٩ ما جرى عليه أمر قوم من
 المستضعفين بعد الصلح
 ٤٦٩ مجيء أبي بصير إلى المدينة
 وطلب قريش له
 ٤٦٩ قتل أبي بصير العامري
 ومقالة الرسول في ذلك
 ٤٧٠ أبو بصير وزملائه في العيص
 ٤٧١ شعر موهب في ردي أبي بصير
 ٤٧١ ابن الزبيري يرد على موهب
 ٤٧٢ أمر المهاجرات بعد الهدنة
 ٤٧٢ الرسول (ص) يأتي رد
 أم كلثوم
 ٤٧٢ حول آية الماحرات
 المؤمنات
 ٤٧٤ بشرى فتح مكة وتجميل
 بعض المسلمين

- ٤٧٥ غزوة الحديبية
٤٧٥ الميقات والإشعار
٤٧٦ من شرح حديث الحديبية
٤٨٠ وصف الجمع بالمفرد ون. ل.
٤٨٢ حول المصالح
٤٨٥ حكم المهارات
٤٨٧ باسمك اللهم
٤٨٨ عية مكفوفة
٤٨٩ أبو جندل وما جاء في الخبر
٤٩٠ الدية التي رفضها عمر
٤٩١ موقف أم سلمة في الحديبية
١٩٢ المقصرون
٤٩٢ أبو بصير
٤٩٣ عمره
٤٩٤ قتل أبي بصير الكافر
٤٩٥ من مواقف عمر في الحديبية
٤٩٦ بيعة الشجرة وأول من بايع
٤٩٦ تعليق عام على الحديبية
٤٩٩ ذكر المسير إلى خيبر
٤٩٩ ما قاله أبو جندل
٥٠٢ ما نهي عنه الرسول (ص)
في خيبر
٥٠٤ شأن بني سهم
٥٠٥ مقتل مرجع اليهودي
٥٠٦ مقتل ياسر أخى مرجع
٥٠٧ شأن على يوم خيبر
٥٠٨ أمر أبي اليسر
٥٠٩ حفيّة أم المؤمنين
٥١٠ بقية أمر خيبر
٥١٠ صلح خيبر
٥١١ الشاة المسمومة
٥١٢ رجوع الرسول إلى المدينة
٥١٢ مقتل غلام الرسول (ص)
٥١٣ أمر ابن مفضل والجواب
٥١٤ أبو أيوب يحرس الرسول
(ص) ليلة بناءه بصفية
٥١٤ بلال يبله النوم وهو يرقب
الفجر
٥١٥ شعر ابن لقيم في فتح خيبر
٥١٦ حديث المرأة الغفارية
٥١٧ شهداء خيبر
٥١٨ أمر الأسود الراعي
في حديث خيبر
٥١٩ أمر الحجاج بن علاط
السلي
٥٢٢ شعر حسان عن خيبر

ص	ص
٥٤٨ استعمال الكلمة في غير موضعها	٥٢٢ حسان يعتذر عن أيمن (ص)
٥٥٠ الإسناد عن عطاء بن أبي مرزبان	٥٢٣ شعر ناجية في يوم خيبر
٥٥٠ المكامل	٥٢٣ شعر كعب في يوم خيبر
٥٥٠ خربت خيبر	٥٢٤ ذكر مقام خيبر
٥٥١ الخيل	٥٢٥ من قسمت عليهم خيبر
٥٥١ مدني الحصون	٥٢٨ ذكر ما أعطى محمد (ص)
٥٥١ حكم أكل لحوم الجوارح الأهلية	٥٢٨ نساء من قح خيبر
والخيل	٥٢٨ وصاة الرسول عند موته
٥٥٤ الورق	٥٨ أمزجك في خبر خيبر
٥٥٧ متى حرم زكاح المتعة ؟	٥٢٩ تسمية النفر الدارين
٥٦٠ على وثناء الرسول (ص)	الذين أوصى لهم رسول الله
٥٦٠ صاحب المغانم وابن مفضل	(ص) من خيبر
٥٦١ الصفي والمربع	٥٣١ عمر يجل يهود خيبر
٥٦٤ صداق صفة	٥٣٣ قسمة عمر لوادى القرى بين
٥٦٤ حنش الصنفاني	المسلمين
٥٦٥ وطأ منهي عنه	٥٣٤ ذكر قدوم جعفر
٥٦٦ على يقتل مرجأ	ابن أبي طالب من الحبشة
٥٦٧ حبرة	وحديث المهاجرين إلى
٥٦٧ من حصون خيبر	الحبشة
٥٦٧ الحال المعرفة لفظاً و د ل	٥٤٣ مهاجرات الحبشة
٥٧٠ الشاة المسمومة	٥٤٥ غزوة خيبر
٥٧٢ حول حديث المرأة الغفارية	٥٤٥ شرح هنة والحداء
٥٧٣ من أحكام الماء	
٥٧٣ من شهداء خيبر	

س	س
٥٨٥ المصاحفة والمعاينة	٥٧٤ الحال من النكرة ون.ل.
٥٨٧ ولد جعفر والتجاني	٥٧٥ حديث الحجاج بن علاط
٥٨٧ ضبط أجنادين ون.ل.	٥٧٦ تفسير أولي لك
٥٨٧ القادسية ويوم الحرير	٥٧٧ أم أيمن
٥٨٨ عن بعض القادسيين من	٥٧٨ أبو أيوب في حراسة النبي
الخبشة	(ص)
٥٨٩ من رسل النبي إلى الملوك	٥٧٩ قسم أموال خيبر وأراضيها
والرؤساء	٥٨٢ أبو نبقه
٥٩٢ حديث النوم عن الصلاة	٥٨٤ أم الحكم
في الجزء السادس	٥٨٤ أم رمنة وغيرها
	٥٨٩ القسم للنساء من المقتنم